

ديوان علي محمود طه

المحتويات

١٣	المَلَّاحُ التَّائِه
١٥	الإهداء
١٧	ميلاد شاعر
٢٣	الوحي الخالد
٢٥	النَّشِيدُ
٢٩	المَلَّاحُ التَّائِه
٣١	عُرْفَةُ الشَّاعِرِ
٣٣	رُجُوعُ الهَارِبِ
٣٥	مَخْدَعُ مُغْنِيَةٍ
٣٧	قُبْلَةٌ
٣٩	أُغْنِيَةٌ رِيْفِيَّةٌ
٤١	قَيْنَارَتِي
٤٣	أَيُّهَا الأشْبَاحُ
٤٧	قَلْبِي
٥٣	على الصخرة البيضاء
٥٥	الأَجْنِحَةُ الْمُحْتَرِقَةُ
٥٩	الله والشاعر
٧٧	صَخْرَةُ الْمُلتَقَى
٨١	عاصِفَةٌ في جُمُجمَةٍ

٨٥	الْقُطْبُ
٨٧	إلى سيد درويش
٨٩	الْأُمْسِيَّةُ الْحَزِينَةُ
٩١	الفن الجميل
٩٣	الْمَلِكُ الْبَطَلُ
٩٥	الشَّاطِئُ الْمَهْجُورُ
٩٩	عَاشِقُ الرَّهْرِ
١٠١	قَبْرُ شَاعِرٍ
١٠٥	حافظ إبراهيم
١٠٩	شَوْقِي
١١٣	اِنْتِظَارُ
١١٥	إِلَى الْبَحْرِ
١١٧	الطَّرِيدُ
١١٩	عَدْلِي يَكُنْ
١٢٣	في القرية
١٢٥	الْبُحَيْرَةُ
١٢٩	ليالي الملاح التائه
١٣١	الإهداء
١٣٣	أغنية الجنْدُولِ في كرنفال فينسيا
١٣٧	الْقَمَرُ الْعَاشِقُ
١٣٩	كَأْسُ الْحَيَّامِ
١٤٩	مَصْرَعُ الرَّبَّانِ
١٥١	نَشِيدُ إِفْرِيقِي
١٥٣	حُلْمُ لَيْلَةٍ
١٥٥	إِلَى رَاقِصَةٍ
١٥٧	في الشِّتَاءِ
١٥٩	هِيَ
١٦١	بُحَيْرَةُ كُومُو

المحتويات

١٦٥	أَفْرَاحُ الْوَادِي
١٦٩	مَهْرَجَانُ الرَّفَافِ
١٧٣	أَمِيرَةُ الشَّرْقِ
١٧٥	سَيْرَانَادَا مِصْرِيَّة
١٧٧	الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ
١٧٩	حَيَالُ
١٨١	التَّمَنُّالُ
١٨٥	دُعَابَةٌ
١٨٧	تَايِيْسُ الْجَدِيدَةِ
١٨٩	خَمْرَةُ نَهْرِ الرَّيْنِ
١٩٣	شَاعِرُ مِصْرَ
١٩٧	مَوْتُ الشَّاعِرِ
١٩٩	الموسيقية العمياء
٢٠٣	النَّهْرُ الظَّامِي
٢٠٥	مَأْسَاةُ رَجُلٍ
٢٠٩	صَدَى الْوَحْيِ
٢١١	الْعُشَّاقُ الثَّلَاثَةُ
٢١٧	زَهْرٌ وَحَمْرٌ
٢١٩	الإهداء
٢٢١	ليالي كليوبترا
٢٢٥	مِيلَادُ زَهْرَةٍ
٢٢٧	حَانَةُ الشُّعْرَاءِ
٢٣١	سَارِيَّةُ الْفَجْرِ
٢٣٣	أَغْنِيَّةُ الْحُبِّ
٢٣٥	حَدِيثُ قُبْلَةٍ
٢٣٧	خَمْرَةُ الشَّاعِرِ
٢٤١	زَهْرَاتِي

٢٤٥	مَنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ
٢٤٩	رَأَقِصَةُ الْحَانَةِ
٢٥١	الشَّاعِرُ
٢٥٣	عَاشِقَةٌ
٢٥٥	الْكَرْمَةُ الْأُولَى
٢٥٧	الْمَدِينَةُ الْبَاسِلَةُ
٢٦١	بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ
٢٦٣	حُلْمٌ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ
٢٦٥	لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ
٢٦٩	عَامٌ جَدِيدٌ
٢٧٣	سَمْرٌ
٢٧٥	الشُّوقُ الْعَائِدُ
٢٧٧	إِلَيْهَا
٢٧٩	سُؤَالٌ وَجَوَابٌ
٢٨١	الشُّوقُ الْعَائِدُ
٢٨٣	جَزِيرَةُ الْعُشَاقِ
٢٨٥	طَاقَةُ زَهْرٍ
٢٨٧	أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ
٢٨٩	امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ
٢٩٣	هِيَ وَهُوَ
٢٩٩	تَلْجٌ وَنَارٌ
٣٠٣	نَارٌ وَنَارٌ
٣٠٧	يَوْمُ الْمَلْتَقَى
٣١١	الْأَيَّامُ
٣١٣	بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ
٣١٧	إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمِصْرِيَّةِ
٣١٩	حَمْرَةُ الْإِلَهَةِ

المحتويات

٣٢٣	الْغَرَامُ الدَّبِيحُ
٣٢٥	امْرَأَةٌ
٣٢٧	نِدَاءُ الْقَلْبِ
٣٢٩	فَارُوسُ الثَّانِي
٣٣٣	هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ
٣٣٥	مَوْكِبُ الْوَدَاعِ
٣٣٧	صَاحِبُ الْأَهْرَامِ
٣٤١	شرق وغرب
٣٤٣	أَلْحَانٌ وَأَشْعَارٌ فِي مَنْزِلِ رَيْتشارد فاجنر
٣٤٩	فلسفة وخيال
٣٥٣	على حاجزِ السَّفِينَةِ
٣٥٧	اعتراف
٣٥٩	الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ
٣٦١	تَحْتَ الشَّرَاعِ
٣٦٥	لحن من فيناً
٣٦٧	أندلسيَّة
٣٧١	الوردَةُ الصَّفراءُ
٣٧٣	راكبَةُ الدَّرَاجَةِ
٣٧٥	إلى أبناءِ الشَّرْقِ
٣٧٩	يومِ فلسطِينِ
٣٨١	من الأعْمَاقِ
٣٨٣	على النيلِ
٣٨٧	مِصْرُ
٣٩١	لِقَاءٌ وَدُعَاءُ
٣٩٥	عَوْدَةُ المَحَارِبِ
٣٩٩	بطلِ الرِّيفِ
٤٠٣	إندونيسيًّا

٤٠٥	في صفوف المجاهدين
٤٠٧	شهيد ميسلون
٤١١	سوريا وعيد الجلاء
٤١٣	في عالم الذكرى
٤١٥	الأمير المجاهد
٤١٩	مصرع سياسي
٤٢١	أرواح وأشباح
٤٢٣	الإهداء
٤٢٥	هذه الأرواح والأشباح
٤٢٩	الشخصيات
٤٣٣	الشاعر
٤٣٥	في السماء
٤٣٩	الحيّة الخالدة
٤٤٣	المرأة والفن
٤٤٧	الأصل والمثال
٤٤٩	ثورة
٤٥١	انتقام
٤٥٣	دنيا النساء
٤٥٥	الكيد العظيم
٤٥٩	شيطان الشاعر!
٤٦٣	الفن الشهيد
٤٦٥	جنون الحياة!
٤٦٧	معرض الحياة!
٤٦٩	فزع وعتاب
٤٧١	السحر الأسود
٤٧٣	رقية!
٤٧٥	عودة
٤٧٧	ابن السماء

المحتويات

٤٧٩	الْفَنَانُ الْأَوَّلُ
٤٨١	الْفَنَانُ الْأَعْمَى
٤٨٣	حَنَانُ
٤٨٧	حَوَاءُ
٤٩٣	قُلُوبُ الشُّعْرَاءِ
٤٩٥	الطَّيْفُ الْأَدَمِيُّ
٤٩٧	الرَّجُلُ!
٥٠٣	الْبُعْثُ الْأَوَّلُ
٥٠٥	أُغْنِيَةُ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
٥٠٧	أغنية الرياح الأربع
٥٠٩	تمهيد
٥١١	الْفَصْلُ الْأَوَّلُ
٥٥٥	الفصل الثاني
٥٩١	الفصل الثالث
٦٢٧	باتوزيس يرثي أزمردا

الملاح التائه

١٩٣٤

الإهداء

إلى أولئك الذين يستهويهم الحنين إلى المجهول.
إلى التائهين في بحر الحياة.
إلى رُؤاد الشاطئ المجهول!
أهدي هذا الديوان.

علي محمود طه

ميلاد شاعر

هَبَطَ الْأَرْضَ كَالشَّعَاعِ السَّنِيِّ
لَمِحَةً مِنْ أَشْعَةِ الرُّوحِ، حَلَّتْ
أَلْهَمْتُ أَصْغَرِيهِ مِنْ عَالِمِ الْحِكْمِ
وَحَبَّتُهُ الْبَيَانَ رِيًّا مِنَ السَّحَابِ
حِينَمَا شَارَفَتْ بِهِ أَفْقَ الْأَرْضِ
وَسَبَى الْكَائِنَاتِ نَوْراً مَحِيًّا
صُورُ الْحَسَنِ حَوْمٌ حَوْلَ مَهْدِ
وَعَلَى ثَغْرِهِ يُضِيءُ ابْتِسَامٌ
وَعَلَى رَاحَتِيهِ رِيحَانَةٌ تَنْدُ
فَحَنَّتْ فَوْقَ مَهْدِهِ تَتَمَلَّى
وَتَسَاءَلْنَ حَيْرَةً: مَلَكُ جَا
مَنْ تَرَى ذَلِكَ الْوَلِيدُ الَّذِي هُوَ
مَنْ تَرَاهُ؟ فَرَنَّ صَوْتُ هُنُوفٍ
إِنَّ مَا تَشْهَدُونَ مِيلَادُ شَاعِرٍ

* * *

كَانَ وَجْهُ الثَّرَى كَوَجْهِ الْمَاءِ
حِينَ وَلَّى الدُّجَى وَأَقْبَلَ فَجْرُ
رَائِقِ الْحَسَنِ مُسْتَفِيضِ الضِّيَاءِ
وَاضِحِ النُّورِ مُشْرِقِ اللَّأَلَاءِ

بَهَجٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُهْدِي
صَفَقَتْ عِنْدَهُ الْخَمَائِلُ نَشْوَى
مَظْهَرٌ يِبْهَرُ الْعَيُونَ، وَسِحْرٌ
وَجَلَا مِنْ بَدَائِعِ الْفَنِّ رَوْضًا
مَا الرَّبِيعُ الصَّنَاعُ أَوْفَى بَنَانًا
نَسَقَ الْأَرْضَ زِينَةً وَجِلَاهَا
رَبْوَةٌ عِنْدَ جَدُولٍ، عِنْدَ رَوْضٍ
فَزَهَا الْفَجْرَ مَا بَدَأَ، وَتَجَلَّى
قَالَ: لَمْ تُبْدِ لِي الطَّبِيعَةُ يَوْمًا
لَا، وَلَمْ يَسِرْ مِلءَ عَيْنِي وَأُذُنِي
أَيُّ بُشْرَى لَهَا تَجَمَّلَتِ الْأَرْضُ
عَلَيْهَا نُبُتَتْ مِنَ الْغَيْبِ أَمْرًا
قَالَ: مَاذَا أَرَى؟ فَرَدَّدَ صَوْتُ
مِنْ غَرِيبِ الْخِيَالِ وَالْإِيحَاءِ
وَشَدَا الطَّيْرُ بَيْنَ عَوْدٍ وَنَاءِ
هَزَّ قَلْبَ الطَّبِيعَةِ الْعَذْرَاءِ
نَمَّقَتْهُ أَنْامِلُ الْإِغْرَاءِ
مِنْهُ فِي بَقَّةٍ وَحُسْنِ أَدَاءِ
قَسَمَاتٍ مِنْ وَجْهِهِ الْوَضَاءِ
عِنْدَ غَيْضٍ، وَصَخْرَةٍ عِنْدَ مَاءِ
وَأَزْدَهَى بِالْوُجُودِ أَيُّ اِزْدَهَاءِ
حِينَ أَقْبَلْتُ مِثْلَ هَذَا الرُّوَاءِ
مِثْلُ هَذَا السَّنَا وَهَذَا الْغِنَاءِ
ضُ وَزَافَتْ فِي فَاتِنَاتِ الْمَرَائِي؟
حَمَلَتْهُ لَهَا نَجُومُ الْمَسَاءِ
كَصَدَى الْوَحْيِ فِي ضَمِيرِ السَّمَاءِ
إِنْ هَذَا يَا فَجْرُ، مِيلَادُ شَاعِرُ

كَانَ فَجْرُ، وَكَانَ تَمَّ صَبَاحُ
بَكَرَتْ لِلرِّيَاضِ فِيهِ عَذَارَى
حِينَ لَاحَتْ لَهُنَّ رَنٌّ هَتَافٌ
قَلْنِ: مَا أَجْمَلَ الصَّبَاحَ فَمَا حـ
فَتَعَالَوْا بِنَا نَغْنِي وَنَلْهُو
وَهُنَا جَدُولٌ عَلَى صَفْحَتِيهِ
وَعَلَى حَافَتِيهِ قَامَ يَغْنِي
وَفَرَّاشٌ لَهُ مِنَ الزَّهْرِ أَلْوَا
دَفَّ فِي نَشْوَةٍ يُنَادِيهِ نُوًا
وَهُنَا رَبْوَةٌ تَلَالُأٌ فِيهَا
وَنَسِيمٌ كَأَنَّهُ النَّفْسُ الْحَا
مِثْلُ هَذَا الصَّبَاحِ لَمْ يَلِدِ الشَّرْ

فِيهِ لِلْحَسَنِ غُدُوَّةٌ وَرَوَاحُ
تَزْدَهِيهِنَّ صَبْوَةٌ وَمَرَاخُ
وَعَلَتْ بِالِدُّعَاءِ مِنْهُنَّ رَاخُ
لَّ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا صَبَاحُ
فَهَذَا اللَّهْوُ وَالْغِنَاءُ يُتَاحُ
يَرْقِصُ الظَّلُّ وَالسَّنَا الْوَضَّاحُ
نَا مِنْ الطَّيْرِ هَاتِفٌ صَدَّاحُ
نُ، وَمِنْ رِيْقِ الشَّعَاعِ جَنَاحُ
رُ وَعَطَّرُ مِنَ الثَّرَى فَوَاحُ
خَضْرَاءُ الْعُشْبِ وَالنَّدَى اللَّمَّاحُ
ئُرُّ تُصْغَى لَهُمِيسَهُ الْأَدْوَاخُ
قُ وَلَمْ تُنَجِبِ الشَّمْسُ الْوَضَّاحُ

لكأنَّا بالكون أعلام ميلا د وعرسٌ قامت له الأفراح
أيِّ حسنٍ نرى؟ فردَّد صوتُ شبه نجوى تُسرِّها أرواح
إنَّ هذا الصباحَ ميلادُ شاعرٍ

وتجلَّى المساءُ في ضوءِ بدرٍ
وسماءٍ تطفو وترسبُ فيها الـ
صورُ جمَّةُ المفاتينِ شتَّى
لا ترى النفسُ أو تحسُّ لديها
أفقُ الأرضِ لم يزلْ في حواشٍـ
وبأحنائه يَرفُ ذمَاءُ
وعلى شاطئِ الغديرِ وروُدُ
وسرى الماءِ هادئًا في حوا
وكانَ النجومَ تسبَّحُ فيه
وكانَ الوجودَ بحرٌ من النُّو
هتفتُ نجمةً: أرى الكونَ تبدو
وأرى ذلك المساءِ يثير السحـ
أترانا بليلةِ الوحي والتَّنـ
ما لهذا المساءِ يشغفنا حـ
أيُّ سرِّ ترى؟ فِرْن هتافُ
إنَّ هذا المساءُ ميلادُ شاعرٍ

قمرٌ مشرقٌ يزيدُ جمالًا
وسكونٌ يرقى الفضاءَ جناحا
هذه ليلةٌ يشفُّ بها الحسـ
جَوْها عاطرُ النسيمِ، يثير الـ
وإذا النهرُ شاطئًا ونميرًا
كلما جدَّ في السماءِ انتقالًا
هُ على الأرضِ يصفوان جلالًا
من ويهفو بها الضياءُ اختيالًا
شجوقٌ والشعرُ، والهوى، والخيالًا
يتبارى أشعةً وظلالًا

وسرى فيه زورق لحبيبي
 يبعثان الحنين في صدر ليل
 شهد الحب منذ كان رويا
 وجرت ملء مسمعيه أحاديث
 ذلك الباعث الأسي والمثير الذ
 لم يجب قلبه لميلاد نجم
 بيد أن القضاء أوحى إليه
 فأحس الفؤاد يخفق منه
 واستخفت من شفاه الحبيب
 وتجلت له الحياة، وما في
 فجئا ضارعا: أرى الكون ربي
 لم يكن يعرف الصباة قلبي
 أتراها تغيرت هذه الأز
 رب ماذا أرى؟ فرن هتاف
 إن هذا يا ليل، ميلاد شاعر

وتجلى الصدى الحبيب الساحر
 وسكون يبت في الكون روعا
 واستكان الوجود، والتفت الده
 لم يبن صورة، ولكن رأته
 قال: يا شاعري الوليد سلاما
 فأليك الحياة شتى المعاني
 لا تقل: كم أخ لك اليوم في الأر
 إن تكن ساورته في الأرض ألا
 فلكي يستشف من خلل الغيب
 ولكي ينهل السعادة من نب
 فلكم جاء بالخيال نبي

في محيط من الأشعة غامر
 وقفت عنده الليالي الدوائر
 ر وأصغت إلى صداه المقادير
 بعيون الخيال من البصائر
 هزت الأرض، يوم جئت، البشائر
 وإليك الوجود جم المظاهر
 ض شقي الوجدان، أسوان حائر
 م وحفت به الجدود العوائر
 ب جمالا يذكي شباب الخواطر
 مع شهى الورد، عذب المصادر
 ولكم جن بالحقيقة شاعر

إنما يسعدُ الوجودُ وتشقو ن، وإني لكم مثيرٌ وشاكرٌ
ولكم جنتي، اصطفيتكم اليو م لتُحيوا بها جميلَ المآثرُ
فانسقوها جداولاً ورياضاً واجعلوها سرحَ النهي والنواظرُ
اجعلوا النهَرَ كيف شئتم، ومُدُّوا شاطئيه بين المروجِ النواضرُ
ماؤه نوبُ خمرةٍ، وسنا شمـ سيس ورياً وردٍ، وألحانُ طائرُ
وضَعُوا هضبةً تُطلُّ عليه ذات صخرٍ منورِ العشبِ عاطرُ
واغرسوا النخلةَ الجنيَّةَ فوق النبـ ح في الموقفِ البديعِ الساحرُ
واجعلوا جنتي قصيدةَ شاعرُ

ادخلوا الآن أيها المحسنونا
جنَّةً كنتم بها توعدونا
اجعلوها من البدائع زونا
واملاؤها من الجمال فنونا
املأوها فناً وليس فتونا
وانشروا الصفو فوقها والسكونا
غير لحنٍ يرفُ فيها حنونا
تتغنّى به الطيور وكونا
وسناً مُشرقٍ يضيءُ الدجونا
سرمديّ الشعاعِ يحمو المنونا
رائقِ النورِ ليس يُعشي العيونا
وتغنّوا بها كما تشتهونا
وصفوها جداولاً وعيونا
ووروداً نديَّةً وغُصونا
لا تثيروا بها الهوى والمجونا
واحذروا أن تذكروا «المجونا»
فلقد ثابَ من هواه شجونا
وخلا مهجةً وجفَّ شؤونا

ديوان علي محمود طه

وهو في جنتيه أسعدُ شاعرُ

* * *

أيها الشاعرُ اعتمدْ قيثارَكَ واعزفِ الآنَ مُنشِدًا أشعارَكَ
واجعلِ الحُبَّ والجمالَ شعارَكَ وادعُ ربًّا دعا الوجودَ وبارَكَ
فزها وازدهى بميلادِ شاعرٍ

الوحي الخالد

وجوهٌ يفيضُ البشرُ من قَسَمَاتِهَا
وتعربُ عن نجواك شتَّى لغاتِهَا
ولا افتَرَّ ثغرُ الصبحِ عن بسماطِهَا
ولا شَقِيَّتْ بالحبِّ بين لِدَاتِهَا
ولا رُزِقَ الإبداعُ من نفحاتِهَا
إليكِ ورودُ الأرضِ نورَ نباتِهَا
على قدميكِ العذبِ من قُبَلَاتِهَا
تصيبُ حياةَ الخلدِ بعد مماتِهَا
صوادحُ طارِ الصمتِ عن وُكُنَاتِهَا
يحييكِ، يا ابن الفجرِ، من شَعَفَاتِهَا
تطيشُ لها الأحلامُ من وثباتِهَا
يعزُّ على الأوهامِ جمعَ شتاتِهَا
ودنيا يَشِيْعُ الموتُ في جنباتِهَا
وتفرغُ فيه البومُ من صرخاتِهَا
وتعريُ الغصونُ النَّصْرُ من ورقَاتِهَا
تخدِّدُ وجهَ الأرضِ من عبرَاتِهَا
عرَفَتَ، ولا الأيامُ في ضحكَاتِهَا
ونافثَ هذا السحرِ في كلماتِهَا

لوجهك هذا الكونُ، يا حسن، كلُّهُ
وتستعرضُ الدنيا غريبَ فنونِهَا
ولولاك ما جاشَ الدجى بهمومِهَا
ولا سَعَدَتْ بالوهمِ في عالمِ المُنَى
وَلَا حَبَبَتِ الْفَنَانُ آيَاتِ فَنِّهِ
بَكَرَتْ إلى الروضِ النَّضِيرِ فزاحمتُ
وألقتُ بأنداءِ الصباحِ شفاهُهَا
تَشَهَّى حُطَى فيها الرَّدَى، وكأنَّهَا
وملَّتْ إلى الأدواحِ فانطلقتُ بِهَا
ومدَّ شعاعُ الفجرِ رَيِّقَ نورِهِ
فوا أسفًا يا حسنُ للحظةِ الَّتِي
ووا أسفًا، يا حسنُ، للفرقةِ الَّتِي
وما هي إِلَّا الصمتِ والبردِ والدُّجَى
فضاءً يروغُ الريحُ في نشيجِهَا
وتنتثرُ الأزهارُ من عذباتِهَا
ويغشى السماءَ الجهمُ من كل ديمةٍ
هنالكِ لا الوادي، ولا العالمُ الذي
ولكن رَدَى النفسِ التي كنتِ حُبَّهَا

ديوان علي محمود طه

مَصَّتْ غَيْرِ شَعْرِ خَلَّدَتْ فِيهِ وَحِيهَا إِلَيْكَ، فَخَذُّ، يَا حَسَنُ، وَحْيَ حَيَاتِهَا!

النشيد

عندما ظللني الوادي مساء
كان طيفٌ في الدجى يجلسُ قربي
في يديه زهرةٌ تقطرُ ماءً
عرفتُ عيني بها أدمعَ قلبي!
قلتُ: من أنت؟ فلبَّاني مجيباً
نحنُ، يا صاح غريبانِ هنا
قد نزلنا السهلَ والليلَ الرهيبا
حيثُ ترعاني وأرعاكِ أنا
قلتُ: يا طيفُ أثرتَ النفسَ شكا
كيفَ أقبلتَ؟ وقلْ لي من دعاكا؟
قال: أشفقتُ من الليلِ عليكِ
فتتبَّعتُ إلى الوادي خُطاكا
ودنا مني وغنَّاني النشيدا
فعرفتُ اللحنَ والصوتَ الوديعا
هو حُبِّي هام في الليلِ شريدا
مثلما همتُ لنلقاكِ جميعاً
وتعانقنا وأجهشنا بكاءً
وانطلقنا في حديثٍ وشجونٍ

ودنا الموعدُ فاهتجنا غناءً
وتنظَّرناكَ والليلُ عيونُ
أقبلَ الليلُ فأقبلُ موهنا
والتمسُ مجلسنا تحتَ الظلالِ
وإفني نصدحُ بألحانِ المنى
ونعبُ الكأسَ من خمر الخيالِ
أقبلِ الليلةَ وانظُرْ واسمع
كلُّ ما في الكونِ يشدو بمزارِكُ
جئتُ بالأحلامِ والذكرى معي
وجلسنا في الدُّجى، رهن انتظارِكُ
سترى، يا حسنُ، ما أعددتُهُ
لكَ من نخرٍ، وحسنٍ، ومتاعٍ
هو قلبي، في الهوى، ذوبته
لكَ في رَفَّافِ لحنٍ وشعاعٍ
وهو شعرٌ صَوَّرتُ ألوانه
بهجةَ الفجرِ وأحزانَ الشفقِ
ونشيدُ مَنَّتْ أَلحانُه
همساتِ النجمِ في أذنِ الغسقِ
ذاك قلبي عارياً بين يديكُ
أخذتُهُ منكِ روعاتُ الإله
فتأمله دماً في راحتيكِ
وذمَّاءَ منكِ يستوحي الحياةَ
باكيِ الأحلامِ، محزونِ المنى
ضاحكِ الآلامِ، بسَّامِ الجراحِ
لم يكنِ إلَّا تقياً مؤمناً
بالذي أغرى بحبِّيكِ الطَّمَّاحِ
يتمنَّى فيكِ لو يَفُنِّي كما

النَّشِيدُ

يتفانى الغيمُ في البحرِ العُبابِ
أو يُلاشي فيك حَيًّا مثلما
يتلاشى، في الضحى، لمحُ الشهابِ
زهرةٌ أطلعها فردوسُ حُبِّكَ
استشفتُ فجرها من ناظريكِ
خفقتُ أوراقها في ظلِّ قربكِ
وسرَّتْ أنفاسها من شفتيكِ
هي من حسنك تحيا وتمونُ
فاحمها، يا حسنُ، إعصارَ المنونِ
أولِّها الدفاءَ من الصدرِ الحنونِ
أو فهبها النورَ من هذي العيونِ
دمعها الأنداءُ والعطرُ الشُّجا
وصدى أناتها همسُ النسيمِ
فاحبها منك الربيعَ المرتجى
تصدح الأيامُ باللحنِ الرخيمِ

المَلَّاحُ النَّائِي

أيها المَلَّاحُ قُمْ واطوِ الشراعا
جَدِّفِ الآنَ بنا في هينةِ
فغدًا يا صاحبي تأخذنا
عبثًا تقفوا خُطى الماضي الذي
لم يكنْ غيرَ أويقاتِ هوى
فَتَمَهَّلْ، تسعدِ الرُّوحُ بما
وَدَعِ الليلةَ تمضي، إنها
سوف يبدو الفجرُ في آثارها
هذه الأرضُ انتشتُ مما بها
قد طواها الليلُ حتى أوشكتُ
إنَّهُ الصمتُ الذي في طيِّه
سَمِعْتَ فيه هُتافَ المنتهى
أيها الأحياءُ، غنوا واطربوا

* * *

آه، ما أروعها من ليلةِ
نَفَخَ الحبُّ بها من روجهِ
فأضَ في أرجائها السحرُ، وشاعا
وَرَمَى عن سِرِّها الخافي القناعا
عبقريًّا لِبِقِّ الفنِّ صناعا
وجلا من صُورِ الحسنِ لنا

نفحات رَقَصَ البحرُ لها وهفاً النجمُ خُفوقاً والتماعاً
وسرى من جانبِ الأرضِ صدئى حرَّكَ العُشبَ حناناً واليراعاً
بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها كسرايا الطيرِ نُفُزْنَ ارتباعاً
قُمنَ بالشاطيءِ من وادي الهوى بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعاً

* * *

أيها الهاجرُ عزَّ الملتقى وأذبتَ القلبَ صدًا وامتناعاً
أدرِكِ التائهَ في بحرِ الهوى قبلَ أن يقتلهُ الموجُ صراعاً
وارعَ في الدنيا طريداً شاردًا عنه ضاقتُ رقعةُ الأرضِ اتساعاً
ضلَّ في الليلِ سراهُ، ومَضَى لا يرى في أفقٍ منه شعاعاً
يجتوي اللافحَ من حرقتِه وعذابِ يشعلُ الرُوحَ التباعاً
والأسى الخالدَ من ماضٍ عفا والهوى الثائرَ في قلبِ تداعى
فاجعلِ البحرَ أماناً حوله واملأ السهلَ سلاماً واليفاعاً
وامسحِ الآنَ على آلامه بيدِ الرفقِ التي تمحو الدماعا
وقُدِ الفلكَ إلى برِّ الرُّضا وانشرِ الحبَّ على الفلكِ شراعاً

عُرْفَةُ الشَّاعِرِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الكَثِيبُ مَضَى اللَّيْلِ
مُسْلِمًا رَأْسَكَ الحَزِينَ إِلَى الفِكْرِ
وَيَدُ تُمْسِكُ اليِرَاعَ وَأُخْرَى
وَفَمٌ نَاضِبٌ بِهِ حَرُّ أَنْفَا

لُ وَمَا زَلَّتْ غَارِقًا فِي شَجُونِكَ
رِ، وَلِلسَّهْدِ ذَابِلَاتٍ جَفُونِكَ
فِي ارْتِعَاشٍ تَمَرُّ فَوْقَ جَبِينِكَ
سَكَ يَطْغَى عَلَى ضَعِيفِ أَنْيْنِكَ

* * *

لَسْتَ تُصْغِي لِقَاصِفِ الرِّعْدِ فِي اللَّيْلِ
قَدْ تَمْشَى خِلَالَ غُرْفَتِكَ الصَّمِّ
غَيْرَ هَذَا السَّرَاجِ فِي ضَوْئِهِ الشَّأ
وَبَقَايَا النِّيرَانِ، فِي المَوْقِدِ الذَّا

لِ، وَلَا يَزْدَهِيكَ فِي الإِبْرَاقِ
تُ وَدَبَّ السُّكُونُ فِي الأَعْمَاقِ
حِبِّ، يَهْفُو عَلَيْكَ مِنْ إِشْفَاقِ
بَلِ، تَبْكِي الحَيَاةَ فِي الأَرْمَاقِ

* * *

أَنْتَ أَذْبَلْتَ بِالأَسَى قَلْبَكَ الغَضِّ
أَهْ يَا شَاعِرِي، لَقَدْ نَصَلَ اللَّيْلِ
لَيْسَ يَحْنُو الدُّجَى عَلَيْكَ وَلَا يَأْ
مَا وَرَاءَ السُّهَادِ فِي لَيْلِكَ الذَّا

وَحَطَّمْتَ مِنْ رَقِيقِ كِيَانِكَ
لُ وَمَا زَلَّتْ سَادِرًا فِي مَكَانِكَ
سَى لَتَلِكِ الدَّمُوعِ فِي أَجْفَانِكَ
جِي، وَهَلَّا فَرَّغْتَ مِنْ أَحْزَانِكَ؟

* * *

فَقُمْ الآنَ مِنْ مَكَانِكَ وَاغْنَمْ
فِي الكَرَى غَطَّةَ الخَلِيِّ الطَّرُوبِ

والتمس في الفراش دفئاً يُنسى
لست تُجزي من الحياة بما حُم
ك نهار الأسي وليل الخطوب
لت فيها من الضنى والشحوب
ف، وليست للشاعر الموهوب!
إنها للمجون، والختل، والزي

رُجُوعُ الْهَارِبِ

إذا تمردَّ المحبون على حكم الهوى، وضاق كيوييد بصراخهم وبكائهم، فتح لهم باب ديره فخلصوا منه ناجين، وانطلقوا هارين من أسره ينشدون السلو والنسيان في حياة أصبحت تنكرهم وكأنهم لم يتصلوا بها، وهاموا في عالم كأنما يجهلهم ويجهلونه، هناك يرجع الهارب نادماً مأخوذاً بسحر تلك الأيام التي كانت تُشرق عليه من خلال ديره القديم.

قَرَّبْتُ لِلنُّورِ المَشْعَّ عَيُونِي وَرَفَعْتُ لِلْهَبِّ الْأَحْمَّ جَبِينِي
وَمَشَيْتُ فِي الوَادِي يَمْرُقُ صَخْرُهُ قَدَمِي، وَتُدْمِي الشَّائِكَاتُ يَمِينِي
وَعَدَوْتُ نَحْوَ المَاءِ وَهُوَ مُقَارِبِي فَنَأَى وَرَدَّ إِلَى السَّرَابِ ظَنُونِي
وَبَدَتْ لِعَيْنِي فِي السَّمَاءِ غَمَامَةٌ فَوَقَفْتُ، فَارْتَدَّتْ هُنَاكَ دُونِي
وَأَصْخَتْ لِلنَّسَمَاتِ وَهِيَ هَوَازُجٌ فَسَمِعْتُ قَصْفَ العَاصِفِ المَجْنُونِ

* * *

يَا صَبْحُ: مَا لِلشَّمْسِ غَيْرَ مَضِيئَةٍ يَا لَيْلُ: مَا لِلنَّجْمِ غَيْرَ مَبِينِ؟
يَا نَارُ: مَا لِلنَّارِ بَيْنَ جَوَانِحِي يَا نُورُ: أَيْنَ النُّورُ مَلءَ جَفُونِي؟
ذَهَبَ النِّهَارُ بِحَيْرَتِي وَكَأَبْتِي وَأَتَى المَسَاءُ بِأَدْمَعِي وَشَجُونِي
حَتَّى الطَّبِيعَةُ أَعْرَضَتْ وَتَصَامَمَتْ وَتَنَكَّرَتْ لِلهَارِبِ المَسْكِينِ!!

* * *

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ حَنَانِكَ مَوْتٌ فَلَمَنْ أَبْتُ ضِرَاعَتِي وَحَنِينِي؟

أثرت لي عيشَ الأسيرِ فلم أُطِقْ
فأعدتني طلقَ الجناحِ وخلتَ بي
وأشرتَ لي نحو السماءِ فلم أطر
نسيَ السماءَ وباتَ يجهلُ عالمًا
ولقد مضى عهدُ التنقلِ، وانتهى
لم ألقَ بعدكَ ما يشوقُ نواظري
فهمتُ أستوحى قديمَ ملاحني
ونزلتُ أستذري الظلالَ فِعَفَنِي
فرجعتُ للوكرِ القديمِ وبني أسى
لما رأتهُ اغرورقتُ عيناَيَ من
ومضتُ بي الذكري فرحتُ مُكذِّبًا
وصحوتُ من حَبَلِ وبني مما أرى

* * *

دوني، وهاتِ القيدَ غيرِ ضنينِ
وأُنمُ، على فجرِ الحنانِ، عيوني
قد أبَ من سَفَرِ الليالي الجونِ
وأَتاكَ ينشدها بعينِ سجينِ!!

فافتحَ لي البابَ الذي أغلقته
دعني أروِّ القلبَ من خمِرِ الرضا
وأعدْ إلي أسرَ الصبابةِ هاربًا
عافَ الحياةَ على نواكِ طليقةً

مَخْدَعُ مَغْنِيَةٍ

حُسْنُ وَالسَّحَرُ وَالهُوى وَالْمِرَاحُ
هـ قلوبُ، ورفرفت أرواحُ
ودنيا بها يدِفُ جناحُ
طابَ منها الشذا ورقَّ النفاحُ
ن كما تحمل الندى الأدواحُ
ضُحكُ لا تملُّه ومزاحُ
رى بأحانها تشيعُ الرِّاحُ
تتملَّى فتشرق الأوضاحُ
وأباحتْ لهنَّ ما لا يُباحُ
نِة يُغدي لقدسه ويُراحُ
دُ) ولكن في كفه المفتاحُ
أو يُنَبِّه فأدمعُ وجراح!!

شَاعَ فِي جَوْهِ الْخِيَالُ وَرَفَّ الـ
وَنَسِيمٌ مُعَطَّرٌ خَفَقَتْ فِيهِ
وَمُنَى كُلِّهِنَّ أَجْنَحَةٌ تَهْفُو
وَمِنَ الزَّهْرِ حَوْلَهَا حَلَقَاتُ
حَمَلَتْ كُلُّ بَاقِيَةٍ دَمْعَ مَفْتُو
وهي في ميعَةِ الصُّبَا يَزْدَهِيهَا
وَعِغْنَاءُ كَأَنَّ قُمْرِيَّةً سَكَا
أَخْلَصَتْ وَدَّهَا الْمَرَايَا فِرَاحَتْ
كَشَفَتْ عَن جَمَالِهَا كُلَّ خَافٍ
مُعَبَّدٌ لِلْجَمَالِ، وَالسَّحَرِ، وَالْفَتَا
نَامَ فِي بَابِهِ الْعَزِيزُ (كِيُوبِيَّةِ)
إِنْ يَنْمُ فَالْحَيَاةُ شَدْوٌ وَلَهُوٌ

* * *

حَيْثُ لَا ضَجَّةٌ وَلَا أَشْبَاحُ
هِيَ دُنْيَا تُتَّيْحُ مَا لَا يُتَّاحُ
وَيُرِينَا وَجُوهَنَا الْمَصْبَاحُ
ح؟ فَقَلْتُ الْمَعْدَبُ الْمَلْتَّاحُ

دَخَلْتُ بِي إِلَيْهِ ذَاتَ مَسَاءٍ
لَمْ نَكُنْ قَبْلُ بِالرَّفِيقِينَ، لَكِنْ
وَجَلَسْنَا يَهْفُو السَّكُونُ عَلَيْنَا
هَتَفْتُ بِي: تَرَاكَ مِنْ أَنْتَ يَا صَا

شاعرُ الحبِّ والجمالِ؛ فقالت: ما عليه إذا أحبَّ جُنَّاحُ
واحتوى رأسي الحزينَ ذراعاً ها، ومرّت على جبيني راحُ
ورأت صُفرةَ الأسي في شفاهِ أحرقتها الأنفاسُ والأفداحُ
فمضت في عتابها: كيف لم ند ر بما برّحت بك الأتراحُ؟
إن أسأنا إليك فالיום يجزيبـك بما نُقّته رِضاً وسمحُ
ولك الليلةُ التي جمعتنا فاغتنمها حتى يلوخ الصباحُ!!

* * *

قلتُ: حسبي من الربيع شذاهُ ولعيني زهره اللَّمَّاحُ
نحن طيرُ الخيالِ، والحسنُ روضُ كلُّنا فيه بلبلُ صدَّاحُ
فَنَيْتُ في هواهُ منا قلوبُ وأصابت خلودها الأرواحُ!!

قُبْلَةٌ

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكِ الْبَا سَمِ دُنْيَا وَحَيَاةُ
تَلْتَقِي الرُّوحَانَ فِيهَا وَالْمُنَى وَالصَّبَوَاتُ
لُغَةٌ وَوَحَّدَتِ الْأَلْ سُنُّ فِيهَا وَاللِّغَاتُ
نَبْعُهَا الْقَلْبُ وَمَجْرَا هَا الشِّفَاهُ النَّضْرَاتُ

* * *

لُغَةٌ قَرَّ شَتِيْتُ الْ شَمَلٍ فِيهَا وَتَوَاءَمُ
وَبَهَا الْأَعْيُنُ فِي غِيَا رِ حَدِيثٍ تَتَفَاهَمُ
مَنْ تُرَى عَلَّمَهَا بِالْ أَمْسِ حَوَاءَ وَأَدْمُ؟
لَمْ تَزُلْ جِدَّتْهَا وَهَ يَ حَدِيثُ يُتْقَادَمُ

* * *

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكِ الْبَا سَمِ رَفَّتْ شِفْتَاهُ
مَنْ رَحِيقٍ لَمْ يُحَرِّمَ هَ عَلَى النَّاسِ الْإِلَهُ
كَلِمَا أُتْرِعَ مِنْهُ الْ قَلْبُ ضَجَّتْ رِئْتَاهُ
مُسْتَزِيدًا وَهَوَ إِنْ عَلَّ بِهِ زَادَ صَدَاهُ

* * *

قُبْلَةٌ مِنْ ثَغْرِكِ الْبَا سَمِ تَمَحَوُ كُلَّ مَا بِي

وتواريني عن النا يس وعن دنيا العذابِ
وَتُنْسِي القلبَ ما جُرَّ عَ من سَمٍّ وصابِ
قبلةً تمزجُ أنفا سَك بالقلبِ المَذابِ

* * *

رُبَّ ليلٍ مرَّ أفنيـ ناهُ ضمًّا وعناقًا
وأدرنا من حديثِ الـ حبِّ خمراً نتساقَى
في طريقِ ضَرَبِ الرَّهـ رُ حواليه نطاقًا
وتجلَّى البدرُ فيه، وصفا الجوُّ وراقًا

* * *

ولزمتنا الصمتَ إلاَّ نظراتٍ تتكلمُ
وشفاهاً عن جراحِ الـ قلبِ راحتٍ تتبسمُ
صحتِ بي رعبًا وما را عكِ قلبٌ يتحطمُ
نبأتني النفسُ باليبـ نِ غداً، والنفسُ تلهمُ

* * *

ثم كان الغدُ ما نُبـ بئتِ هجرًا وفراقًا
ونسينا قبلةً لَدَّ تَ على الأَمسِ مذاقًا
غيرَ أناتٍ صحا القلبـ بُ عليها وأفاقًا
فالتقينا وافترقنا، وكانَ لَمَ نتلاقا!!

أُغْنِيَةُ رِيْفِيَّةُ

إذا داعبَ الماءُ ظلَّ الشَّجَرِ
وردَّدتِ الطيرُ أنفاسَها
وناحتْ مُطَوَّقَةٌ بالهوى
ومرَّ على النهرِ نغزُ النسيمِ
وأطلعتِ الأرضُ من ليها
هنالك صفصافةٌ في الدُّجى
أخذتُ مكاني في ظلها
أمرُّ بعيني خلالَ السماءِ
أطالعُ وجهك تحت النخيلِ
إلى أن يَمَلَّ الدجى وحشتي
وتعجبُ من حيرتي الكائناتُ
فأمضي لأرجع مستشرقاً
وغازلتِ السُّحْبُ ضوءَ القمرِ
خوافقَ بين الندى والرَّهْمِ
تناجى الهديلُ وتشكو القدرُ
يُقَبِّلُ كلَّ شرعٍ عبرُ
مفاتنَ مختلفاتِ الصُّورِ
كأنَّ الظلامَ بها ما شعرُ
شريدَ الفؤادِ كئيبَ النظرِ
وأطرقُ مستغرقاً في الفِكْرِ
وأسمعُ صوتك عند النَّهْرِ
وتشكو الكأبةُ مني الضجرُ
وتُشفِقُ منِّي نجومُ السَّحَرِ
لقاءك في الموعد المنتظر!!

قِيَارَتِي

ونسيتِ لحنَ صبابتي وغرامي
وعزاءَ نفسِ جمّةِ الألامِ
وتُذهِبِينَ حواشيَ الأحلامِ
لحنًا تمشَى في دمي وعظامي
ذابتُ على صدرِ الغديرِ الطامي
أصداؤك الحيرَى على الأكامِ
لحنُ كفائرٍ موجها المترامي

بدّدتِ يا قيارتي أنغامي
مرّت ليالٍ كنتِ مؤنستي بها
تروينَ من طربِ الصّبا وحنينه
كالبلبلِ الشّاكي رويتِ صبابتي
أنشودةُ الوادي ولحنُ شبابه
شاقّ الطبيعة من قديم ملاحني
وشجا البحيرةَ واستخفّ ضفافها

* * *

من كلّ ماضٍ عاثرِ الأيامِ
ويعيدُ لمحةَ ثغره البسامِ
تُوحى الخيالَ لريشةِ الرّسامِ
وخلّتْ مغانيه من الأرامِ
وذوى بشطّيه النضيرُ النّامي
داوٍ يشقُّ جوانبَ الأظلامِ
وصداك بين الغورِ والأكامِ
وسماءٍ وحي الشعرِ والإلهامِ
أنسينَ عهدَ مودتي وذمامي؟

يا ربّة الألمان غنّي وابعثي
هل من نشيدك ما يجدد لي الصّبا
ويصور الأحلامَ فتنّةَ شاعرٍ
وادي الهوى ولتْ بشاشة دهره
طارت صوادحه وجفّ غديره
واعراض من همس النسيم بعاصف
وهو الصّدى الحاكي لضائع صرختي
قد كُنَّ الأفى ونزهة خاطري
ما لي بهنّ سكتن عن الأمي؟

* * *

يا ربّة الألحان هل من رجعةٍ
فاروي أغانيّ القُدامي، وانفثي
علّ الذي غنّيتُ عرشَ جماله
تُشجيه أَلحاني فيسعدني به
ما لي أراكِ جمدت بين أناملي
خرساء لا تتلو النشيدَ ولا تعي
يغري الكآبة بي ويكسِفُ خاطري
لقديم لحنِكِ أو قديم هيامي؟
في الليل من نفثات قلبي الدّامي
وظفقتُ أرقُبَ أفقه المتسامي
طيفٌ يَضنُّ عليّ بالإمامِ
وعصيتُ أنّاتي ودمعي الهامي
سرّ الغناءِ ولا تعيدُ كلامي
أنّي أراكِ حبيسةً الأنغامِ

أَيَّتْهَا الْأَشْبَاحُ

لِمَ أَقْبَلْتِ فِي الظَّلامِ إِلَيَّ؟ ولماذا طرقتِ بابي ليلاً؟
لَاتَ حينَ المزارِ أَيَّتْهَا الْأَشْبَاحُ، فامضي، فما عرفتِكِ قبلاً!

* * *

اتركيني في وحشتي، ودعيني في مكاني بوحدتي مستقلاً
لستُ من تقصدينَ في ذلك الوادي، فعدراً إن لم أقل لك: أهلاً!

* * *

لا تُطيلي الوقوفَ تحتَ سِياحي لَنْ تَرَيَ فِيهِ لِلتَّوَأِ محلاً
ضلُّ مسراكِ في الظلامِ فعودي واحذري فيه ثانياً أن يضللاً!

* * *

ذاك مأوايَ في تخومِ الفيافي طللٌ واجمُ عليكِ أطلأً
قد تخليتُ عن زمانِي فيه وهوَ بي عن زمانِه قد تخلى!

* * *

لن تَرَيَ من خلالِه غيرَ خفاقٍ شعاعٍ يكادُ في الليلِ يَبْلى
وخيالٍ مستغرقٍ في زهولٍ باتَ يرعى ذُباله المضمحلأً!

* * *

ابرحي بهوه الكئيبَ فما فيه لعينيكِ بهجةً تتجلى
قد نزلتِ العشيَّ فيه على قفرٍ جفتهُ الحياةُ ماءً وظلاً!

* * *

كان هذا المكانُ روضاً نضيراً جرَّ فيه الربيعُ بالأمس ذيلاً
كان فيه زهرٌ، فعاد هشيماً كان فيه، طيرٌ ولكن تولّى!

* * *

فاسلمي من شقائه ودعيه وحده يصحبُ السكونَ المملاً
واطرقني غيرَ باهٍ، إنَّ رَوْحي أحكمتُ دونه رتاجاً وقفلاً!

* * *

أوقوفاً إلى الصباحِ ببابي؟! شدَّ ما جئتُه غياباً وجهلاً!
ابعدي من وراء نافذتي الآن ورفقاً إذا انثنيتِ ومهلاً!

* * *

إنَّ من تحتها هزاراً صريعاً سامه البردُ في العشية قتلاً
وأزاهيرَ حوله ذابلاتٍ مرَّقتها الرِّياحُ في الليلِ شملاً

* * *

كان لي في حياتها خيرُ سلوى فدعيني بموتها أتسلى
فهي ببقيا صبايةً ودموعٍ جثيا عندها شعاعاً وطلاً

* * *

إن عيني بها أحقُّ من الموتِ وقلبي بها من القبرِ أولى
جُنَّ قلبي فاستضحكتهُ المنايا حيثُ أبكتني الحقيقةُ عقلاً

أَيْتُهُا الْأَشْبَاحُ

* * *

لا تُطِيلِي الْوَقُوفَ، أَيْتُهُا الْأَشْبَاحُ، فَاْمْضِي فَمَا رَأَيْتِكِ قَبْلًا
أَوْلَمْ تَسْمَعِي؟ جَهْلَتِكِ مِنْ أَنْتِ! فَعُودِي فَمَا كَذَبْتِكِ قَوْلًا!!

قَلْبِي

كالنجم في خفق وفي ومضٍ متفردًا بعوالم السُّدُمِ
حيرانَ، يتعُ حيرةَ الأرضِ ومصارعَ الأيامِ والأُممِ

* * *

مستوحشًا في الأفق منفردًا وكأنه في سامرِ الشُّهْبِ
هذا الزحامُ حياله احتشداً هوَ عنه ناءٍ جدُّ مغتربِ

* * *

مترنِّحًا كالعاشقِ التَّمَلِ رِيَّانٍ من بهجٍ ومن حزنِ
نشوانٍ من أَلَمٍ ومن أَمَلِ مستهزئًا بالكونِ والزَّمَنِ

* * *

تلك السماءُ على جوانبه بحرُ الحياةِ الفائزُ الزَّبِدِ
كم راحَ يلتمسُ القرارَ به هيمانَ بين شواطئِ الأبدِ

* * *

تهفو على الأمواجِ صورتهِ وشعاعُه اللَّمَّاحُ في الغورِ
نفذتُ إلى الأعماقِ نظرتهِ فإذا الحياةُ جليَّةُ السَّرِّ

* * *

ويمرُّ بالأحداثِ مبتسِّمًا كالشمسِ حينَ يلفُّها الغيمُ
زادتهُ علمًا بالذي عَلِمَا دنيا تنهى عندها الوهمُ

* * *

بَلَغَ الروائعَ من حقائقها فإذا السعادةُ توأمَ الجهلِ
هتفَ المحدِّقُ في مشارقتها ذهبَ النهارُ فريسةَ الليلِ

* * *

يا قلبُ: مثلُ النجمِ في قلقِ والناسُ حولك لا يُحسُّونا
لولا اختلافُ النورِ والغسقِ مرُّوا بأفقك لا يُطلونا

* * *

فاصفحْ إذا غمطوك إدراكًا واذكرْ قصورَ الآدميينا
أتريدهم، يا قلبُ، أملاكًا كلًّا ... وما هم بالنبيينا

* * *

هم عالمٌ في غيِّه يمضي مستغرقًا في الحمأةِ الدنيا
نزلوا قرارةَ هذه الأرضِ وحللتَ أنتَ القمَّةَ العليا

* * *

عُبادُ أوهامٍ وما عبدوا إلَّا حقيزَ مُنَى وغاياتِ
ومَنَّاكَ ليسَ يحدُّها الأبدُ دنيا وراءَ اللا نهائياتِ

* * *

ولكَ الحياةُ دُنَى وأكوانُ عزَّتْ معارجُها على الراقي
تحيا بها وتبيدُ أزمانُ وشبابُها المتجدِّدُ الباقي

قَلْبِي

* * *

يا قلبُ: كم من رائحِ الحلكِ ألقاكِ في بحرٍ من الرُّعبِ
كم عُذَّتْ منه بقببَةِ الفلكِ وصرختَ وحدكِ فيه، يا قلبِي!

* * *

ومضيتَ تضربُ في غياهبه وتردُّ عنك المائجِ الصَّخبا
وتترقبُ البرقَ المطيفَ به وتساءلُ الأنواءَ والسُّحبا

* * *

وخفقتَ تحت دُجَاهُ من وَجَلٍ كالطيرِ تحت الخنجرِ الصلَّتِ
وعرفتَ بين اليأسِ والأملِ صحوَ الحياةِ، وسكرةَ الموتِ

* * *

يا قلبُ: عندك أيُّ أسرارٍ ما زلنَ في نشرٍ وفي طيِّ
يا ثورةَ مشبوبةِ النَّارِ أقلقتَ جسمَ الكائنِ الحيِّ

* * *

حَمَلْتَهُ العَبءَ الذي فَرَقْتِ منه الجبالَ وأشفقتَ رَهبا
وأثرتَ منه الرُّوحَ فانطلقتِ تحسو الحميمَ وتأكلُ اللهباً

* * *

وملأتِ سَفَرَ المجدِ من عَجَبٍ وخلقتَ أبطالاً من العَدَمِ
وعلى حديثكِ في فمِ الحَقَبِ سَمَةُ الخلودِ ونفحةُ القَدَمِ

* * *

كم من عجائبَ فيكَ للبشرِ أخذتَهُم منها الفجاءاتُ
متنبئاً بالغيبِ والقَدَرِ وعجيبةُ تلكِ النبوءاتُ

* * *

وعجبتُ منك ومن إباءك في أسرِ الجمالِ وربقةِ الحبِّ
وتَلَفَّتِ المتكبرِ الصِّلَفِ عن ذلَّةِ المقهورِ في الحربِ

* * *

يا حُرُّ، كيف قَبِلْتَ شِرعَتَه وقبِعتَ منه بزادِ مأسورِ
آثرتَ في الأغلالِ طلعتَه وأبيتَ منه فكاكَ مهجورِ

* * *

فإذا جفاكَ الهاجرُ الناسي وقَسَا عليكَ المشفقُ الحدبُ
فاضتَ بدمعك فورةَ الكاسِ وهَفَّتْ بكفِّكَ وهي تضطربُ

* * *

وفزِعتَ للأحلامِ والذِّكرِ تبكي وتنشدُ رجعةَ الأمسِ
وودِدْتَ لو حُكِّمْتَ في القَدْرِ لتعيدَ سيرتها من الرِّمِسِ

* * *

ووهِمتَ ناراَ ذاتِ إيماضِ فبسطتَ كفِّكَ نحوها فزعاَ
مرَّتْ بعينكَ لمحَّةُ الماضي فوثبتَ تُمسِكُ بارقاَ لمعاَ

* * *

وصحوتَ من وهمٍ ومن حَبَلٍ فإذا جراحكُ كُلهنَّ دمُ
لَجَّتْ عليكِ مرارةُ الفشلِ ومشى يَحزُّ وتينكُ الألمُ

* * *

والأرضُ ضاقَ فضاؤها الرُّحْبُ وخَلَّتْ فلا أهلٌ ولا سَكْنُ
حالَ الهوى وتَفَرَّقَ الصَّحْبُ وبقيتَ وحدكَ أنتَ والزَّمْنُ!

قَلْبِي

* * *

وَصَرَخْتَ حِينَ أَجَنُّكَ اللَّيْلُ مَتَمَرِّدًا تَجْتَاحُكَ النَّارُ
وَبَدَا صِرَاعُكَ أَنْتَ وَالْعَقْلُ وَلَأَنْتَمَا بَحْرٌ وَإِعْصَارُ

* * *

مَا بَيْنَ سُلْمِكَمَا وَحَرْبِكَمَا كَوْنٌ يَبِينُ، وَيَخْتَفِي كَوْنٌ
وَبْنَيْتَمَا الدُّنْيَا، وَحَسْبِكَمَا دُنْيَا يَقِيمُ بِنَاءَهَا الْفَنُّ

على الصخرة البيضاء

أَسْرُ إِلَى الوادي نَجِيَّةَ شاعرِ
خوالجِ قلبِ مزبدِ اللجِّ هادرِ
إلى الشاطئِ المجهولِ يسبحُ خاطري
على تَبَجِ الأمواجِ، شُعثَ الغدائرِ
خيالاتُ جنِّ أو ظلالُ مساحرِ
تَنفَّسُ فيه الرِيحُ عن صدرِ نائرِ
ولجَّ بها في موجهِ المتزائرِ
بهم أو مجيلٍ فيهمُ عينٌ باصرِ
يرفُّ كطيفٍ في السماواتِ حائرِ
يهيمون في خُلاجانه والجزائرِ
وتُنشِدُ الحانَ الربيعِ المبكرِ
وما لمسوا من حكمِهِ عفوَ قادرِ
وأنزلهم منه فسيحَ المقابرِ

على الصخرةِ البيضاءِ ظللني الدُّجى
سمعتُ هديرَ البحرِ حولي فهاجَ بي
وقفتُ أشيعُ الفكرَ فيها، كأنما
وقد نشرَ الغربُ الحزينُ ظلالَهُ
ومن خَلَفها تبدو النخيلُ كأنها
ألا ما لهذا البحرِ غضبانٌ مثلما
لقد غمر الأكواخَ فوقِ صخوره
وأنحى على قِطانها غيرَ مُشفقٍ
وما لي كأنِّي أبصرُ الليلَ فوقه
ألا أينَ صيادوهُ فوقِ ضفافِهِ
«وبحّارة» الوادي تَلْفَعُ بالدُّجى
لقد غرقوا في إثرِ أكواخهم، به
وسجّاهمُ باليمِّ زاخرُ موجهِ

* * *

يُدوي صداها في عميق السرائرِ؟!
بلى إنّه، يا بحرُ، ليلُ المقادرِ!!

أصخُ أيها الوادي أما منك صرخةُ
أتعلمُ سرَّ الليلِ؟ أم أنت جاهلٌ؟

الأجنحة المحترقة

وفرغتما من لهفةٍ وحنانٍ؟
وهفتُ إلى تقبيله الشفتانِ؟
لكما الديارُ، فرفرفَ القلبانِ؟
وعلى الوجوه المشرقَاتِ أُماني؟
وضَحَّ، ومن ثغريكما وضَحَانِ؟
وعلى السفينِ الراقصاتِ أغاني؟
وتحدّثتُ عنه بكلِّ لسانِ!
مرحُ الطروبِ، وغبطةُ النشوانِ
فوق الرياحِ الهوجِ منطلقانِ
بلواءِ مصرَ مُظَلَّلِ مزدانِ
تتخيرانِ لها أعزَّ مكانِ
والنجمُ مأخوذٌ بما تصفانِ
شوقًا، وأجفانُ المنونِ رواني
في جوفِ عاصفةٍ من النيرانِ
لكما ولا الجبَلُ الأشمُّ مُداني
فيه، ولا الأرواحُ طوعِ عنانِ
تتحرقانِ هوىِ إلى الأوطانِ
جسمانِ بلِ قلبانِ محترقانِ!!

أدنا المزارُ وقرَّتِ العينانِ؟
وهزتما بالشوقِ كفَّ مُسَلِّمِ
وحلا العناقُ على اللقَاءِ، وأوماتُ
وعلى الثغورِ الباسماتِ بشائرُ
وعلى سماءِ النيلِ من سِمةِ الضحى
وعلى الضفافِ الضاحكاتِ مزاهرُ
يومٌ تطلَّعتِ المُنى لصباحه
وسرى التخيُّلُ بالنفوسِ فهزَّها
والأفقُ مُربدٌ الأديمِ، وأنتما
تتخايلانِ على السحابِ برفرفِ
تتطلعانِ إلى السديمِ كأنما
وتحدّثانِ النجمَ عن أوصافِها
علقتما بالناظرينِ خيالها
هي خطرٌ، أو نظرةٌ، ودرجتما
طاش الزمامُ فلا السحابُ مُقارِبُ
وهوى الجناحُ فلا الرياحُ خوافُ
سدَّتْ طريقكما الحُتوفُ وأنتما
ومشى الردى بكما وتحت جناحه

* * *

الشعرُ فيه فوق كلِّ بيانٍ
 في المهرجانِ نواثرَ الريحانِ
 إكليلَ غارٍ أو نظيمَ جُمانِ
 وَيَشِيدُ بِالْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ
 أو ما وراءَ النَّوْحِ من نشدانٍ؟
 في الناسِ ذاكَ الشاعرَ الإنساني
 شَطْرُ، وللعلياضِ شَطْرُ ثاني
 عمري حِقارةٌ كلُّ يومٍ فاني
 طوتِ الوجودَ غيابةً النسيانِ
 هو في بناءِ المجدِ أولُ باني
 تبني الحياةَ مصارعِ الشجعانِ!
 ذاقت من التفريقِ كلَّ هوانِ
 جُرِحَ الأهلَّةُ راحةَ الصلبانِ
 مثلُ، ففي ساحِ الفداِ مَثَلانِ!
 قَدَرُ، وما لكِ بالقضاءِ يدانِ
 أممٌ مَلَكَنَ أَعْنَةَ الطيرانِ
 إلا ومنك عليه صدرُ حاني
 من تريبك الغالي أعزُّ مكانِ
 قلبانِ تحت الصخرِ يختلجانِ
 أدري، وبالأحزانِ والأشجانِ
 ورءوسهم أعلى من التيجانِ
 نَعْفُو ونَغْفَرُ لِلزَّمانِ الجاني
 يجزي المسيءَ إليه بالإحسانِ
 فيه الجِجَى والبأسُ يلتقيانِ
 بخفافهنَّ مناكبُ العقبانِ

يا ملهميَّ الشعرِ، هذا موقفُ
 لوددتُ لو أنِّي عرضتُ بناتِهِ
 وعقدتُ من شعري ومن ريحانِها
 أنا من يُعَنِّي بالمصارعِ في العُلا
 ماذا وراءَ الدمعِ من أمنيّةِ
 أصبحتُ ذا القلبِ الحديدِ، وإن أكنُّ
 ووهبتُ قلبي للخطارِ، فللهوى
 وعشقتُ موتَ الخالدين، وعِفْتُ من
 لولا الضحايا الباذلونَ دماءَهُمْ
 هذا الدُمُ الغالي الذي أُرخصتُم
 تبنونَ للوطنِ الحياةَ وهكذا
 مثلتما في الموتِ وحدةً أمةً
 مسحَ الهلالُ دمَ الصليبِ وضمَّدتُ
 إن كان في ساحِ الردىِ لكليكما
 عذراً «فرنسا» إن جزعتِ فإنه
 هزَّتكَ بالرَّوعاتِ قبلَ مصابنا
 واسيتِ مصرَ فما هوى نجمٍ لها
 حييَّ سماءَ الفرقدينِ وقُدسي
 فهنا دُمُ روىِ ثراكِ، وها هنا
 يا أمةَ الشهداءِ أنتِ بثُكلهم
 الغارُ أحقرُ أن يكلَّلَ هامهمُ
 لِعِدِّ صَبْرُنَا لِلزَّمانِ، وفي غدٍ
 ونمدُّ للأيامِ كَفَّ مصافحِ
 ونُدِلُّ فوقَ النيِّراتِ بموكبِ
 ونهزُّ أجنحةَ الحياةِ ونعتلي

الأَجْنَحَةُ الْمُحَرِّقَةُ

وننصُّ رايةَ مصرَ، أنَّى تشتهي
أقبل سلاحَ الجوّ، إنَّ عيوننا
أقبل سلاحَ الجوّ، إن قلوبنا
رفرفَ على البلدِ الأمينِ وحيِّه
كن للسَّلامِ وقاءه، ولوَّاهه
وإذا دعتكِ الحادثاتُ فلبَّها

مصرُ، ويرضاهُ لها الهرمانِ
للقاءك لم يغمضُ لها جفانِ
كادتُ تطيرُ إليك بالخفقانِ
وانزلُ إلى الوادي، وطرُ بأمانِ
وشعاعَه الهادي على الأزمانِ
بحميَّةِ المستقتلِ المتفاني

* * *

ليضنَّ بالأعمارِ كلُّ معاجزِ
ليئرُ على القضبانِ كلُّ معذبِ
هذا الزمانُ الحرُّ ما لشعوبه
لكمُ الغدُّ المرجوُّ فتيانَ الحمى
لا تثنيننَّكمُ المنايا، إنها
كونوا من الفاديينَ إن عزَّ الفدا
ولئن حُرمتمُ من متاعِ شبابكم
ليكننَّ لكمُ في كلِّ أفقٍ طائرُ
وليستخفَّ البحرُ من أسطولكم
سيروا بهديِّ الأحمرينَ ومهدوا
لم تبصرِ الأممُ الحياةَ على سنِّي

وليخشَّ حربَ الدهرِ كلُّ جبانِ
وليحطمِ الأصفادَ كلُّ معاني
صبرُ على الأصفادِ والقضبانِ
واليومَ يومكمُ العظيمُ الشانِ
سرُّ البقاءِ وسُنَّةُ العمرانِ
كم في الفداءِ من الخلودِ معاني
إنَّ النعيمَ يُنالُ بالحرمانِ
ليكننَّ لكمُ في كلِّ أرضٍ باني
علَّمُ كنجمِ المدلجِ الحيرانِ
بهما سبيلَ المجدِ والسلطانِ
كالنارِ في شفقِ الدماءِ القاني!

الله والشاعر

سموتُ مستقبلاً وجهك الكريم فقالت لي الطبيعة: سرّ في طريقك، ما أنبه
شأنك! إنه رآك ...

لامرتين

لا تفزعني يا أرض: لا تفرقي
من شَبِحَ تحت الدُّجى عابِرِ
ما هوَ إلاَّ آدميُّ شقي
سمّوهُ بين الناسِ بالشاعرِ
حنانكِ الآنَ فلا تُنكري
سبيلَهُ في ليلكِ العابِسِ
ولا تُضلِّيهِ، ولا تُنفري
من ذلكِ المستصرخِ البائِسِ
مُدّي لعينيه الرّحابَ الفِساخِ
ورقرقي الأضواءَ في جفنه
وأمسكي، يا أرض، عصفَ الرياحِ
والرّاعدَ المنصبَّ في أذنه
أتسمعينَ الآنَ في صوتِهِ
تهدُّجَ الأنّاتِ من قلبه؟

وتقرأينَ الآنَ في صمتهِ
تَمَرَّدُ الرُّوحِ على ربهِ؟
في وقفَةِ الذَّاهِلِ ألقى عصاهُ
مُؤَلِّيَ الجِبْهَةِ شَطَرَ الفِضَاءِ
كأنما يَرْقى الدجى ناظراهُ
ليستَشْفَى ما وراءَ السماءِ
يَسْقُطُ ضوءُ البرقِ في لمحِه
على جبينِ باردٍ شاحبِ
ويستثيرُ البردُ في لفحِه
نارًا تَلْظِي من فمِ ناضبِ
أنتَ لهُ، يا أرضُ، أمُّ رءومِ
فأشْهَدي الكونَ على شقوتِه
وردِّدي شكواهُ بينَ النجومِ
فهو ابنُكَ الإنسانُ في حيرتِه
ما هوَ إلا صوتُكَ المرسلُ
وروحُكَ المستعبدُ المرهقُ
قد آذَه الدهرُ بما يحملُ
فجاءَ عن آلامِه ينطقُ؟
طغى الأسى الدَّاوي على صوتِه
يا للصدى من قلبِه النَّاطِقِ
مضى يبتُّ الدهرَ في خفقِه
شكايةَ الخلقِ إلى الخالقِ
لا تَعُدْني يا ربِّ في محنتي
ما أنا إلا آدميُّ شقي
طَرَدْتَنِي بِالأمسِ من جنتي
فاغفرْ لهذا الغاضِبِ المحنَّقِ
حنانَكَ اللهمَّ، لا تغضبِ

أنتَ الجميلُ الصّفح، جُمُ الحنانُ
ما كنتُ في شكوايَ بالمذنبِ
ومنك، يا ربّ، أخذتُ الأمانُ
ما أنا بالزاري ولا الحاقِدِ
لكنني الشّاكي شقاءَ البشَرِ
أفنيّتُ عمري في الأسيّ الخالدِ
فجئتُ أستوحيكَ لطفَ القدرِ
تمرّدتُ روعي على هيكلي
وهيكلُ الجسمِ كما تعلمُ
ذاك الضعيفُ الرأْيِ لم يفعلِ
إلّا بما يوحي إليه الدّمُ!
يَعْرِقُ حدُّ السيفِ من لحمه
ويحطمُ الصّفوانُ بنيانَهُ
وينخرُ الجرثومُ في عظمه
ومنه يُنمي القبرُ ديدانَهُ!
ما هوَ إلّا كومةٌ من هباءِ
تمحقهُ اللمسةُ من غضبِكَ
فكيف يثني الروحُ عما تشاءُ؟
وكيف يقوى؟ وهي من قدرتك؟
روحك في روعي تبثُّ الحياةَ
نزلتُ دنيايَ على فجرها
فإنّ جفاها ذاتَ يومٍ سناه
لاذتُ بليلِ الموتِ في قبرها
ومثّلتُ ما قدّرتُ صوّرتُها
فروحك الصوتُ وروحي الصدى
طبيعةٌ في الخلقِ ركبّتها
وما أرى لي في بناها يدا!

لَكِنَّمَا رَوْحُكَ مِنْ جَوْهَرِ
صَافٍ وَرَوْحِي مَا صَفَتْ جَوْهَرًا
أَوْ لَا؟ فَمَا لِلخَيْرِ لَمْ يُثْمِرِ
فِيهَا؟ وَمَا لِلشَّرِّ قَدْ أَثْمَرَ!!
تَقُولُ رَوْحِي: إِنَّهَا مُلْهَمَةٌ
فَهِيَ لِمَا قَدَّرْتَهُ مُتْبِعَةٌ
مَقُودَةٌ، فِي سِيرهَا، مُرْغَمَةٌ
وَإِنْ تَرَاءَتْ حُرَّةً طَيِّعَةٌ
قَيَّدَتْهَا بِالْجِسْمِ فِي عَالَمِ
تَضُجُّ بِالشَّهْوَةِ فِيهِ الْجِسْمُ
كِلَاهِمَا فِي حَبِّهِ الْأَثْمِ
لَمْ يَصُحْ مِنْ سُكْرَاهُ وَهُوَ الْمَلُومُ
تُبْدِي بِهِ الْأَجْسَامُ سَحَرَ الْحَيَاةِ
فِي مَعْرِضٍ يَجْلُو غَرِيبَ الْفَنُونِ
نَوَاعِسَ الْأَجْفَانِ حَوْ الشِّفَاءِ
شَدِيدَةَ الْإِغْرَاءِ شَتَّى الْفَتُونِ!
وَلَمْ أَكُنْ أَوْلَ مُغْرَى بِمَا
أَغْرَتْ بِهِ حَوَاءٌ أَوْ آدَمَا
إِرْتُ تَمْشَى فِي دَمِي مِنْهُمَا
مِيرَاثَهُ يَنْتَظِمُ الْعَالِمَا
فَأَنْتَ قَدَّرْتَ عَلَيَّ الشَّقَاءَ
مَنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ عَلَيَّ النِّعِيمَ
وَمَا أَرَى!! هَلْ فِي غَدٍ لِي ثَوَاءٌ
بِالْخَلْدِ؟ أَمْ مِثْوَايَ نَارُ الْجَحِيمِ؟
مَا أَثِمْتُ رَوْحِي وَلَا أَجْرَمْتُ
وَلَا طَغَى جِسْمِي وَلَا اسْتَهْتَرَا
عِنَاصِرُ الرُّوحِ بِمَا أَلْهَمْتُ

أوحت إلى الجسمِ فما قصّرا
كلاهما لم يَعدُ تصويرُهُ
ما كان إلا مثلما كُونا
كم حاولا بالأمسِ تغييرَهُ
فاستكبرَ الطبعُ، وما أذعنا
أمنذري أنتِ بيومِ الحسابِ؟
ولائمي أنتِ على ما جرى؟
رُحماك: ما يرضيكِ هذا العذابُ
لطبيحٍ لم يعصِ ما قُدراً!!
ما كنتِ إلا مثلما رُكبتِ
غرائزي، ما شئتِ لا ما أشاءُ
فلتجزها اليومِ بما قدّمتِ
وإن تكنِ مما جنته براءً!
وفيمَ تجزى، وهي لم تأثمِ؟
ألسْتَ أنتِ الصائغُ الطابعا؟
ألم تسمها قبلُ بالميسمِ؟
ألم تصغُ قالبها الرائعا؟
ألم تصغها عنصراً عنصراً؟
من أين؟ ما علمي، وأنتِ العليمُ!
جبلتها يومَ جبلتِ الثرى
من عالمِ الذرِّ ودنيا السديمِ
الخيرُ والشرُّ بها توأمانُ
والحبُّ والشهوةُ في طبيعها
حواءُ والشيطانُ لا يبرحانُ
يساقطانِ السحرَ في سمعها!
تشككتُ نفسي بما تنتهي
إليه دنياها وماذا يكونُ!

مضتُ فما آبتُ بما تشتهي
من حيرةِ الفكرِ وهجسِ الظنون!
رأتُ أسارى في قيودِ ثقالٍ
بين يديّ ذي مرّةٍ يبسمونُ
يسوقهم في فلواتِ الليالِ
في بطشِ جبّارين لا يرحمونُ
إنّ ضجّ في الأغلالِ منهم طليحُ
أخرسه السوطُ الذي يُرهفُ
وإنّ هوى للأرضِ منهم جريحُ
أنهضه في قيده يرُسُفُ!
يا ويحهم ما عرفوا مويلاً
من قسوةِ الدهرِ وجورِ القضاءِ
يا أرضُ، ما كنتِ لنا منزلاً
ما أنتِ إلا موبقُ الأبرياء!!
أفي سبيلِ العيشِ هذا الصراعُ؟
أم في سبيلِ الخلدِ والآخرة؟
وهؤلاءِ البائسونَ الجياعُ
تطحنهم تلكِ الرّحى الدائرة؟
ما ذنبُ هذا العالمِ الثّائرِ؟
إنّ حاولَ الإفلاتَ من أسرِهِ؟
ما كانَ في ميلادِهِ الغابرِ
أسعدَ حالاً منه في حاضِرِهِ!!
ما كانَ لو لم تنزُ الأمه
بالماجنِ الرُّوحِ ولا الهائمِ
ولو جرّتْ بالصفوِ أيامه
ما كانَ بالزّاري ولا الناقمِ
رأى بعينيه المصيرَ الرهيبُ

وكيف غَالَ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِ
وَكُلَّ يَوْمٍ لِلْمَنَايَا عَصِيبٌ
يَسُوقُهُمْ لِلْمَوْتِ مِنْ حَوْلِهِ!
فَحَقَّرَ الدُّنْيَا وَأَزْرَى بِهَا
وَقَالَ: مَا لِي أَنْكَرُ الْوَاقِعَا؟
فَلْتَسْعِدِ النَّفْسُ بِأَنْخَابِهَا
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى الْغَدَّ الرَّائِعَا!
أَيَصْبِحُ الْإِنْسَانُ هَذَا الرَّمِيمَ؟
وَالجِيفَةَ الْمَلَقَاةَ نَهَبَ التَّرَابَ؟
أَيَسْتَحِيلُ الْكُونُ هَذَا الْهَشِيمَ
وَالظَّلْمَةَ الْجَائِمَ فِيهَا الْخَرَابَ؟
لِمَنْ إِذَا تَبَدَّعُ تِلْكَ الْعَقُولُ؟
أَفِي الرَّدَى تَدْرِكُ مَا فَاتَهَا؟؟
أَمْ فِي غِدِّ تَثْوِي بِتِلْكَ الطَّلُولُ
وَيَسْحَقُ الدَّهْرُ يَوَاقِيَتَهَا؟؟
وَأَسْفَا لِلْعَالَمِ الْبَائِدِ
لَيْسَ لَهُ مِمَّا يَرَى مَهْرَبُ
عَلَى رَنِينِ الْمَنْجَلِ الْحَاصِدِ
مَضَى يُغْنِي، وَهُوَ لَا يَطْرَبُ!!
فَدَعَهُ يَنْسَى بَعْضَ مَا حُمِّلَا
مَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا وَضَنِكَ الْحَيَاةَ
وَأَوْلِيهِ الْعَطْفَ الَّذِي أَمَّلَا
فَإِنَّهُ أَوْلَى بِعَطْفِ الْإِلَهَ!
مَا هِيَ إِلَّا لِحِظَاتُ قِصَارُ
تَمَرُّ مِثْلَ الْوَمُضِ فِي عَيْنِهِ
فَإِنْ مَضَى اللَّيْلُ وَجَاءَ النَّهَارُ
عَاوَدَهُ الْخَالِدُ مِنْ حَزْنِهِ!

وما أتى الغيَّ ليعصي الإله
يومًا، ولا كانَ به مُغرَمًا
لكنَ لينسى شقواتِ الحياة
وسرَّها المستغلقَ المبهما!
يا للشقيِّ القلبِ كم سامه
توهُمِ النعمة ما لا يُطيقُ
يُريدُ أن يُقنعَ أوهامه
بأنه ذاك الخليُّ الطليقُ
هأنذا أرفعُ ألامه
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنغامه
قيثارةُ القلبِ، ونايِ الفمِ
من عبراتي صُغتُ هذا المقالُ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القلمُ
ملأتُ منه صفحاتِ الليالِ
فَضُمَّنْتُ كلَّ معاني الألمِ
أنا الذي قدَّستَ أحزانهُ
الشَّاعرُ الباكي شقاءِ البشرِ
فَجَبَّرْتَ بالرحمةِ أَلحانهُ
فاملأُ بها، يا ربِّ، قلبَ القدرِ!
ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونه
إلَّا يدَ الرحمةِ من ربِّه
مُعزِّي العالمِ في حزنه
وحاملِ الآلامِ عن قلبه
عزاؤه شعْرُ به أهزجُ
في نغمِ مستعذبٍ ساحرِ
ما يحزنُ العالمُ أو يبهجُ

إِلَّا عَلَى قِيثَارَةِ الشَّاعِرِ
يَا رَبِّ، مَا أَشَقَيْتَنِي فِي الْوَجُودِ
إِلَّا بِقَلْبِي: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
فِي الْمِثْلِ الْأَعْلَى وَحِبِّ الْخُلُودِ
حَمَلْتَهُ الْعَبَاءَ الَّذِي لَمْ يَهُنْ
خَلَقْتَهُ قَلْبًا رَقِيقَ الشَّغَافِ
يَهِيمٌ بِالنُّورِ وَيَهْوَى الْجَمَالَ
حَلَّتْ لَهُ النُّجُومُ وَلَذَّ الطُّوُافُ
بِعَالَمِ الْحَسَنِ وَدُنْيَا الْخِيَالِ
بِعَثْتِهِ طَيْرًا خَفُوقَ الْجَنَاحِ
عَلَى جِنَانِ ذَاتِ ظِلٍّ وَمَاءٍ
أَطْلَقْتَهُ فِيهَا قُبَيْلَ الصَّبَاحِ
وَقَلْتِ: غَنَّ الْأَرْضَ لِحَنَ السَّمَاءِ
فَهَامَ فِي آفَاقِهَا الْوَاوِسَعَةُ
النُّورُ يَهْفُو حَوْلَهُ وَالنَّوْدَى
مُصَفِّقًا لِلضُّحَى السَّاطِعَةِ
وَمُنَشِدًا مَا شَاءَ أَنْ يُنَشِدَا
إِنْ جَاءَ صَيْفٌ أَوْ تَجَلَّى رَبِيعٌ
حَيَّاهُ مِنْهُ عِبْقَرِيُّ الْغِنَاءِ
وَكَمْ خَرِيفٍ فِي نَشِيدِ بَدِيعِ
تَظَلُّ تَرْوِيهِ لِيَالِي الشِّتَاءِ
قِيثَارَةٌ تَصْدُرُ فِي فَنِّهَا
عَنْ عَالَمِ السَّحْرِ وَدُنْيَا الْخَفَاءِ
عَلَى الصَّدَى الْحَائِرِ مِنْ لِحْنِهَا
يَسْتَيْقِظُ الْفَجْرُ وَيَغْفُو الْمَسَاءُ
مَشَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَنْغَامُهَا
وَالْأَرْضُ قَيْدَ النُّشُوءِ الْمَسْكِرِ

كأنَّما ترُقِّص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمره!
من قلبه أسلَّست أوتارها
فقلْبُهُ يخفقُ في كفِّه
يشدو فتُملي النفسُ أسرارها
عليه، فهيَ اللحنُ من عزفه
ذاتُ صباحٍ طار لا يُمهَلُ
والأرضُ سكرى من عبير الزهورِ
على حِصاها رنَّ الجدولُ
وفي روابيها تُغني الطيورُ
ما كان يدري قبلَ أن ينظرا
ما حَبَّأته النظرةُ العاجلةُ
ما أبدعَ الحلم الذي صوِّرا
لو لم تُشبههُ اليقظةُ القاتلةُ!
مرَّ بنهرٍ دافقٍ سلسبيلُ
تهفو القمارى حوله شاديةُ
في ضفتيه باسقاتُ النخيلُ
ترعى الشياهُ تحتها ثاغيةُ
فهاجت النظرةُ مما رأى
في قلبه السحرَ وفي عينه
الكونُ يبدو وادعًا هانئًا
كأنه الفردوسُ في أمنه
فظلَّ في التفكيرِ مستغرقًا
من فتنة الدنيا ومن سحرها
ما كان إلا ريثما حدَّقنا
حتى جَلَّت دنياهُ عن سرِّها
رأى بعينيه الذي لم يره

الذئب، والشاة، وحرب البقاء
ما عَرَفَ القتلَ ولا أبصره
ولا رأى من قبل لونَ الدِّماءِ!
ما هي إلا صرخاتُ الفزعِ
وصيحةُ المقتولِ والقاتِلِ
قد انقضى الأمرُ كأنَّ لم يقعِ
وضاع صوتُ الحقِّ في الباطلِ
وبعدَ ساعاتٍ يُولِّي النهازِ
ويُقبلُ الليلُ، وما يعلمُ!!
سيلبثُ السرُّ وراءَ الستارِ
ويختفي الشلوُ ويُمحي الدمُ!!
فرُوِّعَ الشاعرُ مما رآه
وهامَ في الأرضِ على وجهه
أين ترى، يا أرضُ، يُلقي عصاهُ؟
وأَيُّ وادٍ ضلَّ في تيهه؟
حتى إذا شارفَ ظلَّ الشجرِ
في روضةٍ غناءَ رِيًّا الأديمِ
قد ضَحِكْتَ للنورِ فيها الزَّهرُ
وصفَّقتُ أوراقها للنسيمِ
اختار في الظلِّ له مقعدا
في ربوةٍ فاتنةٍ ساحره
أذاب فيها الشفقُ العسجدَا
وناسمتها النفحةُ العاطرةُ
بيننا يُملِّي العينَ من سحرها
إذ أبصر الصلَّ بها مُطرقًا
قد انتحى الأطيَّارَ في وكرها
فسامَّها من نابه موبقًا

هل سمعتَ أذناك قصفَ الرعودِ
في صحبِ البحرِ وعصفِ الرياحِ؟
هل أبصرتُ عيناك ركضَ الجنودِ
في فزعِ الموتِ وهولِ الكفاحِ
إن كنتَ لم تبصرَ ولم تسمعِ
فقفْ إلى ميدانها الأعظمِ
ما بين ميلادك والمصرعِ
ما بين نابيِّ ذلك الأرقمِ!!
جريمةُ الغدرِ وسفكِ الدمِ
جريمةٌ لم يخلُ منها مكانُ
يا لُجَّةً كلُّ إليها ظمي
قد جاز طوفانك شمَّ القنانِ!
من علمِ الوحشِ الأذى والقتالِ؟
من بثَّ فيه الشرَّ أو ألهمه؟
من علمِ الثعبانِ هذا الختالِ؟
والحيوانِ الغدرَ من علمه؟
يا أرضُ، هذا الوحيُّ من عالمكِ
الماءِ والطينُ به يشهدانِ
جنيتِ، يا أرضُ، على آدمكِ
إذ سمتهِ بالأميسِ هجرَ الجنانِ!
يا ضلَّةَ الشاعرِ، أين النجاةُ
وأين، أينَ المنزلُ الآمنُ؟
أكلُّ وادٍ طرقتَه خُطاهِ
طالعهُ منه الردى الكامنُ؟
حتى إذا ضاقتْ عليه السُّبُلُ
وعزَّ في الأرضِ عليه المقامُ
أوى إلى كهفِ بسفحِ الجبلِ

عسَاهُ يَقْضِي لَيْلَهُ فِي سَلَامٍ
مَا كَانَ إِلَّا حُلْمًا كَاذِبًا
أَفَاقٌ مِنْهُ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
الْبَحْرُ يُرْغِي تَحْتَهُ صَاحِبًا
وَالشَّهْبُ نَارٌ، وَالدِّيَاجِي دُخَانٌ
الْأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا رَاجِفَةٌ
كَأَنَّمَا طَافَ عَلَيْهَا الْمَنُونُ
تَضَجُّ فِي أَرْجَائِهَا الْعَاصِفَةُ
كَأَنَّمَا النَّاسُ بِهَا يُحْشِرُونَ!
ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْعَالَمُ الثَّائِرُ
وَأَقْبَلَ النُّورُ وَوَلَّى الظُّلَامُ
وَإِعْجَابًا مِمَّا يَرَى الشَّاعِرُ
كَأَنَّمَا أَمْسَى بِوَادِي الْجِمَامِ!
بَدَتْ لَهُ الْأَرْضُ كَقَبْرِ عَفَا
إِلَّا بِقَايَا رَمَّةٍ أَوْ حَجْرٍ
قَدْ أَصْبَحَ الْقَاعُ بِهَا صَفْصَفًا
فَمَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَاةٍ أَثْرُ
مَرَرْتُ بِالْبُلْدَانِ مُسْتَعْبِرًا
أَبْكِي الْحَضَارَاتِ وَأَرْتِي الْفَنُونَ
أُنْقَاضُهَا تَمَلُّ وَجْهَ الثَّرَى
وَكُنَّ بِالْأَمْسِ مِثَارَ الْفَتُونِ!
أَتَى عَلَى الْيَابِسِ وَالْأَخْضِرِ
الْمَوْجُ، وَالنَّوْءُ، سَيْلُ الْحَمَمِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ أَهْبِطِي وَانظُرِي
مَا حَصَدَ الْمَوْتَ وَدَكَ الْعَدَمَ!!
أَيَسْتَحِقُّ النَّاسُ هَذَا الْعِقَابَ؟
أَمْ حَانَتِ السَّاعَةُ مِنْ نَقْمَتِكَ؟

ما احتملوا، يا ربّ، هذا العذابُ
إلا رجاءَ الغوثِ من رحمتك؟
أما ترى منفرجاتِ الشفاهُ
عن آخر الصيحات من رعبها؟
ما زال فيها من معاني الحياة
إيماءً الشكوى إلى ربها!
وهذه الأعينُ نهبَ العفاءِ
في رقدةِ الموت كأنّ لم تنمُ
مُحدّقاتٍ في نواحي السماءِ
تُشهدها هذا الأسى والألم!
وهذه الأيدي تحوطُ الصدورُ
كأنها في موقفٍ للصلاةِ
لم تنسَ في نزعِ الحياةِ الغرورُ
ضراعةً ترسّمها للإله!
ما عرفوا في صعقاتِ الردى
إلّاك من غوثٍ ومن منجدٍ
ولا سرى في الأرض منهم صدى
إلا ودوى باسمِكَ الأمجدِ!
أعبرةً تذكرها كلّ حينٍ
للعالم الذّاكرِ إمّا نسي؟
أم ضرباتٍ قاسياتٍ تُلينُ
بهنّ قلبَ الفظِّ والأشرسِ؟
أم موجةَ الطهرِ التي تُغسلُ
مآثمَ الكونِ وتمحو أذاهُ
يا ربّ ضيقنا بالذي نحملُ
فحسبنا الأمانة في الحياة!!
ألم تُطهرْ ذلك العالماً

من كل عاصٍ أو غويٍّ جموحٍ؟
ما غادر الموجُ به قائمًا
يوم اجتوى الأعلامَ طوفانُ نوحٍ!
إدًّا فما للناسِ ضلُّوا الهدى؟
وأخطئوا اليومَ سبيلَ الرشاذِ؟
لعلَّ نوحًا أخطأ المقصدا
فأغرقَ الخيرَ ونجَّى الفسادَ!!
يا ليتَّهُ لمَّا دعا بابنه
وحالتِ الأمواجُ أن يُسمعا
لجَّ عليه القلبُ في حزنه
فلم يرَ الجوديَّ لمَّا دعا!!
يا أرضُ، ولَّى عهدُ نوحٍ وزالُ
فمَن لك اليومَ بطوفانه؟
مسكينَةٌ تطوين بحرَ الليالِ
قد عزَّك المرسى بشطانِه!
إلامَ تطوين عُبابَ السنينِ
شوقًا إلى فردوسكِ الضائعِ؟
غُرِّرتِ، يا أرضُ بما تحلُمين
فاستيقظي من حُلْمِكِ الخادعِ!!
وابقي كما أنتِ على موجهِ
تُمزِّقُ الأنواءَ منكِ الشراعُ
يقذفُكِ التيارُ في لُجِّه
عشواءً لا يهديك فيه شعاعُ
سلي القداساتِ وأربابها
ضراعةٌ تُصغي إليها السماءُ
أو فاطرقي بالبتِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءَ!

يا أيها الغادونَ والرائحونَ
في شعبِ الأرضِ وليلِ الهمومِ
تُمسونَ أشتاتًا كما تصبحونَ
والشمسِ حيرى فوقكم والنجومِ!
مُدُّوا لها الأيدي وولُّوا الجباهَ
وأرسلوها صيحةً واحدةً
قولوا لها: يا من شهدتِ الحياةَ
من أينَ تلكَ النظرةَ الجامدة؟
من أينَ تلكَ النظرةَ الهادئة؟
والقسماتُ المشرقاتُ الجبينُ؟
هل أنتِ من ألامنا هازئة؟
أم أنتِ، يا أعينُ لا تُبصرينَ؟!
أم هكذا أوحى إليك القضاءُ
فما عرفتِ الحزنَ والأدمعًا؟
يا أيُّها الناسِ اضرعوا للسماءِ
قد آن أن تُصغي وأن تُشفعا!
هاتوا الأزاهيرَ وهاتوا الغصونَ
وكلَّ ما يحلو وما يجملُ
قد آن أن تُفضوا بما تشعرونَ
فأشعلوا النارَ بها أشعلوا!!
أو فاملئوا من زهرها اليانعِ
مجامرَ النارِ وألقوا البخورَ
وصعدوا في ذلَّةِ الضارعِ
أنفاسكم نشوى بتلك العطورِ
أحببِ بها من أنَّةِ عاطره
في مسمعِ الأفلاكِ إذ تصعدُ
أصداؤها الرفافةَ الحائرةَ

في وجهها الأفاقُ لا توصلُ!!
يا أرضُ ناديتُ فلم تسمعي
أنكرت صوتي وهو من قلبك
لا تفرقي مني، ولا تفرعي
من شاعرٍ شكٍ إلى ربِّك
أيتها المحزونة الباكية
لا تيأسي من رحمة المُنقذِ
لعلَّ من ألامك الطاغية
إذا دعوتِ الله من منقذِ!
فابتهلي لله، واستغفري
وكفري عنك بنار الألم
وقدّمي التوبة، واستمطري
بين يديه عبراتِ الندم!!

صخرةُ الملتقى

غَشِيَتْهَا جَلَالَةُ الْآبِدَاتِ
وَقَرَّ الْمَحِيطُ جَنْبَ الْفَلَاةِ
لَمْ تَجْمَعْهُمَا يَدُ الْحَادِثَاتِ
بَعْدَ آبَادِ فَرْقَةٍ وَشَتَاتِ
رُ وَأَضْفَتُ سَوَادَفَ الظُّلْمَاتِ
كَ خَوَالِي الْأَبْرَاجِ وَالْهَالَاتِ
عُ وَلَجَّ الْوُجُودُ فِي الشُّبُهَاتِ
ذَلِكَ الصَّخْرَ رَائِعَ الْجَنْبَاتِ
نَ أَجْدًا بِهِ وَثِيقَ الصَّلَاتِ
بَيْنَ عَبْرَيْنِ مِنْ بَلَى وَحِيَاةِ
عَلَى صَوْلَةِ الدَّهْورِ الْعَوَاتِي
أَحَادِيثَ أَعْصَرَ خَالِيَاتِ
يُبْعَثُنَا سِيرَةً مَعَ الْكَائِنَاتِ

صخرةُ لا تَجَلُّ فِي الْكَائِنَاتِ
جَاوَرَتْهَا الصَّحْرَاءُ تَسْتَشْرِفُ الْيَمَّ
أَبْدِيَّانِ قَدْ أَفَاءَ إِلَيْهَا
وَجَدَا الْمَلْتَقَى عَلَيْهَا فَقْرًا
لَيْلَةَ غَوَّرَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزَّهْمَ
لَوْ تَلَفَّتْ فِي دَجَاهَا لِرَاعَتِ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ خَالَجَهُ الرُّو
وَكَأَنَّ الْوُجُودَ لَمْ يَحْوِ إِلَّا
عَقْدَةَ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ جَلَالِي
بِرِزْخِ تَعَبُرِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ
رَكَزَتْهَا الْآبَادُ بَيْنَهُمَا رَمَزًا
فَأَقَامَتْ تُسْرُّ لِلْقَفْرِ وَالْيَمِّ
وَاحْتَوَتْ سَرَّ كَائِنِينَ كَأَنَّ لَمْ

* * *

الواسع ما لا تحدُّه نظراتي
ككتابٍ مموه الصفحاتِ
ما تُجِنُّ الصَّحْرَاءُ مِنْ مَعْجَزَاتِ

كشفت لي الصحراءُ من دوها
وبساطاً من الرمال تراءى
هو مهدُ السحرِ الخفيِّ ومثوى

ربّ ليل مكوكبٍ خطرتُ فيه
ورمى البدرُ بالأشعةِ تبدو
وسرّتُ نسمةً من الليلِ حيرى
فإذا الليلُ روعةً وجلالُ
غير ذاك الغريب في تيهه النّا
أرقتُهُ صبا بةً حملتها
قد شجاهُ هوى اقتحامِ الصحارى
رُبّ ناءٍ مدّت إليه هواها
يقطع الدوّ بارداتِ الليالي
قتلته سموّمها وبراهُ
حَرَمَتُهُ الصحراءُ ظلًّا وريفًا
فسلّ القفرَ هل له فيه قبرُ
أترى غير أعظمِ نخراتِ

هـ الدراري وضيئةً القسماتِ
فوق وجه الرمالِ منعكساتِ
وغناءُ الصوادحِ الطائراتِ
وإذا القفر غارقٌ في سُباتِ
ئى كئيبِ الفؤادِ والنظراتِ
نفسُه من ربوعه النائياتِ
والصحارى مثاره الصّبواتِ
فهوى في شراكها القاتلاتِ
ويجوبُ الحزونَ ملتهباتِ
ظماً من عيونها المجدباتِ
في حواشي واحاتها النضراتِ
ضَمَّ من جسمه نحيلَ رُفاتِ؟
في ثنايا الرمالِ منتثراتِ؟

* * *

صحراءُ الحياة كم همتُ فيها
سرتُ فيها وحدي، وقد حَطَمَ المقدا
ولكم أرمَدُ الهجيرِ جفوني
لم أجدُ لي في واحة العيش ظلًّا
أسفًا للحياةِ أصلى لظاها
بَعُدَتْ عَنِّي الحقيقةُ فيها
كلما هاجتِ الرياحُ صراخي
غيرُ ذاك الصخرِ العتيدِ الذي ض
ظللتني ذراهُ منفردَ النفسِ

شاردَ الفكر، تائه الخطواتِ
رُ في جنحِ ليلها مشكاتي
ورمتني الحرور باللفحاتِ
أو غديرًا يَبُلُّ حَرَ لهاتي
وأراها وريفة العَدَبَاتِ
وأضَلَّتْ مسعائِي للغاياتِ
هدَّجت في هزيمها صرخاتي
سَجَّ عليه العُبابُ من أناتِي
أبثُّ المحيطَ حَرَ شكاتي

* * *

أنا فوق المحيطِ كالطائر
ناشرًا فوق عَرْضِهِ من جناحيّ

التائه يعلو موائج اللُجَاتِ
ظلالَ الهمومِ والحسراتِ

صَخْرَةُ الْمُلْتَقَى

مُـمَعِنًا فِي سَمَائِهِ أَتَغْنِي
لِلْإِلهِ الْعَظِيمِ مِنْ لُجَّةِ السَّاكِنِ
وَأَنَاجِيهِ طَائِرًا رَفًّا فِي اللَّيْلِ
بِنَشِيدِ الْخُلُودِ فِي صَدْحَاتِي
أَتَلُو الْجَمِيلَ مِنْ صَلَوَاتِي
يُغْنِي خَمَائِلَ الْجَنَاتِ

* * *

صَخْرَةُ الْمُلْتَقَى، أَتَيْتَكَ بَعْدَ الْإِيـ
أَنَا ذَاكَ الشَّادِي الَّذِي نَسَلْتُ رِيـ
أَنَا ذَاكَ الشَّرِيدُ فِي صَحْرَاءِ الْعِيـ
فِي ثَرَاهَا الْغَبِيِّ وَسَدَّتْ أَحْلَا
أَنَا قَيْثَارَةٌ جَفَّتْهَا اللَّيَالِي
وَأَرْنَتْ أَوْتَارَهَا فَهِيَ تَبْكِي
أَنَا طَيْفُ الْمَاضِي عَلَى صَخْرَةِ الْآبَا
وَوَرَائِي الصَّحْرَاءِ، وَادِي الْمَنَايَا
بَيْنَ عَبْرِيهِمَا ثَوْتُ غُرِّ أَيَا
مِنْ أَشْكَو مِنَ الْحَيَاةِ أَذَاتِي
شَسَّ جَنَاحِيهِ هَبُّهُ الْعَاصِفَاتِ
شَسَّ ضَلَّ السَّبِيلَ فِي الْفَلَوَاتِ
مِي وَمَاضِي الْهَنِيِّ مِنْ أَوْقَاتِي
فِي زَوَايَا النِّسْيَانِ وَالْغَفْلَاتِ
مِنْ شَجَاهَا حَبِيسَةَ النِّغْمَاتِ
د، أَسْتَشْرَفُ الزَّمَانَ الْآتِي
وَأَمَامِي الْمَحِيطَ لُجَّ الْحَيَاةِ
مِي وَحَالَ الْوُضِيءُ مِنْ لَيْلَاتِي

* * *

لَا أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمُلْتَقَى
لَكِنْ أُسَمِّيكِ صَخْرَةَ الْمَأْسَاءِ!!

عاصفة في جمجمة

ضَجَّتِ الأَنْجَمُ فِي آفَاقِهَا
ذَاتَ لَيْلٍ تَشْتَكِي طَوَلَ الأَبْدِ
فَمَضَتْ تَصْرُخُ مِنْ أَعْمَاقِهَا
أَيُّهَذَا اللَّيْلِ نَبَّهَ مَنْ رَقَدًا!
أَطْلِقِ الجِنَّ يَرْفِرُ لَأَنَذَا
بِالرُّبِيِّ يَصْرُخُ مِنْ خَلْفِ الرِّءُوسِ
أَيُّهَا الأَحْيَاءُ، مَا الكَوْنُ إِذَا
تُنْثَرُ الشُّهُبُ وَتَنْدُكُ الشَّمُوسُ؟
أَحْيَاةٌ سَمَّتْهَا صَخْرٌ وَنَارٌ
حَفَّتِ الأَشْوَاكُ مِنْ يَسْلُكِهِ؟
تَنْقُضِي الأَجَالَ فِيهِ وَالسُّفَارُ
أَبْدِي، وَيَخُ مِنْ تُهْلِكُهُ!
أَحْمِلُوا أَمْسِ إِلى حَفْرَتِهِ
وَتَخَطُّوا هَوَّةَ الوَادِي السَّحِيقِ
وَاحْفَظُوا النِّجْمَ إِلى ثَوْرَتِهِ
وَاحْطَمُوا أَنوَالَ لَيْلٍ لا يُفِيقُ
أَيْقِظُوا فِي اللَّيْلِ ثَارَاتِ الرِّعُودِ
إِنَّهَا ثَارَاتُ جِبَارِ السَّمَاءِ

إن يَشَأُ أَرْسَلَهَا فَوْقَ الْوُجُودِ
فَإِذَا الْكُونُ هَشِيمٌ وَهَبَاءٌ
لَوْ تَمَشَّتْ بِمَنَايَاهَا الرَّجُومُ
لَا سَتَحَالُ الْخَلْقُ وَالْكَوْنُ سُدَى
وَرَأَيْتَ الْأَرْضَ حَيْرَى وَالنَّجُومَ
تَذْرَعُ الْجَوَّ عَلَى غَيْرِ هَدَى
أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، يَا أُسْرَى الْقَضَاءِ
كَيْفَ أَمْسَيْتُمْ بِدُنْيَا الْحَدِيدِ؟
وَعَلَيْكُمْ فِي غِيَابَاتِ الشَّقَاءِ
ضَرَبْتَ أَفَاقَهَا بِالسَّدِيدِ!
صِرْحَةٌ فِي الْكُونِ دَوَّتْ! يَا لَهَا
خَلَعَتْ أَصْدَاؤُهَا قَلْبَ الزَّمَنِ
قَفَّ مِنْهَا الشُّوكُ وَارْتَجَّ لَهَا
مَعْبَدُ اللَّيْلِ عَلَى شَمِّ الْقَنْنِ
صِرْحَةٌ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ انْتَنَتْ
وَقَدْ اسْتَعَصَتْ عَلَى طَارِقِهَا
صَاحَ مِنْهَا الْوَحْشُ ذَعْرًا وَالتَّفْتُ
يَسْأَلُ الْوُدْيَانَ عَنِ خَالِقِهَا
وَإِذَا الْمَوْتَى يَشُقُّونَ الْوَهَادَ
كَالضُّوَارِي كُلُّهُمْ عَارِي الْبَدَنِ
رَحْمَةً لِلَّهِ!! أَتَى يَوْمُ الْمَعَادِ
فَنَسُوا مِنْ هَوْلِهِ حَتَّى الْكَفْرِ؟
أَيْنَ مِنْكَ الشَّمْسُ، يَا مَشْرِقَهَا
أَتُرَاهَا خَلْفَ أُسْوَارِ الْأَبْدِ
حَجَبَتْهَا فَهِيَ لَنْ تَطْلُقَهَا
يَوْمَ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ أَحَدًا!
هَبَّتِ الْجَنُّ تَنَادِي بِالثَّبُورِ

عَاصِفَةٌ فِي جُمُومَةٍ

فِي كَهَوفِ الأَرْضِ، يَا أَهْلَ الكَهَوفِ
احشِدُوا الرِّيحَ عَلَى ظَهْرِ الصَّخُورِ
وَابْعَثُوهَا ذَاتَ نَقِيسٍ وَزَفِيفٍ
انزِعُوا الصَّخَرَ مِنَ الطُّودِ المَنِيعِ
وَاجْعَلُوهُ زَانِكُمْ عِنْدَ الكِفَاحِ
وَاصْعِقُوا قُنَّةَ وادِيهِ الرِّفِيعِ
تتهدمُ تحتَ أَقدامِ الرِّيحِ!
لا تُصَيِّخُوا، دَقَّ نَاقُوسُ القِضَاءِ
فاحملُوا أَشْلَاءَ هَذَا العَالِمِ
احملوها، وَاعبرُوا جِسْرَ الفَنَاءِ
وَاسبِحُوا فَوْقَ العَمَاءِ الحَالِمِ

القُطْبُ

وأديمٌ في لُجَّةِ الثلجِ طافي
ر جليدٍ من لُجَّةِ وضفافِ
رائعاتِ السفوحِ والأعرافِ
عند صخرٍ أو واحةٍ مئنانِ
ظ ولا كدرةِ الرمالِ السوافي
دى نياقِ الفلا، وذئبِ الفيافي
مترامي الحدودِ والأطرافِ
هـ يوماً من دورةٍ واختلافِ
هوج فيه، أو هدرَةَ الرجافِ
ر، ولا أنةَ النميرِ الصافي
والدوحِ سابغِ الأليافِ
فيه والليلُ مؤذنٌ بانتصافِ
ء تهادى في رائعِ الأفوافِ
مرسلٌ من غلالةِ الرُوعِ ضافي
حُمرةِ الورسِ أو مزيجِ السُلافِ
اقتحامِ الردى ورنقِ الذعافِ!
فليس الحديثُ عنك بخافِ!
شاحبُ اللونِ، باهتُ الأكنافِ؟

هو ليلٌ من الغياهِبِ ضافي
وبحارٌ، إن رُدَّتْها، لم تجدُ غيبِ
وجبالٌ من الثلوجِ تدجى
وصحارى لا ينتهي الركبُ فيها
وطنُ الزمهريرِ والثلجِ، لا القيـ
وهي مغدى السفينِ والذَّبِّ، لا مغـ
عالمٌ كلُّه سكونٌ وصمتٌ
لا ترى للنهارِ والليلِ في واديـ
أو تحسُّ الأرواحُ قصفَ الرياحِ الـ
لا اصطفاقَ الغصونِ، لا هذرَ الطيـ
عريتُ أرضه من العُشبِ الأخضرِ
قف بهذا الوادي الرهيبِ وحدِّقْ
وانظر الشمسَ في الغياهِبِ صفرا
يغمُرُ الكائناتِ منها شعاعُ
يحسبُ الناظرونِ في الأفقِ منه
وهو غيبٌ مُحَبَّبٌ دونَ مرآةٍ
حدثيني، يا شمسَ منتصفِ الليلِ،
أيُّ أفقٍ من عالمِ الأرضِ هذا

من سوادِ النحوسِ لونُ الغدافِ؟
ومغدىِ الظنونِ والأرجافِ؟!
وشأى أوجهُ على الكشافِ؟
يأخذُ الأرضَ نحوَهُ بانحرافِ؟
لمسارِ حولِ الثرى ومطافِ؟
مستسرَّى الأرواحِ والأطيافِ
لُ على الكونِ مطبقُ الأصدافِ
وتواروا خلالِ تلكِ الشعافِ
من تهاويلِ ساحرِ عرَّافِ
بالأحاديثِ وهي جدُّ زيافِ
في خفيِّ الأحبارِ والأوصافِ
ه تَقَرُّ الأنغامُ بعد طوافِ
أبدعته أناملُ العزَّافِ
ل ويثوي صداهُ بين الحفافِ
لجَّه، أم يقرُّ في الأصدافِ؟!

فيه من صُفرةِ الفناء، وفيه
أهو القطبُ؟؟ فتنةُ الأبدِ الخالي
أم هو العالمُ الذي جهلوه
أيُّ سرٍّ للجاذبيةِ فيه
أيُّ نجمٍ في أفقه رصوده
لكأنِّي به مغاورَ جنِّ
لا يقيمونَ في ذُراهنَّ والليدِ
فإذا أقبلَ النهارُ تولوا
وأراهِ مَجَنَّ كلِّ خفيِّ
يستمدُّ الأنبياءُ منه ويُدلي
وبها من خفاءٍ مهبطه الخا
وهو الشاطئُ الذي في حفافِ
كلُّ لحنٍ من الملاحنِ مهما
فإليه يصبوبُ في سُدْفِ الليدِ
ليت شعري أيستحيلُ صدَى في

مرسلاتٍ عن مدمعي الذَّرَّافِ
فكم فيه من حطامِ أثافي

إنَّ هذي، يا شمسُ، ألحانِ قلبي
فاشهديها تقرُّ في جوفه النَّائي،

تُسعدُ الشعرَ ليلةً باعترافِ؟
لا الدُّجى حائلٌ ولا الضوءُ صافي
أو تُنبئه جفنُ الصباحِ الغافي
فوق واديكِ نظرةً استشرافِ
بك، يا قطبُ، أيَّما إسفافِ
ت، وتُمتسي، سرَّ الوجودِ الخافي

أيها القطبُ، حدِّثِ الكونَ هلاً
طال بالشمسِ في دجاكِ اصفرارُ
لم تَجَزُ عن ثراكِ قيدِ ذراعِ
قيل: حاموا على ذُراكِ، وألقوا
وأراهم في زعمهم قد أسفوا
تشهدُ الكائناتُ أنك أُمسيد

إلى سيد درويش

ذكرى مجدد الغناء المصري الحديث

طويتَ الحياةَ خفيَّ السُّرى
تُطلُّ على عالمٍ ينظرون
وتلحظُهم، من وراءِ الحياةِ
شقيتَ بهم، حيث ساد الغبِّيُّ
لقد ضلَّتِ الأرضُ في ليلِها
كما تذهبُ النجمَةُ التائهةُ
فتطرفك النظرةُ الشائهةُ
بنفسٍ معذبَةٍ وإلهةُ
وخصَّوه بالسمعةِ النابهةُ
فحقَّتْ بها لعنةُ الألهة!

الأمسية الحزينة

هنالك بين الأمواج الزرقاء يمتد برزخ من الرمال بين شاطئ البحر الأبيض وبحيرة المنزلة، حيث تشرف أكواخ (أشتوم الجميل) من بوغازها الصامت على آثار قلعة متهمة جلسنا عليها أيام صبانا نمرح في أمسية هانئة بين رمل وصخور وأمواج. زرنا هذه البقعة ذات مساء قريب في جوٍّ عاصف، فهاجت بنا ما هاجت من أحلام وآلام اطردت في سياق هذه القصيدة تحية الروح إلى أمسيته المحزونة.

فهل لديك حديثٌ عن صباباتي
رتلتُ في ظلّها للحسنِ آياتي
وللجمالِ بها أولى رسالاتي
طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ
أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتٍ
وخلفتنا العوادي بعضَ أشتاتٍ
يبكي لياليكِ العُرّ المضياتِ
بين الحقولِ وشطآن البحيرات

جددتِ زاهبَ أحلامي وليلاتي
يا كعبةً لخيلاتي، وصومعةً
للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها
عليكِ واديّ أحلامي وقفْتُ أرى
أوي إلى جنباتِ الصخرِ منفردًا
قد غيّرتنا الليالي بعدها سيرًا
تلقتُ القلبُ في ليلاءٍ باردةٍ
وزكرياتٍ من الماضي يطالعها

* * *

وشدّ ما رجّعت للموجِ أهاتي
وأقفرت من صباياه الجميلاتِ
ولا الخمائِلُ تهفو بالنضيراتِ

يا طولَ ما نغمتُ للصخرِ أنأتي
يا قلبُ وادي الصبا حالتُ مسارحهُ
فلا الجداولُ تحدها مسلسلّةً

صَوَّحَنَ مِنْ مَشْرِقِ الْوَادِي لِمَغْرِبِهِ
مَا فِي حَيَاتِكَ مِنْ سَلْوَى تَلَوْتُ بِهَا
فَمَا بَهَنَ مُطِيفٌ مِنْ خِيَالَاتِ
لَكِنَّهُ الْحَبُّ ذَاكَ الْقَاهِرُ الْعَاتِي
إِنْ اللَّيَالِي مَلَأَى بِالْمَفَاجَاتِ
قَدْ فَاجَأَتْكَ غَوَاشِيهِ الَّتِي سَكَنْتِ

يَا لِلْبَحِيرَةِ: مَنْ يِرْتَادُ شَاطِئَهَا
وَمَنْ يَعِيدُ لَنَا أَطْيَافَ لَيْلَتِهَا
وَمَا غَنَمْنَا عَلَيْهَا مِنْ أُوَيْقَاتِ
يَدِ الصَّبَا بِحَوَاشِيهَا الْمَوْشَاةِ
ضَمَّ الشَّتَيْتَيْنِ فِي عَلِيَاءِ جَنَاتِ
تَنَاوَحُ الطَّيْرِ فِي ظِلِّ الْخَمِيلَاتِ
وَلِلْقُلُوبِ أَحَادِيثُ يَجَاوِبُهَا

يَا لَيْلَةً قَدْ نَهَلْنَا عَنْ كَوَاكِبِهَا
يَسْرِي بِنَا مَوْهِنًا وَالرَّيْحُ تَدْفَعُهُ
وَفِي الشَّوَاطِئِ لِلْمَجْدَافِ أُغْنِيَةٌ
مَا كَانَ أَهْنَاهَا دُنْيَا، وَأَهْنَانَا
مَرَّتْ خِيَالَاتُ مَاضِيهَا، وَمَا تَرَكْتَ
وَمَنْ تَلَهُفِ أَحْنَائِي وَثَارَتِهَا
يَا صِرْحَةَ الْقَلْبِ، هَلْ أَسْمَعْتِ مِنْكَ صَدَى
جُوبِي مَفَاوِزَ أَيَّامِي فَقَدْ صَفِرْتُ
قَضَى، عَلَى ظَمَأٍ، قَلْبِي بِهَا وَفَمِي
حَتَّى الْعَوَاصِفُ صَمَّتْ عَنْ نِدَائِي

يَا مَنْ قَتَلْتَ شَبَابِي فِي يَفَاعَتِهِ
حَرَمْتَ أَيَّامِي الْأُولَى مَفَارِحَهَا
فَدَعُ فَوَادِيَّ مَحْزُونًا يَرْفُ عَلَى
دَعْنِي عَلَى صَخْرَةِ الْمَاضِي لَعَلَّ بِهَا
وَرَحْتَ تَسْخُرُ مِنْ دَمْعِي وَأَنَاتِي
فَمَا نَعَمْتُ بِأَوْطَارِي وَلِذَاتِي
مَاضِي لِيَالِي، وَانْعَمِ أَنْتَ بِالْآتِي
مِنْ الصَّبَابَةِ وَالتَّحْنَانِ مِنْجَاتِي!

الفن الجميل

مَلَكَ الْوَحْيِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ
د، إِذَا كَلَّلَ النَّدَى أَفْنَانَهُ
لَمْ يُنْفَضْ مِنَ الصَّبَا طِيلِسَانَهُ
وَبَنَى مَلِكُهُ وَشَدَّ كِيَانَهُ
وَأَبْقَى عَلَى الْبَلَى سُلْطَانَهُ
كُلُّ مَنْ أَطْلَقَ الْهَوَى وَجْدَانَهُ
يَسْتَقِي الشَّعْرُ وَحْيَهُ وَبِيَانَهُ
كُلَّ عِذْرَاءٍ لَا تَرُدُّ بِنَانَهُ
يَعِزُّ الطَّيْرُ فِي الرَّبَى أَلْحَانَهُ
وَأَذَكَّتْ يَدُ الْحَيَاةِ افْتِنَانَهُ
ذِي رَبِيعِ الطَّبِيعَةِ الْفِينَانَهُ
رِيقُ الْبَلْبَلِ، فِي الضَّحَى شُطَّانَهُ
سَاكِبَاتٍ، فِي لَجِّهِ، أَلْوَانَهُ
وَيُرْتَلَنُ لِلرَّبَى تَحْنَانَهُ
وَنَاقُوسُهُ الصَّبَا الرَّثَانَهُ
سَكَبَ الْغَرْبُ فِي الدَّجَى أَرْجَوَانَهُ
مَسْتَحْتًا تَحْتَ الظَّلَامِ قِيَانَهُ
مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ الرَّهِيْبِ زَمَانَهُ

ضَارِبُ فِي الْخِيَالِ مُلْقَ عِنَانَهُ
مُسْتَفِيضُ الْجَمَالِ، أَزْهَرُ كَالْوَرْدِ
عَاشَ بَيْنَ الْأَنْثَامِ نَضْوَ غَرَامِ
مَلَأَ الْكُونَ مِنْ أَيْدِيهِ سِحْرًا
وَحِبَاهُ الْخُلُودَ فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
هُوَ فَجْرُ النَّبُوغِ يَصْدَحُ فِيهِ
وَسَمَاءٌ لِلشَّاعِرِ الْفِدْ مِنْهَا
تَجْتَلِي رِيَشَةُ الْمَصُورِ مِنْهُ
وَهُوَ قَيْثَارَةُ الْخُلُودِ عَلَيْهَا
وَأَنَا الشَّاعِرُ الَّذِي افْتَنَّ بِالْحَسَنِ
مَعْهَدِي هَذِهِ الْمَرْوَجُ، وَأَسْتَأْ
وَأَزَاهِيرُ حَانِيَاتٍ عَلَى النَّهْرِ
نَاشِرَاتٍ وَشَيِّ الرَّبِيعِ عَلَيْهَا
يَتَسَمَّعَنَّ لِلْخَرِيرِ الْمَنَاجِي
مَعْبُدٌ لِلطَّيُورِ، رَاهِبُهُ اللَّيْلُ،
وَمَحَارِيبُ لِلْعِذَارَى إِذَا مَا
قَامَ رَبُّ الْفَنِّ الْجَمِيلِ عَلَيْهَا
يَتَغَنَّى لِحَنِ الْخُلُودِ وَيَدْعُو

أَيُّهَا الدَّهْرُ: حَسْبِكَ اللهُ، مَاذَا
هَلْ تَبَيَّنْتَ فِي رَفَاتِ أُوَالِيَّ
قَفْ عَلَى الْفَنِّ بَيْنَ شَرْقٍ وَغَرْبٍ
عَرْشُ غَرْنَاطَةَ، إِلَهُ أَثِينَا
يَشْرِقُ السَّحَرُ مِنْ تَمَائِيلٍ فِيهَا
وَتَرَاءَى الْعِذْرَاءُ تُلْهِمُ رَافَائِيـ
وَابْنُ حَمْدِيْسٍ فِي الْمَلَا، وَلَمْرُ
نَاجِيَا الرُّوْضِ وَالْبَحِيْرَةَ حَتَّى
إِنَّمَا الْمَجْدُ، فِي الْوَرَى، لِمُغْنٍ
وَلَمَنْ سَاسَ فِي الْمَمَالِكِ عَدْلًا
بِرَجَالِ الْفُنُونِ هَذِي الْمَهَائَةِ؟
دَفِينًا مَحَا الْبَلَى عَنَوَانَهُ؟
وَصَفِّ الْعَالَمَ الْمَخْلُودَ شَانَهُ
تَاجُ رُومَا، سَمَاءُ مَجْدِ الْكِنَانَةِ
وَمَقَاصِيْرَ كَالْبُرُوجِ الْمَزَانَةِ
لَ رُوحِ الْخُلُودِ وَحَيِّ الدِّيَانَةِ
تَيِّنْ يَفِيضَانِ صَبُوءَ وَمَجَانَةِ
لَمَسَ الْفَنُّ فِيهِمَا عُنْفَوَانَهُ
هَزَّ قَلْبَ الْوَرَى وَقَادَ عِنَانَهُ
وَارْتَضَى الْحَقُّ فِي الْعَلَا بِنْيَانَهُ

المَلِكُ البَطَلُ

نُظِمَتْ على أثر وفاته فجأةً في مدينة برن عاصمة سويسرا عام ١٩٣٣، وقد كانت فجيرة العرب فيه أبعد أثراً من كل الفجائع التي توالى عليهم من أيام الحرب الكبرى الماضية. وقد كان — رحمه الله — أول ملك عربي عمل جهده لاستقلال «العراق» بلاده المحبوبة، ومن أعظم الرجال الذين كرَّسوا حياتهم لخدمة القضية العربية.

تألَّق كالبرقة الخاطفةُ	وجلجل كالرعدة القاصفةُ
مُبينٌ من الحقِّ، في صوته	صدى البطش والرحمة الهاتفةُ
يخوضُ الغمارَ دماً أو لظى	ويركبُ للمأربِ العاصفةُ
يطير على صهوات السحاب	ويمشي على اللجة الرَّاجفةُ
ويقتحمُ الموتَ في مأزق	ترى الأرضَ من هوله واجفةُ
تَمَزَّقَ في جانبيه الرياحُ	وتنفطرُ السُّحبُ الواكفةُ
وتشتجرُ الرُّجْمُ الهاوياتُ	وتعتنقُ الظُّلمُ الزَّاحفةُ
عشيَّةً لا القلبُ طوعَ النهى	ولا العقلُ تأسره العاطفةُ
ولكنها وثباتُ الجريءِ	على عثراتِ المنى الخائفةُ
شعوبٌ تعالجُ أصفادها	وتأبى الحياةَ بها راسفةُ
صحتُ بعد إغفاءةِ الحالمين	على لُجَّةِ الزمنِ الجارفةُ
وحسبك بالدهر من منذرٍ	كربِّ يعاقبُ من خالفةُ
رأيت السفينة في بحرهِ	تنازعها اللججُ القاذفةُ
مددتَ يدك فأرسيها	أماناً من الغمرة الحائفةُ

وخلفك من يَعْرُبُ أُمَّةً
 نَضَتْ فَيَصِلًا من صقال السيوف
 أعدتَ لها مجدها المجتَبَى
 بناءً من السؤددِ اليَعْرُبِيِّ
 جَلَّتْ فيه (بغدادُ) عهدَ الرشيدِ
 وأرسلتها بعد نسيانها
 فوا أسفًا، كيف روعتَها
 صَحَتْ (برنُ) منك على نبأٍ
 رمى الغربَ بالشرقِ إيماضَها
 أناخَ على سَرَوَاتِ العراقِ
 طوى فجرَها بسماتِ المنى
 ومُصطبحينَ هوتَ كأسهم
 أفاقوا على حُلْمِ رائِعٍ
 يردُّون بالشكِّ صوتَ اليقينِ
 وإني لأسمعُ ما يسمعونَ!
 وكيف؟ وقد كنتَ نجمَ الرجاءِ
 وما عرفوا عنك نقصَ التمامِ
 تحفك أبهةُ المالكينِ
 سَرَتْ بالوداعةِ في بأسها
 وتحملُ عنهم من العباءِ ما
 تَهزُّأُ من صرعاتِ الردى
 إلى أن طوتَها وأودتَ بها
 فراحتَ ترفُّ على كَفِّها
 وما هي إلا دموعُ الأسي
 وما نَسِيَتْ دجلةً إنَّها
 تباركهم من سماءِ الخلودِ

إلى النورِ فازعةً شاعفةً
 يُقَبِّلُ فيه الضحى شارفةً
 ويوأتها الذروة الشائفةُ
 دَعَمْتَ بتالده طارفةً
 وأحييتَ لياليتها السالفةُ
 حديثَ النباهةِ والعارفةُ
 بفقدك في الليلةِ السادفةُ
 تسيلُ البروقُ بها راعفةُ
 فردَّ الشموسُ به كاسفةُ
 فقصَّفَ أفنانها الوارفةُ
 وأسكتَ أوتارها العازفةُ
 حُطامًا على الشفةِ الراشفةُ
 كأنَّ بهم فَرَعَ الأزفةُ
 وتصدقه الأعينُ الذارفةُ
 صدى الويلِ في صخبِ العاصفةِ!
 إذا قيلَ: ليس لها كاشفةُ
 وبيعَ الصحيحةُ بالزائفةُ
 ونفسك عن زهوها صادفةُ
 سَرَى النَّسَمِ في الليلةِ الصائفةُ
 تخرُّ الجبالُ له خاسفةُ
 وتُمسي على أمرهم عاكفةُ
 غوائلُ تطوي الدجى خاطفةُ
 رفيفَ الندى في اليدِ القاطفةُ
 هَمَّتْ من جراحاتها النازفةُ
 بشطَّيهِ حائمة طائفةُ
 وتدعو لغازيهم هاتفةُ

الشَّاطِئُ الْمُهْجُورُ

اغمرني القلبَ بالخيالِ الغميرِ
ورُدِّي عليَّ نفحَ العبيرِ
فوقَ ألامِهِ الجسامِ وثورِي
ذكرياتٍ من الشبابِ الغريرِ
تُ وأيامَ غبطةٍ وسرورِ
مِ كانتَ عزاءَ قلبِ كسيرِ
غمَرَ الرُّوحَ في بقيةِ نورِ
عَلِقْتَ في غروبها بالصخورِ
موجٍ يجتاز لجةَ الديجورِ
أثرًا من غرامنا المأثورِ
من حبيبين في الشبابِ النضيرِ
هوى طاهرٍ، وعيشٍ قريرِ
مغربِ الشمسِ وانبتاقِ البدورِ
صفحةَ الماءِ في الضحى والبكورِ
هزَّت بنا خفيَّ الشعورِ
بهوى فاض عن حنايا الصدورِ
مطمئنَّ الأمواه شاجي الخيرِ
في جلوةِ المساءِ المنيرِ

موجةَ السحرِ من خفيِّ البحورِ
أقبلي الآن من شواطئِ أحلامي
واصخبي في شعابِ قلبي وضجِّي
أيقظي فيه من فتونٍ وسحرِ
إنها ذكرياتُ أمسيةٍ مرَّ
وبريءُ ابتسامَةٍ في فم الأيا
قد طواها النسيانُ إلا شعاعًا
رَمَقُ ذاك من أشعةِ شمسِ
أخذ القلبَ لمحها من وراء الـ
فتبيَّنتُ في الشواطئِ حولي
صخرةً كانت الملاذِ لقلبيـ
جمعتنا بها الحوادثُ في ظلِّ
كم وقفنا العشيَّ نرقب منها
وجلسنا في ظلها نتملئ
فإذا ما تهللت ليلةُ قمرَاءِ
وسرينا في ضوئها نتناجى
وانتحينا من جانبِ البحرِ مجرى
نزلتُ فيه تستحمُّ النجومُ الزُّهرِ

راقصاتٍ به على هَزَجِ الـ
وعلى صدره الخفوقِ طوينا الـ
ورياح الخليج دافئةً تثني
خافقًا فوقنا يدفُ شعاعُ الـ
ومن الساحلِ الطروبِ أغانٍ
رجَّعتها «بحارة» أذنتهم
وسكتنا فليس إلا عيونُ
تتلاقى على نوازع قلبٍ
وكأن الوجود بحرٌ من النو
كل ما حولنا يشفُ عن الحب
وكأننا نطوف في ليلِ أحلامٍ،

* * *

يا صخورَ الوادي يضحُّ عليها البحـ
يا رمالَ الكثبان تنقشُ فيها الرِّبـ
يا خفاف الأمواج، تحلم بالإينا
يا نسيمَ الشمالِ، يعبثُ بالرغـ
أنت يا من شهدتِ فجرَ غرامي
أين أخفيتِ أمسياتي اللواتي
أمحاهما الزمانُ؟ أم حجبتهما
بدلتني الأقدارُ منها بليلٍ
غشيَ العينِ ظلُّهُ، وتمشت
لك يا شاهداتِ حبي أتيتُ الآن
فانظري، ما ترين غيرَ شقيِّ
راعهُ عاصفٌ يرجُّ السماواتِ
فكأنَّ الحياةَ في مسمعيه
وكأنَّ الوجودَ في ناظريه
في هزيمِ الرياحِ، في قاصفِ الرعـ

رُ في جهشة المحبِّ الغيورِ
حُ أسطورةَ الحياة الغرورِ
س من كوكب المساء الصغيرِ
و يهفو على الرشاش النثيرِ
ووعيتِ الغداة سِرَّ الدهورِ
نَزَعَتْهَا مِنِّي يدُ المقدورِ؟
من عواديهِ ماحياتُ البدورِ؟
مدلهمُ الأفاقِ جهمِ الستورِ
في دمي منه رعشةُ المقرورِ
أفضي حَقَّ الوداعِ الأخيرِ
طاف يبكي بالشاطيِّ المهجورِ
وموجُ يضحُّ ملءَ البحورِ
ضجةُ الحشرِ أو هزيمُ السعيرِ
وهدةُ اليأسِ أو ظلامُ القبورِ
دِ، يُدَوِّي للبارقِ المستطيرِ

الشَّاطِئُ الْمُهْجُورُ

في الفيافي كآبةً ووجومًا
في الدياجي عوابسًا، ونجوم الـ
إنها الكائناتُ تبكي لمبكاها،
وهي مأساةُ حبِّهِ صورتها
مَثَلَّتْهَا لِعَيْنِهِ الْآنَ شَطَاً
والمحيطاتِ صاخباتِ الهديرِ
لَّيْلٍ بَيْنَ الْخَفُوقِ وَالتَّغْوِيرِ
وتبدي ضراعةَ المستجيرِ
ريشةُ الليلِ مبدعِ التصويرِ
نُ وَمَوْجٌ يئنُّ تَحْتَ الصَّخُورِ!

عَاشِقُ الزَّهْرِ

يا لَيْتَ لي كالْفَرَّاشِ أَجْنَحَةً
أدْفُ لِلنُّورِ في مِشارِقِهِ
وأرشفُ القَطْرَ من بواكِره
وَألثمُ النُّورَ في سَنابِلِهِ
حتى إذا ما المِساءُ ظَلَلَنِي
أشربُ أنفاسها وقد خَفَقَتْ
تحلُمُ بالفجرِ فوق جَنَّتِها
وبالعِصافيرِ في ملاحنِها
لو يعلمُ الزَّهْرُ سرَّ عاشِقِهِ
فلا تراني العيونُ مِقتَحِمًا
إذنِ لِعَرْدَتُ في خِمالِهِ
لكنَّهُ شاءَ خَلقَ مِبتَدِعِ
أرادَهُ شاعِرًا فدَلَّهه

* * *

فليجِمني الحِسنُ زَهَرَ جَنَّتِهِ
ولو جهلتُ الغناءَ ما كانا!

قَبْرُ شَاعِرٍ

رَفَّتْ عَلَيْهِ مَوْرِقَاتُ الْغُصُونِ وَحَفَّتْهُ الْعُشْبُ بِنَوَارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ تَشِدْهُ الْمَنُونُ بَلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِآثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عَبَاءَ الشَّجُونِ وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِاسِقَةٍ تَجْتَمُّ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ تَقْضِي مَدَى الْعَمْرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَنْنُ فِيهَا النَّسْمَةَ الْخَافِقَةَ كَأَنَّهَا تَخْفُقُ عَنْ قَلْبِهِ
وَتُرْسَلُ الْأَغْنِيَةَ الشَّائِقَةَ قَمْرِيَّةً ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيَقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابَ يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ
كَأَنَّهَا يَنْشُدُ تَحْتَ التَّرَابِ لَوْلَوْهُ تُزْرِي بِلَأْلَائِهِ
اسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابَ غَيْرَ شِعَاعٍ، فِي الدَّجَى تَائِهِ
يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشَّعَابِ يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظُّلَامُ وَتَبْزُغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسْقِهِ

حيرى تحوم الليلَ كالمستَهَامِ أسهرهُ الثائرُ من شوقِه
تبحثُ عن نجمٍ بتلكِ الرَجَامِ هوتُ به الأقدارُ عن أفقِه
أخُ لها في الأرضِ ودَّ المقَامِ وآثر الغربُ في شرقِه

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصبَاحِ بنغمةٍ تصدر عن حزنِه
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منه الجناحِ ويرسل المنقارَ في ركنِه
أفضى إلى الراقدِ فيه وبَاحِ بأنَّه الملهمُ من فنِه
فمن قوافيه استمدَّ النواحِ ومن أغانيه صدى لحنِه

* * *

وحين تمضي نسماتُ الخريفِ وتملأ الأرضُ رياحُ الشَّتَاءِ
ويقبلُ الليلُ الدُّجى المخيفِ فلا ترى نجماً يَنيِرُ السَّمَاءِ
هناك لا غصنٌ عليه وريفِ يهفو، ولا طيرٌ يثيرُ الغنَاءِ
يظللُ الأرضُ الظلامُ الكثيفِ كأنما تُمسي بوادي الفَنَاءِ

* * *

يا شاعراً ما جمعتني بهِ كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنَّه الشرُّقُ وفي حبِّه ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارِ
سكبتُ من شجوكِ في قلبِه ومن مآقيكِ الدموعَ الغزارِ
فودَّ أن لو نمت في تربِه ليشفِي النفسَ بهذا الجوارِ

* * *

صوِّرَ لي القبرَ الذي تنزلُ تَحَيَّلُ الشعرِ ووحْيِ الشعُورِ
فجئتُ للقبرِ بما يَجمَلُ من صوِّرِ الدنيا الفَتونِ الغُورِ
قل لي بحقِّ الموتِ ما يفعلُ بالشاعرِ الموتُ وهذي القبورِ؟
وهل وراءَ الموتِ ما نجهلُ من عالمِ الرُّجعى ويومِ النشورِ؟

* * *

قَبْرُ شَاعِرٍ

قد راعني موتك، يا شاعري
وهزني ما فاض من خاطر
ونفثات القلم الساحر
ووقفه بالكوكبِ الحائر
في ميعه العمرِ وفجرِ الشبابِ
كان ينابيعَ البيانِ العذابِ
في جوبك الأفقِ وطى السحابِ
رأى بساطَ الريحِ يدنو فهابِ

* * *

لكنه شعركَ لمَّا يَزَلْ
شعرٌ كصوبِ الغيثِ أنى نزلْ
وعلمَ الطيرَ الهوى والغزلْ
وعنتِ الريحُ به في الجبلْ
يُردُّ الكونُ أناشيدهُ
أرقصُ في الروضِ أماليدهُ
فأسمعُ الزهرَ أغاريدهُ
فحركتُ منه جلاميدهُ

* * *

يا قبرُ لم تُبصرَكَ عيني وَلَا
ملأتُ بالروحِ فؤادًا خَلَا
أوحيتَ لي سرَّ الردى فانجلى
غداً ستطوي القلبَ أيدي البلى
رأتكَ إلا في ثنايا الخيالِ
إلا من الحُبِّ ونورِ الجمالِ
عن عيني الشكُّ وليلُ الضلالِ
ويقنصُ النجمَ عقابُ الليالِ

* * *

وهكذا تمضي ليالي الحياه
دنيا من الوهمِ ودهرٌ تراه
يسخرُ من مبتسماتِ الشفاءِ
دهرٌ على العالمِ دارتِ رحاه
والقبرُ ما زالَ على حاله
يُغررُ القلبَ بأماله
وجامدِ الدمعِ وسيالِه
فلم تدعُ رسمًا لأطلالِه

حافظ إبراهيم

مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبَ
كان أمضى من الشهابِ وأنقَبَ
كلُّ أفقٍ إلى سناها ويُنسَبُ
من بني الشعرِ تظفرين بكوكبِ
رقُّ صدى شعره الجميلِ المحبَّبِ
وجلَّى سرَّ الضميرِ المحجَّبِ
د، وقاموسها الصحيحِ المرْتبِ
نَ لأدابِ عصره يتعصَّبِ
لِ، ويُزهِى بكلِّ حسنٍ ويُعجِبِ
منطقِ الحقِّ واليراعِ المؤدَّبِ
بُ، وفي عالمِ الحقيقةِ ينصبُ
ب أسلوبه الرشيقُ ويلعبُ
ن من عالمِ اليقينِ ويذهبُ
هُ فيبدو له الخفيُّ المغيَّبِ
ولفظٌ من سلسلِ الخمرِ أعذبُ
فعله من غرائبِ السحرِ أغربُ
هاجها الشجورُ في يراعٍ مُثَقَّبِ
ترقص النفسُ وفقهنَّ فتطربُ

املئي الأرض من حدادٍ وغيهَبُ
وخباً من مصابحِ الفكرِ نورُ
وطوى الموتِ هالةٌ كان يُنمى
يا سماءَ الخيالِ ما كلُّ يومٍ
ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَدَ الشـ
ومضى الناثرُ الذي صوَّرَ النفسَ،
الأديبُ العريقُ في لغة الضأ
لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا
كان يُعنى بكلِّ فذٍّ من القو
شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ
شعره من ينباعِ السحرِ ينسا
عاطفيُّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا
وخيالٌ يسمو إلى ما وراءِ الكو
يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهلِ دنيا
ومعانٍ أرقُّ من نسمةِ الفجرِ
وبيانٍ يسيلُ في كلِّ نفسٍ
وقوافٍ كأنها نغماتُ
وكأنَّ الأوزانَ شتَّى مثنانِ

* * *

بؤساء الحياة من لكم اليو ضاقت الأرض بالحنان، وفاضت فابحثوا في شعابها عن مقييل قد فقدتم نصيركم وسلبتم عقل الموت مقولاً منه عضباً وخلا اليوم من شجاكم فؤادٌ وغفت أعين بكتكم بدمع الرفيق الحاني على كل قلب والخفيف الخطى إلى كل نفس فاذكروه على الليالي إذا ما

مَ على الحادثات، والعيش أخطب بالأذى أبحراً، تضجُ وتصخبُ وانشدوا من منافذ النجم مهرّب عَضداً شَدَّ أن يُغال ويُسلب وطوى مهجَةً وأطبق هيدب ذاب من رحمة لكم وتصبب لم تدع منه ما يراق ويسكب أنشب البؤس فيه ناباً ومخلب مال عنها نصيرها وتنكب زحم الدهر ركنكم وتالب

* * *

مَن لصرعى الهموم بعدك يا حا كنت براً بهم، وأحنى عليهم عجب صبرهم على خطبك الداوي قم وشاهد ماتم الشرق وانظر قسماً لو يرد هيجو إلى العيب ومشى في يمينه غار باريد وتمنى الذي كتبت عن البؤ

فظ، من للحزين؟ من للمعدب؟ من فؤاد الأب الشفيق، وأحدب وصبر البأساء من ذاك أعجب! كيف يبكي البيان فيك ويئدب ش لألقي لك الزمام وقرب س إلى رأسك الكريم وعصب س ورد الأصيل دون المعرب!

* * *

فُجعت نهضة البلاد ببيان وحبها من شعره وحجاءه هز أشبالها الكمأة وأحيا لو شهدتم غداة ثورتها الكبرى لرأيتم في ثورة النفس منه

شد من ركنها، وشاد، وطنب ما أفاد الجهاد فخراً وأكسب أملاً في صدورهم يتوثب لجاج النفوس وهي تلهب محنقاً من قساور الغيل مغضب

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ تتوقَّى الطَّبِي صداهُ وترهبُ
نافذُ في الصميم من باطلِ القو م كما ينفذُ السَّنَانُ المذربُ

* * *

حافظُ الوُدِّ والذمامِ سلامًا لم يَعُدْ بعدُ من يُوَدُّ ويُصحبُ
كنتَ نعم الصديقِ في كلِّ آن حينَ يُرجى الصديقُ أو حينَ يُطلبُ
لم تُغَيِّرْكَ من زمانِكَ دنيا وحياءُ بأهلها تتقلَّبُ
خُلِقَ رضتهُ على شرعةِ الصدقِ وإنَّ خانكَ الرجاءُ وكذبُ
وإيأُ حميتهُ من صغارِ وبريقِ من المواعدِ خُلبُ
وفؤادُ لغيرِ عاطفةِ الـ ووجدانِ لا يدَّني ولا يتقربُ
وضميرُ لا يبلغُ المالُ منه وبلوغُ النجومِ من ذاكِ أقربُ
ولسانُ حفظتهِ من سؤالِ لا يَمِينُ الكلامِ أو يتذبذبُ
يلفظُ الروحَ صاديًا وإذا لم يَصِفُ للماءِ موردٌ ليس يشربُ
صفحاتُ نقيَّةٌ بمدادِ الحـ قٌ في مجتليِ العظامِ تُكتبُ

* * *

خانني فيك منطقي، وعصاني قَلَمٌ طالما أفاضَ وأسهبُ
أب بالشعرِ من مصابك يبكي رزءه فيك والرجاءُ المخيبُ
أنتَ من أمةٍ بهم بعثَ الله هداهُ إلى الشعوبِ فثوبُ
لم يَزَلْ منكم على الأرضِ ظلُّ وشعاعُ هادٍ، وغيثُ مُصوبُ
ويجوبُ الحياةَ في كلِّ آن هاتفُ منكمُ وطيفُ تأوُّبُ
حُضْرُ في القلوبِ أنتم وإن كـ تم، على ملتقىِ النواظرِ غيبُ

شوقي

وطوى العمرَ حيرةً وسامَهُ
مَلَكَ الحُبِّ والجمالُ زمامَهُ
في فَمِ الدهرِ كوثرًا ومُدامَهُ
فَجَرَ اللُّهُ منهما إلهامَهُ
به وينسى بسحره ألامَهُ
وجلا الكونَ فتنَةً ووسامَهُ
عَلَّمَ الطيرَ لحنه وانسجامَهُ
رَدَّ أوتارَه وَحَطَّمَ جامَهُ؟
كِ وسالتُ جراحها الملتامَهُ
حِ؟ أَجَلُ تلكِ روحه المستهامَهُ!
نِ فحَفَّتْ إليه تطوي ظلامَهُ
ضِ سليلُ نما الترابِ عظامَهُ
أثرَ اليومِ في السماءِ مُقامَهُ!

هَجَرَ الأَرْضَ حينَ مَلَّ مقامَهُ
هَيَّكَلُ من حقيقَةٍ وخيالِ
أَلْهَمَ الشِعْرُ أصغريه فرقا
سلسبيلُ من حكمةٍ وبيانِ
تَأخَذُ القلبَ هَزَّةً من تساقيدِ
غَمَرَ الأَرْضَ رحمةً وسلامًا
مالئًا مَسْمَعِ الوجودِ نشيدًا
ما لَهُ والزمانُ مصغٍ إليه
رُوعَ الطيرِ يومَ غابَ عن الأيدِ
ما الذي شاقه إلى عالمِ الرو
راعها النورُ وهي في ظلمة الكو
هي بنتُ السماءِ وهو من الأر
فاهتفوا باسمه فما مات، لكنْ

* * *

ما لصدّاجها جفا أنغامَهُ؟
لم يُحَمِّلُهُ للحبيبِ سلامَهُ
ما الذي عاق طيرَه وحيامَهُ؟

حدّثتني الرياضُ عنه صباحًا
وشكا لي النسيمُ أولَ يومِ
وتسمعتُ للغديرِ يُنادي

أُتْرَاهُ تَرشَّفَ الفَجْرَ نَورًا
ورأيتُ الجمالَ في شُعبِ الوا
صارخًا يَستَجِيرُ شاعِرَهُ الشَّا
فَتَلَفَّتْ باكِيًا وِبعيني
هتَفَ القلبُ بالمَنادينَ حَولي:
فانذَروا شَـدوَهُ بِكلِّ صَباحٍ
واملأوا الأَرْضَ والسَّماءَ هُتافًا

لم يُرْعَني من جانِبِ النَيلِ إلاَّ
تحت ساجي ظلالها زَهرَةٌ تب
عَرفتُها عيني، وما أنكرتُها
قلْتُ: يا كَرمَةَ ابنِ هاني سَلامًا
نَحنُ لو تَعلَمينَ أشبَاحُ لَيلِ
والذي تَلمَحينَ من لَهَبِ الشَّمِ
والذي تبصَرينه من نَجومِ
والمَراذِ المُدِلُّ بالوردِ زَهوًا
عَبثًا نَـشَدُ الحَياةَ خَلودًا
إنما الأَرْضُ قَبرُنا الواسِعُ الرَاحِ
أودعَ القلبُ فيهِ ألامَهُ الكَـبِ
نَـسِيَّ الناعَمونَ فيهِ صِباهُم
فامسحِ الدَمعَ وابسِمي للمَنايا

أَيُّها المَـسْرُحُ الحَزينُ عَزاءً
زَهبِ الشاعِرُ الذي كَنتَ تَستو
واهبُ الفَنِّ قَـلبَهُ وقَواه
رُبُّ لَيلِ بجانِبِـكَ شَهدنا
قد فَقدتَ الغِداةَ أَقوى دِعامَـه
حي وتَستلَهُمُ الخَلودَ كَلامَـه
والمَـصافِيةَ وُدَّهُ وهَيامَـه
قِـصَّةَ الدَهرِ رَوعَةً وفخامَـه

أسفَرَ الشعرُ عن روائعه فيها وألقى عن الخفاء لثامه
فأعدَّ عهدَه وأحي لياليه به وجدَّ، على المدى، أيامه
ولك اليومَ همَّةٌ في شبابٍ ملأوا العصرَ قوَّةً وهمامه
نزلوا ساحه يشيدون للمجـ يدِ وشقُّوا إلى الحياةِ زحامه
فانكروا نهضةَ البيان بأرضِ أطلعتْ في سمائها أعلامه
إنَّها أمةٌ تغارُ على الفنِّ وترعى عهوده وذمامه
لم تزلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ في الشر ق، وفي كفِّها لواءَ الزعامه
إنَّ يومًا يفوتها السبقُ فيه لهو يومُ المعادِ يومُ القيامة!!

انتظار

عيناي ترقب كل طيف عابر
في الأفق تخفق عن جناحي طائر
فلعلها نفس الحبيب الزائر
في الليل تومض عن شهاب غائر
ولعله وضح الجبين الناضر
بين الجوى المضني وهجس خاطر

طال انتظارك في الظلام ولم تزل
ويطير سمعي صوب كل مرنة
وترف روعي فوق أنفاس الربا
ويخف قلبي إثر كل شعاعة
فلعل من لمحات ثغرك بارق
ليل من الأوهام طال سهاده

وأصخت أسترعي انتباهة حائر
نشوان يعبق من شذاك العاطر
وتلت حمائمُه نشيد الصافر
حيرى تعجب للربيع الباكر
طرباً على المرح النضير الزاهر
عينٌ وصورها خيال الشاعر
متسمماً دقات قلبي الثائر
سحراً وأملاً من جمالك ناظري
شك من الدنيا وحلم ساحر

حتى إذا هتفت بمقدمك المني
وسرى النسيم من الخمايل والربي
وترنم الوادي بسلسل مائه
وأطلت الأزهار من ورقاتها
وجرى شعاع البدر حولك راقصاً
وتجلت الدنيا كأبهج ما رأته
ومضت تكذبني الظنون فأنثني
أقبلت بالبسمات تملأ خاطري
وأظلنا الصمت الرهيب ونحن في

حتى إذا حانَ الرّحيلُ هتفتَ بي
وصرختُ بالليلِ المودّعِ باكيًا
يا ليتنا لم نَصْحُ منكُ وليتها
فوقفتُ واستبقتُ خطاكِ نواظري
ويداكِ تمسكِ بي وأنتَ مغادري
ما أعجلتكِ رحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتت بعدُ الليالي وانقضت
بُدلتُ من عطفٍ لديك ورِقّةٍ
وكأنني ما كنتُ إلْفَكُ في الصَّبَا
ونسيتَ أنتَ، وما نسيْتُ، وإِنِّي
وكأننا في الدهرِ لم نتزاوِرِ
بحنينٍ مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
يومًا ولا كنتُ الحياةَ مشاطري
لأعيشُ بالذكري ... لعلَّكَ ذاكري!!

إِلَى الْبَحْرِ

وتأملُ في المزبداتِ الغضابِ
وترمي به صدورَ الشعابِ
غي على الصخورِ الصلابِ
غيرَ ليلٍ من وحشةٍ واكتئابِ؟
تترامى بالمائجِ الصخابِ
من عبابٍ، وعالمٍ من ضبابِ

قف من الليل مصغياً والعبابِ
صاعداتٍ تلوك في شدقها الصخرَ
هابطاتٍ تتنُّ في قبضة الريح وترُ
ذلك البحرُ: هل تشاهدُ فيه
ظلماتٍ من فوقها ظلماتُ
لا ترى تحتهنَّ غير وجود

لِ؟ وأين المنجى بتلك الرياحِ
منك موجاً في جيئةٍ وذهابِ
في دياجيه كاسفاتٍ خوابي؟
تسألُ السحبَ عن وميض شهابِ
ل أنينَ المروعِ الهيابِ؟
وترى الكونَ زخرةً من عبابِ
لاكِ، واغمرُ في الجوِّ مسرى العقابِ
ه، وينضو ذاك السوادَ الكابي
خالصَ التبرِ واللجين المذابِ

أيها البحرُ، كيف تنجو من الليد
هو بحرٌ أطمُّ لجأ، وأطغى
أوما تبصرُ الكواكبَ غرقى
وترى الأرضَ في نواحيه حيرى
ويك، يا بحرُ، ما أنينك في الليد
امض حتى ترى المدائنَ غرقى
امض عبرَ السماءِ، واطغ على الأف
ذاك، أو يهتك الظلامُ دياجيد
وترى الشمس في مياهاك تلقى

يتهادى في منظرٍ خلَّابٍ
 يتماوجن في حواشي السحابِ
 حوله الطير بالأغاني العذابِ
 بٍ ويثني ذوائبَ الأعشابِ
 موج، يذكو ضرامها غير خابي
 قُزحي الأديم غُضُّ الإهابِ
 ضوءٍ من كل بضيةٍ وكعابِ
 لَقَّها الرغو من رقيقِ الثيابِ
 نسَّقتها أنامل الأربابِ
 وإذا الطير صُدَّحُ في الروابي
 رَقَصَاتِ المغرِّدِ المطرابِ
 سي نميرًا كالجدول المنسابِ
 أسمع البحرَ أغنياتِ الشبابِ

أقبلَ الفجرُ في شفوفِ رفاقِ
 حُلُّ من وشائِعِ النورِ زُهْرُ
 وإذا الشَّاطِئُ الضحوكِ تغنَّى
 ونسيم الصباح يعبث بالغا
 ومن الشمس جمره، في ثنايا الـ
 ومن البحر جانبٍ مطمئنٌ
 نزلت فيه تستحمُّ عذارى الـ
 عارياتٍ يسبحن في اليم لكنْ
 خفِراتٍ من الأشعة خويدِ
 فإذا البحر يرقصُ الموج فيه
 راقصاتِ الأمواج: عَلَّمَنَ قلبي
 وأفيضي عليه من سلسل الوجدِ
 واستثيري عواطفِي ودعيني

نازحُ الدار ما له من مآبِ
 وهو مُلقَى في وحشةٍ واغترابِ
 أين مني منازلِ الأحبابِ
 مي، غريقُ في حيرتي وارتيابي
 عكفت في الدجى على التسكابِ
 صدحةُ الطير أو نعيقُ الغرابِ
 رٍ أو الليلُ أسودُ الجلبابِ
 من سقامي، ورحمةً من عذابي
 رٌ ومثوى الهموم والأوصابِ
 مي وعبءَ الحياة والأحقابِ

لي وراءَ الأمواج، يا بحرُ، قلبُ
 نزعتَه منِّي الليالي فأمسى
 ذكرياتٌ تدني القصيِّ ولكنْ
 أنا وحدي، هيمانُ في لجك الطا
 أرمقُ الشاطِئَ البعيدَ بعينِ
 فسواءً، في مسمعي، من ذرأه
 وسواءً، في العين، شارقةُ الفج
 بيد أني أحسُّ فيك شفاءً
 أنت مهد الميلاذِ والموتِ يا بحر
 فأنأ فيك أطرحُ الآنَ ألا

الطريدُ

سليبَ رقادٍ أرقتَه المخاوفُ
به الأرضَ غرقى، والنجوم كواسفُ
يساريك برقُ أو يباريك عاصفُ؟
إلى الشاطئِ المجهول يدعوك هاتفُ
يسائل: من ذاك الشقيِّ المجازفُ؟!
ويعزبُ عنه الصلُّ، والصلُّ واجفُ
أوانَ الردى في برده الرثُّ زاحفُ
ولا طاف منه بالدُّجْنَةِ طائفُ
وبينهما يسري الدُّجى وهو خائفُ
أليس له من نبأة القلب كاشفُ؟
إليك هوى، من جانب الغيب، شاغفُ!
إليّ كلحن ردّدته المعازفُ
لسرُّ تهز القلبَ منه الرواجفُ
رمته الدياجي والرعودُ القواصفُ؟
لعينك، لكنّ القلوبَ تعرّافُ؟
مقيمٌ عذابى والشقاءُ المحالفُ
ليرهبُ نفسًا حقّرتُ ما تصادفُ
غياهبُ في سرِّ الدجى تتكاثفُ

شقيُّ أجنته الدياجي السوادفُ
ترامى به ليلٌ كأنَّ سواده
إلى أين تمضي، أيها التائه الخُطى،
رأيتك في بحر الظلام كأنّما
تخوض الدُّجى سهمانَ والنجم حائرُ
طريدًا يفرُّ الوحشُ من وقع خطوه
كأن إله الشرِّ يقتحم الورى
فوا عجبًا!! لم تحمل الأرض مثله
يخاف الثرى مسراه وهو يخافه
تُرى أيُّ سرِّ في الظلام محجّبُ؟
أجبنى طريدَ الأرض، إني يهزني
فردّد ذاك الطيفُ صوتًا محبّبًا
وقال: أجل إنّي الطريدُ وإنه
أتسألك الأفلاك عني، أنا الذي
أجل: إن ذاتي يا نجبيّ تنكرت
وما أنا إلا من بني الأرض ناء بي
وما كان هذا النوءُ والموجُ والدُّجى
سواءً لديها أشرقَ الفجرُ أم سجت

ومن قبل أن دبَّت عليها الزواحفُ
وأترعها سيلٌ من الدَّم جارفُ
ويا ليتَ ترويتها الدموعُ الذَّوارفُ
ويعجز عن تصويرها، اليوم، واصفُ
ثقافتهم ضربٌ من العلم زائفُ
وأن قصاراهُ حُلَى وزخارفُ
وقالوا: ألا أين الضياءَ المشارفُ؟
من الوهم يُمسي وهو في القيد راسفُ
وليس بما تُزهى هناك المقاصفُ
إذا كذبت ربَّ القصورِ العواطفُ
بديلاً عن الكأس التي أنا راشفُ
ويشقى بمصر النابهونَ الغطارفُ؟
رواحلٌ بيدٍ شردها العواصفُ
يرق، ولا دان من الظلِّ وارفُ
عصائبُ تنزو من دمي ولفائفُ
به في غار الحادثات أجازفُ
خفوقَ جناحٍ وهو بالدمِ نازفُ
إليه عهدٌ للشباب سوالفُ
أحاديثَ شتَّى كلهن طرائفُ
أفارقها والقلب لهفانُ كاسفُ
من الحقِّ فيها ألسنٌ وصحائفُ
ولا نبهتُ فيها لذكري عوارفُ
برأيي إِمَّا أسعدتني المواقفُ!

هَي الأرض مهْدُ الشرِّ من قبل خلقنا
غذتها الضحايا بالجسوم فأخصبت
وهيها تشفي غلَّةً من دماننا
ولي قصةٌ يُشجي القلوبَ حديثُها
دعوتُ إلى حرِّيَّةِ الرأي معشرًا
يرون بأنَّ العيشَ لذاتُ ماجنٍ
إذا لمحو نور الحقيقة أغمضوا
عجبتُ لهذا العقل حُرًّا فما له
هو الحقُّ في الكوخ الحقيقير فحيه
هنا تصدَّق الإنسانَ عاطفةُ الهوى
لقد سئمت نفسي الحياةَ وما أرى
أيجحدُ في الشرق النبوغَ ويُزدرى
يجوبون أفاق الحياة كأنهم
طرائدُ في صحراء، لا نبعٍ واحٍ
ألا إنَّ لي قلبًا طعينًا تحوطه
أقلَّتُهُ أحنائي نماءً ولم أزلُ
كما رفَّ نسرٌ راشه السهمُ فارتقى
أتيتُ إلى هذا المكان تهزُّني
أرددُ فيها للطفولة والصِّبا
أودعها قبل الفراق وإنني
إلى حيثُ ينمو الرأي حُرًّا تذيعة
لعلَّ بلادًا ما علتني سماؤها
أعيش بها حُرَّ العقيدة هاتفًا

عَدْلِي يَكُنْ

يذكر النيلُ دمعَه وشجونَه
هُ وَبَنُّوا على الطريقِ عيونَه
كلِّ بحرًا من الدُموعِ الهتونَه
شاطئُ حالتُ المنيةُ دونَه
آنَ لليث أن يَحِلَّ عرينَه
تَضُمُّ الصدرَ الذي تحمليَنَه
لوعةَ البينِ أو يبتُّ حنينَه
كنتِ في كلِّ موكبٍ ترقبينَه
لمحاتُ الطوالعِ الميمونَه
رينَ» غيرَ المجلاتِ الحزينَه
ءَ عليها من المنى ألفُ زينَه
رِ يئنُّ الجريحُ فيها أنينَه
حَ بطيفٍ من الفتوحِ المبينَه
يشفقُ النجمُ أن يشقَّ دجونَه
ذاقَ في وحشةِ الغريبِ منونَه
أن يرى مصرَ في الحديدِ سجينَه
شَيَّعَتْ بالبكاءِ كلَّ سفينَه
والثُمي ثغرُه، وحيِّي جبينَه

وقفَه بالشواطئِ المحزونَه
ودَّ لو حولوا إلى السَّينِ مجرا
ومشى بالشهيدِ للوطنِ الثا
دَنَتِ الدَّارُ، يا سفينة، إلَّا
فاهدئي في ضفافِ مصرَ وقرِّي
قَرَّبِي من أديمها هيكَلِ الحقِّ
لحظةً يشتكى المتيمُّ فيها
ولك اللهُ، يا شواطئُ، فيمن
ذَهَبَتْ بسمةُ الثغورِ وحالتُ
ما عَرَفَتِ السفينَ من عهدِ «نافا
خرجتُ منك، ليلَةَ البحرِ، غرًا
ثم آبتُ إليكِ منكوسةَ الصو
فسلي البحرَ هل غدا لكِ أو را
ما شَهدتِ الأيامُ غيرَ سوادِ
كلَّ يومٍ تستقبلينَ شهيدًا
أو طريدًا وراءَ بحرِ تحامِي
فاذكري الآن، يا شواطئُ، عينًا
واحملي الوافدَ الكريمَ حنانًا

وإذا ضقت بالأسى فاستمدي الـ
سائلي الرياح أن تضحَّ عويلاً
سوخَ من كل قريةٍ ومدينه
وسلي البحرَ أن يُجنَّ جنونه
أن يريَ الناسَ في البكاءِ فنونه!

يا شهيدَ «الأحرار» لا كان يومٌ
فزع النيلُ بالظنون إليه
كم تمنى في الغيب ألا يكونه
فتحدى رجاءه وظنونه
كلَّ جرح أسالَ رزؤك حتى
لو تَلَفَتْ خلفَ نعشِك يا «عد
كنت أهلاً لبرها وهواها
كيف لا تستقلُّ في حَقك الدم
ما بكاءً على الذي اتَّخذَ الأو
ما بكاءً على الذي حبس القلب
ما بكاءً عليه لو كان يُفدى

يا رسولَ السلام في كل حين
ذكر الناسَ فيك أيامَ «سعدٍ»
فقدت مصرُ وحيه وأمينه
فبكوا رحمةً لما يذكرونه
وتناجوا بذكر «ثروت» حتى
عرضوا الذكريات فاهتجن فيهم
شئتُ وئونه
دنتَ بالنُّيلِ والوداعةِ قلباً
كامنَ الحزنِ والهمومَ الدفينه
عقدتُ كفه بكفك عهداً
عجز البطش والأنى أن يُلينه
وتعانقتما وما كنت إلا
يتمنى العدوُّ ألا تصونه

يا نصيرَ الحقوقِ آثرتَ حقاً
فتم الآن في ثرى مصرَ وانزلُ
عونَ سعدٍ وإلفه وخديته!
كلُّ نفسٍ بما قضاهُ رهينه
منزلَ الحبِّ والهدى والسكينه

عَدِّي يَكُنْ

لم يَمُتْ مَنْ حَدِيثُهُ يَمْلَأُ الْوَا دي ويطوي سهولَه وحزونَه
تَأْخُذُ الظَّالِمِينَ صِيحْتُهُ الْكِبْرَى رى، وتستعذبُ السماءُ رنينَه!

في القرية

وصفي الطبيعة يا فتاة الريف
ولكم ربيع مر بعد خريف
للورد بين مفتح وكفيف
يرمي الغمام به، وأفق يوفي
من كل طيف للربيع لطيف
صخب الرياح وأنة الشادوف
ما بين نقس في الربى وزفيف

غني بأودية الربيع وطوفي
ولى خريف العام بعد ربيع
يا أخت طالعة الشمس تطلعي
والطير هدار، فأفق أكدر
لهفان يرتاد الجداول باكيا
أهدى الشتاء إليه من نغم الأسي
هذا بعبرفته وجود وهذه

* * *

أزهرن في ظلّ لديه وريف
تحت العرائش في ظلال اللوف
متعانقات سابغات الفوف
حلم يرفه عنه بالتشويق
قصر الثواء به وطال وقوفي
في الأرض منفردا بغير أليف
ومضى عن الأحباب غير صدوف
منا لفيف سار إثر لفيف
بين النخيل على رمال السيف

إني لأذكر حقلنا، ولياليا
ومراحنا بقرى الشمال، وكوونا
نلقي الخمائل بالخمائل حولنا
ذكرى الطفولة أنت وحدك للصبأ
يا رب رسم من ربوعك دارس
إني طويت العيش بعدك ضاربأ
صدف الفؤاد عن الشباب ولهوه
يا رب ليل دب في أحشائه
نقتاف آثار الطيور شواردا

شادِ هنا وهناك رَنَّةَ مِزْهَرٍ النجمُ في خفقٍ له ورفيفِ
والبدرُ نَقَبَهُ الغمامُ كأنَّهُ وجهُ تَأَلَّقَ من وراءِ نصيفِ
والنهرُ سلسالِ الخريزِ كأنَّهُ قيثارَةٌ سحريةُ التعزيفِ

* * *

قومي عذارى الريفِ والتمسي الرُّبى نُضْرًا وِغْنِي بالغديرِ وطوفي
وتفِيئِي الدوحَ الظَّلِيلِ ومربأً للفنِّ تحت أزهري وقطوفِ
عُضْنُ يطلُّ الفجرُ من ورقاته ويُقَبِّلُ الأنداءَ جدَّ شغوفِ
أين الغديرُ عليه يخلع وشيهُ صَنَعُ الأناملِ رائِعِ التفوفِ
يا حبذا هو من مراحِ اللَّصْبَا والكوخِ من مشتَى لنا ومصيفِ
صُورٌ نزلنَ على بنانِ مصورِ صُورنَ من نسقِ أغرِّ شريفِ
أغرِينَ بي حُلْمَ الطفولةِ والهوى وأثرنَ بي نكرى ليالي الريفِ

البُحيرةُ

لألفونس لامارتين

ليتَ شعري أهكذا نحنُ نمضي
ونخوضُ الزمانَ في جُنْحِ ليلٍ
وضفافُ الحياةِ ترمقها العيـ
دون أنْ نملك الرجوعَ إلى ما

في عُبابٍ إلى شواطئِ غمضِ
أبدئِي، يُضني النفوسَ ويُنضي
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بعضِ
فاتَ منها، ولا الرسوُّ بأرضِ؟!

* * *

حدثي القلبَ، يا بحيرةُ، ما لي
أوشكُ العامُ أن يمرَّ، وهذا
صخرةُ العهد! ويك هأنذا عد
عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينِ

لا أرى «أولفير» فوق ضفافِك
موعدُ للقاءِ في مصطافِك
تُ، فماذا لديكِ عن أضيافِك؟
سفكتُ دمعها الليالي السوافِكُ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهديرين كما أنـ
وضفافُ أمواجِها يتداعىـ
والنسيمُ العليل يدفَعُ وهنَّا
ملقيًا رغوها على قدميها

ت هديرٌ يهزُّ قلبَ السكونِ
نَ على هذه الصخور الجونِ
زَبَدَ الموج للربِّي والحزونِ
لِيَنَّ المسَّ مستحبَّ الأئينِ

* * *

أُتْرِى تَذَكْرِينَ لَيْلَةً كُنَّا مِنْكَ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ، بَيْنَ الضَّفَافِ
وَسَرَى زورُقُ بِنَا يَتَهَادَى تَحْتَ جَنَحِ الدُّجَى وَسْتِرِ الْعَفَافِ؟!
فِي سَكُونٍ، فَلَيْسَ نَسْمَعُ فَوْقَ الـ مَوْجِ إِلَّا أَغَانِيَّ الْمَجْدَافِ
تَتَلَقَى عَلَى الرَّبِّيِّ وَالْحَوَافِي بِأَنَاشِيدِ مَوْجِكَ الْعَرَافِ؟؟

* * *

وَعَلَى حِينَ غِرَّةٍ رَنَّ صَوْتُ لَمْ يُعَوِّدْ سَمَاعَهُ إِنْسِيَّ
هَبَطَ الشَّاطِئُ الطَّرُوبَ فَمَا يُسِدُ مَعَّ فِيهِ لِلهَاتِفَاتِ دَوِيَّ
وَإِذَا اللَّيْلُ سَاهَمٌ سَكَنَ النُّو ءُ إِلَيْهِ وَأَنْصَتِ اللَّجِّيَّ
يَتَلَقَى عَنِ نَبَاةِ الصَّوْتِ نَجْوَى كَلِمَاتٍ أَلْقَى بِهِنَّ نَجِيَّ

* * *

يَا زَمَانًا يَمُرُّ كَالطَّيْرِ مَهْلًا طَائِرُ أَنْتِ؟ وَيَكُ، قِفْ طَيْرَانُكُ!
أَهْنَاءَ السَّاعَاتِ تَجْرِي وَتَعْدُو نَا عَطَاشًا، فَقِفْ بِنَا جِرْيَانُكُ!
وَيَكُ دَعْنًا نَمْرُخٌ بِأَجْمَلِ أَيَّا مِ وَنَلْقَى، مِنْ بَعْدِ خَوْفِ، أَمَانُكُ
وَإِذَا نَحْنُ لَدَّةَ الْعَيْشِ نَقْنَا هَا وَمَرَّتْ بِنَا فَدُرُّ دَوْرَانُكُ!

* * *

بَيْدَ أَنْ الشَّقَاءَ قَدْ غَمَّرَ الْأَر ضَ وَفَاضَ الْوَجُودُ بِالتَّاعَسِينَا
كَلْهَمِ ضَارِعٌ إِلَيْكَ يَرْجِي كَ فَأَسْرَعُ! أَسْرَعُ! إِلَى الضَّارِعِينَا
وَافْتَرَسَ مُشَقِّيَاتِ أَيَامِهِمْ وَامَضَ رَحَى تَطْحَنُ الشَّقَاءَ طَحُونَا
رَحْمَةً، فَانْذَكَرَ النُّفُوسَ الْحَزَانِي وَانْسَ، يَا دَهْرُ، أَنْفُسَ النَّاعِمِينَا!

* * *

عَبْنًا أَنْشَدُ الْبَقَاءَ لِعَهْدِ يُقْلِتُ الْيَوْمَ مِنْ يَدِي وَيَفْرُ
وَسُوِيَعَاتِ غَبِطَةٍ مَا أَرَاهَا وَوَشِيغًا مَا تَنْقُضِي وَتَمُرُّ
وَأُنَادِي يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ قَرِّي إِنْ بَعْدَ السَّرَى يَطِيبُ الْمَقْرُ

الْبَحِيرَةُ

أُسْفًا لِلصَّبَا وَغَرَّ لِيَالٍ لَيْسَ يُبْقِي عَلَى صِبَاهَنْ فَجُرْ

فَلنَحِبُّ الغدَاةَ وَلنَحِي حُبًّا وَلنَسَارِعُ فَنَقْتَفِي إِثْرَ سَاعَاتٍ
وَلنَكُنْ فِي الحَيَاةِ بَعْضًا لِبَعْضٍ فَنَقْدُ تَوْذُنَ النَوَى بِالتَقْضِي
لِنَا فِي الحَيَاةِ فِي عُرْضِ بَحْرٍ لَيْسَ نَلْقِي المَرَسَاةَ فِيهِ بِأَرْضٍ
مَا بِهِ مَرَفًا يَبِينُ وَلَكِنْ نَحْنُ نَمْضِي فِي لَجِّهِ، وَهُوَ يَمْضِي!

أَكْذَا أَنْتَ، أَيُّهَا الزَّمَنُ الحَاقِفُ دُ، تَغْتَالِ نَشْوَةَ اللِحْظَاتِ؟
حَيْثُ يُزْجِي لَنَا السَّعَادَةَ أَمْوَا جَا مِنْ الحَبِّ زَاخِرِ اللِجَاتِ؟
أَكْذَا أَنْتَ زَاهِبٌ بِلِيَالِي الـ صَفْوِ عَنَّا سَرِيعَةَ الخَطْوَاتِ؟
أَكْذَا تَنْقُضِي مَلَاوَةَ نَعْمَا هَا كَمَا يَنْقُضِي شِقَاءَ الحَيَاةِ؟

كَيْفَ؟ حَدِّثْ: أَغَالِهَا مِنْكَ صَرْفُ فِي أَبِيدِ الزَّمَانِ حَيْثُ طَوَاهَا؟
وَيْك، قُلْ لِي، أَلَيْسَ نَمْلِكُ يَوْمًا أَنْ نَرَاهَا؟ أَمَا تَبِينُ خَطَاهَا؟
أَتَرَاهَا وَلَّتْ جَمِيعًا، وَلَمَّا تَبَقَّ حَتَّى آثَارُهَا، أَتَرَاهَا؟
أُوذَاكَ الدَّهْرُ الَّذِي افْتَنَّ فِي صَو غِ صِبَاهَا هُوَ الَّذِي قَدْ مَحَاهَا؟

أَيُّهَذَا الزَّمَانُ، وَالْعَدَمُ العَا تِي، غَرِيقِينَ فِي سَكُونٍ وَصَمْتِ
أَيُّ عَمِيقِ اللِجَاتِ: مَاذَا بِأَيَا مِ صِبَانَا؟ مَاذَا بَهْنِ صَنْعَتِ؟
حَدِيثِيْنِي أَمَا تَعِيدِينِ مَا مِنْ سَكْرَاتِ الغَرَامِ مَنَا اخْتِطَفْتِ؟
أَوْمَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَاجِيـ لِك؟ أَمَا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتِ؟

أَنْتِ يَا هَذِهِ البَحِيرَةُ، مَاذَا يَكْتُمُ المَوْجُ فِيكَ وَالشَّطَّانُ
أَيُّهَا الغَابَةُ الظَّلِيلَةُ رُدِّي أَنْتِ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وهو يسطيعُ أن يُجدَّكَ حسنًا!! احفظني لا أصابك النسيان!!
قلَّ حفظًا أن تذكري ليلة مـ رت وأنتِ الطبيعةُ الحسنانُ

* * *

ليكنُ منك، يا بحيرة، ما لـ سجَّ بك الصمتُ أو جنون اصطخابك
في مغانيكِ حالياتٍ تراءى ضاحكاتٍ على سفوح هضابك
في مروج الصُنوبر الحوِّ تهفو سابغات الألياف حول شعابك
في نتوء الصخور، مشرفة الأعنا ق، بيضًا، تطلُّ فوق عبابك

* * *

وليكن في العُباب يهدرُ أموا جًا على شاطئك مثل الرعود
في انتخاب الرياح تُعول في الود يانِ إحوالَ قلبي المفئود
في صدى الجدولِ الموقَّع أنا تِ حشاهُ بالجنديلِ الجلمود
في شذاكِ السريِّ ينشقُّ منه القلبُ ريًا فردوسه المفقود!

* * *

وليكن في النسيم ما هبَّ ساريـ هـ بجوبُ الشيطان نحوك جوبًا
في جبين النجم اللجينيُّ يلقي فضة الضوء في مياهك ذوبًا
وليكن في شتيت ما تسمع الأذ ن، وفيما نراهُ عينًا وقلبًا
ليكن هاتفٌ من الصوت يتلو: «قد أحبًا وأخلصا ما أحبًا»

ليالي الملاح التائه

١٩٤٠

الإهداء

إلى الذين أطلوا التأمّل في أسرار الكون وأرهقهم التيه في مجاهل الحياة ...
إلى العائدين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللهفة والحنين ...
إلى المتطلعين عبر الشاطئ المهجور في ارتقاب عودة الملاح التائه ...
إليهم جميعاً أقدم وحي ليليه وأهدي بعضاً من أشعاره وطرفاً من حديث
أسفاره.

علي محمود طه

أغنية الجندول في كرنفال فينسيا

تغريدة الموسيقار الأستاذ محمد عبد الوهاب

أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروسَ البحرِ، يا حُلْمَ الخيالِ
أين عشاقك سَمَّارُ الليالي؟ أين من واديك، يا مهدَ الجمالِ؟
موكبُ الغيد وعيدُ الكرنفالِ وسُرى الجندولِ في عرضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهى الكرمُ خمره
وحبيبٍ يتمنى الكأسُ ثغره
التقتُ عيني بهِ أولَ مره
فعرفتُ الحبَّ من أولِ نظره
أين من عينيّ هاتيك المجالي؟ يا عروسَ البحرِ، يا حُلْمَ الخيالِ

* * *

مرّ بي مُستضحكًا في قربِ سَاقِي يَمزُجُ الرّاحَ بأقداحِ رِقَاقِ
قد قصدناه على غيرِ اتِّفاقِ فنظرنا، وابتسمنا للتلّاقِ
وهو يَسْتَهْدِي على المَفْرِقِ زَهْرَه
ويُسَوِّي بيدِ الفتنَةِ شِعْرَه
حينَ مَسَّتْ شَفَتِي أولَ قطْرَه
خلتُه ذوبًا في كاسِي عِطْرَه

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

نَهَبِي الشَّعْرَ، شَرْقِي السَّمَاتِ مَرِحُ الْأَعْطَافِ، حَلُو اللَّفْتَاتِ
كُلَّمَا قَلْتُ لَهُ: خُذْ. قَالَ: هَاتِ يَا حَبِيبَ الرُّوحِ، يَا أُنْسَ الْحَيَاةِ
أَنَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الْأَوْهَامِ عُمْرَهُ
نَسِيَ التَّارِيخَ أَوْ أُنْسِيَ نَذْرَهُ
غَيْرَ يَوْمٍ لَمْ يَعُدْ يَذْكُرُ غَيْرَهُ
يَوْمَ أَنْ قَابَلْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

قَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ وَأَصْغَى، وَرَنَا قَلْتُ: مِنْ مِصْرَ، غَرِيبٌ هَا هُنَا
قَالَ: إِنْ كُنْتَ غَرِيبًا فَأَنَا لَمْ تَكُنْ فِينِيسِيَا لِي مَوْطِنًا
أَيْنَ مِنْنِي الْآنَ أَحْلَامُ الْبُحَيْرَةِ
وَسَمَاءٌ كَسَتِ الشَّطْرَانَ نَضْرَهُ
مَنْزَلِي مِنْهَا عَلَى قِمَّةِ صَخْرِهِ
ذَاتَ عَيْنٍ مِنْ مَعِينِ الْمَاءِ تَرَّهُ
أَيْنَ مِنْ فَارَسُوفِيَا تَلِكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

قَلْتُ، وَالنَّشْوَةُ تَسْرِي فِي لِسَانِي: هَاجَتِ الذِّكْرَى، فَأَيْنَ الْهَرَمَانِ؟
أَيْنَ وَادِي السَّحْرِ صَدَّاحُ الْمَغَانِي؟ أَيْنَ مَاءُ النَّيْلِ؟ أَيْنَ الضَّقَّتَانِ؟
أَهْ لَوْ كُنْتَ مَعِي نَخْتَالُ عَبْرَهُ
بِشْرَاعٍ تَسْبِحُ الْأَنْجَمُ إِثْرَهُ
حَيْثُ يَرُوي الْمَوْجُ فِي أَرْخَمِ نَبْرَهُ
حُلْمٌ لَيْلٍ مِنْ لِيَالِي كَلْيُوبِتْرَهُ
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

أغنية الجنْدُولِ في كرنفال فينسيا

* * *

أَيُّهَا الْمَلَّاحُ، قِفْ بَيْنَ الْجَسُورِ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَحْلَامِ الدَّهْورِ
صَفَّقِ الْمَوْجُ لَوْلِدَانِ وَحُورِ يُغْرَقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نُورِ
مَا تَرَى الْأَغْيَدَ وَضَاءَ الْأَسْرَهُ؟
دَقِّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرَهُ
لِمُحِبِّ لَفٍّ بِالسَّاعِدِ خَصْرَهُ؟
لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلِعُ فَجْرَهُ!
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي؟ يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ

* * *

رَقَصَ الْجُنْدُولُ كَالنَّجْمِ الْوَضِيِّ فَاشْدُ، يَا مَلَّاحُ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ
وَتَرَنَّمْ بِالنَّشِيدِ الْوِثْنِيِّ هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلْمُ الْعَبْقَرِيِّ
شَاعَتِ الْفَرِحَةُ فِيهَا وَالْمَسْرَهُ
وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سَرَهُ
يَمْنَةً مَلُ بِي، عَلَى الْمَاءِ، وَيَسْرَهُ
إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سَحْرَهُ

* * *

أَيْنَ، يَا فِينِيسِيَا، تِلْكَ الْمَجَالِي؟ أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَّارِ اللَّيَالِي؟
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي أَطْيَافُ الْجَمَالِ؟ مَوْكِبُ الْغَيْدِ وَعَيْدُ الْكَرْنِفَالِ؟
يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ، يَا حُلْمَ الْخِيَالِ!!

القمرُ العاشقُ

إلى ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة في ليالي الصيف القمرية.

إذا ما طافَ بالشُّرفةِ ضوءُ القمرِ المَضْنَى
ورفَّ عليكِ مثلَ الحُلِّ مِ أَوْ إِشْرَاقَةِ المَعْنَى
وأنتِ، على فراشِ الطُّهْرِ رِ، كَالزَّنْبَقَةِ الوَسْنَى
فضمِّي جسمَكَ العاري وصوني ذلك الحُسْنَى

* * *

أغارُ عليكِ من سابِ كأنَّ لضوئِهِ لَحْنًا
تدقُّ له قلوبُ الحوِّ رِ أَشْوَاقًا إِذَا غَنَّى
رفيقُ اللمسِ، عريبيدُ بَكلِّ مَليحَةٍ يُعْنَى
جريءٌ، إنْ دعاه الشو قُ، أَن يَقتَحِمَ الحِصْنَ!

* * *

تحدَّرَ من وراءِ الغيِّ مِ، حينَ رآكَ، واستأنَى
ومسَّ الأرضَ في رفقِ يَشقُّ رِياضها الغنَّأ
عجبتُ له، وما أعجَبُ بُ كَيفَ استَلَمَ الرُّكْنَأ؟
وكيفَ تَسوَّرَ الشُّوكُ؟ وَكَيفَ تَسَلَّقَ الغُصْنَأ؟

* * *

على خديك خمراً صبا بة أفرغها دَنَّا
رحيقٌ من جنَى الفتنة ة لا ينضبُ أو يفنى
وفي نهديك طلّسما ن في حلّهما افتنَّا
إلى كنزهما المعبو د بات يعالجُ الرُدنَّا

* * *

أغارُ، أغارُ إنْ قَبِ لَ هذا الثغَرَ أو ثنَّى
ولفَّ النَّهْدَ في لينٍ وضمَّ الجسدَ اللدَّنَا
فإنَّ لضوئِهِ قلبًا وإنَّ لسحرِهِ جَفنَا
يصيدُ الموجةَ العذرا ء من أغوارها وَهَنَا!

* * *

وكم من ليلةٍ لَمَّا دعاهُ الشوقُ واستدنى
جثا الجبارُ بين يدي ك طفلاً يشتكي الغَبْنَا
أرادَ، فلم يَنلْ ثغراً ورامَ، فلم يصبْ حَضنَا
حَوْتِكِ ذراعهُ رسمًا وأنتِ حويتهِ فَنَّا!

* * *

عصيتِ هواهُ فاستضرى كأنَّ بصدرةِ جَنَّا
مضى بالنظرةِ الرَّعنا ء يطوي السَّهْلَ والحَزنَا
يثيرُ الليلَ أحقادًا وصدَرَ سحابِهِ ضُغْنَا
وعادَ الطفلُ جَبَّارًا يهزُّ صراعهُ الكونَا!

* * *

فَرُدِّي الشرفَةَ الحمرا ء دونَ المخدَعِ الأسنَى
وصوني الحسنَ من ثور ة هذا العاشقِ المُضنى
مخافةً أنْ يظنَّ النَّا سُ في مخدعك الظنَّا
فكم أقلقَتِ من ليلٍ! وكم من قَمَرٍ جُنَّا!

كَأْسُ الْخِيَامِ

هَاتِفُ الْفَجْرِ الَّذِي رَاعَ النُّجُومَ
وَأَطَارَ اللَّيْلَ عَنِ آفَاقِهَا
لَمْ يَزَلْ يُغْرِي بِنَا بِنْتَ الْكُرُومِ
وَيُثِيرُ الْوَجْدَ فِي عَشَاقِهَا

صَيِّدُحُ جُنِّ غَرَامًا بِالسَّحَرِ
أَنْطَقْتَهُ لَهْفَةَ الرُّوحِ الْمَشُوقِ
مَوْثِقُ الْقَلْبِ، وَمِيعَادُ النَّظَرِ
مَهْرَجَانُ النُّورِ فِي عُرسِ الشُّرُوقِ

فَرَحُ الْجَنَّةِ فِي أَلْحَانِهِ
وَصَدَاهُ فِي السَّحَابِ الْعَابِرِ
أَرْسَلَ السَّحَرِ عَلَى أَلْوَانِهِ
مَنْ فَمٍ شَادٍ، وَقَلْبٍ شَاعِرِ

يَا لَهُ صَوْتًا مِنَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ

رائع الإيقاع فتنَّان النَّغْمَ
جدَّدَ الأشواقَ باللحن الجديدِ
وهو كالدنيا عَرِيقٌ في القِدَمِ

كم عيونٍ نَفَضَتْ أحلامَها
حين نادى، غيرَ حُلْمٍ واحدٍ
سلسلتُ فيه المُنَى أنغامَها
وهي تشدو بالرحيقِ الخالدِ

كَلِّمًا لَألَّا في الشرقِ السَّنَا
دَقَّتِ البابَ الأَكْفُ الناحِلَه
أَيُّهَا الحَمَّارُ! قم وافتح لَنَا
واسقِنَا، قبل رحيلِ القافِلَه

خَمْرَةَ العشاقِ لا زالت، وَلَا
جَفَّ من ينبوعها نهرُ الحياه
نضبتُ، في قَدَحِ العمرِ، الطَّلَا
وهي في الأرواحِ تستهوي الشُّفَاة!

كم شموِسٍ عَبَّرَتْ هذا الفضاءَ
وألوفٍ من بدورٍ ونبجومٍ
والثرى بين ربيعٍ وشتاءٍ
ضاحك النُّوَّارِ وهَجَّ الكرومِ

كَأْسُ الْحَيَّامِ

كُلُّ عُنُقُودٍ دَمُوعٌ جَمَدَتْ
وَقُلُوبٌ فَزِيَتْ فِيهَا شِعَاعًا
مَا احْتَوَاهَا الْفَجْرُ إِلَّا اتَّقَدَتْ
جَمْرَةً تَذْكُو حَنِينًا وَالتِّيَاعَا

لَوْ أَصَابَتْ رِيشتَيْهَا وَثَبَتْ
بِجَنَاحِينَ مِنَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ
فَاعْذِرِ الْكَأْسَ إِذَا مَا اضْطَرَبَتْ
حَبَبًا يَخْفِقُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ

أَيُّهَا الْخَالِدُ فِي الدُّنْيَا غَرَامَا
أَيْنَ نَيْسَابُورُ، وَالرُّوضُ الْأَنْيَقُ؟
أَيْنَ مَعْشُوقَكَ إِبْرِيْقَا وَجَامَا؟
هَلْ حَطَمْتَ الْكَأْسَ؟ أَمْ جَفَّ الرَّحِيقُ؟

هَذِهِ الْكِرْمَةُ وَالْوَادِي الظَّلِيلُ
مِثْلَمَا كَانَا، وَهَذَا الْبَلْبَلُ
حَاضِرٌ أَشْبَهُ بِالْمَاضِي الْجَمِيلِ
لَوْ يُغْنِيهِ الْمَغْنِي الْأَوَّلُ

الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي كُلِّ الْغُصُونِ
زَهْرَةٌ تَنْدَى، وَنُورٌ يُشْرِقُ
وَالثَّرَى مِنْ نَفْسِ الرُّوحِ الْحَنُونِ
مَهْجَةٌ تَهْفُو، وَقَلْبٌ يَخْفِقُ

كم تشهَّيتَ الحبيبَ المُحسِنَا
لو سقي مَثَوَاكَ بِالكأسِ الصَّبِيبِ
وتمنَّيتَ، وما أحلى المُنَى
خطواتٍ منه، والمثوى قريبٌ

أُتْرَى أعطيتَه سرَّ الخلودِ؟
أم حبوتَ الحسنِ سلطانًا يدومُ
عجبًا، تخطئُ أسرارَ الوجودِ
أيُّها الحاسبُ أعمارَ النجومِ!

شَفَّةُ الكأسِ التي أنطقتَها
لم تدعُ من منطقِ الدنيا جوابًا
حُجْبٌ عن ناظري مَزَقَّتْها
فرأيتُ العيشَ برقًا وسرابًا

ولمستُ الخافقَ الحيَّ المنيَّ
طينةً تبكي بكفِّ الجابلِ
تشتهي الرُّشْفَةَ مما علَّنا
وهي ملأى تحت ثغرِ الناهلِ

نَسِيَ الأَنخَابَ من تهوى وأمسى
مثلما أمسيتَ يستسقي الغمامَا
واشتكتُ رقتَه في الأرضِ يُبْسَا

كَأْسُ الْحَيَّامِ

وغدا الإبريقُ والكأسُ حطامًا

لا، فما زالا، ولا زال الحبيبُ
أيها المفعمُ بالحبِّ الوجودًا
إِنَّ مِنْ عَنَيْتَ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبُ
مَنْحَتُهُ رَبَّةُ الشُّعْرِ الْخُلُودًا

مَرَّ بِي طَيْفُكُمْ ذَاتَ مَسَاءٍ
وَأَنَا مَا بَيْنَ أَحْلَامِي وَكَأْسِي
اسْتَبَدَّتْ بِي أَطْيَافُ الْخَفَاءِ
وَتَغَرَّبْتُ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِي

صَحْتُ بِاللَّيْلِ إِلَى أَنْ أَشْفَقَا
فَلْيَقِفْ نَجْمُكَ ... وَلَيْتِنَا السَّحَرُ
جَدَّدَ الْعِشَاقُ فِيكَ الْمَلْتَقَى
وَحَلَا الْهَمْسُ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرُ

فَادْخَلَا بَيْنَ ضِيَاءٍ وَغَمَامٍ
حَانَةَ الْأَقْدَارِ وَاللَّيْلِ الْقَدِيمِ
مَجْلِسًا يَهْفُو بِهِ رُوحُ الْغَرَامِ
كُلُّ نَجْمٍ فِيهِ سَاقٍ وَنَدِيمٍ

وانهلا من سَلَسَلِ النُّورِ الْمَذَابِ؟
خَمْرَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ عَاصِرِ

ديوان علي محمود طه

قَنَّعَ الصُّوفِيَّ مِنْهَا بِالْحَبَابِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِكَاسِ الشَّاعِرِ

فَارُوا يَا شَاعِرُ عَنْ إِشْرَاقِهَا
إِنَّمَا كَأْسُكَ نَوْرٌ وَصَفَاءُ
كَيْفَ طَالَعَتِ عَلَى أَفَاقِهَا
رُوعَةَ الْغَيْبِ وَأَسْرَارَ السَّمَاءِ؟

كَيْفَ أَبْصَرْتَ الْجَمَالَ الْمَشْرِقَا
بَصَرَ الْفَانِينَ فِي حُبِّ الْإِلَهَاءِ
وَفَتَحْتَ الْأَبَدَ الْمُسْتَعْلِقَا
عَنْ ضَمِيرِ الْكُونِ أَوْ قَلْبِ الْحَيَاةِ؟

أَبْرُوحَانِيَّةَ الشَّرْقِ الْعَرِيقِ
أَمْ بِبُوهَيْمِيَّةِ الْفَنِّ الطَّلِيْقِ
سَبَحَتْ رُوحُكَ فِي الْكُونِ السَّحِيْقِ
حَيْثُ لَا يَسْمَعُ طَافٍ لَغْرِيقِ؟

حَيْثُ أَبْصَرْتَ الَّذِي لَمْ تُبْصِرِ
أَعْيُنٌ مَرَّتْ بِهَذَا الْعَالَمِ
ذَاكَ سَرُّ الشَّاعِرِ الْمُسْتَهْتِرِ
وَقُتُونِ الْفَيْلَسُوفِ الْعَالِمِ

ذَاكَ سَرُّ النَّغْمِ الْمَسْتَرْسَلِ

كَأْسُ الْحَيَّامِ

والصفاءِ السلسلِ المطَّردِ
رُوحُ شادٍ فَنَبَيْتُ فِي الْأَزَلِ
وتحدَّتْ شهوةَ المنتقدِ

صَرَخَتْ أَلَمُهُ فِي كُوبِهِ
فهوى يثأرُ من ألامِهِ
إنما البعثُ الذي تشدُّو بِهِ
يقظةُ المفجوعِ في أحلامِهِ!

إنَّما البعثُ المُرجى للوَرَى
غايةُ الحيِّ التي لا تُحَمَدُ
إنما تَبَعْتُ فِي هَذَا النَّوْرِ
بعضَ ما يُقَطَّفُ أو ما يُحَصَدُ

حَسْبُهَا تَعْزِيَةٌ أَنَا سَنَحِيَا
فِي غَدٍ، مِثْلَ حَيَاةِ الزَّهْرِ
وَسَنَطْوِي الْأَبَدَ الْمَجْهُولَ طَيًّا
جُدَدَ الْأَطْيَافِ شَتَّى الصُّوَرِ

حسبُها تعزية أن نَحْلُمَا
بأناشيدِ الصَّبَاحِ المنتظرِ
ونشقُّ الأَرْضَ عن وَجْهِ السَّمَاءِ
حيث نورُ الشمسِ أو ضوءُ القمرِ

رَبِّمَا جَدَّدَ أَوْ هَاجَ لَنَا
نَبَأً أَوْ قِصَّةً مِنْ حُبِّنَا
نَوْحُ وَرِقَاءَ أَرْنَتُ حَوْلَنَا
أَوْ شَجَى قُبْرَةٍ مَرَّتْ بِنَا

أَوْ خُطَى إِلْفَيْنِ فِي فَجْرِ الصَّبَا
أَتْرَعَا كَأَسِيهِمَا مِنْ ذَوْبِهِ
أَوْ صَدَى رَاعٍ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
صَبَّ فِي النَّايِ أَغَانِي حُبِّهِ

حُلْمٌ مَثَّلْتَهُ فِي خَاطِرِي
فَعَشَقْتُ الْخُلْدَ فِي هَذَا الرُّوَاءِ
أَنْكُرُوهُ فَحَكُّوا عَنْ شَاعِرِ
جُنَّ بِالْخَمْرِ وَأَغْوَتْهُ النِّسَاءُ

وَلَقَدْ قَالُوا: شَذُوذٌ مُغْرِبٌ
وَإِبَاحِيَّةٌ لِأِهِ لَا يُفِيقُ
أَهْ لَوْ يَذْرُونَ مَا يَضْطَرِبُ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مِنَ الْحَزَنِ الْعَمِيقُ

أَوَّلًا يَغْدُو الْخَلِيعَ الْمَاجِنَا
مَنْ رَأَى عُقْبَى الصَّبَاحِ الْبَاسِمِ؟
وَرَأَى الْحَيَّ جَمَادًا سَاكِنَا
بَعْدَ ذِيَّكَ الْحَرَكَ الدَّائِمِ؟

كَأْسُ الْحَيَّامِ

أَوَّلًا يُغْرِبُ فِي نَشْوَتِهِ
شَارِبُ الْغُصَّةِ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ؟
أَوَّلًا يُمَعِنُ فِي شَهْوَتِهِ
مُسْلِمُ الْجَسْمِ إِلَى الدَّوْدِ الْحَقِيرِ؟

قِصَّةُ الزُّهْدِ الَّتِي غَنَّوْا لَهَا
عَلَّلْتَهُمْ بِالسَّرَابِ الْخَادِعِ
نَشْوَةُ الشَّاعِرِ، مَا أَجْمَلَهَا!
هِيَ مِفْتَاحُ الْخُلُودِ الضَّائِعِ!!

لَوْ أَصَابُوا حِكْمَةً مَا اتَّهَمُوا
وَبَكَّى لِأَحْيِكَ وَالْمُسْتَهْجِنُ
فَهُوَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لَوْ عَلِمُوا
عَبَثُ مُرٍّ، وَلَهُوَ مُحْزِنٌ!!

مَصْرَعُ الرَّبَّانِ

ذَلَّ الحَديْدُ لها، واستخَذَتِ النَّارُ
عَاتٍ على ضَرَبَاتِ الصَّخْرِ، جَبَّارُ
لم تَحَوِّها سَيْرٌ، أو تَرَوِ أخبَارُ
خَافِي المقاتِلِ، عند الرِّوْعِ فَرَّارُ
عليه عَينَاكَ لم تُنقِذْهُ أَقدَارُ
والغورُ داج، وصدْرُ البحرِ موَّارُ
وكم بها قُتِلَتْ في الروضِ أَزهارُ
لها من المجدِ إعْظَامٌ وإكْبَارُ
كادتُ عليه جبالُ المَوجِ تنهارُ
نَكَرَى من الشَّرَفِ العَالِي وتَذَكَارُ
كما تَلَقَّى جَبِينِ الفاتِحِ العَارُ
لأنشَقُّ بحرُ لها، وارتدَّتْ تَيَّارُ
لها العوالمُ سُمَاعٌ ونُظَّارُ
بذَكَرِه الحَربِ، إن لم يُؤخِذِ النَّارُ

يا قاهرَ الموتِ كَمْ للنفسِ أسرارُ؟
وأشْفَقَ البحرُ منها، وهو طَاغِيَةٌ
حواكِ أحوثَةٌ مُثْلَى، وتَضَحِيَةٌ
رماكَ في جَنَبَاتِ اليَمِّ مُحْتَرِبُ
ترصدتكَ مرامِيهِ ولو وَقَعَتْ
يَدُبُّ في مَسبِحِ الحِيتانِ منسَرِبًا
كدودةِ الأَرْضِ نورُ الشمسِ يَقتُلُها
هوى بكِ الفُلُكُ إِلَّا هامةٌ رُفِعَتْ
واستقبلَ البحرُ صدرًا حينَ لَامَسَهُ
وغيابَ كُلِّ مَشِيدٍ، غَيْرَ قُبْعَةٍ
أَلْقِيَتَها، فتلقَّى المَوجُ مَعْقَدَها
ولو يُرِدُّ زمانُ المعجِزاتِ بها
كأنَّها خُطْبَةٌ راعَتْ مَقاطِعَها
تقولُ: لا كانَ لي رَبٌّ ولا هتفتُ

* * *

ويافعًا يُؤثِرُ الجُلَى ويختارُ
فما تحيِّطُ به في الوهمِ أفكارُ!

يا ابنَ البحارِ وليدًا في مسابِحَها
ما عالمُ الماءِ؟ يا رَبَّانُ، صِفْهُ لَنَا

وراحة؟ أم فُجاءت وأخطار؟
 على أهازيخٍ غَنَاهُنَّ إعصارُ
 وأسدلت من خدور الشهبِ أستارُ
 كما رنا نازحٍ لاحت له الدارُ
 من ذرورة الليل أنواءً وأمطارُ
 كم في لياليه للعشاقِ أسمارُ
 فالصيفُ خمراً، وألحانُ، وأشعارُ
 وَضَوَّاتٌ من كُوى الظلِّماءِ أنوارُ
 عرائسُ من بناتِ الجنِّ أباكُرُ
 تُجلى بهنَّ عَشِيَّاتٌ وأسحارُ
 البحرُ كهفٌ لها، والدهرُ خمَارُ
 كأنَّ أجراسها في الأذنِ قيثارُ
 ورَتَّحَتْها من الأشواقِ أسفارُ
 والنَّوءُ مصطرعٌ والموجُ هَدَّارُ
 عيناكِ تقرأ، والأمواجُ أسطارُ
 رَفَّتْ عليه من المَرَّجانِ أشجارُ
 جنباً لجنبٍ، فلا ذلٌّ ولا عار!!

وما حياةُ الفتى فيه؟ أتسليَّةُ
 إذا السفينةُ في أمواجهِ رَقَصَتْ
 وأشجيتِ السُّحبَ موسيقاهُ، فاعتنقتُ
 وأنتِ ترنو وراءَ الأفقِ مبتسماً
 غرقانَ في حُلْمٍ عَذْبٍ تُسلسلُهُ
 يا عاشقَ البحرِ، حَدِّثْ عن مفاتيهِ
 ما ليلةُ الصيفِ فيه؟ ما روايتها؟
 إذا النسائمُ من آفاقِهِ انحدرتُ
 وأقبلتُ عارياتٍ من غلائلها
 شُغِلَ الربابنةُ السارينَ من قَدَمِ
 يُترَعْنَ كأسك من خميرِ مُعْتَقَةٍ
 وأنتِ عنهنَّ مشغولٌ بجاريةٍ
 صوتُ الحبيبةِ قد فاضتُ خوالجها
 وا لَهْفَ قلبك لما اندكَّ شامخُها
 بُوغتَ بالقدرِ المكتوبِ فانسرحتُ
 نزلتما البحرَ قبراً، حين ضمكما
 نام الحبيبانِ في مثواهٍ وأنَّسدا

مستقلون وراءَ البحرِ أحرارُ
 تجددتُ لك في الأجيالِ أعمارُ
 خَلَقُ الرجالِ إذا هاجتَهُ أخطارُ
 وما أجنَّتَهُ خُلجانُ وأغوارُ
 للخالدينِ أماثيلُ وآثارُ
 وسرَّتْ فيه على آثارٍ من ساروا
 رخامه الدهرُ، والتَّاريخُ حَفَّارُ

مصارعٌ للفدائيينِ يعشقها
 مَنِيَّةُ كحياةٍ، كلما ذُكرتُ
 هي الفخارُ لشعبٍ من خلائقه
 له البحارُ بما احتازتُ شواطئها
 رواقٌ مجدٍ على جدرانِهِ رُفِعَتْ
 دخلتُ من بابِهِ، واجتزتُ ساحتهُ
 يتيهُ باسمك في أقداسِهِ نُصَّبُ

نَشِيدُ إِفْرِيقِيٍّ

عَوْدَةُ الْمُحَارِبِ

«إلى الذين قدسوا الحياة بحب الموت!»

واتبعي، يا جبالُ، في الأرضِ ظِلِّي
بأناشيدِ مائكِ المُنْهَلِ
زَهْرَاتٍ من عُشْبِكَ المَخْضَلِ
قَدَمًا لم تَطَأْكَ يَوْمًا بَدَلُ
حِثِّ وَأَنْيَابِ كُلِّ أَفْعَى وَصِلِ
دي وَضَجِّي بِكُلِّ حَزْنٍ وَسَهْلِ
لِ وَكُونِي إِلى الأَحَبَّةِ رُسُلِي
ضَوَّاتٍ لِي على مَضَارِبِ أَهْلِي
بأغاني شَبَابِهَا المَسْتَهْلِ
ونداءِ القُرُونِ بعدي وَقَبْلِي
بيدِ تَخْفِضِ الحِظوظِ وتُعْلِي
نارُهَا تُنْضِجُ الصخُورَ وتُبْلِي
قَدْرُ، تَكْتَبُ الحَتوفُ وأُمْلِي
عِدْ على عِفَّةِ صَواحِبِ بَدَلِ

أُرْقُصِي، يا نجومُ، في الليلِ حولي
واصْدَجِي، يا جنادِلَ النهرِ، تَحْتِي
وارفعي، يا رَبِّا، إِلَيَّ وَأَدْنِي
ضَمِّجِي من عبيرها وَندَاهَا
هَزَأَتْ بالجراحِ من مِخْلَبِ اللِي
واحملي يا رياحُ، صوتي إِلى الوا
وانسِمي، بالغرامِ، يا نَسْمَةَ اللِي
إِنَّ فِي حومةِ القَبِيلَةِ نارًا
رَقِصَتْ حولها الصبايا وَغَنَّتْ
صوتُ إِفْرِيقِيا ووحْيُ صباها
باسمِها الخالدِ امتَشَقْتُ حُسَامِي
وشربتُ الحَمِيمَ من كُلِّ شَمْسِ
وقهرتُ الحِياةَ حَتى كَأَنِّي
يا عَدَازِي القَبِيلِ أَنْتَنَ لِلْمَجِ

حسبُ رُوحِي الظامِي وحسبُ جِراحِي
وابتساماتِكُنَّ فوقَ شفاهِ
حينَ ألقىَ زوجِي على بابِ كوخِي
وأنامُ الليلَ القصيرَ لأجلُو
رَشْفَةً من عيونِكُنَّ النُّجُلِ
بمعاني الحياةِ كم أومأتُ لي
وأناغِي على ذراعِي طفلي
صارمي في سَنَا الصبَاحِ المُطَلِّ

حُلْمُ لَيْلَةٍ

إِذَا ارْتَقَى الْبَدْرُ صَفْحَةَ النَّهْرِ
وَضَمَّنَا فِيهِ زورِقُ يَجْرِي
وَدَاعِبَتْ نَسْمَةً مِنَ الْعَطْرِ
عَلَى مُحْيَاكِ خِضْلَةِ الشَّعْرِ
حَسَوْتُهَا قَبْلَةً مِنَ الْجَمْرِ
جُنَّ جُنُونِي لَهَا وَمَا أَذْرِي
أَيَّ مَعَانِي الْفِتُونِ وَالسُّحْرِ
ثَغْرُكَ أَوْحَى بِهَا إِلَى ثَغْرِي!
حُلْمٌ مَسَاءٍ أَتَاحَهُ دَهْرِي
غَرَّدَ فِيهِ الْحَبِيبُ فِي صَدْرِي

* * *

فَنَوَّلِينِي فَلَيْسَ فِي الْعَمْرِ
سِوَى لِيَالِ الْغَرَامِ وَالشَّعْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ النَّذِيرَ فِي الْإِثْرِ
تَطَلَّقَ كَفَّاهُ طَائِرَ الْفَجْرِ
فَقَرَّبِي الْكَأْسَ، وَاسْكُبِي خَمْرِي!

إِلَى رَاقِصَةٍ

ويتركُ كلَّ فتى شاعراً
لَقِيْتُ بِهَا الْقَدْرُضَ السَّاحِرَا
وناديتُ ماضيَّ والحاضرَا
أَحْيِيَّ الخَمِيلَةَ والطَائِرَا
فقلتُ: أَرَى حُلُمًا عَابِرَا
أهيمُ بأرجائها حائِرَا
وبتُّ لكَرْمَتِهَا عاصِرَا
يَدَا بَرَّةٍ وفَمَا طَاهِرَا
أَجَدْتُ لِي المَرَحَ الغَابِرَا
وأحيتُ لشعري به سامرَا
وكنتُ لها الوَافِي الذَاكِرَا
وَخَلَّتُهُ محتدِمًا ثَائِرَا
وعَلَّقَ بالناظِرِ الناظِرَا
ولفَّ بها خصرِكَ الضَامِرَا
وعادَ بِكَرَّتِهِ حاسِرَا
على قدميكِ الصَّدَى السَاجِرَا
أرى الفنَّ أم روحَه القَاهِرَا؟
ومثَّلَ فيكَ الصَّبَا الناضِرَا!!!

بعينيكِ ما يُلهمُ الخاطرا
فيا فتنَةً من وراءِ البحارِ
دَعَتْنِي، فَجَمَعْتُ قلبي لها
وأقبلتُ في موكبِ الذكرياتِ
وساءلني القلبُ، ماذا ترى؟
أرى جَنَّةً، وأراني بها
ملأتُ بتفاحِها راحتيَّ
وَذُقْتُ الحَنَانَ بها والرِّضَا
فيا ليلةً لم تَكُنْ في الخيالِ
أفَاءتُ على النيلِ سحرَ الحياةِ
نَسِيتُ لِياليَّ من قبلِها
سَلِي من أثارتُ بقلبي الفتونَ
بربِّكَ! من أَلَفَ الأصغرَيْنِ
إذا أطلقَ الضوءُ أطيافَه
وطوَّقَ نَحْرَكَ لَحْظَ العيونِ
وَوَقَّعتُ من خَفَقَاتِ القلوبِ
وَحَدَّثتُ كُلَّ فتى نَفْسَهُ:
تمثَّلَتِه طيفُ إنسانَةٍ

فِي الشِّتَاءِ

رُبَّ ذَكَرِي تَعِيدُ لِي طَرِبِي
كَيْفَ هَذَا الْحَيَاءُ لَمْ يَذِبِ
ثَائِرٍ فِي الضُّلُوعِ مُضْطَرِبِ
ثَابٍ مِنْ ثَوْرَةٍ وَمِنْ صَحْبِ
خَصَلَاتٍ مِنْ شَعْرِكَ الذَّهْبِيِّ
مُورِدِي مِنْكَ مَوْرِدَ الْعَطْبِ
تَحْفَلِي إِنْ هَمَمْتِ بِالْكَذِبِ
لِلتَّمَنِّي حَنِينٌ مُغْتَرِبِ
أَسْفِي نَافِعٌ وَلَا عَجَبِي
أَنْ أَطَلَّ الشِّتَاءُ بِالسُّحْبِ
ضِفَّةً سُنْدُسِيَّةَ الْعُشْبِ
وَحْفُوقَ الشَّرَاعِ عَنِ كَثْبِ
سَالَ فَوْقَ الرَّمَالِ كَاللَّهَبِ
غَادَةٌ مِنْ مَضَارِبِ الْعَرَبِ

ذَكَّرِينِي فَقَدْ نَسَيْتُ، وَيَا
وَارْفَعِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ أَرَى
وَاسْنَدِي رَأْسِكَ الصَّغِيرَ إِلَى
ذَلِكَ الطِّفْلِ، هَدِّدِيهِ فَمَا
وَإْمْنِحِي عَيْنِي النُّعَاسَ عَلَى
ظَمِّي قَاتِلِي، فَمَا حَذَّرِي
تَزْثَرِي، وَاصْنَعِي الدَّمُوعَ وَلَا
بِي نَزُوعٌ إِلَى الْخِيَالِ وَبِي
وَإِعْجَبِي مِنْكَ، إِنْ نَسَيْتِ، وَمَا
لَمْ أَزَلْ أَرْقُبُ السَّمَاءَ إِلَى
مَوْعِدِنَا كَانَ فِي أَصَائِلِهِ
نَرَقِبُ النِّيْلَ تَحْتَ زُورِقِنَا
وِظِلَالَ النِّخِيلِ فِي شَفَقِ
كَأَسْنَا مَتَرَعٌ وَوَلِيْلَتُنَا

* * *

نظراتِ الغريبِ، واقتربي!
فيهما رُوحُ ذلك الحَبَبِ

ويك! لا تنظري إلى قَدَحِي
شفتاكِ النَّدِيَّتَانِ بِهِ

ديوان علي محمود طه

شَهْدَ الْمُنْتَشِي بِخمرهما أَنَّ هذا الرحيقَ من عِنْبِي!!

هي

«إلى التي علّمتني كيف أحب وكيف أكره.»

هي الكأس مشرقة في يديك،
نظرت إليها وباعدتها
أما نقتها قبل هذا المساء
حلا طعمها يوم كنت الخلي،
سقيت بها من يدٍ لم تكن
سوى الريح تنفخ في جمرها
فماذا أراك في خمرها؟
كأنّ المنية في قطرها
وعربدت نشوان من سكرها؟
وكل الصباية في مرها
سوى الريح تنفخ في جمرها

* * *

تلّفت! فهذا خيالٌ التي
وغرقتُها لم تزل مثلما
وقفت بها ساهماً مطرقاً
مكانك فيها كما كان أمس،
وآثارٌ دمعك فوق الوساد،
فهل نُقت حقاً صفاء الحياة،
إذا فتّح الباب تحت الظلام
وكيف طوى حصرها ساعدك
وما هذه؟ رعشة في يديك؟
وما في جبينك، يا ابن الخيال؟
مرحت وغرّدت في وكرها
تنسّمت حُبك من عطرها
يحدّثك الليل عن سرها
وذلك مثواك في خدرها
وفوق المهذل من سترها
وذوب السعادة في ثغرها؟
فكيف ارتماؤك في صدرها؟
ومرت يدك على شعرها؟
أم الكأس ترجف من زكرها؟
سماتٌ تحدّث عن غدّرها!!

* * *

لقد دنَّسَ الجَسَدُ الأَدْمِيَّ حياةً حَرَصْتَ على طُهْرِهَا
بكى الفَنُّ فيكَ على شاعرٍ تسائلُهُ الرُوحُ عن نَأْرِهَا
نزلتَ بها وَهْدَةً كم خَباً شُعاعٌ وَغُيِّبَ في قَبْرِهَا
رفعتَ تماثيلَكَ الرائعاتِ وَحَطَّمْتَهُنَّ على صَخْرِهَا

* * *

فَدَعْ زهرةَ الأَرْضِ يا ابنَ السماءِ، فأنتَ المَبْرَأُ من شَرِّهَا
مراحُكَ في السُّحُبِ العالِياتِ وفوقَ المَنَوَّرِ من زُهرِهَا
فَمَدَّ جَنَاحَيْكَ فوقَ الحياةِ، وأطْلُقَ نَشِيدَكَ في فَجْرِهَا

بُحَيْرَةُ كُومُو

هَيَّيْ الكَأْسَ وَالوَتْرَ
وَاصدحي، يا خواطري
وَدَنْتَ جَنَّةَ المُنَى
قد بُعِثْنَا بها على
في مساءٍ كَأَنَّهُ
البحيراتُ والجبأ
وَتَنَقَّبْنَ بالغما
«والبروناتُ» عادةٌ
نُثِرَتْ فَوْقها الـديأ
وَعَبْرْنَا رِحابَها
هاكُها قُبْلَةً، فَمَنْ
فسمونا لخدِرَها
في زجاجِ مُحَلِقِ
يَتَخَطَّى بنا الفضا
سَلَّمَ يُشِبُّهُ الصِّرا
فإلى النجمِ مُرْتَقَى
وحللنا بِقِمَّةِ
بَهَجٍ في كنوزِها

تلك «كومو» مَدَى النَّظْرُ
طُوِيَتْ شُقَّةُ السَّفَرِ
وَحَلًّا عندها المَقَرُ
موعد غيرِ مُنْتَظَرِ
حُلْمُ الشَّيْخِ بالصُّغَرِ
لُ تَوْشَحْنَ بالشَّجَرِ
م وأسفرنَ بالقمرِ
لَبَسَتْ حُلَّةَ السَّهَرِ
رُ كما يُنْتَرُ الزَّهَرُ
فأشارتُ لمن عَبَرِ
رامَ فليركبِ الخَطَرِ
زُمرًا تَلُوها زُمرُ
لا دخانٌ ولا شَرَرُ
ء على السُّنْدِسِ النَّضِرِ
طَ تسامى على البَصَرِ
وإلى السُّحْبِ مَنْحَدِرِ
دونها قِمَّةُ الفِكرِ
للمحَبِّينَ مُدْخَرِ

بابل؟ أم بحيرة؟	أم قصور من الدرر؟
أم روى الخلد في الحيا	ة تَمَثَّلْنَ لِلْبَشَرِ؟
حبذا أمسياتها	وحنينا إلى البكر
ونزوعا إلى السفين	تَهَيَّأْنَ لِلسَّفَرِ
نسيت شغلها القلوب	وهلن للسمر
أوجه مثلما رنت	زهرة الصيف للمطر
أضحيانية السمات	هلالية الطرز
يتوهجن بالشبا	ب ويندين بالخفر
طلعة تسعد الشقي	وتعطي له العمر
تمنح الحظ من تشا	ء وتبقي، ولا تذر
إنما تنظر السما	ء إلى هذه الصور
لترى الله خالقا	مبدعا، معجز الأثر

شاعر النيل طف بها	عنها كل مبتكر
الثلاثون قد ممت	في التفاهات والهدر
فتزودد من النعي	م لأيامك الأخر
أين وادي النخيل، أم	قاهرياته الغرر؟
لا تقل: أخصب الثرى	فهنا أورق الحجر!!
ها هنا يشعر الجما	د ويوجي لمن شعر!!
آه لولا أحبة	نزلوا شاطئ النهر
ورفات مطهر	وكريم من السير
لتمنيت شرفه	لي في هذه الحجر
أقطع العمر عندها	غير وإن عن النظر
فلقد فاز من رأى	ولقد عاش من ظفر

يا ابنة العالم الجدي	د صلي عالما غبر
----------------------	-----------------

نَفْحَةُ الْبَدْوِ وَالْحَضْرُ	فِي دَمِي مِنْ تَرَاتِيهِ
وَمَعَانٍ لِمَنْ فَخَرُ	وَأَغَانٍ لِمَنْ شَدَا
إِنَّ فِي عَيْنِكَ الْخَبْرُ	مَا تُسْرِينَ؟ أَفْصِحِي!
لَيْسَ يُجْدِيهِمَا الْحَذْرُ	الْغَرِيبَانِ هَاهُنَا
نِ وَجِسْمَانِ مِنْ سَقْرُ	نَحْنُ رُوحَانِ عَاصِفَا
وَاعْذِرِي الْجِسْمَ إِنْ تَأْرُ!	فَاعْذِرِي الرُّوحَ إِنْ طَغَى
وَهَوَى الْكَاسِ وَانكَسْرُ	نَضَبَتْ حَمْرُ بَابِلِ
يَ فَطَوْبِي لِمَنْ عَصْرُ	وَهُنَا كَرْمَةُ الْخَلْوِ
يَشْتَكِي الظَّامِيُّ الصَّدْرُ؟	فِيمَ، وَالنَّبْعُ دَافِقُ،
نُ تَغْمَرُنَ بِالْحَوْرُ؟	وَلِمَنْ هَذِهِ الْعِيُو
لَعَبِ الْطِفْلِ بِالْأَكْرُ	بَتْنٍ يَلْعَبْنَ بِالنُّهَى
عِ وَأَخْفَى مِنَ الْقَدْرُ	هَنَّ أَصْفَى مِنَ الشُّعَا
وَتَبَّةُ الطَّيْرِ فِي السَّحْرُ؟	وَلِمَنْ تَوْشِكُ التُّدَى
هَمَّ بِالصَّدْرِ وَابْتَدْرُ	كُلِّ إِلْفٍ لِإِلْفِهِ
وَطَاةُ الْخَزِّ وَالْوَبْرُ	عَضَّ فِي الثَّوْبِ وَاشْتَكَى
بِ فِي قَيْدِهِ نَقْرُ	سِمَةَ الطَّائِرِ الْمَعْدُ
سُمُّ وَاسْتَرْسَلَ الشَّعْرُ؟	وَلِمَنْ رَفَّتِ الْمَبَا
كَيْفَ لَا نَقْطُفُ الثَّمْرُ	ثَمْرُ نَاضِجُ الْجَنَى
أَوْ غَوَى فِيهِ أَوْ عَثْرُ!	مَا أَبِي الْخَلْدَ آدَمُ
وَتُرِي اللَّهَ مِنْ كَفْرُ!	زَلَّةُ تَوَرَّثُ الْحَجَى
مُصَفَّى مِنَ الْكَدْرُ	كَأَسْنَا ضَاحِكُ الْحَبَابِ،

* * *

هـِ عَلَى رَنَّةِ الْوَتْرِ	فَاسْكُبِي الْحَمْرَ وَارْشَفِي
هـِ عَلَى نَعْمَةِ الْمَطْرِ	وَإِذَا شَتَّتِ فَاسْقِنِي
بُ وَتَبْقَى لَنَا الذُّكْرُ!	فَعَدَا يَذْهَبُ الشَّبَا

أَفْرَاحُ الْوَادِي

عيدُ التَّوْبِيعِ

هل طافَ بالصَّحْرَاءِ مِنْهُمْ مُلْهَمٌ؟
وَجَلَا النُّبُوءَةَ بَرَقُهَا الْمَتَكَلِّمُ؟
وتقابلت أنظارهم فتبسَّموا
ببشائر الغيبِ المحجَّبِ أَعْلَمُ
نَبَأٌ تَقَرُّ بِهِ الشُّعُوبُ وَتَنْعَمُ
أَثَرٌ مِنَ الْوَحْيِ الْقَدِيمِ وَمَعْلَمُ
فَدْلِيلُكُمْ قَبَسُ الْخُلُودِ الْمُضْرَمِ
وَالصَّوْلَجَانُ، وَتَاجُهَا الْمَتَوَسِّمُ
نُورٌ عَلَى إِصْبَاحِهَا مُتَقَدِّمُ
وَجْهٌ تَبَارَكُهُ السَّمَاءُ وَتَرَامُ
مَلَكٌ يُفَكِّرُ أَوْ نَبِيٌّ يُلْهَمُ
أَنْفَاسَ رَوْضِ الْعَشِيَّةِ يَنْسَمُ
وَالنَّهْرُ، وَالْجِبَلُ الْعَرِيضُ الْأَيْهَمُ
فِيهِ شَبَابٌ مَلُوكَهَا يَتَبَسَّمُ
وَتَلَفَّتْ أُمَّمٌ وَدَارَتْ أَنْجُمُ

ما بالرُّعَاةِ! أَثَارِهِمْ فَتَرَنَّمُوا؟
أَمْ ضَوَّاتُ سَيْنَاءٍ فِي عَسَقِ الدُّجَى
نَظَرُوا خِلَالَ سَمَايْهَا وَتَأَمَّلُوا
إِيَّهِ فَلِاسْفَةَ الزَّمَانِ فَأَنْتُمْ
هَذَا النُّشِيدُ الْأَسْيَوِيَّ مَعَادُهُ
وَطَرِيقُكُمْ مِصْرُ، وَإِنَّ طَرِيقَهَا
أَلَّا يَكُونَ الْفَجْرُ هَدْيَ خُطَاكُمْ
هُوَ سَحْرُ مِصْرَ، وَعَرْشُهَا، وَلِوَاوُهَا
وَجَبِينُ صَاحِبِهَا الْعَزِيزِ وَإِنَّهُ
أَوْفَى عَلَى الْوَادِي بِضَاحِكِ ثَغْرِهِ
مُسْتَرْسَلُ النَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّهَا الْأَمَالُ عَبَّرَ طَرِيقَهُ
يَتَنظَّرُ الْحَقْلُ الْمُنُورُ خَطْوَهُ
فَكَأَنَّ رُوحًا عَائِدًا مِنْ «طَيْبِيَّةِ»
هَتَفَ الْبَشِيرُ بِهِ فَمَا جَتَّ أَعْصَرُ

مِصْرُ، وَهَذَا حُبُّهَا الْمَتَجَسِّمُ
لِمَنْ النَّسُورُ عَلَى السَّحَابِ تَحَوُّمُ
أَوْمَتْ عَصَا مُوسَى فَشَقَّ الْعَيْلَمُ
كَأْسُ تَصَفَّقُ أَوْ رَحِيقُ يُسَجِّمُ
شَيْخٌ يُذَكِّرُ بِالشَّبَابِ وَيَحْلُمُ
أَشَجَى مِنَ الْوَتْرِ الْحَنُونِ وَأَرْحَمُ
تَغْزُو بِوَارِقِهَا النُّجُومُ وَتَزْحَمُ
وَلِمَنْ شَفَاهُ بِالْإِعْدَاءِ تَتَمَّتِمُ
فَالْيَوْمَ قَدْ وَضَحَ الْحَنِينُ الْمُبْتَهَمُ
خَمْرًا أَعْلَى بِهَا وَلَا أَتَأْتَمُ
إِنِّي إِذَنْ غَرِيدُكَ الْمَتَرْنَمُ
جَيْدُ الْبَحَارِ بِمِثْلِهَا وَالْمَعْصَمُ
رَكْبُ لِفَارُوقِ الْعَظِيمِ وَمَقْدِيمُ
قَدْ عَادَ قَيْصَرُكَ الرَّشِيدُ الْمُسْلِمُ
وَصَفٌّ وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهُ تَوْهَمُ
لِلشَّرْقِ عَيْدٌ وَالْكَنَانَةُ مَوْسَمُ
يُصْغِي إِلَيْهِ وَيَشْرَبُ الْمِرْقَمُ
لِشَّبَابِ شَعْبِ خَالِدٍ لَا يَهْرَمُ
وَيَسُودُ بِاسْمِكَ فِي الْحَيَاةِ وَيَحْكُمُ
إِنَّ الشَّبَابَ تَوْتُبُ وَتَقْحُمُ
مِنْهُ مَضَاءٌ كَالْحَسَامِ مُصَمَّمُ
«شَمْشُونَ» فِي جَلْقِ الْحَدِيدِ يَحْطُمُ
أُمٌّ وَرَاءَ تَخْوِمِهِ تَتَأَجَّمُ
تَبْنِي الْمَوَاهِبُ، وَالْخَلَائِقُ تَدْعَمُ
وَيُثِيرُ مَرَّتَهُ الْخِيَالَ فَيَعْرَمُ
إِنَّ الْخِيَالَ إِلَى الْحَقِيقَةِ سَلَّمَ

هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ
لِمَنْ الْبِنُودُ عَلَى الْعُبَابِ خَوَافِقَا
لِمَنْ الْمَوَاكِبُ مَائِجَاتٍ مِثْلَمَا
وَلِمَ الصَّبَاحُ كَأَنَّمَا أُنْدَاؤُهُ
وَلِمَ اخْتِلَاجُ النَّيْلِ فِيهِ كَأَنَّهُ
وَلِمَنْ هَتَافٌ بِالضَّفَافِ مُرْدَدٌ
وَلِمَنْ عَوَاصِمُ مِصْرَ حَالِيَةِ الذُّرَا
وَلِمَ احْتِشَادُ سِرَائِرِي وَخَوَاطِرِي
إِسْكَندَرِيَّةً، قَدْ شَهِدْتَ فَحَدَّثْتِي
هَاتِي اْمَلَّتِي كَأَسِي وَغَنِّي وَاعْصِرِي
إِنْ كُنْتَ أَفَقَ الْمَلْهَمِينَ وَأَيْكَهُمْ
يَا ذُرَّةَ الْبَحْرِ الَّتِي لَمْ يَتَّسِمُ
جَدَّدْتَ أَعْرَاسَ الزَّمَانِ وَزَانَهَا
مَا عَادَ جِبَارُ الشُّعُوبِ وَإِنَّمَا
فِي مَهْرَجَانٍ لَمْ يُحِطْ بِجَلَالِهِ
يَوْمَ الشَّبَابِ وَلَا مِرَاءً وَإِنَّهُ
قَدْ فَتَّحَ التَّارِيخُ فِيهِ كِتَابَهُ
مَوْلَايَ، أَمَلٍ عَلَيْهِ أَوَّلَ آيَةٍ
هُوَ مِنْ شَبَابِكَ يَسْتَمِدُّ رَجَاءَهُ
فَابْعَثْهُ جَيْلًا وَاثْبًا مَتَقَحَّمًا
هَذَا الْفَتَى الْأُمُويَّ تَحْتَ إِهَابِهِ
فَمَشَى يَطُوحُ بِالْعُرُوشِ كَأَنَّهُ
دُونَ الثَّلَاثِينَ اسْتُثِيرَ فَأَجْفَلْتُ
وَالْمَجْدُ مَوْهَبَةٌ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا
وَيَضِيقُ بِالشَّعْبِ الطَّمُوحِ يَقِينُهُ
قَوْتُ الشُّعُوبِ وَرِيئَهَا أَحْلَامُهَا

كَالْحَقِّ مَعْقِدُهُ هُدًى وَتَبَسُّمٌ
 كَنُزٍّ وَلَمْ يَحِرْزْ حُلَاهُ مِنْجَمٌ
 عَرْشٌ أَعَزُّ مِنَ الْجِبَالِ وَأَضْحَمٌ
 طَافَ الرَّحِيقُ الْبَابِلِيَّ عَلَيْهِمْ
 أَمَلٌ يَجِلُّ عَنِ الْهَتَافِ وَيَعْظُمُ
 بَكَ بَعْدَ رَبِّكَ فِي الْعِظَائِمِ يُقَسِّمُ
 لَجْدُودِكَ الصِّيدِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
 مُهَجِّجٌ يَكَادُ خَفُوقَهَا يَتَكَلَّمُ
 لَحْنٌ عَلَى أَوْتَارِهَا يَنْغَمُ
 وَتَنْصَتُ الْعِصْفُورُ وَهُوَ يُهَيِّنُ
 تَأْوِيلُ «يُوسُفَ» فَهِيَ خُضْرٌ تَنْجُمُ
 زِدْ رُوعَتِي مِمَّا يَهْزُ وَيُنْفَعُ
 شَعْبٌ لَغَيْرِ خُطَاكَ لَا يَتَرَسَّمُ
 فِي الدَّهْرِ عُرُوتِهِ الَّتِي لَا تُفْصَمُ

يَا عَاقِدَ التَّاجِ الْوُضِيِّ بِمَفْرَقِ
 أَعْظَمُ بِتَاجِكَ جَوْهَرًا لَمْ يَحْوِهِ
 مِيرَاثُ أَوْلِ مَالِكِينَ سَمَا بِهِمْ
 نُوَابُ شَعْبِكَ حِينَمَا طَالَعْتَهُمْ
 هَتَفُوا بِمَجْدِكَ وَاسْتَخَفَّ وَقَارَهُمْ
 أَقْسَمْتَ بِالْأَسْتُورِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
 بَرًّا بِوَالِدِكَ الْعَظِيمِ وَذِمَّةً
 وَتَطَلَّعْتَ عَبْرَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
 تُصْغِي لَصَوْتِكَ فِي السَّحَابِ وَرَجْعُهُ
 خَشَعَتْ لَهُ النَّسَمَاتُ وَهِيَ هَوَازِجُ
 وَصَعَتْ سَنَابِلُ مِثْلَمَا أَوْحَى لَهَا
 يَا صَوْتَ مِصْرَ، وَيَا صَدَى أَحْلَامِهَا
 أَلْقَى الْمَقَادَةَ فِي يَدَيْكَ وَدِيْعَةً
 فَتَلَقَّ تَاجَكَ مِنْ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ

وَلِيَعْرِضَ الْجَيْشَ الْكَمِيَّ الْمَعْلَمُ
 سَيْفًا يُقَبِّلُ أَوْ لَوَاءً يُلْتَمُ
 وَضَعُوا السِّيُوفَ عَلَى الصُّدُورِ وَأَقْسَمُوا
 وَكَأَنَّكَ الرَّوْحَ الشَّقِيْقُ التَّوَامُ
 إِنَّ الشُّعُوبَ بِمِثْلِ جَيْشِكَ تُكْرَمُ
 سَيْلٌ إِذَا لَمَعَ الْحَدِيدُ وَقَشَعُمُ
 تَرُوي؟ أَمْ الْبَيْتُ الْعَتِيْقُ وَزَمَزَمُ؟
 السَّيْفُ حَطَّ سَطُورَهَا وَاللَّهْدَمُ؟
 وَالنَّارُ حَوْلَ سَفِينِهِ تَتَهَزَّمُ؟
 لَمْ يَعْلُ «نَافَرِيْنَ» هَذَا الْمِيسَمُ
 بُؤْسَى تَمُرُّ عَلَى الشُّعُوبِ وَأَنْعُمُ
 يَرْمِي سَطَاهَا الْمُسْتَخَفَّ فَيُحْجَمُ

فَلِيَهْنَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ بَعِيدِهِ
 مَوْلَايَ، جَنْدِكَ مَاتِلُونَ فَأَوْلَهُمْ
 لَمَّا رَأَوْكَ عَلَى جَوَادِكَ قَائِمًا
 وَكَأَنَّ «إِبْرَاهِيْمَ» طَيْفُكَ مَائِلًا
 يَا قَائِدَ الْجَيْشِ الْمَظْفَرِ تَهْ بِهِ
 الْأَرْضُ تَعْرِفُهُ وَتَشْهَدُ أَنَّهُ
 طُورُوسٌ أَمْ عِكَاءٌ عَنِ أَمْجَادِهِ
 أَمْ حَوْمَةُ السُّودَانِ، وَهِيَ صَحِيْفَةٌ
 أَمْ «مُورَةُ» الشَّمَاءِ يَوْمَ أَبَاحَهَا
 لَوْلَا قِرَاصِنَةٌ عَلَيْهِ تَأْمَرُوا
 فَاعْفِرْ لِمَا صَنَعَ الزَّمَانُ، فَإِنَّهَا
 وَانْفِخْ بِهِ مِنْ بَاسِ رُوحِكَ سَوْرَةً

فالفرقُ من نُبْلِ النفوسِ ورُبِّمَا
إِنَّا لفي زمنٍ حديثُ دُعَاتِهِ
ووراءَ كلِّ سحَابَةٍ في أفقِهِ
يُلحَى النبيلُ بفعلِهِ ويُدَمَّمُ
نُسُكُ، ولكنَّ السِّيَاسَةَ تَأْتُمُ
جيشُ من المتأهِّبينَ عَرَمَرَمُ

* * *

قالوا: فتَى عَشِقَ الطَّبِيعَةَ واغْتَدَى
وطوى البحارَ على شراعِ خيَالِهِ
أنا من زعمتم، غيرَ أَنِّي شَاعِرُ
إِنِّي بنيتُ على القديمِ جديدهُ
الشعرُ عندي نشوَةٌ علويَّةٌ
ولحونٌ سَلْمٍ أو ملاحِمُ غَارَةٍ
أرسلتهُ يومَ النداءِ فخلتُهُ
ودعاهُ عرشُك، فاستهلَّ خواطرًا
ورفعتُ رأسي للسماءِ وخلتُني
فاقبلُ نشيدي إنَّ عطفَتَ فإنَّه
وسَلِمْتَ يا مولاي للوطنِ الذي
بغرائبِ الأشعارِ وهو متيَّمُ
يرتادُ عاليَةَ الذُّرَا ويؤمُّمُ
أرضى البيانَ بما يصوغُ ويرسُمُ
ورفعتُ من بنيانه ما هدموا
وشعاعُ كأسٍ لم يُقبَلْها فَمُ
غَنَى الجبالَ بها السحابُ المرزَمُ
نارًا وخلتُ الأرضَ خَضَبَها الدمُ
فأتيتُ عن خَطَرَاتِهِنَّ أترجمُ
أتناولُ النجمَ البعيدَ وأنظِمُ
صوتُ الشبابِ، وروحُهُ المتضرمُ
بكَ يستظِلُّ، ويستعِزُّ، ويسلِّمُ!

مهرجان الزفاف

ولك الولاء ولي بعرك موثق
هذا نشيدي في سماك يخفق
مصر، ونور شبابك المتألق
والكون مصغ والشعاع يصفق
ولكل قلب صبوّة وتشوق
يسري عليها للملائك زورق
بالزهر حوريّاته تتمنطق
سيناء من قبس النبوة تشرق
أمل لمصر على يديك يحقق
وجنائها، وشعورها المتدفق
عيد يهنئ مصر فيه المشرق

سحر نطقت به وأنت المنطق
يا أفق إلهامي وحي خواطري
توحي إلي الشعر علويّ السننا
وشوارد هزّ النجوم رويها
في ليلة للنفس فيها هزة
ريا الأديم كلجة مسجورة
غنى بها الشعر الطروب وأقبلت
وشدا الرعاة الملهمون كأنما
هي من طولعك الحسان، وإنه
مصر إذا سئلت فأنت لسانها
فتلق فرحتها بعيدك إنه

* * *

بيضاء تحيي المآثرات وتخلق
عين مفعزة، وغصن مورق
برهان ربك ساطعا يتألق
وتساءلوا بك مجمعين وأحدقوا
لا سحر بعد اليوم، أنت مصدق

مولاي هل لي أن أقبل راحة
مرت على الوادي، فكل شعابه
وجلوتها للناظرين فأبصروا
لو ردّ فرعون وسحر دعائه
لقت عصاك عصيهم فتصايحوا

تسمو بها آمالها وتُحَلِّقُ
تاجُ يُجَمِّلُهُ بنورِكَ مفرِقُ
وأَجْلُهُنَّ دَمُ الشَّبَابِ المُهْرَقُ
قلبي الطروبُ وجَفَنِي المَغْرُورِقُ
خِلْتُ الفِضَاءَ الرَّحْبَ فِيهِ يَغْرُقُ
حُرَّاسُ مِصْرَ الباسِلُونَ السُّبِقُ
يَحْدُوهُ مِنْ آمَالِ مِصْرٍ فَيَلْقُ
مُهْجًا يَحِوْطُكَ حُبُّهَا وَيُطَوِّقُ
وسَيُوفُهُمْ مِنْ لَهْفَةٍ تَتَحَرِّقُ
حتى تَكَادَ بِغَيْرِ كَفِّ تُمَشِّقُ
يطأُ الجِبَالَ الشامخاتِ وَيَصَعُقُ
بك لاسْتِجَابٍ وَجاءَ بِاسْمِكَ يَنْطِقُ
يَحْيَا المِوَاتِ بِهِ، وَيَغْنَى المُمْلِقُ
عَدْلٌ، وَروحانِيَّةٌ، وَتَرْفُقُ
أَسْرَى إِلَيْهِ بِكَ الخِيالُ الشَّيْقُ
عَمْرٌ تَحْفُ بِه القلوبُ وَتَحْفُقُ
فَرِحَ، وَأَنْتَ لَدِيهِ حانِ مطرِقُ
وجهُهُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّهَارَةِ رَوْنِقُ
فِي الشَّرْقِ أَوْجُ حَضَارَةٍ لَا يُلْحَقُ
بَعْدَ الأُلُوهَةِ مَا يُحِبُّ وَيُعْشَقُ
شَيْمُ المَلُوكِ بِهِ أَحَقُّ وَأَخْلَقُ
وَتَهُمُّ بِالنَظَرِ العِيونُ فَتُشْفِقُ
وَخَلائِقُ العِظْماءِ حِينَ تَرْفُقُ

يا باعِثَ الرُوحِ الفَتِيَّ بِأَمَةٍ
أَعْلَى الذِّخائِرِ فِي كَنُوزِ فِخارِها
صاعِغَتُهُ مِنْ آمالِها وَدمائِها
إِنْ أَنْسَ، لَا يَنْسَ الِيميَنَ وَيَوْمَهُ
وَهْتافُ رُوحِي فِي خِصْمِ صَاحِبِ
القائِدِ الأَعْلَى، وَتَحْتَ لَوائِهِ
طافوا بِساحَتِكَ الكَريمَةِ فيلقا
وَأَنْلَتَهُمْ شَرَفَ المُنُولِ فَقَرَّبُوا
وَضَعُوا الأَكْفَ عَلَى الكِتابِ وَأَقْسَمُوا
أَوْما لَها المَاضِي، فَجُنَّ حَديدُها
ذَكَرْتَ بِكَ النِصْرَ المَبِينَ وَفاتِحًا
يا صَنوْ إِبْراهِيمَ، لو نَاديْتُهُ
لَكَ مِصْرُ، وَالسُودانُ، وَالنَهرِ الَّذِي
عَرِشُ قَوائِمُهُ التُّقَى، وَظلالُهُ
المَسجِدُ الأَقْصى يَودُ لو أَنَّهُ
كَمْ وَقِفَةٍ لَكَ فِي الصَّلاةِ كَأَنَّما
لِما وَقَفْتَ تَلَقَّتِ المِحْرابُ مِنْ
ويكادُ مِنْ بَهْجِ يَضِيءُ سِراجَهُ
أَحْيَيْتَ سُنَّةَ مالِكِينَ سَما بِهِمْ
فانينَ فِي حُبِّ الإِلهِ، وَلَنْ تَرَى
طَهْرُ عَصَمَتَ بِهِ الشَّبَابِ وَإِنَّمَا
تُغْضِي لِرِقتِكَ النَفوسُ مَهابَةً
إِنَّ السِيوفَ تُهَابَ وَهِيَ رَقيقَةٌ

* * *

نَبأً كَصوتِ الوَحْيِ ساعَةً يُطَلِّقُ
جَفَنًا، وَهَبَّ نَخيلِها يَتَأَنَّقُ
صَدَّاحَةً، وَسِرائِرُ تَتَرَقِّقُ

أَلقى البَشيرُ عَلَى المَدائِنِ وَالقَرى
عَبْرَ الضُّفَافِ الحالِماتِ فَمَسَّحَتْ
فَرِحُ تَمَثَّلَ مِصْرَ فَهِيَ خَواطِرُ

مهرجانُ الزَّفَافِ

اليومَ آمَنتِ الرعيَّةُ أنَّها
أثرتَها، فحبتُكَ من إيثارِها
مَلِكاتُ مصرِ الرائعاتُ، إذا بدا
كفُّ تشيرُ له، وعينُ تَرْمُقُ
وحديثُ أرواحِ يَضوعُ عَبيرُهُ
ومنَ الطهارةِ ما يَضوعُ وَيَعْبُقُ
يا صاحِبِي مِصْرَ، أَظَلَكُمَا الرِّضَا
وجرى بِمِمنِكُمَا الربيعُ المونِقُ
وفداءُ عَرشِكُمَا الموقِلِ أُمَّةُ
أَمَسَتْ خناصِرُها عليه تَوَثَّقُ

* * *

يا شمسُ يا أُمَّ الحياةِ! تكَلِّمي
أأعزُّ منا تحتِ ضوئِكَ أُمَّةُ
فلقد يُتابُ على الكلامِ الصَّيدِقُ
إنا بَنوكِ، وإن سُئِلتِ فأَمِّنا
هي بالحياةِ وبالسيادةِ أخلَقُ؟
عرشُ لفاروقِ العَظيمِ، يَزينُهُ
مهدُ الشموسِ وعرشُهُنَّ المِعْرِقُ
هذا الشِبابُ العِبقريُّ المَشْرِقُ

أَمِيرَةُ الشَّرْقِ

نُظِمَت هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ لِمِيلَادِ صَاحِبَةِ السَّمَوِ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرَةِ الْمَحْبُوبَةِ «فَرِيال».

يا بَشِيرَ الْمَنَى، أَحْلُمُ شَبَابِ
أَمْ شِدَا الْأَنْبِيَاءِ بِالضَّفَّةِ الْخَضْرَا
مَهْرَجَانْ، مَمَالِكُ الشَّرْقِ فِيهِ
وَهْتَا فُ بِالشَّاطِئِينَ صَدَاهُ
مَرَّ بِالنَّهْرِ، أَمْ غَرَامُ جَدِيدُ؟
ءَ أَمْ قَامَ لِلْمَلَائِكِ عَيْدُ؟
دَعَاوَاتُ، وَفَرِحَةٌ، وَنَشِيدُ
تَتَنَاجَى بِهِ الْمَلُوكُ الصَّيْدُ:

* * *

إِسْلَمِي يَا أَمِيرَةَ الشَّرْقِ وَاحْكُمُ
يَوْمَ نَادَتْكَ بِاسْمِكَ الْعَذْبُ «فَرِيَا
دُمْتَ، أَيَامُكَ الْحَسَانَ شَبَابُ
مَلِكِ الشَّرْقِ، مَا يَشَاءُ الْخُلُودُ
لُ»: أَبِي! هَلَّلَ الزَّمَانُ السَّعِيدُ
وَلِيَالِيكَ كُلَّهِنَّ سُعُودُ

سِيرَانَادَا مَصْرِيَّة

أَغْنِيَّة لِيَالِي النَّيْلِ

«للسيرانادا» ذِكرٌ مأثورٌ في الموسيقى الإيطالية، وقد اشتهرت في الأدب الأوروبي وخلدتها قصص الحب، وهي عبارة عن أغانٍ ليلية يشدو بها العشاق على معازفهم تحت نوافذ معشوقاتهم...»

دنا الليلُ فهيَّ الآنَ يا رَبَّةَ أحلامي
دعانا مَلَكُ الحُبِّ إلى محرابِه السامي
تعالِي، فالدُّجى وحيُّ أناشيدِ وأنغامِ

* * *

سَرَتْ فرحتُه في الماءِ، والأشجارِ، والسُّحْبِ
تعالِي نَحْلُمِ الآنَ، فهذي ليلة الحُبِّ

* * *

على النيلِ، وضوءُ القمرِ الوضاحِ كالطَّفْلِ
جرى في الضَّفَّةِ الخضراءِ خلفَ الماءِ والظَّلِّ
تعالِي مثلهُ نلهو بِلَتِّمِ الوردِ والظَّلِّ

* * *

هناك على رُبَا الوادي، لنا مَهْدٌ من العُشْبِ
يُلْفُ الصَّمْتُ رَوْحَيْنَا، ويشدو بُلْبُلُ الحَبِّ

* * *

يطوفُ بنا على شَطِّ من الأضواءِ مسحورِ
شِرَاعُ خَافِقِ الظلِّ على بحرٍ من النورِ
تُنَاجِيهِ نجومُ الليلِ، نجوى الأعينِ الحُورِ

* * *

وأنتِ على فمي ويدي، خيالٌ خَافِقُ القَلْبِ
تَعَالَيْ نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحَبِّ

* * *

ليالي الصيفِ أحلامٌ، تراءتُ للمحبِّينَا
تغيبُ الخمرُ، والسَّاقِي، ويبقى سحرُها فينَا
وهذا كأسُها الوهاجُ صَدَّاحٌ بأيدينا

* * *

فهيا نشرب الليلة، من نبع الهوى العذبِ
تعالِي نَحْلُمُ الآنَ، فهذي لَيْلَةُ الحَبِّ

الشَّوَاطِئُ الْمِصْرِيَّةُ

صيف عام ١٩٣٤ على صخور المكس.

بحرٌ شدا صخرًا، وصفَّقَ ماءً
ويرفُّ أنفاسًا بهنَّ مساءً
شَتَّى الأشعَّةِ فيكِ والأنداءَ
عرَّافَةً، تستطلعُ الأنبياءَ
فنَّ الجمالِ السَّحرَ، والإغراءَ
صُورًا بريًّا صفحتيه تراءى
زادتْ بريشتِه السماءَ جَلَاءَ
شمسًا، ولا أزهى سنًا وضياءَ
بأغرَّ بدرًا، أو أرقَّ سماءَ
أفقًا أحمَّ ولجَّةَ حمراءَ
لهبًا، وفجَّرتِ الصخورَ دماءَ
طالعتْ، فيها الليلةُ القمرًا
وسرَّتْ تجاذبُ للنسيمِ رداءَ
ألقَتْ إليكِ بسمعها إصغاءَ
يشدو، فيبدعُ في النشيدِ غناءَ
فشجى الشواطئَ واستخفَّ الماءَ
في الأفقِ حيرى تتبَّعُ الأصداءَ

حَيَّاكِ أرضًا، وازدهاكِ سماءَ
يحبو شعابكِ في الضحى قُبَلَاتِه
متجددًا الصبَّواتِ أودعَ حبَّه
ولعُ بتخطيطِ الرمالِ كأنَّه
ومصوِّرٌ لبقِ الخيالِ، يصوغُ من
نسقِ الشواطئِ زينةً وأدقَّها
يجلو بريشتِه السماءَ، وإنَّما
لا الصبحُ أوضَحُ من مطالعه بها
كلَّا، ولا الليلِ المكوكبُ أفقُه
يا ربِّ زاهيةِ الأصيلِ أحالها
وكانما طوتِ السماءَ ونشَّرتْ
ولربِّ عاطرةِ النسيمِ، عليلةِ
رقصتْ بها الأمواجُ تحتِ شعاعِها
حتى إذا رانَ الكرى بجفونِها
تتسمَّعُ النوتى تحتِ شراعِه
هزَّتْ ليالي الصيفِ ساحرَ صوتِه
وأثارَ أجنحةَ الطيورِ فحوَّمتْ

لك ذلك البحرُ الصَّنَاعُ رِوَاءَ
 رَجَعَ الغَرِيبَ إِلَى جَمَاهُ وَفَاءَ
 مِمَّا أَجَنُّ مَحَبَّةً وَوَفَاءَ
 فَهُوَ العَيْيُّ المَفْحِمُ الفُصْحَاءَ
 كَمِ مِنْ جِمَادٍ حَدَّثَ الأَحْيَاءَ
 وَبَلَا الأَحْبَبَةَ فِيكَ والأَعْدَاءَ
 وَالهَوْلُ يَمْلَأُ حَوْلَكَ الأَرْجَاءَ
 تَطَأُ السَّحَابَ، وَتَهْبِطُ الدَّامَاءَ
 بِالنَّيْلِ مِنْهُمْ جَحْفَلًا، وَلِوَاءَ
 وَأَطَارَ كُلَّ سَفِينَةٍ أَشْلَاءَ
 وَنَضَا الرُّجُومَ، وَجَنَّدَ الأَنْوَاءَ
 فَرَمَى بِهَا قَدْرًا، وَرَدَّ قَضَاءَ
 مَا سَرَّ مِنْ أَنْبَاءِ هَنْ، وَسَاءَ
 وَمِنْ الجَدِيدِ تَعَلَّةً وَرَجَاءَ
 تَهْفُو إِلَيْكَ بِنَا صَبَاحَ مَسَاءَ
 وَأَشْرَتِ لِلصَّيْفِ الوَسِيمِ، فَجَاءَ
 مَا شَتَّتِ مِنْ مَرَحِ الحَيَاةِ، وَشَاءَ
 طَبَعَ الخُلُودُ سَمَاتَهَا الغُرَاءَ
 أَصْغَى النِّسِيمِ لَهَا، وَغَضَّ حَيَاءَ
 لِلشُّعْرِ فِيكَ خَمِيلَةً غَنَاءَ
 لِي فَوْقَ مَاثِكِ صَخْرَةً بِيضَاءَ
 لَعَّةَ السَّمَاءِ، وَالْهَمِي الشُّعْرَاءَ

صُورُ فَوَاتِنُ يَا شَوَاطِئُ صَاغَهَا
 فَتَنْظَّرِيهِ عَلَى شَعَابِكَ مِثْلَمَا
 كَمْ ظَلٌّ يَضْرِبُ فِي صَخُورِكَ مَوْجُهُ
 عُذْرًا، إِذَا عَيَّتْ بِمَنْطِقَةِ اللُّغَى
 فُخْذِي الحَدِيثَ عَلَيْهِ وَاسْتَمْعِي لَهُ
 وَسَلِيهِ، كَيْفَ طَوَى اللِّيَالِي سَاهِدًا
 كَمْ لَيْلَةً لَكَ يَا شَوَاطِئُ خَاضَهَا
 وَالسَّفُنُ مَرْهَفَةُ القَلَاعِ كَأَنَّهَا
 حَمَلَتْ لِمَصْرَ الفَاتِحِينَ وَطَوَّحَتْ
 وَلَوْ اسْتَطَاعَ لَرَدَّ عِنكَ بِلَاءَهُمْ
 أَوْ كَانَ يَمْلِكُ قَدْرَةَ حَشْدِ الدُّجَى
 وَدَعَا غَوَارِبَهُ الخَفَافَ فَأَقْبَلَتْ
 فَاسْتَعْرَضِي سِيرَ الحَيَاةِ وَرُدِّدِي
 وَخُذِي لِيَوْمِكَ مِنْ قَدِيمِكَ أُهْبَةً
 إِلَيْهِ شَوَاطِئُ مِصْرَ، وَالدُّنْيَا مُنَى
 نَاجِيَتِ أَحْلَامَ الرِّبِيعِ، فَأَقْبَلَتْ
 يَحْبُوكِ مِنْ صَفْوِ الزَّمَانِ وَأَنْسِيهِ
 وَغَدًا تَضِيءُ عَلَى جَبِينِكَ لِمَحَّةً
 وَتَرْفُ مِنْهُ عَلَى تُغُورِكَ قَبْلَةً
 فَاسْتَقْبَلِي الصَّيْفَ الجَمِيلَ، وَهَيْئِي
 وَتَسْمَعِي لِحَنَ الخِيَالِ، وَأَفْرِدِي
 وَاسْتَعْرَضِي حُورَ الجِنَانِ، وَأَطْلِقِي

خَيَالٌ

عشقنا الدُّمَى وعبدنا الصُّورَ
وَصُغْنَا لَكَ الشَّعْرَ، حُبَّ الصَّبَا
تَغَنَّتْ بِهِ الْقَبْلُ الخَالِدَاتُ
وجئنا إليك بِمُلِكِ الهوى
بأفئدةٍ، مثلما عَرَبِدْتُ
وأنتَ بأفْقِكَ ساجي اللحاظِ
دنوتَ، فقلنا: رُؤَى الحالمينَ،
وحامتْ عليك بأضوائِها
تتبعنَ خطوكَ عَبْرَ الطريقِ
يُقبِلنَ من قديمِ الخُطَا

وهمنا بكلِّ خيالٍ عَبْرَ
وَشَدَوُ الأمانِي، وَشَجَوُ الذِّكْرِ
وَعَنَى بِإيقاعِها المبتكرَ
وعرشِ القلوبِ، وحكمِ القَدَرِ
يَدُ الرِّيحِ في ورقاتِ الشجرِ
تُطِلُّ على سُبُحاتِ الفِكْرِ
فَلَمَّا بَعُدْتُ أَتَهَمْنَا النُّظْرُ
مصابيحُ مثل عيونِ الزَّهْرِ
كما يتحرَّى الدليلُ الأثْرُ
كما قَبَّلَ الوثنِيُّ الحَجَرَ

* * *

مشى الحسنُ حولَكَ في مَوَكِبِ
تَمَثَّلَ صدْرُكَ سُلْطَانَهُ
بنَهْدِينِ، يستقبلانِ السماءَ
تَسَامَيْتَ عن لُغَةِ الكاتِبِينِ
سوى شاعرٍ في زوايا الحياةِ
أَكْبَ على كأسه، وانتحى
يرِفُّ عليه لواءُ الظفرِ
كجِبَّارٍ وادٍ تحدى الخَطَرَ
كأَنَّهُما يَرْضَعانِ القمرَ
وروعةً كلُّ قَصيدِ خَطَرَ
دَعَتْهُ مَبَاهِجُها فاعتذِرْ
صدى الليلِ، في اللحظاتِ الأخرِ

ديوان علي محمود طه

رنا حيث ترقُبُ أحلامُهُ خيالكَ في الموعدِ المنتظر!

التَّمَثَالُ

قصة الأمل الإنساني في أربعة فصول

الإنسان صانع الأمل، ينحت تمثاله من قلبه وروحه، ولا يزال عاكفًا عليه يُبدع في تصويره وصقله متخيلاً فيه الحياة ومرحها وجمالها، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجرًا أصم، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح، وتُسعره السنون بالعجز والضعف فيفزع إلى معبد أحلامه هاتفاً بتمثاله، ولكن التمثال لا يتحرك، والحلم الجميل لا يتحقق، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد، وتعصف بالتمثال فيهوي حطاماً، وهنا يصرخ اليأس الإنساني ويمضي القدر في عمله.

لك، والنجم مؤنسي، ورفيقي
شفقي، من الغمام رقيق
كشراع في لجة من عقيق
لـ ويجتاز كل وإد سحيق
ت، وكل لوكره في طريق!!
ت لألقاك في السكون العميق
ر ومن كل مُحدث، وعريق
لأ وأمضي إليه عند الشروق
ن في لهفة الغريب المشوق

أقبل الليل، واتخذت طريقي
وتوارى النهار خلف ستار
مد طير المساء فيه جناحاً
هو مثلي، حيران يضرب في الليد
عاد من رحلة الحياة كما عد
أي هذا التمثال هأنذا جئ
حاملاً من غرائب البر، والبح
ذاك صيدي الذي أعود به ليد
جئت ألقى به على قدميك الآ

عاقداً منه حول رأسك تاجاً ووشاحاً، لقدك الممشوق!

صورة أنت من بدائع شتّى
بيدي هذه جبلتُك، من قلـ
كلما شممتُ بارقاً من جمال
شهد النجم، كم أخذت من الرو
شهد الطير، كم سكبتُ أغانيـ
شهد الكرم، كم عصرتُ جناهُ
شهد البر، ما تركتُ من الغا
شهد البحر، لم أدع فيه من درّ
ولقد حيرَ الطبيعة إسرا
واقحامى الضحى عليها كراع
أو إليه مُجنّح يتراءى

ومثال من كل فنّ رشيق
بي، ومن رونق الشباب الأنيق
طرتُ في إثره أشقُ طريقي
عه عنه، ومن صفاء البريق
ه على مسمعيك سكب الرحيق
وملأت الكئوس من إبريقي
ر على معطف الربيع الوريق
جدير بمفريقيك، خليق
ئي لها كل ليلة وطروقي
أسيوي، أو صائد إفريقي
في أساطير شاعر إفريقي

قلت: لا تعجبي فما أنا إلا
أنا يا أم، صانع الأمل الضا
صغته صوغ خالق يعشق الفنّ
وتنظّرتُه حياة، فأعيا
كلّ يوم أقول: في الغد، لكنّ
ضاع عمري، وما بلغتُ طريقي

شبح لَج في الخفاء الوثيق
حك في صورة الغد المرموق
ويسمو لكل معنى دقيق
ني دبيب الحياة في مخلوقي!!
لست ألقاه في غد بالمفيع
وشكا القلب من عذاب وضيق

معبدي! معبدي! دجا الليل إلا
زأرت حولك العواصف لما
لطمت في الدجى نوافذك الص
يا لتمثالي الجميل، احتواه

رعدة الضوء في السراج الخفوق
قهقه الرعد لالتماع البروق
م ودقت بكل سيل دفوق
سارب الماء كالشهيد الغريق

النَّمْتَالُ

لم أَعُدْ ذلك القويِّ، فأحميهِ هـ من الويلِ والبلاءِ المحيقِ
ليلتي! ليلتي جنيتِ من الآثا مِ حتى حملتِ ما لم تطيقي
فاطربي واشربي صُبابَةَ كأسِ خمرها سالَ من صميمِ عروقي!

* * *

مرَّ نورُ الضحى على آدميِّ مُطرقٍ في اختلاجِ المصعوقِ
في يديه حُطامةُ الأملِ الذَّا هب في ميعة الصُّبا الموموقِ
واجماً أطبقَ الأسى شفتيه غيرَ صوتِ عبرِ الحياةِ طليقي
صاح بالشمس: لا يُرْعِكِ عذابي فاسكبي النارَ في دمي، وأريقي
ناركِ المشتهاةُ أُندي على القلبِ ب وأحني من الفؤادِ الشفيقي
فخذي الجسمَ حفنةً من رماذٍ وخذي الروحَ شُعلَةً من حريقِ
جُنَّ قلبي فما يرى دَمَهُ القا ني على خنجرِ القضاءِ الرقيقِ!!

دُعَابَةٌ

حلفتُ بالخمرِ، والنساءِ
ورحلةِ الصيفِ في أوروبا
رفعتُ فيها لواءَ مصرِ
لم أنسَكم قطُّ أصدقائي
أحبكم فوق كلِّ حبِّ
ومجلسِ الشعرِ، والغناءِ
وسحرِ أيامها، الوضاءِ
ورأسِ مصرِ إلى السماءِ
ولم يحلَّ عنكم إخائي
وهانَ في حبكم فنائي

* * *

فما تظنونَ في وفِّي
إذا احتواه الصعيدُ ليلاً
وتاهت «الأقصر» اختيالاً
صدفتُ عنها إلى وجوهِ
أنتم، وهل لي سوى خيالٍ
فانتظروني، ولا تظنوا الـ
أربي هواهُ على الوفاءِ
أو هيئمتُ نسمةَ المساءِ
بالغيدِ في موسمِ الشتاءِ
عرفتُ فيهنَّ أصدقائي
يجمعكم بي على التناهي
ظنونَ، واستمطروا ثنائي!

تاييسُ الجَدِيْدَة

«ليلة أول أغسطس سنة ١٩٣٩ بمدينة زيوريخ على شاطئ بحيرتها إذ احتفل بعيد سويسرا الوطني الأكبر بين المواكب الصاخبة المرحّة وأنوار المشاعل والأسهم النارية وأضواء معرضها العظيم.»

لعبتُ برأسي نشوةً الفرحِ!
بالرُّوحِ فيكِ صباغةً القدحِ
الفجرُ؟ إنَّ الفجرَ لم يُلحِ!
أو فُجِّرَت من عرقٍ مندبِحِ!
من كل ساهي اللحظِ منسرحِ
يدنو إليَّ بصدرٍ منشرحِ
في قهقهاتِ الساخرِ الوقحِ
ومن الذهولِ طرائفُ المُلحِ
أعطافُ هذا الأغنيِّ المرحِ؟
فجذبتها بذراعٍ مجترحِ
من أين مُغتَبِقي ومُصطبِحِ
كم للغناءِ لديَّ من منجِ
وعرضتُ، لم أنطقُ ولم أبِحِ

روحي المقيمُ لديك؟ أم شبّحي؟
يا حانةَ الأرواحِ، ما صنعتُ
ما للسماءِ أديمُها لهبٌ؟
ولم البحيرةُ مثلما سُجرتُ
نارٌ تطيرُ، وموكبٌ صخبُ
لولا ابتسامَةُ جارتِي، وفمُ
لحسبتُها «روما» تمورُ لظيِّ
زهوُ تملّكني، فأذهلني
أنا الغريبُ هنا وملءُ يدي
خفقتُ على وجهي غدائرها
لم أدر، وهي تُديرُ لي قدحي،
وشدا المغنيِّ، فاحتشدتُ لها
عرّضتُ بفاكهةٍ محرّمةٍ

يا رَبِّ، صُنْعُكَ كُلُّهُ فِتْنٌ هَذِي الرَوَائِعُ، أَنْتَ خَالِقُهَا
أَيْنَ الْفِرَارِ، وَكَيْفَ مُطَّرِحِي! مَا بَيْنَ مُنْجِرِدٍ وَمَتَّشِحٍ
«تَايِيْسُ» لَمْ تَعَبْتُ بِرَاهِبِهَا لَكِنَّهُ أَشْفَى عَلَى الْبُرْحِ
مَا بَيْنَ أَسْرَارٍ مُغْلَقَةٍ وَطَرُوقِ بَابٍ غَيْرِ مَنْفَتِحِ
عَرَضَ الْجَمَالُ لَهُ فَأَكْبَرَهُ وَرَأَى فِيهِ فَجْئًا مِنْ فَرَحٍ
أَتَرَى مِعَاقِبَتِي عَلَى قَدَرٍ لَوْلَاكَ لَمْ يُكْتَبْ وَلَمْ يُتَحِ؟!

* * *

إِنِّي عَبْدُكَ فِي جَنَى شَفِيَةٍ وَوَجْهِ مُشْرِقِ الْوَضِحِ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ، جَعَلْتُ مِسْبَحَتِي ثَمَرَ النَّهْوِدِ، وَجَلًّا فِي السُّبْحِ

خمرة نهر الرّين

ليلة ٢٠ أغسطس مهداة إلى فتاة «برن».

كنزُ أحلامك، يا شاعرُ، في هذا المكانِ
سحرُ أنغامك طوّفُ بهاتيك المغاني
فجرُ أيامك رَفَّافٌ على هذي المجاني
أيُّها الشاعرُ، هذا الرّينُ، فاصدحْ بالأغاني
كلُّ حيٍّ وجمادٍ ها هُنَا
هاتفُ، يدعو الحبيبَ المحسِنَا
يا أخا الرُّوحِ، دعا الشوقُ بنا
فأسقِنَا من خمرةِ الرّينِ، اسقِنَا

عالمُ الفتنةِ، يا شاعرُ؟ أم دنيا الخيالِ؟
أمروجٌ علقتُ بين سحابٍ، وجبالِ؟
ضحكتُ بين قصورٍ كأساطيرِ الليالي
هذه الجنَّةُ، فانظرْ أيَّ سحرٍ وجمالِ!
يا حبيبَ الرُّوحِ يا حُلْمَ السَّنَا
هذه ساعتُنَا، قم غنِّنا

سَكِرَ العَشَّاقُ إِلَّا أَننَا ...

فاسقنا من خمرة الرِّينِ، اسقنا

ليلةٌ فوقِ ضفافِ الرِّينِ حُلْمِ الشعراءِ
أليالي الشرقِ يا شاعرُ؟ أم عرسُ السماءِ؟
الدُّجى سكرانُ، والأنجمُ بعضُ الندماءِ
أنصتِ الغابُ، وأصغى النهرُ، من صخرٍ وماءٍ

فاسمعِ الآنَ البشيرَ المعلنِنا

حانتِ الليلةُ، والفجرُ دنا

فاملأ الأقداحَ من هذا الجنى

واسقنا من خمرة الرِّينِ، اسقنا

ها همُ العَشَّاقُ قد هَبُّوا إلى الوادي خِفَافًا
أقبلوا كالضوءِ أطيافًا وأحلامًا لِطَافًا
ملئوا الشاطئَ همسًا والبساتينَ هُتَافًا
أيُّها الشاعرُ! هذا الرِّينُ! فاستوحِ الضَّفَافًا

الصِّبَا، والحسنُ، والحبُّ هنا

يا حبيبي هذه الدنيا لنا

فاملأ الكأسَ على شدىِ المنى

واسقنا من خمرة الرِّينِ، اسقنا!

يا ابنةَ «الآرِ» حديثُ الأمسِ ما أعذبَ ذكرَه
كان حُلْمًا أن نرى الرِّينَ وأنْ نشربَ خمرةَ
وشربنا فسكرنا، وأفقنا بعد سكرَه
ووقفنا لوداعِ، وافترقنا بعد نظرَه

خمرة نهر الرّين

أين أنتِ الآن؟ أم أين أنا؟
ضربتُ أيدي الليالي بيننا!
غير صوتٍ طافَ كالحُلْمِ بنا:
اسقنا من خمرة الرّين، اسقنا

شاعر مصر

وحدّثني قلبي بأنك زائري
وكلّ صدى في هدأة الليل عابِر
وأهتف بالنجوى، وأنت مجاورِي
كأنك مبعوث الليالي الغوايرِ
صدى نبأ من عالم الغيب صادرِ
طرقت بها بابي فهبت سرائري
وشمتك، لم يلمح مُحياك ناظري
أرى حلم أجيال، أرى وجه شاعرِ

دعوت خيالي فاستجابت خواطري
عشيّة أغرى بي الدجى كلّ صائحِ
أقول: من الساري؟ وأنت مُقاربي
أجسك ملء الكون رُوحًا وخاطرًا
ومثل لي سمعي خطاك، فخلتها
سوى خطرات من بنان رفيقة
عرفتك، لم أسمع لصوتك نبأة
أرى طيف معشوق، أرى روح عاشقِ

* * *

فجدد بها عهد الأنيس المسامرِ
رخيماً كأرهام الندى المتناثرِ
كنوس على نكر الغريب المسافرِ
خيالة زكري، أو علالة ذاكرِ
إليك، وأضواء النجوم الزواهرِ
مرحت بوجدان من الشعر طاهرِ
جنى كرمة لم تحوها كف عاصرِ
فغرّد بالإلهام كلّ معاصرِ

إليك ضفاف النيل، يا روح حافظِ
وساقط جناها من قوافيك سلسلاً
سرت فيه أرواح الندامى، وشفقت
نجي الليالي القاهريّات: طف بها
وجز عالم الأشباح، فالليل شاخص
وطالع سماء في معارج قدسها
وسلسلت من أنداؤها وشعاعها
تدفق بالخمير الإلهي كأسها

وَلَأَلَاءُ فَجْرِ عِن سَنَا الْخُلْدِ سَافِرِ
مَدَدَتْ عَلَى أَفَاقِهَا عَيْنَ طَائِرِ
خُطَا الْوَحْيِ فِي تِلْكَ الْحَقُولِ الْنَوَاضِرِ
وَجَنَّتُهُ ذَاتُ الْجَنَى وَالْأَزَاهِرِ
عِصِي نَبِيٍّ، أَوْ تَهَاوَيْلُ سَاحِرِ
هِيََاكِلُ أَرْبَابِ، عَرُوشُ قِيَاصِرِ
وَتَرْدِيدُ أَنْفَاسِ، وَنَجْوَى ضَمَائِرِ
وَتَسْبُحُ فِي تَيْهِ مِنَ السُّحْرِ غَامِرِ
وَحُلْمُ صِبَاها فِي الرَّبِيعِ الْمُبَاكِرِ
وَلَكِنَّهُ رُوحٌ، وَإِبْدَاعُ خَاطِرِ
وَيَغْزُو بِرُوحِ النَّجْمِ غَيْرَ مُحَاذِرِ
وَلَا انْتَضَمَتْ إِلَّا مَفَارِقُ شَاعِرِ
عَلَى دَعَاةٍ، مِنْ تَحْتِهَا رُوحٌ ثَائِرِ
تَلَقَّيْتَهُ كَبْرًا بِبِسْمَةِ سَاخِرِ
وَأَطْلَقْتِ أَسْرَى مِنْ بَرَاثِنِ أَسِرِ
إِذَا النَّارُ نَالَتْ مِنْ كِرَامِ الْجَوَاهِرِ
فَتَخْشَعُ حَيْرَى نَيْرَاتِ الْمَقَاصِرِ
بِأَنَّكَ كُنْتُ ضَمًّا أَعْلَى الذَّخَائِرِ
سَمَوْتَ بِسُلْطَانِ مِنَ الْفَنِّ قَاهِرِ
أَشْرَتْ بِمَا خَلَدْتَهُ مِنْ مَائِرِ

عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةٌ مِنْ صَفَائِهَا
فَصَافِحُ بَعِينِكَ الدِّيَارِ فَطَالَمَا
وَحُذِّ فِي ضِفَافِ النَّهْرِ مَسْرَاكَ، وَاتَّبِعْ
حَدَائِقُ فَرَعُونَ بِدَفَاقِ نَهْرِهَا
وَفِي شُعْبِ الْوَادِي، وَفَوْقَ رِمَالِهِ
صَوَامِعُ رُهْبَانِ، مَحَارِيبُ سُجْدِ،
سَرَى الشَّعْرِ فِي بَاحَاتِهَا رُوحٌ نَاسِكِ
وَهَمَسَ شِفَاهِ تَتَمَّلُ الرُّوحَ عِنْدَهُ
هُوَ الشَّعْرُ، إِيقَاعُ الْحَيَاةِ وَشَدُوها
وَصَوْتُ بِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ نَاطِقُ
وَوَثْبَةُ زَهْنِ، يَقْنَصُ الْبَرْقَ طَائِرًا
فِيَا ذُرَّةً لَمْ يَحُوهَا تَاجُ قِيَصِرِ
تَأَلَّهَ فِيكَ الْقَلْبُ وَاسْتَكْبَرَ الْحِجْبِ
إِذَا اعْتَرَضَ الْجَبَّارُ ضَوْعَكَ شَامِحًا
لَمَسْتَ حَدِيدَ الْقَيْدِ فَانْحَلَّ نَظْمُهُ
وَمَا زِدْتِ فِي الْأَحْدَاثِ إِلَّا صِلَابَةً
يَزِينُ بِكَ الْعَافِي سَقِيفَةَ كُوجِهِ
أَضَاعُوكَ فِي أَرْضِ الْكُنُوزِ، وَمَا دَرَوْا
وَهُنَّتِ عَلَى مَهْدِ الْفَنُونِ، وَطَالَمَا
إِذَا افْتَقَدَ التَّارِيخُ آثَارَ أُمَّةٍ

خَيَالِكَ يَعْشَى كُلَّ نَادٍ وَسَامِرِ
تَغْنَتْ بِمَاضٍ وَاسْتَعَزَّتْ بِحَاضِرِ
هُتَافِكَ، وَانْفَضَّ عَنْكَ صَمْتُ الْمَقَابِرِ

سَلَامًا، سَلَامًا، شَاعَرَ النَّيْلِ: لَمْ يَزَلْ
وَشَعْرُكَ فِي الْأَقْوَاهِ إِِنْشَادَ أُمَّةٍ
هَتَفَتْ بِهَا حَيًّا، فَلَا تَأُلُّ خَالِدًا

سَمَاعَ الْبَوَادِي وَالْقُرَى وَالْحَوَاضِرِ

صَدَاكَ، وَإِنْ لَمْ تُرْسِلِ الصَّوْتِ، مَالِيُّ

وَذِكْرَكَ نَجْوَى الْبَائِسِينَ، إِذَا هَفَّتْ
يَدُلُّ عَلَيْكَ الْقَلْبَ أَنْتَ بَائِسٍ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا رَائِدٌ مِنْ جَمَاعَةٍ
صَحَّتْ بِأَدْيَاتِ الشَّرْقِ تَحْتَ عُبَارِهِمْ
وَفِي الْقِمَمِ الشَّمَاءِ، مِنْ صَرَخَاتِهِمْ
يُضِيئُونَ فِي أَفْقِ الْحَيَاةِ كَأَنَّهُمْ
فِيَا شَاعِرًا غَنَى فَرَقَّ لَشَجْوِهِ
لَكَ الدَّهْرُ، لَا، بَلْ عَالَمُ الْحِسِّ وَالنُّهَى
قُلُوبٌ، وَحَارَتْ أَدْمَعٌ فِي الْمَحَاجِرِ
وَنَظْرَةٌ مَحْزُونٌ، وَإِطْرَاقُ سَائِرِ
تَوَالَوْا تَبَاعًا بِالنَّفُوسِ الْحَرَائِرِ
عَلَى شَدْوِ أَقْلَامٍ وَلَمَعَ بَوَاتِرِ
صَدَى الرِّعْدِ فِي عَصْفِ الرِّيَاحِ التَّوَائِرِ
عَلَى شَطِّهَا النَّائِي مَنَارَةٌ حَائِرِ
جَفَاءَ اللَّيَالِي، وَاعْتِسَافُ الْمَقَابِرِ
خَمِيلَةٌ شَادٍ أَخَذَ بِالْمَشَاعِرِ

* * *

فَنَمَّ فِي ظِلَالِ الشَّرْقِ، وَاهْنًا بِمَضْجَعٍ
وَوَسْدٌ ثَرَاهُ الطُّهْرَ جَنْبَكَ وَانْتَضَمَ
نَدِيٌّ بِأَنْفَاسِ النَّبِيِّينَ عَاطِرِ
لِدَاتِكَ فِيهِ، فَهَوَ مَهْدُ الْعَبَاقِرِ

موتُ الشاعرِ

كفة شادٍ مخضَّبًا بجراحه
خمرةُ الملهمينَ في أقداحه
به صَحَتْ تسألُ الربِّي عن صداحه
رِ، وهمسُ الأنداءِ حول جناحه
جهشةُ الشعرِ، أو شجيَّ نواجهه
لضلالٍ هدَّدتُه بافتضاحه
خِلتُه بعضُ لهوه ومزاجه

شعراءُ الشباب: خرَّ عن الأيب
مات في ثغره النشيدُ وجفَّت
ضِفَّةُ النيلِ، وهي بعضُ مغانب
أين منها صداهُ في ذروة الفج
بُوغتتُ بالصباحِ أخرسَ إلا
نباً جاءني، فأسلمَ عقلي
لو رماه فمُ القضاءِ بسمعي

* * *

ح، والأفقُ مائجٌ بصباحه
قد أصاب الحكيمَ في مصباحه
جُ، وتهوى الصدورُ تحت رياحه
في، وضاع المجدافُ من ملاحه
سم، يهفو الحنينُ ملاء وشاحه
سنبلاتُ الوادي إلى أشباحه
يُنطقُ الواجماتُ من أدواجه؟
جاء مثنوى رقدت في صفاحه
فدعا المعولاتِ من أرواحه

فلسفتك الحياةُ يا حاملَ المصبا
صيفُ لنا صرعةُ الذُّبالِ وماذا
شَاطئُ فوق صدره يفهقُ المو
ضللُ في جنحِ ليله زورقي الطا
جَزتُه أنت في خطا العاشقِ البا
قم، فقد أقبَلِ الشتاءُ وأومت
ألُه من هُتافِك العذبِ داع
عَبَرِ النهرَ والنخيلَ إلى أن
حملَ العهدَ عن قلوبِ الحزاني

الثلاثون لم تكن عمرك السَّا يرَ في فتنَةِ الصِّبا ومِراجِه
إنَّها خفقةُ الفؤادِ، وسهدُ العيد نِ، في حومةِ العلا وكفاجِه
إنَّها قصةُ الصديقِ، ومأسا ةُ شهيدِ مكلَّلِ بنجاحِه!

الموسيقية العمياء

إذا ما طافَ بالأرض شعاعُ الكوكبِ الفضِّي
إذا ما أنَّتِ الرِّيحُ وجاشَ البرقُ بالومضِ
إذا ما فتَّحَ الفجرُ عيونَ النرجسِ الغضِّ
بكيَتْ لزهرةٍ تبكي بدمعٍ غيرِ مُرْفَضِّ

* * *

زواها الدهرُ لم تسعدُ من الإشراقِ باللمحِ
على جفنينِ ظمأنينِ نِ لِلأنداءِ والصبحِ
أمهدَ النورِ: ما لليدِ لِ لِقَد لَفَّكَ في جُنْحِ؟
أضئُ في خاطرِ الدنيا ووارِ سناكَ في جُرْجِي!

* * *

أرى الأقدارَ، يا حسنا ءُ، مثنوى جُرحكِ الدامي
أريها مَوْضِعَ السَّهْمِ الذي سدَّه الرامي
أنيلي مشرقَ الإصبا حِ هذا الكوكبِ الظامي
دعيه يرشِفِ الأنوا رَ من ينبوعها السَّامي

* * *

وخلَّى أدمعَ الفجرِ تُقْبِلُ مغربَ الشمسِ

ولا تبكي على يومٍ كِ أو تأسِي على الأمسِ
إليك الكون فاشتفتي جمال الكون باللمسِ
خذي الأزهار في كفي كِ، فالأشواق في نفسي!

* * *

إذا ما أقبلَ الليلُ وشاع الصمتُ في الوادي
خذي القيثارة واستوحي شجونَ سحابه الغادي
وهزِّي النجمَ إشفاقًا لنجمٍ غيرِ وقادٍ
لعلَّ اللحنَ يستدني شعاعَ الرحمة الهادي!

* * *

إذا ما سقسقَ العصفو رُ في أعشاشه الغنِّ
وشقَّ الروضَ بالألحا ن من غصنٍ إلى غصنٍ
أنتكِ خواطري الصدا حة الرقافة اللحنِ
تغنِّيكَ بأشعاري وترعى عالمَ الحُسنِ!

* * *

إذا ما ذابتِ الأندا ءُ فوق الورقِ النَّضْرِ
وصبَّ العطرَ في الأكما م إبريقُ من التبرِ
دعوتُ عرائسَ الأحلا م من عالمها السُّحري
تُذيبُ اللحنَ في جفني كِ، والأشجانَ في صدري!

* * *

عرفتِ الحبَّ يا حوًّا ءُ أم ما زالَ مجهولًا
ألمَّا تحملني قلبًا على الأشواقِ مجبولًا؟
صفيه، صفيه، فرحانًا، ومخزونًا، ومخبولًا!
وكيفَ أحسَّ باللوع ة عند النظرة الأولى؟

* * *

الموسيقية العمياء

وَمَنْ أَدْمُكَ الْمَحْبُوبِ بُ؟ أَوْ مَا صُورَةُ الصَّبِّ؟
لَقَدْ أُلْهِمْتِ، وَالْإِلَهَاءُ مُ، يَا حَوَاءُ، بِالْقَلْبِ
هُوَ الْقَلْبُ، هُوَ الْحُبُّ وَمَا الدُّنْيَا لَدَى الْحُبِّ؟
سَوَى الْمَكْشُوفَةِ الْأَسْرَى رِ وَالْمَهْتُوكَةِ الْحُجْبِ؟

* * *

سَلِي الْقَيْثَارَ بَيْنَ يَدَيْ كِ أَيِّ مَلَا حِنٍ غَنَّى
وَأَيِّ صَبَابَةٍ سَالَتْ عَلَى أَوْتَارِهِ لَحْنًا
حَوَى الْأَمَالَ، وَالْأَلَا مَ، وَالْفَرْحَةَ، وَالْحُزْنَ
حَوَى الْأَبَادَ، وَالْأَكْوَا نَ فِي لَفْظٍ وَفِي مَعْنَى!

* * *

تَعَالَى الْحَسَنُ، يَا حَسْنَا ءُ، عَنِ إِطْرَاقِ مَحْسُورِ!
أَيْشِكُو اللَّيْلَ فِي كَوْنِ مِنَ الْأَنْوَارِ مَغْمُورِ!
وَمَا جَلَّاهُ مِنْ سَوًّا هُ إِلَّا تَوَامَ النُّورِ؟
وَمَا سَمَّاهُ إِذْ نَادَا هُ غَيْرَ الْأَعْيُنِ الْحُورِ؟

النَّهْرُ الظَّامِيُّ

الموكب التاريخي السائر برِّفَات الزعيم الخالد سعد زغلول إلى ضريحه الجديد.

يا كعبةَ المجدِ، حَيِّي موكبَ البطلِ
وَعُرْبِيَّةً عن ثَرَاكِ الطُّهْرِ لم تَطُلِ
وَجِدِّدُوا العَهْدَ من أَيامِهِ الأوَّلِ؟
لهفَانِ يسبِقُ لِمَعِ البَارِقِ العَجَلِ
أَيُّ الأساطيرِ من ماضِيٍّ، خُيِّلَ لي؟
فيه المَلايِينُ من سَاعٍ ومحتفِلِ
لا يبلِغُ الوَهْمُ منه مفرَقَ السُّبُلِ؟
ضَنُّوا عليه بقبرِ الهانئِ الجِذْلِ!
فيه على صَعَقَاتِ الحَادِثِ الجَلْلِ
لواؤُهُ عن رِكَازِ المِجْدِ لم يَمِلِ
رِفَاتٌ مستشهِدٍ في الحَقِّ مَقْتَلِ
مِعَاقِدَ الغَارِ من فوِديهِ، واقتبِلي
وما ادَّخَرَتِ من الأشْوَاقِ والقَبْلِ؟
هذا بِشِيرُ الهدى والحَبِّ والأَمَلِ

طالَ انتِظَارُكَ بين اليَأْسِ والأَمَلِ
هذا المَأْبُ المُرَجَّى شُقَّةً قَصُرَتْ
يا لهفَةً القومِ، هلْ ضَجُّوا لرؤيْتِهِ
تَدَفَّقَ النهرُ من أَقصى مَنَابِعِهِ
يثورُ تَيَّارُهُ العَاتِي فيسأَلُهُ:
وأَيِّ مضطربٍ في ضِفْتِي مَشَتْ
أَعوْدَةُ الثَّائِرِ المُنْفِيٍّ من سَفَرِ
بل الشَهِيدِ المُسَجَّى في لِفَائِفِهِ
ما أَشَبَّهَ اليَوْمَ بالأَمْسِ الذي نَسَلُوا
هذا الرِفَاتُ تراثُ المِجْدِ في وِطَنِ
أَعلى الذِخَائِرِ من مِيراثِ نَهْضَتِهِ
مَشَى إِلَيْكَ به التَّارِيخُ فاستلمِي
حانَ اللِقَاءُ فما أَعَدَدْتِ من كَلِمِ
فاستشرفِي النَصْرَ واستدني مِطَالَعَهُ

* * *

من ضِفَّةِ النهرِ ملءَ السَّهْلِ والجبلِ

عواهِلُ النِيلِ أم أَشباحُهُم عبَروا

مَرُّوا خِفَافًا عَلَى الْوَادِي كَأَنَّهُمْ
وَفِي أَسَارِيهِمْ ذِكْرِي، وَأَعْيُنِهِمْ
يَسْتَغْفِرُونَ لِيَوْمٍ مَرٍّ، مَا لَهُمْ
مَا كَانَ مِنْ يَسَلْبِ الْمَوْتَى مُضَاجِعَهُمْ
حَيًّا بِأَرْوَاحِهِمْ سَعْدًا وَلَوْ مَلَكُوا
مَوَاكِبُ السُّحْبِ الْبَيْضَاءِ فِي الطَّفَلِ
أَسْرَارُ مَاضٍ عَلَى الْأَحْقَابِ مَنْسَدِلِ
يَدُّ بِهِ، جَلَّ فَرَعُونَ عَنِ الْغَيْلِ
رَبُّ الصَّوَالِحِ وَالتَّيْجَانِ وَالدُّوَلِ
نَبْضَ الْوَتِينِ مَشَوْا فِي الْمَشْهَدِ الْحَفْلِ

يَا صَاحِبَ الْخُلْدِ كَمْ لِلرُّوحِ مَعْجَزَةٌ
لَمْ يَنْتَهِ الْوَحْيُ وَالسَّحَرُ الْحَلَالُ، وَلَمْ
وَمِنْ دَمِ الشَّهَدَاءِ الْبَاعِثِينَ بِهِ
وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَوْتُ كُلِّمَا شَرَعُوا
وَطَافَ بِالْمَدْفَعِ الدَّائِي فَأَخْرَسَهُ
لِوَأُوكِ الضَّخْمِ مَا زَالَتْ مَوَاكِبُهُ
يَمْشِي عَلَى قَدَمِ جَبَّارَةٍ هَزَأَتْ
هَذَا طَرِيقَكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي أَلْفَتَ
انظُرْ إِلَيْهِ، فَمَا حَالَتْ مَعَالِمُهُ
أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ جَرْحًا لَوْ مَضَتْ حَقَبُ
فَلْيُلِقْ أَرْوَعًا مَا أَبْدَعَتْ مِنْ حُطَبٍ
وَكَمْ تَمَثَّلَ رُوحَ الْخُلْدِ فِي رَجُلٍ
تَخَلُّ الْحَيَاةُ مِنَ الرُّوَادِ وَالرُّسُلِ
جِيلاً مِنَ الْحَقِّ أَوْ دُنْيَا مِنَ الْأَمَلِ
لَهَاذِمَ الْبَغْيِ تَنَاهَا عَلَى خَجَلِ
وَالنَّارُ فِي صَدْرِهِ تَصْطَكُ مِنْ وَجَلِ
تَتَرَى، وَرَايَاتُهُ حَمْرَاءَ كَالشُّعْلِ
بِالصَّخْرِ وَالْمَوْجِ، وَالنَّيْرَانِ، وَالْأَسَلِ
حُطَاكَ بِالْأَمْسِ، فَاسْلُكُهُ عَلَى مَهَلٍ
مَا لِلزَّمَانِ بِمَا خَلَّدَتْ مِنْ قَبَلِ!!
لِظَلٍّ فِي جَنْبِ مِصْرٍ غَيْرِ مُنْذَمِلِ
جَلَالِكَ الْأَبْدِيِّ، الْمَفْرَدُ الْمَثَلِ

وَعَشْ، كَمَا أَنْتَ مَعْنَى فِي ضَمَائِرِنَا
وَصُورَةً سَمَحَةً الْإِشْرَاقِ مَلْهَمَةً
ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ أَعْمَارٌ مَخْلُودَةٌ
يَطَالُعُ النَّاسُ مِنْهَا، أَيْنَمَا اتَّجَّهُوا
لَا يَنْتَهِي وَحْيُهُ يَوْمًا إِلَى أَجَلٍ
أَرْقُ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّاعِرِ الْغَزَلِ
حَيَاةً مَحْتَشِدِ الْأَمْجَادِ مَتَّصِلِ
شِعَاعُ كَوْكَبِكَ الْوَقَادِ فِي الْأَزَلِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

وأخذت من حبٍّ ومن بغضاءٍ
جوابهُ الأشباحِ والأصداءِ
هتكتُ غشاءَ المقلبةِ العمياءِ
في صورةٍ من رقةٍ وحياءِ
نفاذةٍ لمكامنِ الأهواءِ
لم يخلُ من حذرٍ وفرطِ دهاءِ
متوقِّدٌ كالجمرةِ الحمراءِ
وأقام فردًا في المكانِ النائيِ
أمست غريبةً تربةً وسماءِ
بالصمتِ عن لغوٍ وعن ضوضاءِ
أو تبينَ عشا، أو تحمُّ بغناءِ
من وشي تلك الحُلَّةِ الخضراءِ
لُغَةُ الهوى ورطانُهُ الغرباءِ
بصبابةِ القُمريةِ البيضاءِ
نجمُ المساءِ ورعشةُ الأضواءِ
ثملاً بسحرِ الليلةِ القمراءِ
فشريقُ دمع، أو غريقُ دماءِ
وتأثرتُهُ مخاوفُ الطرداءِ

ماذا تركتَ بعالمِ الأحياءِ
لكَ بعد موتكَ ذكرياتُ حَيَّةٌ
هتكتُ حجابَ الصمتِ عنكَ وربما
فراأتُ مخايلَ وادعٍ متواضعٍ
متطامنِ النظراتِ إلا أنَّها
متفرِّساتٍ في سكينةِ قانصٍ
شيخٌ أطلَّ على الشتاءِ وقلبهُ
مرَّ الرفاقُ به، فشيعَ ركبهم
وطوى الحياةَ كدوحةٍ شرقيةٍ
لبستُ جلالَ وحادها وترفعتُ
لم تنزل الأطيَّارُ فيءَ ظلَّليلها،
حتى إذا عزَّى الخريفُ غصونها
عبرتُ بها صدَّاحةً في سجعها
وارحمتنا للنسرِ يخفقُ قلبه
هي لمعةُ القَبَسِ الأخيرِ وقد خبا
وتوثبُ الروحِ الحبيسِ وقد شدا
وجنايةُ الحسنِ الغريرِ إذا رمى
ومهاجرٍ ضاقتُ به أوطانُهُ

لم تَتَّئِبْهُ شَيْخُوخَةٌ مَكْدُودَةٌ
 متطلبٍ حقَّ الحياةِ لخافقٍ
 من كان في أمسٍ يسوسُ أمورهم
 يقضونَ باسمِ المالِ فيه كأنما
 هلاً قضوا لمقاصفٍ ومصارفٍ
 أكلتْ دمَ الفلاحِ ثم تكفَّلتْ
 حبُّ بلوتٍ به العذابِ، ومثلُهُ
 عَصَفَتْ بأحلامِ الرجالِ وسفَّهَتْ
 كم فوقِ ساحلها خطأً مطموسةً
 وسفينةً مهجورةً، محطومةً
 أين اللواءُ؟ وربُّه؟ وجماعةُ
 وأخو يراعٍ في الصفوفِ مدافعُ
 لم يُنصفوا حتى يبعضِ حجارةٍ
 ومضوا، فما وجدوا كفاءَ صنيعهم
 تأبى السياسةُ غيرَ لونِ طباعها
 قالوا: أحبُّ الإنكليزَ وزادهم
 ها قد أتى اليومُ الذي صاروا به
 بتنا نغاضبُ من يغاضبهم ولا
 رأيي أخذتْ به وليس بعائبٍ
 لكن سكتتُ، فقليل: إنك عاجزٌ
 صمتتُ تحييراً فيه كلُّ مُحدِّثٍ
 في عالمِ يُنسى الحليمُ وقارُهُ
 وترى التوائمَ فيه بين عشيَّةٍ
 جهدَ الكرامِ به افتتارُ مباسمٍ
 صُورٌ عرفتْ لُبَّابها ولحاءها

دون السِّفارِ ولا صقيعِ شتاءِ
 أمسى مهيضُ كرامةٍ وإبَاءِ
 ضنُّوا عليه بفرحةِ الطُّلقاءِ
 ضَمَّنُوا لمصرَ مصادِرَ الإثراءِ
 مفعورةً، منهومةِ الأحشاءِ
 بحصادِ حنطتِهِ، وجلدِ الشاءِ
 مَقَّةُ السياسةِ وهي شرُّ بلاءِ
 رأيِ اللبيبِ، ومنطقِ الحكماءِ
 كانت سبيلَ هدايةٍ ورجاءِ
 حَمَلَتْ لها البشرى طيورُ الماءِ
 كانوا طليعةَ موكبِ الشهداءِ؟
 بيديَّ حوارِيٍّ، وصدرِ فدائيٍّ؟
 خرساءَ ماثلةٍ لعينِ الرائي!
 تمثالَ حبٍّ، أو مثالَ وفاءِ
 وتريدُ غيرَ طبائعِ الأشياءِ
 ودَّ الحميمِ وموثقِ القُرنائِ
 أوفى الدعاةِ وأكرمِ الحلفاءِ
 نأبى رعايتهم على الضراءِ
 نممَ الرجالِ مآخذُ الآراءِ
 عن ردِّ عاديةٍ ودفِعِ بلاءِ
 والصمتُ بعضُ خلائقِ الكُرماءِ
 ويُري البنينَ عداوةَ الآباءِ
 متنافراتِ طبيعَةٍ ورواءِ
 وتكُلفُ في القولِ والإصغاءِ
 فكأنما خَلِقْتَ بغيرِ لحاءِ

قد كنتَ تَخْلِصُ لي الودادَ فهاكُهُ
 شعراً يصونُ مودَّةَ الخلاءِ

مَأْسَاةُ رَجُلٍ

يَجِدُ الرِّجَالَ بِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ مَدْحِي، وَعَنْ هِنَوَاتِهِمْ إِغْضَائِي
فَاصْعَدُ لِرَبِّكَ فَهُوَ أَعْدَلُ حَاكِمٍ وَهُوَ الْكَفِيلُ بِرَحْمَةٍ وَجَزَاءِ
وَتَلَقَّ مِنْ حَكْمِ الزَّمَانِ وَعَدْلِهِ مَا شَاءَ مِنْ نَقْدٍ وَمِنْ إِطْرَاءِ

صَدَى الْوَحْيِ

صدى الوحي في أسلوبه المتجدد
شدا الحبُّ في ناي الربيعِ المغرِّدِ
قديمٌ على ثغرِ الزمانِ المرْدِّدِ
وما هو إلا ملهْمُ اليومِ والغدِ
ترنمٌ شادٍ، أو تراتيلٌ مُنشدِ
يعيش بروحِ الصَّيدحيِّ المجدِّدِ

بيانك من نبعِ الجمالِ المخلِّدِ
سرى لحنه في كلِّ قلبٍ كأنَّمَا
غريبًا على الأسماعِ وهو كعهديه
إلى جبلِ النورِ انتهى سرُّ وحيه
فغنَّ به الأجيالُ، واهتفِ بأيه،
وأرسله سمحًا من قريحةِ شاعرٍ

حواها فؤادُ الكاتبِ المتعَبِّدِ
وقد زرتَه ليلاً، على غيرِ موعدِ
رفيفٌ، كهمسِ الروحِ في ظلِّ معبدِ
من النورِ، في عَيْني أديبِ مُشهدِ
ببارقةٍ من ذهنه المتوقِّدِ

عواالمُ شتَّى من جلالِ، وروعةٍ
ذكرتُ، وللذكرى حديثٌ مُحَبَّبُ
ولليلِ إصغاءٍ، وللريحِ حوله
وقد هدأ المصباحُ، إلا مجاجةً
ترامى وراء الأفقِ حيناً، وتثنني

يداهُ يدي في رقةٍ وتودِّدِ
فأمعنَ إمعانَ الخيالِ المشرِّدِ
ملائكُ بالنجوى تروحُ وتغتدي
بأجنحةٍ تهفو على غيرِ مشهدِ

فحييَّته همساً، فحيًا، وصافحتُ
وشاعَ جلالُ الصمتِ بيني وبينه
وأمسيتُ أرعاهُ، فلاحتُ لخاطري
تسرُّ إليه القولَ في غيرِ منطِقِ

على صُحُفِ عُرِّ الحواشي كريمةٍ
 نبيلُ مرامي القولِ في كَفِّ كاتبٍ
 يخطُّ لروحانيَّةِ الشرقِ سيرةً
 تمثِّلها في صورةٍ قرشيَّةٍ
 يبثُّ سناها الأرضَ حبًّا، ورحمةً
 حياةً نمتْ مجدَ الحياةِ وغيَّرتْ
 تنادى بها الرءاونَ، فاعجب لما رأوا
 تَسامى عن الدنيا وفيها لواءُه
 فما ضفر الأكليلَ يوماً بمفرقٍ
 أحب إليه حين يفترشُ الثرى
 ويخِصِفُ نعليه، وطوعُ يمينه
 ويمضي إلى الهيجاءِ غرثانَ صاديًا
 ولكنَّهُ دينٌ أفاءَ ظلاله
 عفاةً، كأن لم يملكوا قوتَ يومهم
 مَحَوْا لفظَةَ الأربابِ من كلماتهم
 هو المثل الأعلى ومبعوثُ أمةٍ

* * *

مُحمَّدُ، ما شعري إليك وما يدي؟
 ولكنَّهُ حوضُ الشفاعةِ ضمَّنًا
 نَماني إقليمَ نَماك، وأطلعتُ
 فإن أشدُّ بالمجدِ الذي شدَّت ركنه
 محمَّد: ما أرضيك بالشعرِ مدحةً
 وما الشعر من إبداعك المتعدِّد؟
 على خيرِ ميعادٍ وأعذبِ موردٍ
 سماءك شمسٌ أطلعتُ فجرَ مولدي
 فما هو إلا ركنٌ قومي وسوَّدي
 فحسبُكَ مرضاةُ النبيِّ محمَّدٍ

العشاق الثلاثة

«إلى أدعياء الحكمة والمعرفة.»

يُفَكِّرُ فيما تحته من غيَاهِبِ
بصوتِ محبٍّ في الحياةِ مُقَارِبِ
وأجملَ أحلامِ الليالي الكواعِبِ
وراعيكَ بين النيرَاتِ الثواقِبِ
عواملَكِ المملأى بشتَّى العجائبِ
تُبَعَثُهَا في الكونِ من غيرِ حاسبِ!

سَرَى القمرُ الوضَّاحُ بين الكواكبِ
فناداهُ من وادي الخليينِ هاتِفُ
يقولُ له: يا روعةَ الحسنِ والصِّبا
أنا العاشقُ الوافي إذا جنَّي الدُّجى
ألا ليتني حُرٌّ كضوءِكِ أرتقي
ويا ليت لي كنزٌ ابتساماتِكِ التي

وأضفى على الوادي شعاعَ حنانِ
فلم يرَ في أنحائها وجهَ إنسانِ
فأين تُرى ألقاكَ أم كيف تلقاني؟
وراءَ زجاجيها أخذتُ مكاني
وأن أنزلَ الوادي بحيثِ تراني
تَزوِّدُ عيني من سنا ضوءِكِ الحاني!

فأصغى إليه الضوءُ في صَفْوِ جِذلانِ
وجاسَ خلالِ السُّحْبِ والماءِ والثرى
فصاحَ به: يا صاحبي ضلَّ ناظري
فأوما له إني هنا تحت شرفتي
أبى البردُ أن أستقبلَ الليلَ قائمًا
وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ

وأعرضَ عنه بابتسامِ ساخرِ
ويا رَبِّ شِعْرٍ ساقَهُ غيرُ شاعرِ

فألقي عليه الضوءُ نظرةَ حائرِ
وقال له: يا صاحبي قد جهلتني

أنا الموثقُ المكدودُ طالتُ طريقُهُ
تجاذبُنِي طاحونُهُ الشمسِ كلما
وما بسمتي إلا دموعٌ من اللّظى
فدعُ عنكَ يا أعجوبةَ الحبِّ عالمي
طريقُ أسيرٍ في رعايةِ آسِرِ
وقفتُ، وتمضي بي سياتُ المقادِرِ
قد التمعتُ في وجهِ سهمانَ حاسِرِ
فقبلك لم يَلقُ الأعاجيبَ ناظِرِي!

وأمعنَ في تفكيرِهِ القمرُ الزاهي
يناجيه منها عاشقٌ ذو ضراعةٍ
يقول له: يا مُشهدي كلِّ ليلةٍ
شبيههُ بهذا الضوءِ نورُ جبينِهِ
وترسّمُ لي الأشباحَ طيفَ خياله
تَمَنَيْتُ لو وَسَدْتُ خَدَّكَ راحتي
فمرَّ بأرضِ ذاتِ عُشبٍ وأمواه
مناجاةً صوفيٍّ لَطِيفٍ إِلِهِ
جمالَ مُحَيَّا رائِعِ الحسنِ تَيَّاهِ
على أَنَّهُ في الناسِ من غيرِ أشباهِ
فأدنو لضمٍّ أو لثمِّ شَفَاهِ
وصدركَ خَفَّاقٌ، وجفنكُ ساهي

فرفَّ على الوادي الشعاعُ طروبا
أزحُ هذه الأغصانَ عنكَ لعلني
فجاوبُهُ: يا قُرَّةَ العينِ إنني
إذا أتعبتُ عيني السماءَ تَطَلُّعا
ففي صفحاتِ الماءِ نهضةَ عاشقِ
خلوتُ به، أروعك أوفى قسامةً
وناداهُ من بين الظلالِ مُجيبًا
أصافحُ وجهًا، من هواك حبيبًا
قد اخترتُ من شطِّ الغديرِ كَثيبًا
وخالستُ لحظًا للنجومِ مُريبًا
يَراك على بُعْدِ المزارِ قريبًا
وأوفرَ من سحرِ الجمالِ نصيبًا!

فغاضِ ابتسامُ الضوءِ من فرطِ حيرةٍ
هو الكونُ مرآتي، ومجلى مفاتني
وما نَظَرَ العَشَّاقُ إلا لعالمِ
أعيدُ الذي شبّهتني بجماله
أنا الفحمةُ البيضاءُ إن جنني الدُّجي
فَدَعُ عالمَ الأفلاكِ واقنعُ بلجَّةِ
وصاح: نجبي أنتَ حَقَرْتَ سيرتي
وما لغديرِ أن يُمَثَّلَ صورتي
يُعَظَّمُ في المعشوقِ كلِّ صغيرةٍ
أديمٌ مُحَيَّا مثلِ صمَاءِ صخرتي
أنا الحمةُ السوداءُ، رأدَ الظهيرةِ
وغازلُ من الأسماكِ كلِّ غريرةِ!

* * *

وبينا يهيمُ الضوءُ في سُبُحاتِهِ
رأى شبحًا في قربِ نارٍ كأنما
يمدُّ ذراعِيه، ويُرسِلُ صوتَه
إلى القمرِ الساري مُحيِّاهُ شاخصُ
فحامَ عليه الضوءُ واستمهلَ الخُطَا
وصاحَ به: يا شَيْخُ ما أنت قائلُ
وقد غطَّ هذا الكونُ في سُخرياتِهِ
يودُّعُ طيفًا غابَ عن نظراتِهِ
بلوعةِ قلبٍ ذابَ في نبراتِهِ
كصاحبِ نُسكِ غارقٍ في صَلاتِهِ
وأجرى سناه الطَّلُقَ في قَسَماتِهِ
تكلَّم! فإنَّ الليلَ في أخرياتِهِ

* * *

فقالَ له: يا باعثِ الحبَّ والمنى
شفيتَ جوى شَيْخِ أَحَبِّكَ يافعًا
وأفنيْتُ عمري أرتقي عالي الذُّرا
وأوقدُ ناري كي تراني وأنثني
وقيل: ضنينٌ لا يجوّدُ بوصله
تساوتُ كلابُ تنبحِ البدرَ ساريًا
سِلِّمْتَ وحيَّتكَ العوالمُ والدُّنى
وعاش بهذا الحبِّ جذلانَ مُؤمنا
إلى أن بلغتَ اليومَ مثنويَّ ها هنا
لأطلقَ أَلحاني، وأدعوكَ موهنا
فهاأنذا ألقاك يا ضوءَ محسنا
ونُوامٍ ليل أنكروا آيةَ السننا!

* * *

فحدَّقَ فيه الضوءُ وارتدَّ مُغضِّبًا
وقال له: أفنيْتَ في سُخفِكَ الصِّبا
ولمَّا تُرِّخْ جفنًا من السهدِ مُتعبًا
وسُخريَّةً بالنار، أن تتقرِّبًا
كأنَّ شعاعي في جفونك قد حَبَا
ومن عَبَثِ مثنواك في هذه الرُّبَا
على حين لم تبلغُ من النورِ مَرَقبا
وما كنتَ إلَّا الواهَمَ المترقِّبا
وثالثَ عشاقٍ بهم ضقتُ مذهبًا
وكانوا لأمثالِ الخليئين مَضْرِبًا

فوا أسفاه، ما كنتُ في الدهر مذنبًا
فأجزي بنجوى من تعشَّق أو صبا
وساق على حبي الدليلَ المكذبا
سل العاصي الهاوي من الخلد هل نبا
به الليلُ لما آثر الأرض واجتبي؟
أبصرَ قبلي في الدُجينة كوكبا
أضاء له الدربَ السحيقَ المشعبا
وهل في سنا غيري تملئ وشببا
بحواءٍ واهتاجِ اليراعِ المثقبا
حويتهما روحًا طريداً مُعذبا
فذابَ حيائي منهما، وتصببا
وأورثني هذا الشحوبَ، وأعقبا
رأيتُ فما يدنو، ووجهًا تخضبا
وصدراً خفوقًا فوق صدر توثبا
غرائزُ فيها الغيُّ والنقصُ رُكبا
تلمسُ في ضوئي الأثامَ المحببا
فيا شيخُ دع هذا الوشاحَ المذهببا
تر الحمأ المسنونَ في الكأسِ دُوبا
طفا الراخُ فيه، والترابُ ترسبا
وإنَّ كلابَ الأرضِ أشرفُ مارببا
ينيرُ لها ضوئي الظلامَ لتجنبا
خطى اللصُّ يستارُ الطريقَ المحببا
فإن نبحتْ ضوئي، تسمعتُ معجبا
بأرخم لحن، رنَّ في الليلِ مطربا
تحيةً مُثنى بي أهلَّ مُرحببا
بني آدم، إنَّ لم يكن آدمُ الأببا
رجوتُ لكم من عالم الرجسِ مهرببا

العشاق الثلاثة

وأثرتكم بالكلبِ جدًّا مهذبًا
وأجملُ بالإنسانِ أنْ يتكلَّبَا

ومالَ عن الأرضِ الشعاعُ وغربًا
ووسوسَ في صدرِ الدُّجى فتألَّبَا

زَهْرٌ وَخَمْرٌ

١٩٤٣

الإهداء

إلى صاحب القلم الشاعر، والبيان الساحر صديقي الكاتب الجليل الأستاذ
أحمد حسن الزييات.
ذكرى أول لقاء على ضفاف المنصورة، منذ عشرين عاماً في مستهل ربيع
باسم.

علي محمود طه

ليالي كليوبترا

كليوبترا! أَيُّ حُلْمٍ مِنْ لِيَالِيكَ الْحَسَنِ
طَافَ بِالْمَوْجِ فَغَنَّى وَتَغَنَّى الشَّاطِئَانِ
وَهَفَا كُلُّ فَوْادٍ وَشَدَا كُلُّ لِسَانِ
هَذِهِ فَاتِنَةُ الدُّنْيَا وَحَسَنَاءُ الزَّمَانِ
بُعِثْتُ فِي زَوْرِقٍ مُسْتَلْهِمٍ مِنْ كُلِّ فَنٍّ
مَرِحَ الْمَجْدَافُ يَخْتَالُ بِحَوْرَاءَ تُغَنِّي
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارِكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

نَبَأَةٌ كَالكَأْسِ دَارَتْ بَيْنَ عُشَّاقِ سُكَارَى
سَبَقَتْ كُلَّ جَنَاحٍ فِي سَمَاءِ النِّيلِ طَارَا
تَحْمَلُ الْفِتْنَةَ وَالْفَرِحَةَ وَالْوَجْدَ الْمَثَارَا
حَلْوَةً صَافِيَةً اللَّحْنَ كَأَحْلَامِ الْعِذَارَى
حُلْمٌ عِذْرَاءٌ دَعَاهَا حُبُّهَا ذَاتَ مَسَاءِ
فَتَغَنَّتْ بِشِرَاعٍ مِنْ خَيَالِ الشُّعْرَاءِ
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارِكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

وتجلى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَمِيدُ
يتهدأه على الموج نواتي عبيدُ
المجاديفُ بأيديهم هتافٌ ونشيدُ
ومُصلونَ لهم في النهرِ محرابٌ عتيدُ
سحرتهم روعةُ الليلِ فهمَ خلقٌ جديدُ
كلهم ربُّ يُغني وإلهُ يستعيدُ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

إصدحي، أيتها الأرواحُ، باللحنِ البديعِ
إمرحي، يا راقصاتِ الضوءِ، بالموجِ الخليعِ
قبلي، تحت شراعي، حُلمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقا بين ضفافِ النيلِ في ليلِ الربيعِ
رُحته موجةٌ تلعبُ في ضوءِ النجومِ
وتنادي بشعاعِ راقصِ فوقِ الغيومِ
يا حبيبي، هذه ليلةٌ حُبِّي
أه لو شاركتني أفراحَ قلبي!

ليلنا خمراً وأشواقٌ تُغني حولنا
وشرعاً سابحاً في النورِ يرعى ظِلنا
كان في الليلِ سُكاري، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنا
كلما غرّد كأسُ شربوا الخمرةَ لحنا
يا حبيبي، كلُّ ما في الليلِ روحٌ يتغنى

هات كأسِي، إِنَّهَا لَيْلَةٌ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

يَا ضِفَافَ النِّيلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضَرَ الرُّوَابِي
هَلْ رَأَيْتَنِي عَلَى النُّهْرِ فَتَى غَضَّ الإِهَابِ
أَسْمَرَ الْجَبْهَةَ كَالْخَمْرَةَ فِي النُّورِ الْمَذَابِ
سَابِحًا فِي زُورِقٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ؟
إِنْ يَكُنْ مَرًّا وَحَيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ
فَصَفِيهِ، وَأَعْيِدِي وَصَفَّهُ، فَهُوَ حَبِيبِي!
يَا حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْلَةٌ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

أَنْتِ يَا مَنْ عُدَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامِ اللَّيَالِي
يَا ابْنَةَ النَّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْبَابُ الْخِيَالِ
وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبِخُ رَبَّاتُ الْجَمَالِ
مَوْجُهُ الشَّادِي عَشِيقُ النُّورِ، مَعْبُودُ الظَّلَالِ
لَمْ يَزَلْ يَرُوي، وَتُصْغِي لِلرُّوَايَاتِ الدَّهْوَرُ
وَالضَّفَافُ الْخُضْرُ سَكْرَى، وَالسَّنَا كَأْسُ تَدْوَرُ
حُلْمٌ لَمْ تَرَوْهُ لَيْلَةٌ حُبِّ
فَاذْكُرِيهِ، وَاسْمَعِي أَفْرَاحَ قَلْبِي!

مِيلَادُ زَهْرَةَ

إلى الطيور النائمة في أعشاشها قبيل فجر شتاء.

يا شعراءَ الروضِ أينَ البيانُ؟
قد وُلِدَتْ في روضكم زهرةٌ
حُلْمُ الفراشاتِ، وحبُّ الندى
قد بشرَ الأرضَ بها مُرْسَلٌ
والنورُ سرٌّ في ضميرِ الدجى
أبصرتها تهفو على غصنها
بيضاء، أو حمراء، تُزهي بها
تَظَلُّ تُصغى، وتَظَلُّ الرُّبى،
وليس منكم حولها هاتفٌ
هل ملتِ الخمرةُ أقداحكم؟
قوموا انظروا الظلَّ على مهدها
لو تقدرُ الأنسامُ زفتَ لها
وأسمعت من خفق أنفاسها

أينَ أغاريدُ الهوى والحنانُ؟
يا حُسنَها بينَ الزهورِ الحسانِ!
وخمرةُ النحلِ، وسحرُ الأوانِ
مُجَنِّحٌ من نسماتِ الجنانِ
والفجرُ طيفٌ لم يبنء للعيانِ
في وحشةِ الليلِ وصمتِ المكانِ
عرائسُ النرجسِ، والأقحوانِ
والعشبِ، والجدولِ، والشاطئانِ
تسكبُ موسيقاهُ سحرَ البيانِ
أم نَضَبَتْ من خمرةِ الدنانِ
يرقصُ فيه القمرُ الأضحيانِ
أرْبعةَ الفردوسِ في مهرجانِ
صوتِ البشيراتِ، وشدو القيانِ

* * *

يا شعراءَ الروضِ كم زهرةٍ
حسبي من الدنيا على شدوكم
ميلادُها من حَسَناتِ الزمانِ
زَهْرٌ، وخمرةٌ، ووجوهُ حسانِ

حَانَةُ الشُّعْرَاءِ

هِيَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا
فِي ظِلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا
وَزَهَتْ بِمِضْبَاحِ جَوَانِبُهَا
«بَاخُوسُ» فِيهَا وَهُوَ صَاحِبُهَا
قَدْ ظَنَّهَا، وَالسَّحْرُ قَالِبُهَا،
مَعْرُوشَةٌ بِالزَّهْرِ وَالْقَصَبِ
أَنْفَاسُ لَيْلٍ مُقَمِّرِ السُّحْبِ
صَافِي الرُّجَّاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ
لَمْ يَخْلُ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ
شِيدَتْ مِنْضِ الْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

* * *

إِبْرِيْقُهُ حَلِيٌّ مِنَ الدُّرْرِ
وَكَانَ مَا حَوْلِيهِ مِنْ صُورِ
تَرَكْتُ مَوَاضِعَهَا مِنَ الْأَطْرِ
مَنْهَنٌ عَازِفَةٌ عَلَى وَتْرِ
وَعَرِيْرَةٌ حَوْرَاءُ كَالْقَمْرِ
يُزْهِى بِهِ قَدَحٌ مِنَ الْمَاسِ
مَتَحَرَّكَاتٌ ذَاتُ أَنْفَاسِ
وَمَشَتْ لَهُ فِي شِبْهِهِ أَعْرَاسِ
مُتَّفَجِّرٌ بِأَرْقٍ إِحْسَاسِ
تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالكَاسِ

* * *

أَوْتَلِكِ حَانَتَهُ؟ فَوَا عَجَبًا!
وَمِنْ الْخِيَالِ أَهْلٌ وَاقْتَرَبَا
فِي مَوَكِبٍ يَتَمَثَّلُ الطَّرْبَا
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ فَتَى وَثَبَا
يَتَوَهَّجُونَ صِبَابَةً وَصَبَا
أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءِ؟
«فَيْنُوسُ» خَارِجَةٌ مِنَ الْمَاءِ!
وَيَمِيلُ مِنْ سِحْرِ وَإِغْرَاءِ
مَتَعَلِّقًا بِذِرَاعِ حَسَنَاءِ
يَتَمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

* * *

حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمُو يَفِدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَابِ!
جَلَسُوا نَشَاوِي مِثْلَمَا قَدِمُوا يَتَرَقَّبُونَ مَنَافِذَ الْبَابِ
يَتَهَامِسُونَ، وَهَمْسُهُمْ نَعْمُ يَسْرِي عَلَى رِنَاتِ أَكْوَابِ
إِنْ تَسَالِ الْخَمَّارَ، قَالَ: هُمُو عُشَّاقُ فَنٍّ، أَهْلُ آدَابِ
لَوْلَا دُخَانُ التَّبَعِ خَلَّتْهُمُو أَنْصَافَ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ

* * *

مِنْ كُلِّ مُرْسِلٍ شَعْرِهِ جَلَقَا وَكَأَنَّهَا قَطَعَ مِنَ الْحَلَكِ
غَلِيُونُهُ يَسْتَشْرِفُ الْأَفْقَا وَيَكَادُ يُحْرِقُ قُبَّةَ الْفَلَكِ
أَمْسَى يُبَعِثِرُ حَوْلَهُ وَرَقَا فَكَأَنَّهُ فِي وَسْطِ مُعْتَرِكِ
فَإِذَا أَتَاهُ وَحْيُهُ انْطَلَقَا يُجْرِي الْيَرَاعَ بَكْفٍ مُرْتَبِكِ
وَيَقُولُ شَعْرًا كَيْفَمَا اتَّفَقَا يُغْرِي نَوَاتِ التُّكْلِ بِالضَّحِكِ

* * *

«بَاخُوسُ» يَزْوِي عَنْ غَرَائِبِهِمْ شَتَّى أَحَادِيثٍ وَأَنْبَاءِ
قِصَصٌ تَدَاوَلُ عَنْ صَوَاحِبِهِمْ وَعَنْ الصَّبَايَا فِتْنَةِ الرَّائِي
وَعَنْ الْخَطِيئَةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ بَدَأَتْ بِآدَمِ أُمِّ بَحَاوَاءِ
وَالْمُلْهَمَاتِ إِلَى جَوَانِبِهِمْ يُكْثِرْنَ مِنْ غَمَزٍ وَإِيْمَاءِ
يَعْجَبْنَ مِنْ فِعْلِ الشَّرَابِ بِهِمْ وَيَلْدُنَ مِنْ سَأَمٍ بِإِعْفَاءِ

* * *

وَتَلَفَّفُوا لَمَّا بَدَأَ شَبَحُ! فَنَانَةٌ دَلَقَتْ مِنَ الْبَابِ
سَمْرَاءُ بِالْأَزْهَارِ تَتَشَحُّ أَلَقَتْ غُلَالَتَهَا بِإِعْجَابِ
وَمَشَتْ تَرَاقِصَهُمْ فَمَا لَمَحُوا إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ
وَسَرَى بِسِرِّ رَحِيقِهِ الْقَدْحُ فِي صَوْتِ شَاجِي اللَّحَنِ مَطْرَابِ
وَشَدَا بِجَوِّ الْحَانَةِ الْفَرَحُ لِإِلَهَةٍ فَرَّتْ مِنَ الْغَابِ

* * *

هِيَ رُقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلْمٌ
الكَاسُ فِيهَا وَهِيَ تَضْطَرُّمٌ
زَنْجِيَّةٌ فِي الْفَنِّ تَحْتَكُمُ؟
فَأَجَابَتِ السَّمْرَاءُ تَبْتَسِمُ:
يَا أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ وَيَحْكُمُ
وإِذَا «بِفِينُوسِ» تَمَدُّ يَدَا
قَلْبٌ يَهْزُ نَدَاؤُهُ الْأَبَدَا:
قَدْ ضَاعَ فَنَّ الْخَالِدِينَ سُدَى!
الْفَنُّ رُوحًا كَانَ؟ أَمْ جَسَدًا؟
اللَّيْلُ وَلَّى وَالنَّهَارُ بَدَا!

سَارِيَةُ الْفَجْرِ

عَبَّرْتُ بِي فِي صَبَاحٍ بَاكِرٍ
شَعْرُهَا الْأَشْقَرُ فِيهِ وَرْدَةٌ
وَرَشِيقَاتُ الْخُطَى فِي وَقْعِهَا
وَبِعَيْنَيْهَا رُؤَى حَائِرَةٌ
صَوَّرْتُ مِنْ حَاضِرِ الْعَيْشِ، وَمِنْ
فَتْنَةِ الْعَيْنِ وَشُغْلِ الْخَاطِرِ
لَوْنُهَا مِنْ شَهْوَاتِ الشَّاعِرِ
مُنْبِئَاتِي بِشَبَابٍ سَاخِرِ
بَيْنَ أَسْرَارِ مَسَاءٍ غَابِرِ
أَمْسِهَا، قِصَّةَ حُبِّ عَاثِرِ

* * *

قَلْتُ، وَالْفَجْرُ سَنَا يَاقُوتَةَ
هَذِهِ السَّاعَةَ تَسْعَى امْرَأَةٌ
مَنْ تَرَاهَا؟ وَإِلَى أَيْنَ؟ وَمِنْ
تَقْطَعِ الْإِفْرِيزَ مِنْ نَاحِيَّتِي
تَتَّقِي الْأَعْيْنَ أَنْ تَبْصُرَهَا
لَا تَبَالِي بَلَلِ الثَّوْبِ، وَلَا
أَوْ تَبَالِي قَدَمَاهَا خَاضَتْهَا
لَأَلَّتْ خَلْفَ السَّحَابِ الْمَاطِرِ:
حِينَ لَمْ يَخْفُقْ جَنَاحُ الطَّائِرِ!
أَيُّ خَدِرٍ طَلَعْتُ أَوْ سَامِرٍ؟
كَأَسِيرِ هَارِبٍ مِنْ أَسْرِ
وَهِيَ لَا تَأَلُو التَّفَاتِ الْحَائِرِ
لِفَحَّةِ الْبَرْدِ الشَّفِيفِ الثَّائِرِ
مَسْرَبِ الْمَاءِ الدَّفُوقِ الْهَامِرِ

* * *

أَنْتِ، يَا سَارِيَةَ الْفَجْرِ، اسْمَعِي
مَرَّ بِي مِثْلِكَ لَمْ يُشْعِرْنِي
وَأَنَا الشَّاعِرُ، قَلْبِي رَحْمَةٌ
دَعْوَةَ الرُّوحِ الْبَرِيِّ الطَّاهِرِ
غَيْرَ إِشْفَاقِ الْحَفِيِّ النَّاصِرِ
لِفَرِيَسَاتِ الْقَضَاءِ الْجَائِرِ

إِنْ نَأَتْ دَارُكَ، يَا أُخْتُ، فَمَا بَعُدَتْ دَارُ الْغَرِيبِ الْعَابِرِ
شَاطِرِينِي ذَلِكَ الْمَأْوَى، فَمَا أَتَقَاضَاكَ وَفَاءَ الشَّاكِرِ
غَرْفَةً، آلِهَةُ الْفَنِّ بِهَا تَتَلَقَّاكَ لِقَاءَ الظَّافِرِ
وَتُغْنِيكَ نَشِيدًا مِثْلَهُ مَا تَغْنَّتْ لِحَبِيبِ زَائِرِ

* * *

هَاتِ كَفِّيكِ وَلَا تَضْطَرِّبِي! لَا تَخَالِي رَيْبَةً فِي نَاطِرِي!
سَوْفَ يَثْوِيكَ جِدَارٌ سَاخِرٌ مِنْ أَبَاطِيلِ الزَّمَانِ السَّاخِرِ
سَوْفَ يَحْوِيكَ فِرَاشٌ صَامِتٌ لِكَ فِيهِ هِمَسَاتُ الذَّاكِرِ
سَوْفَ يَطْوِيكَ سَكُونٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ لَغْوُ مُحِبِّ غَادِرِ
وَأُنَادِيكَ، وَأَسْتَدْنِي يَدًا لَمَسْتُ رُوحِي، وَهَزَّتْ خَاطِرِي
وَأَحْيِيكَ، وَأَسْتَحْيِي فَمَا حَقُّهُ قُبْلَةَ رَبِّ غَافِرِ!!

أُغْنِيَةُ الْحُبِّ

قال الشاعر الألماني هنريخ هايني:

أيها الصبح هذا زمن الحب، فلنرفع الكؤوس، فالربيع المرح يجعلنا جميعًا
إخوانًا، ها هو ذا الحب البهيج، وأنت أيتها الشمس، أتصوّبين شعاعك؟
فلنذهب لنقطف فرحين الأعناب الناضرة.

وقلت في هذا المعنى:

يا رفاقي، هَذِهِ السَّاءُ	عَةً مِنْ حُلْمِ الزَّمَانِ
إِنَّ هَذَا زَمَنُ الْحَبِّ	بِّ، فَضَجُّوا بِالْأَغَانِي
ارْفَعُوا الْأَقْدَاخَ مَلَأَى	وَأَشْرَبُوا نَخْبَ الْحَسَانِ
فَالرَّبِيعُ السَّمْحُ يَدْعُو	كَمْ إِلَى أَقْرَبِ حَانَ!

* * *

الرَّبِيعُ الْمَرِحُ الْجَذُّ	لأنَّ يَخْتَالُ فخوراً
إِنَّهُ الْحَسَنُ الَّذِي يَمُ	لأُ بِالْحَبِّ الصَّدُورَا
كَيْفَ لَا نَقْطِفُ مِنْهُ الـ	سَمَّرَ الْحَلَوَ النَّضِيرَا!
أَنْتِ، يَا أَيْتَهَا الشَّمْسُ	سُ، املئي الأفاق نورا!

* * *

يا رفاقي، قد دعانا	زمن الحبِّ، فهيّا
--------------------	-------------------

ديوان علي محمود طه

أَطْلَعِ الرُّوضُ جَنَى الكَرِّ مَةِ وَالزُّهْرَ النَّدِيًّا
اقطفوا الأزهارَ منه واعصروا الكرمَ الجنيًّا
يا رفاقي، قد دعانا زَمَنُ الحَبِّ، فهَيَّا!!

حَدِيثُ قُبْلَةٍ

تسألني حلوة المبسم: تحدّثت عني، وعن قبلة فقلت أعابثها: بل نسيت، فإن تُنكريها فما حيلتي؟ سلي شفتيك بما حسّته ألم تُغمضي عندها ناظريك؟ هبي أنها نعمة نلتها فإن شئت أرجعتها ثانياً

مَتَى أَنْتَ قَبَّلْتَنِي فِي فَمِي؟
فِيَا لَكَ مِنْ كَاذِبٍ مُلْهِمٍ!
وَفِي الثَّغْرِ كَانَتْ، وَفِي الْمَعْصَمِ
وَهَا هِيَ ذِي شَعْلَةٍ فِي دَمِي
مَنْ شَفَّتَنِي شَاعِرٍ مُغْرَمٍ
وَبِالرَّاحَتَيْنِ، أَلَمْ تَحْتَمِي؟
وَمَنْ غَيْرَ قَصِدٍ، فَلَا تَنْدَمِي!
مِضَاعَفَةٌ لِلْفَمِ الْمَنْعَمِ

فَقَالَتْ، وَغَضَّتْ بِأَهْدَابِهَا:
سَأَغْمُضُ عَيْنِي كَيْ لَا أَرَكَ
كَأَنَّكَ فِي الْحَلْمِ قَبَّلْتَنِي

إِذَا كَانَ حَقًّا، فَلَا تُحْجِمِ
وَمَا فِي صَنِيعِكَ مِنْ مَأْتَمٍ
فَقُلْتُ: وَأَفِيدِكَ أَنْ تَحْلُمِي!!

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

رَبَّتِي، رَبَّةُ أَشْعَا
هي حورِيَّةٌ غَابِ
وعروسٌ من بنات الـ
مثلها لم يَرَ صَيًّا
فِتْنَةُ الشَّاعِرِ فِي وَحْدِ
غَنَّتِ الْأَحْلَامُ فِي غِرِّ
وَسَرَتْ تَرْقُصُ حَوْلَيْهِ
ورفِيفِ السُّحْبِ وَالْأَنْدِ
ولغيري لم تَكُنْ تَخِ
لا، ولم تَرَوْ كَهَذَا الـ
وليلي الصيفِ منها
بِتُّ أَسْقِيهَا وَتَسْقِي
خَمْرَةً مَا قَبَّلَتْ غَيْبِ
خَمْرَةً فِي الْغَيْبِ كَانَتْ
خَيَّمَتْ بِالشَّفَقِ الْوَرِ
جُبِلَتْ فَخَارَتْهُ

ري، وَحْبِي، وَغَنَائِي
لم تَبِينِ لِلشَّعْرَاءِ
جَنَّ لَمْ تَبْدُ لِرَائِي
دُ عَلَى صَفْحَةِ مَاءِ
سَدْتِهِ كَلَّ مَسَاءِ
فَتِهِ لِحْنِ اللَّقَاءِ
هِ عَلَى خَفَقِ الْهَوَاءِ
جَمِ وَالشَّهْبِ الْوَضَاءِ
طَرُ فِي هَذَا الرَّوَاءِ
لِحْنِ فِي هَذَا الصَّفَاءِ
كَأَمَاسِي الشِّتَاءِ
نِي عَلَى مَحْضِ الْوَفَاءِ
رِ شَفَاهِ الْأَنْبِيَاءِ
قَطْرَاتٍ مِنْ ضِيَاءِ
دِي فِي أَصْفَى إِنْءِ
مِنْ صَفَاءِ وَنِقَاءِ

حَدَّثُوا عَنْهَا، وَمَا أَحَدٌ
 قَالَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ فِي
 هَذِهِ الْخَمْرَةُ كَانَتْ
 عَصْرُهَا مِنْ جَنَى الرَّ
 لِي حَدِيثَ النَّدْمَاءِ
 غَيْرَ زَهْوٍ وَأَدْعَاءِ:
 لِمَلُوكِ أَتَقِيَاءِ
 بَاتٍ فِي فَجْرِ شِتَاءِ

* * *

ثُمَّ آلَتْ لِغْلَامٍ
 شَرَّهُ النَّظْرَةَ، عَرَبِيٍّ
 عَشَقَ الْبَحْرَ وَعَافَ الْ
 وَمَضَى يَضْرِبُ فِي الْكُو
 عَاشَ كَالْقَرِصَانِ يَطْوِي
 بِشِرَاعٍ صُنْعُهُ إِحْد
 غَزَلًا يَمْلِكُ بِالشَّعْرِ
 كَلِمَا هَامَ بِأُنْثَى
 وَشَكَا الْكَأْسُ إِلَيْهِ
 هَمٌّ أَنْ يَشْرَبَ فَارْتَدَّ،
 صَنَّ بِالْقَطْرَةِ مِنْهَا،
 وَمَضَى جَيْلٌ وَجَيْلٌ،
 ضَارِبًا فِي الْعَاصِفِ الثَّ
 وَأَتَاهُ الْقَدَرُ السَّ
 فِدَعَا الرَّبَابَ وَاسْتَص
 فَاتَّتُهُ رَبَّةُ الشَّعْرِ
 قَالَ إِنْ مِتُّ فَمَا أَج
 وَرثَاءٌ مِنْكَ يُحْيِي
 وَحِبَاهَا سِرَّهُ الْخَا
 هَامَسًا، وَالنُّورُ فِي نَا
 لِكِ مَا اسْتَوْدِعْتُ أَوْ مَا
 لَا تَذُودِي عَنْهُ مَعَشُو
 رَائِحَ جَمِّ الذِّكَا
 دٍ، شَدِيدِ الْغُلُوءِ
 قَصَرَ مَرْفُوعَ الْبِنَاءِ
 نَ عَلَى غَيْرِ اهْتِدَاءِ
 كَلَّ بَحْرٍ وَفَضَاءِ
 سَدَى أَعَاجِيبِ الْخَفَاءِ
 مَرِّ مَقَالِيدِ النِّسَاءِ
 أَوْ صَبَاً بَعْدَ اشْتِهَاءِ
 طَوَلَ هَجْرٍ وَجَفَاءِ
 فَأَغْضَى فِي حِيَاءِ
 وَكَذَا شَرَعُ الْوَلَاءِ
 وَهُوَ مَشْبُوبُ الدَّمَاءِ
 نَرِّ وَالرِّيْحِ الرُّخَاءِ
 خَرُّ أَوْ حَكْمُ الْقَضَاءِ
 رَخٍّ، مِنْ فَرَطِ عِيَاءِ
 مَرِّ عَلَى رَغَمِ التَّنَائِي
 سَدْرٌ مِثْلِي بِالرِّثَاءِ
 نِي عَلِيٍّ رَغَمِ الْفَنَاءِ
 لَدَّ أَوْ سِرِّ الْبِقَاءِ
 ظَرَهُ وَشَكَ انْطِفَاءِ:
 صُنْتُ فِي هَذَا الْإِنَاءِ
 قَكَ، يَا بِنْتَ السَّمَاءِ

خَمْرَةُ الشَّاعِرِ

إِنَّهُ مَلَّاحٌ بِحَرِّ مَا لَهُ مِنْ نُظْرَائِ
فِيهِ أَحْيَاءٌ، وَبِهِ أَنْ شَرُّ فِي الْبَحْرِ لَوَائِي

* * *

هَذِهِ خَمْرَةُ أَشْعَا رِي، وَحُبِّي، وَغَنَائِي
فِي قَصِيدِ مُحَدَّثٍ، أَوْ فِي حَدِيثِ الْقَدَمَاءِ

زَهْرَاتِي

طَالَ انتظاري ومضى مَوْعدي وأنت مثلي ترقبينَ المساءَ
كم لكِ عندي في الهوى من يد يا زَهْرَاتِي، أنتِ رمزُ الوفاءِ

* * *

يا زهراتي، ويك لا تسأمي ولا يرُعكِ الزَّمَنُ الدائرُ
لا تُطْرِقي، وابتهجي، وابسِمي عمَّا قليل يُقبِلُ الزائرُ

* * *

عما قليل سوف تلقينه أجمل ما تصبو إليه العيونُ
يَطْرُقُ بابي مُعَلِنًا أَنَّهُ كل اصطبارٍ في هواه يهونُ

* * *

أقول: هل أبطأ في خطوه أم هل تُزِي أخطأً ميعادهُ؟
أم ضللتُه، وهو في لهوه أرْجاءٌ حيٌّ قَبْلُ ما ارتآدهُ؟

* * *

تعللي مثلي، وقولي: لعل! أم أنتِ لا تدرينَ سرَّ الغرامِ؟
ما أنتِ إلَّا بسماتُ الأملِ إن خيمَ الصمتُ وسادَ الظلامُ

* * *

كم أَخَوَاتٍ لِكِ شَاطِرُنَّنِي فَجَرَ لِقَاءٍ رَائِعِ الْمَطْلَعِ
وكم مَسَاءٍ فِيهِ سَامِرُنَّنِي وَبِتُّنَ فِيهِ سَاهَرَاتٍ مَعِي!

* * *

يا حَسَنَهَا فِيهِنَّ مِنْ زَهْرَةٍ ظَنَنْتُ جَفُونِي بِالكَرَى مَثَقَلَاتٍ
مَسَّتْ جَبِينِي، وَهِيَ فِي حَيْرَةٍ كَأَنَّمَا تُوقِظُنِي مِنْ سُبَاتٍ

* * *

سَاهِرَةً تَخْفُقُ أُرَاقَهَا عَلَيَّ فَمِي أَنَا، وَأَنَا يَدِي
كَأَنَّ أَشْوَاقِي أَشْوَاقَهَا أَوْ أَنَّهَا صَاحِبَةُ الْمَوْعِدِ!

* * *

خَلَا بِنَا، يَا زَهْرَاتِي، الْمَكَانُ وَزَايِلَ الشَّرْفَةِ ضَوْءُ الْقَمَرِ
الَّيْلَةُ مَا مَرَّ؟ أَمْ لَيْلَتَانِ؟ ابْقِي مَعِي حَتَّى يَلُوحَ السَّحَرُ

* * *

سَأَلْتِكِ الْحَبَّ وَعَهْدَ الْوَفَاءِ يَا زَهْرَاتِي لَا تَمَلِّي الْبَقَاءَ
مَا زَالَ عِنْدِي أَمَلٌ فِي اللَّقَاءِ وَإِنْ مَضَى الْيَوْمُ، وَحَلَّ الْمَسَاءُ

* * *

خَلَفَ زَجَاجَ الْبَابِ طَيْفُ سَرَى يَدْنُو إِلَيَّ بَابِي مِنَ السُّلَمِ
خَفَّ لَهُ قَلْبِي وَمَا صَوَّرَا غَيْرَ ذِرَاعِي شَبَحٍ مُبْهَمِ

* * *

أَظَلُّ أَرْنُو نَحْوَهُ مُرْهِفًا سَمْعِي، وَمَا يَكْذِبُنِي نَاطِرِي
يَا حَسْرَتَا، مَا لَاحَ حَتَّى اخْتَفَى وَزَالَ مِثْلَ الْحُلْمِ الْعَابِرِ

زَهْرَاتِي

* * *

وكم خُطِّي أَحْسَسْتُهَا فِي دَمِي أَقُولُ: قَدْ جَاءَ وَهَذِي خَطَاهُ
أَصْغِي وَأُحْصِي دَرَجَ السَّلْمِ لَكِنَّهُ يَمْضِي، وَيُنْأَى صَدَاهُ

* * *

يا زهراتي كم حديثٍ لنا عن موعدٍ في ليلةٍ أو نهارٍ
يَعْجَبُ مِنَّا كُلُّ مَا حَوْلَنَا أَمَا سَيِّمْنَا بَعْدَ طَوِيلِ انْتِظَارٍ؟

* * *

ناشِدْتُكَ الحَبَّ فَإِنْ تَوَثَّرِي جَدَّدتِ أَسْمَارِكِ فِي مَخْدَعِي
فَانْسِي مَوَاعِيدَ الهوى، واذكري أَيَّ فَنِّي، فِي الحَبِّ، لَمْ يُخْدَعِ!

مِنْ قَارَةٍ إِلَى قَارَةٍ

طارق بن زياد في طريقه إلى الأندلس

ذاع حديث موانئ الغزو في بدء هذه الحرب، ولعل أعظم وأروع هذه الغزوات في الحروب القديمة بدأت من «طنجة» الميناء الأفريقي الذي خرج منه القائد العربي العظيم «طارق بن زياد» في أسطول يُقَلُّ اثني عشر ألف محارب منذ أكثر من ألف ومائتي عام، وسار به إلى الصخرة الشَّمَاء التي نزل بها جيشه الفاتح، وسُمِّيت باسم ذلك القائد العظيم الذي أتاحت له عبقريته الحربية في هذه الغزوة نصرًا منقطع النظير في أجمل وأغنى وأقوى بقاع القارة الأوروبية وهي الأندلس.

تَهْفُو بِأَجْنَحَةٍ مِنَ الظُّلْمَاءِ؟
قُنْنَ الْجِبَالِ عَلَى الخَضْمِ النَّائِي؟
لَمَنِ السَّفِينُ تُرَى، وَأَيُّ لَوَاءِ؟
مَتَرِبِّصًا بِالمَوْجِ، وَالأنْوَاءِ
وَيَضُمُّ، تَحْتَ اللَّيْلِ، فَضَلَ رَدَاءِ
مِنْ وَسْمِ «إفريقيَّة» السَّمْرَاءِ
مَسَحَتْ مُحَيَّاهُ يَدُ الصَّحْرَاءِ
تَحْتَ النُّجُومِ الغُرِّ وَالأنْدَاءِ
مِنْ قَبْلِ لِابْنِ العُذْرَاءِ

أشْبَاحُ جَنْ فَوْقَ صَدْرِ المَاءِ
أَمْ تِلْكَ عُقْبَانُ السَّمَاءِ وَتَبَّنَ مِنْ
لَا، بَلْ سَفِينُ لُحْنٍ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَمِنَ الفَتَى الجِبَارِ تَحْتَ شِرَاعِهَا
يُعْلِي بِقَبْضَتِهِ حِمَائِلَ سَيْفِهِ
وَيُنْبِلُ ضَوْءَ النُّجُومِ عَالِي جِبْهَةٍ
دَهَبٌ بِبُوتِقَةِ السَّنَا مِنْ ذُوْبِهِ
لَوْ جَلَّتْ فِيهِ الصَّحَارَى سَحْرَهَا
وَسَمَاءِ بَحْرٍ مَا تَطَامَنَ مَوْجُهُ

ومسابعُ الإلهام، والإيحاءِ
بنخيلها، وشفافها الخضراءِ
سُفُنِ ذواهبٍ بينهنَّ جوائِ
يطوون كل مفازةٍ وفضاءِ
يتناشدون ملاحم الشعراءِ
ويُديلُ من «قرطاجة» العصماءِ
عجبًا! وأيُّ عجائبِ الأنباءِ
والموجِ في الإزبادِ والإرغاءِ
وهَداهُ للإبحارِ والإرساءِ!
جنُّ الجبالِ عرائسُ الدماءِ؟

بحرٌ، أساطيرُ الخيالِ شطوطُهُ
ومدائنُ سحرِيَّةُ شارفَنهُ
ومعابدُ شَمٍّ، وآلهةُ على
أبطالٍ «يونان» على أمواجهِ
يتجاذبون الغارَ تحت سمائِهِ
ما زال يرمي «الرُّوم» وهو سليلهم
حتى طَلَعَتْ بِهِ فكننتَ حديثُهُ
ويسائلون بِكَ البروقَ لوامعًا
من عَلَمِ البدويِّ نَشَرَ شرابعها!
أين القفارُ من البحارِ، وأين من

بِكَ فوق هذي اللُجَّةِ الزرقاءِ؟
أفُقُ من الأحلامِ والأضواءِ
قطراتُ ضوءٍ في حفافِ إناءِ
والغربُ، من قُرْبِ خياله رائي
أطيافُ هذي الجنةِ الخضراءِ
كفَّاكَ قلبًا ثائرَ الأهواءِ
ضربَتْهُ أندلسيَّةُ للقاءِ!
لك صيحةٌ مرهوبةُ الأصداءِ:
أنتم بها رهطٌ من الغرباءِ
ضاع الطريقُ إلى السفينِ ورائي!!
حمراءُ مطبِقةٌ على الأرجاءِ
من خلفهِ إلا شرعَ رجاءِ
بيضاءَ فوق الصخرةِ الشَّمَاءِ

يا ابن القبابِ الحُمِرِ ويحك! من رَمَى
تغزو بعينيك الفضاءَ وحَلَفَهُ
جُرُورُ مُنَوَّرَةِ الثغورِ كأنَّها
والشرقُ، من بُعدِ حقيقتهِ عالمِ
ضحككُ بصفحتِهِ المني وتراقصتُ
ووثبتتُ فوق صخورها وتَلَمَّستُ
فكأنما لك في ذراها موعِدُ
ووقفتُ والفتيانُ حولك، وأنبرتُ
هذي الجزيرةُ، إن جهلتم أمرها
البحرُ خلفي، والعدوُّ إزائي
... وتلفَّتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ
قد أحرقتُ الرِّبانُ كلَّ سفينةِ
ألقي عليه الفجرُ حَيْطَ أشعةِ

يبني لِمُلْكِ الشرقِ أيَّ بناءِ

وأتى النهارُ وسار فيه طارقُ

مِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ

حتى إذا عَبَرْتُ لِيَالِ طَوَّفَتْ
يرعى على الأفقِ المُرْصَعِ قَرِيَّةً
أحلامُهُ بِالْبَحْرِ ذَاتَ مَسَاءِ
أعْظَمُ بِهَا لِلْغَزْوِ مِنْ مِينَاءِ
مَدَّ الْمَسَاءُ لَهَا عَلَى خُلْجَانِهَا
ظِلًّا، فَنَامَتْ فَوْقَ صَدْرِ الْمَاءِ!

رَاقِصَةُ الحَانَةِ

تَعَانِقُ آلِهَةً فِي الخِيَالِ
مِنَ الفَنِّ فِي حَرَمٍ لَا يُنَالُ
وَلَيْسَتْ تُحَسُّ عَيُونََ الرِّجَالِ
عَلَى عَرشِهِ العَبْقَرِيِّ الجَلَالِ
وَمَا الفَنُّ إِلَّا هَوًى وَامْتِثَالُ
عَلَتْ وَجْهَهَا مَسْحَةً مِنْ خَبَالِ
كَمَهجُورَةٍ مُنِّيَتْ بِالوَصَالِ
جَلَالِهَا الصُّبَا، وَزَهَاهَا الدَّلَالُ

سَرَتْ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَالخِيَالِ
مُجَرَّدَةً حَسِبَتْ أَنَّهَا
فَلَيْسَتْ تُحَسُّ اشْتِهَاءَ النَفُوسِ
وَلَيْسَتْ تَرَى غَيْرَ مَعْبُودِهَا
دَعَاها الهَوَى عِنْدَهُ لِلْمُتُولِ
فَخَفَّتْ لَهُ شِبْهَ مَسْحُورَةٍ
وَفِي رُوحِهَا نَشْوَةٌ حَلُوءَةٌ
تَرَاهَا وَقَدْ طَوَّقَتْ حَوْلَهُ

* * *

وَفِي خَطُوبِهَا عِزَّةٌ وَاخْتِيَالُ
وَأَلْقَتْ بِهِ بَعْدَ طُولِ النُّضَالِ
وَتَرْتَدُّ فِي عَوَجٍ وَاعْتِدَالِ
وَتَجذِبُ مَمْتَلِنَاتِ السَّجَالِ
مِنَ النُّورِ يَغْمُرُهَا حَيْثُ جَالُ
فِرَاشَةٍ رُوضِ جَفَّتْهَا الظَّلَالُ
عَلَى رَفْرِفِ الشَّمْسِ عِنْدَ الزَّوَالِ
وَكَالْبَرْقِ بَيْنَ رُؤُوسِ الجِبَالِ

تَضُمُّ الوَشَاحَ وَتُلْقِي بِهِ
كَفَارِسَةٍ حَضَنْتْ سَيْفَهَا
تَمُدُّ يَدَيْهَا وَتَتَنِيهِمَا
كَحُورِيَّةِ النَّبْعِ تَطْوِي الرِّشَاءَ
مُحَيَّرَةً الطَّيْفِ فِي مَائِجِ
تُخَيِّلُ لِلعَيْنِ فِيمَا تَرَى
وَزَنْبَقَةً وَسَطَ بِلُورَةٍ
تَنْقُلُ كَالْحُلْمِ بَيْنَ الجَفُونِ

على إضبعي قَدَمِ أُلْهَمَتْ
وَتُجْرِي ذِرَاعِينَ مَنْسَابَتِينَ
كَأَنَّهُمَا حَوْلَهَا تَرْسُمَانِ
أَبْتُ أَنْ تَمَسَّاهُ بِالرَّاحَتَيْنِ
وَمَنْ عَجِبِ، وَهِيَ مَفْتُونَةٌ
تَلَوَّى وَتَسْهُو كَلْهَابَةٍ
هَبُوبَ الصَّبَا وَوَثُوبَ الْعَزَالِ
كَفْرَعِينَ مِنْ جَدُولٍ فِي انْتِيَالِ
تَقَاطِيعَ جِسْمِ فَرِيدِ المِثَالِ
وَيَرْضَى الهوى، وَيُرِيدُ الجَمَالَ!
تُرِيكَ الهَدَى، وَتُرِيكَ الضَّلَالَ
تَرَاقِصُ، قَبْلَ فَنَاءِ الذُّبَالِ

* * *

وتعلو وتهبطُ مثل الشراع
وتعدو كأنَّ يَدًا خَلْفَهَا
وتزحفُ رافعةً وَجْهَهَا
وتسقط عانيةً للجبين
تَبِضُّ تَرَائِبُهَا لَوْعَةً
وَلَكِنَّهُ بَعْضُ أَشْوَاقِهَا
تَرَامِي الجَنُوبِ بِهِ وَالشَّمَالِ
تُعَذِّبُهَا بِسَيَاطِ طَوَالِ
ضِرَاعَةً مُسْتَغْفِرٍ فِي ابْتِهَالِ
كَقُمْرِيَّةٍ وَقَعَتْ فِي الحَبَالِ
وتخفقُ لا عَنْ ضَنْيٍ أَوْ كِلَالِ
وبعضُ الذي اسْتَوَدَعَتْهَا اللَّيَالِ!!

الشاعرُ

عَبْقَرِيٌّ مِنَ النَّعْمِ رَجَعُهُ الْحَبُّ وَالْأَلَمُ
نَبَعُهُ قَلْبُ شَاعِرٍ شَارَفَ النُّورَ فِي الْقَمَمِ
وَرَأَى مَوْلِدَ الْحَيَا عِ عَلَى شَاطِئِ الْعَدَمِ
فِي رَفِيفٍ مِنَ النَّدَى وَحَفِيفٍ مِنَ النَّسَمِ
وَإِطَارٍ مِنَ السَّنَا جَمَعَ الْكُونَ وَانْتَضَمَ
وَرَاهَا وَقَدْ بَدَتْ مِثْلَ حَوْرِيَّةِ الْحُلْمِ
هِيَ سَكْرَى تَجَرَّدَتْ مِنْ ثِيَابٍ وَمِنْ عِصَمِ
وَهُوَ لِاهٍ بِخَدْرِهَا تَمَلُّ بِالذِّي غَنِمِ
تَعَصَّرَ الْكَرَمَ رَاحَتَا هُ لَهَا، وَهِيَ تَبْتَسِمُ
فَقَشَدَا أَوَّلَ الرَّعَا عِ بِشَبَابَةِ الْقِدَمِ
قَبْلَ أَنْ يُسْعِدَ الْغَنَا ءُ بِهَا رَاعِي الْغَنَمِ
خَطْرَةً مِنْ شَبَابِهِ وَمَضَّتْ، فَاشْتَكَى السَّامِ

* * *

وَإِذَا الشَّاعِرُ الْمَدْلُ هُ يَقْظَانُ لَمْ يَنْمِ
أَرْقَتْهُ صِبَابَةٌ بَيْنَ جَنْبِيهِ تَضَطَّرَمِ
يَقْطَعُ الدَّهْرَ وَحَدَهُ ذَاهِلًا تَائِبَةً الْقَدَمِ
يَسْأَلُ اللَّيْلَ، وَالْكَوَا كَبَ، وَالسُّحْبَ، وَالذِّبَمِ

ناح قيثارُهُ الشجـ يُّ بما رَقَّ وانسجَم
وعلى خدِّه جَرَتْ عَبِرَاتُ من الندَم
ذوَّبَ الحبُّ قلبه ويَرَى جسمه السَّقَم
وجلا الغيبُ سرَّهُ بين عينيه وارتسم
فجرى في نشيده أروعُ الشعر والنغم

* * *

فانظروا أيَّ شاعرٍ هو في الحفل بينكم
ذلك المبدعُ الروا نَّع في صورة الكَلِم
رَبَّةُ الحكمة اشكتـ ه إلى رَبَّةِ القَلَم
نازعتُها غرامهُ وهُوَ الخِصْمُ والحَكَم
فاسمعوا الآن شعره وتَمَلَّوهُ عن أَمَم
ضامرُ الجسم واسمُّه يَسَعُ الكونَ بالعِظَم
وقصيرٌ، ومجده باذخُ كالضحى أَشَم
ذلك الشاعر الذي فاز بالحب واتَّسَم
خالدٌ بالذي شدا خالدٌ بالذي نظَم

* * *

ذلك «ناجي» وحسبُهُ أَنَّهُ الشاعرُ العَلَم!

عَاشِقَةٌ

«قيلت على لسان فتاة تُناجي معشوقها الذي يجهل أنها تهواه.»

يا حبيبي أقبَلِ اللَّيْلُ وِناداني الغَرامُ
أَيُّ سِرٍّ لِمَحَبِّ لَمْ يُصَوِّرْهُ الظَّلَامُ
كُلُّ نَجْمٍ مَهْجَةٌ تَهْفُو وَعَيْنٌ لَا تَنَامُ
وَشِعَاعُ البدرِ مَعشوقٌ بِهِ جَنَّ الغمامُ
يا حبيبي كُلُّ عَيْشٍ ما خِلا الحَبِّ حَرامُ
وَحَرامُ، يا حَبِيبِي

يا حبيبي غَنَّتِ الفِرحَةُ في كُلِّ مَكانِ
فَهُنَا البُلْبُلُ يَشُدُّ، وَهناكَ العَاشِقانِ
غَيْرَ أَنِّي أَشْتَكِي الوَحْشَةَ في ظِلِّ التَدانِي
إِنما رَوْحُكَ في الكونِ وَروحي تَوَأمانِ
لا تَدْعِنِي أَقْطَعِ الأَيامَ وَحدي، وَأَعانِي
فَحَرامُ، يا حَبِيبِي!

يا حبيبي سَتِمَ اللَّيْلُ سَكوتِي واكتئابِي
أنا أهواك، ولكن أنت لا تعلم ما بي

ديوان علي محمود طه

لحظةً بين ذراعيكَ فقد طالَ عذابِي
لحظةً أمزجُ أنفاسَكَ بالقلبِ المَدَابِ
وأُغَنِّي، وَيُغَنِّي لَكَ حُبِّي، وشبابِي
وَسَلَامٌ، يَا حَبِيبِي

الكَرْمَةُ الْأُولَى

بالله من أنبأكَ باللون والطعمِ
وما جَنَّتْ كَفَّاكَ يا غارسَ الكرمِ؟

* * *

أدمُ أم حوَّاءُ أغراك بالغرسِ
يا شارِبَ الصُّهْبَاءِ عَلًّا بلا كأسِ؟

* * *

لو شَرِبَا مِنْهَا ما نَسِيَا الْعَهْدَا
أو حُدَّتَا عَنْهَا ما هَجَرَا الْخُلْدَا

* * *

صهْبَاءُ ما كانتُ من غرسِ إبليسِ
بل كرمَةٌ زانتُ خَلَقَ الْفَراديسِ

* * *

تسمو بها الأرواحُ عَنْ عَالِمِ الْإِثْمِ
شَفَافَةٌ الأَفْداحُ فِي رِقَّةِ الحُلْمِ

* * *

الكأس والقيثار يا ربّة الحسن
يا ربّة الأشعار غني بها غني

* * *

غني بها روحًا علوية الومض
لو أدركت نوحًا عشنا بلا أرض

* * *

عشنا كأحلام في خاطر الأكوان
في عالمٍ سامٍ لا يعرف الأحران

* * *

هاتي اسقني هاتي من دنّها المختوم
أنسى بها الآتي من عمريّ المحتوم

المدينة الباسلة

وَوَقَفْتِ أَنْتِ، وَرُوحُكَ الْجَبَّارُ
إِلَّا جَهَنَّمَ هَاجَهَا الْإِعْصَارُ
شَابَ الْحَدِيدُ، لِهَوْلِهَا، وَالنَّارُ
لِحِمَاتِكَ الْإِعْظَامُ وَالْإِكْبَارُ
وَرَأَى مَلَا حِمَمَهُمْ وَكَيْفَ تُنَارُ
نُكَّتْ عَلَى حُرَاسِهَا الْأَسْوَارُ
وَشَدَا بِهِمْ، وَتَرَنَمَ الْقَيْثَارُ
رَدَّ الْمُغَيْرُ بِهِ، وَفَكَ حِصَارُ
لَكِنْ جَرَّتْ بِدِمَائِهِ الْأَنْهَارُ
هُوَ عَنِ جِمَاهَا الذَّائِدُ الْمِغْوَارُ
لَمْ يَخُلْ مِنْ وَثْبَاتِهِ مِضْمَارُ
إِمِضَاؤُهُ فِيهَا عَلًّا وَفَخَارُ
فِيمَا يُظِلُّ الْعُشْبُ وَالْأَزْهَارُ
فِيمَا تُعْرِي الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ
لِيَتَمَّ غَرْسُ أَوْ يَطِيبَ ثِمَارُ
كَيْمَا يَتَوَرَّ بِرُوحِهَا التِّيَّارُ
يَبْغِي الْعُبُورَ وَدُونَهُ أَشْبَارُ
حَتَّى تَلَاشَى الْجَحْفَلُ الْجِرَارُ

طَلَعُوا جَبَابِرَةً عَلَيْكَ، وَثَارُوا
عَصَفُوا بِيَابِكَ، فَاسْتَبِيحَ، فَلَمْ يَكُنْ
حَرْبٌ إِذَا ذُكِرَتْ وَقَائِعُ يَوْمِهَا
لَوْ قِيلَ: أَبْطَالُ الْعُصُورِ فَمَنْهُمْ
أَوْ عَادَ «هُومِيرٌ» وَسِحْرُ غِنَائِهِ
وَهُمْ حُمَاةُ مَدِينَةٍ مَحْصُورَةٍ
نَسِيَ الَّذِي غَنَّاهُ فِي «طُرُودَةٍ»
كَمْ مِنْ «أَخِيلٍ» فِيهِمْ لَكِنَّهُ
لَمْ تَجْرِ مَلْحَمَةٌ بَوْصَفِ كِفَاجِهِ
نَادَتْهُ مِنْ خَلْفِ الشَّوْاطِي أُمَّةٌ
إِنْ يَسْأَلُوا عَنْهُ، فَفَارَسُ حَلْبِيَّةٍ
أَوْ يَقْرَأُوا تَارِيخَهُ، فَصَحِيفَةٌ
أَوْ يَبْحَثُوا عَنْ قَبْرِهِ، فَمَكَانُهُ
فِيمَا يُعْطِي التَّلْجُ تَحْتَ رُكَامِهِ
هُوَ مُهْجَةٌ فَنِيَتْ بِأَرْضِ مَعَادِيهَا
هُوَ مَوْجَةٌ نَابَتْ بِبَحْرِ وُجُودِهَا
فِي شَاطِئِ وَقْفِ الْعَدُوِّ إِزَاءَهُ
مَا زَالَ يَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ كَتِيبَةٍ

وَهَوَىٰ وَفِي شَفَقَتِيهِ بِسَمَّةِ ظَافِرٍ أَوْدَىٰ، وَتَمَّ عَلَىٰ يَدَيْهِ النَّارُ
يُزْهِىٰ بِهِ تَحْتَ الْحَدِيدِ وَبِأَسِهِ رَأْسٌ يَكْلُلُ مِفْرَقِيهِ الْغَارُ

* * *

يَا رَبَّةَ الْإِبْطَالِ، لَا هَانَ الْحَمَىٰ وَسَلِمْتِ أَنْتِ، وَقَوْمُكَ الْأَحْرَارُ
أَقُولُ: أَبْنَاءُ الْوَعَىٰ أَمْ جِنَّةٌ؟ وَأَقُولُ: آلِهَةٌ، أَمْ الْأَقْدَارُ؟!
يَسْتَنْقِدُونَكَ مِنْ بَرَاثِنِ كَاسِرٍ مَا جِئْتَ بِهِ الْأَجَامُ وَالْأَعْوَارُ
مُتْرَبِّصِ السُّطُورِ تَحْتِيئِ الرَّبَا وَتَفِرُّ مِنْ طُرُقَاتِهِ الْأَشْجَارُ
قَهَرَ الطَّبِيعَةَ صَيْفَهَا وَشَنَاءَهَا حَتَّىٰ أَتَاهُ شِتَاؤُكَ الْقَهَّارُ
مَجْدَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَىٰ! إِنَّ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ، فِيهِ الْعُقُولُ تَحَارُ

* * *

عَجِبًا أَأَنْتِ مَدِينَةٌ مَسْحُورَةٌ أَمْ عَالَمٌ حَاطَتْ بِهِ الْأَسْرَارُ؟!
طُرُقٌ مُحِيرَةٌ يَضِلُّ وَيَهْتَدِي فِيهَا الْكُمَاةُ، وَلَيْسَ ثَمَّ قَرَارُ
عَزَّتْ عَلَىٰ قَدَمِ الْعُدُوِّ كَأَنَّهَا مِنْ زُنْبُقٍ صِيغَتْ بِهَا الْأَحْجَارُ
وَمَنَازِلٌ مَشْبُوبَةٌ، وَكَأَنَّهَا لِلْجِنِّ فِي وَادِي اللَّظَىٰ أَوْكَارُ
وَتَرَىٰ زَبَانِيَةَ الْجَحِيمِ بِبَابِهَا ضَاقَتْ بِهِمْ غُرْفٌ، وَنَاءَ جِدَارُ
يَتَصَارِعُونَ بِأَذْرُعِ مَحْضُوبِيَّةٍ وَالسَّقْفُ فَوْقَ رءُوسِهِمْ يَنْهَارُ
يَتَنَازِعُونَ بِهَا الطَّبَاقَ خَرَائِبًا دَمِيئَتْ عَلَىٰ أَنْقَاضِهَا الْأُظْفَارُ
مَا زَلَّتْ صَامِدَةٌ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا سَهَتِ الْعُقُولُ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَتَقَبَّضَ الْمُسْتَقْتِلُونَ، وَعَرَبِدَتْ أَيِّدِي الرُّمَامَةِ، وَعَرَدَ الْبِتَّارُ
وَتَقَوَّضَ الْحِصْنَ الْمَنِيعَ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا جِدَارٌ يَحْتَوِيهِ دَمَارُ
وَقَسَا عَلَيْكَ الْمُرْجِفُونَ وَحَدَّثُوا: أَنْ لَيْسَ تَمْضِي لَيْلَةٌ وَنَهَارُ
أَطْبَقْتَ كَالنَّسْرِ الْمُحَلَّقِ، مَا لَهُمْ مِنْهُ، وَلَا مِنْ مِخْلَبِيهِ فِرَارُ
وَتَفَرَّسَتْكَ قُلُوبُهُمْ فَتَرَنَّحُوا رُعْبًا، وَأَنْتِ الْخَمْرُ وَالْخَمَّارُ
وَخَبَتْ مَدَافِعُهُمْ وَذَابَ حديدُهُمْ وَالثَّلْجُ يَعْجَبُ وَاللَّظَىٰ الْمَوَّارُ

* * *

المدينة الباسلة

يا فنيّة «الفلوجا» تحية شاعر
ملاح وادي النيل إلا أنه
أبداً يطوف حائراً بشراعه
إني رفعت بكم مثلاً رائعاً
لشباب مصر وهم بناة حياتها
رقت له في شذوه الأشعار
أغرته بالتيه السحيق بحار
يرمي به أفق، وتقف دار
يوماً إليه في العلا، ويشار
وحماتها إن حاقت الأخطار

وبمثل ما قدمتم وبدلتمو
هذي مدينتكم، وذاك صراعها
جئتم بكل عجيبة لم تحتفل
تحدث الدنيا بها وبصنعكم
أحقيقة في الكون أم أسطورة
تغلو الديار وترخص الأعمار
رمز لكل بطولة وشعار
يوماً بمثل حديثها الأمصار
وتحدث الأجيال والأدهار
هذا الصراع الخالد الجبار؟!

بَعْدَ مِئَةِ عَامٍ

ذكري مرور مئة عام على وفاة محمد علي الكبير

يُضِيءُ فِي مِصْرَ مَنَارَ السَّنِينِ
وَمِنْ رَجَاءٍ كَالصَّبَاحِ الْمَبِينِ
عَارِمَةٌ، لَا تَنْتَنِي، لَا تَلِينُ
تَبْنِي لَهُ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمَكِينُ
شَيْدَهُ فَرَعُونَ فِي الْأَوَّلِينَ
حِجَارَةً خَرَسَاءَ لَيْسَتْ تُبِينُ
وَشُعْلَةَ الْعِلْمِ وَقَجَرَ الْفَنُونِ
عَزَّ بِهِ الشَّعْبُ الْغَبِينِ الْمَهِينِ
مَنْزِلَةٌ عَزَّتْ عَلَى الطَّامِحِينَ
أَيْنَ كَهَذَا الشَّعْبِ فِي الْمَحْسَنِينَ
وَمِنْ يَدَيْهِ مِغْزَلُ النَّاسِجِينَ
وَالْحَمَمُ الْحَمْرُ كُرَاتُ الْمَنُونِ
وَحَوْضَتْ مَلَأَ الْبَحَارَ السَّفِينِ
وَحَارَسُ الشَّرْقِ الْقَوِيُّ الْأَمِينِ
وَدُنْتُ فِي سُلْطَانِكَ الْعَالَمِينَ

مِنْ هَذِهِ الرُّوحِ وَهَذَا الْجَبِينِ
أَشْعَّةٌ مِنْ بَسْمَاتِ الْمُنَى
وَمِنْ قُوَى مَشْبُوبَةٍ كَاللُّظَى
خَطَّتْ بِنَاءَ الْمَلِكِ ثُمَّ ارْتَقَتْ
أَوَّلُ بَانَ أَنْتَ بَعْدَ الَّذِي
قَدَّ مِنَ الصَّخْرِ تَمَاتِيْلَهُ
وَأَنْتَ أَطْلَعْتَ مَنَارَ الْحِجَا
بِنَاءِ دُنْيَا وَحَيَاةٍ مَعَا
بِعَثَّتَهُ خَلْقًا جَدِيدًا إِلَى
قَالُوا: الْحَضَارَاتُ، فَقُلْتُ: انظُرُوا
مَنْ قُطِنَهُ يَلْبَسُ هَذَا الْوَرَى
وَالْمَدْفَعُ الصَّخَابُ مِنْ صَنْعِهِ
قَدْ مَاجَتْ الْأَرْضُ بِرَايَاتِهِ
وَجَيْشُهُ مُنْقَذُ إِفْرِيْقِيَا
بِهَوْلَاءِ السُّمْرِ جُبَّتِ الثَّرَى

ومن بَنِيكَ الصَّيْدَ أَبْطَالَهُ وَمَنْ كِبْرَاهِيمَ فِي الْفَاتِحِينَ؟
تَاجُ الْبَطُولَاتِ عَلَى رَأْسِهِ مَوْتَلَقٌ وَالْغَارُ فَوْقَ الْجَبِينِ

* * *

مَنْ زَحْرَفَ الْوَادِي وَأَجْرَى بِهِ جَدَاوَلَ التَّبْرِ كَمَا مَعِينُ؟
وَأَخْضَعَ النَّهَرَ لِسُلْطَانِهِ وَهُوَ إِلَهُ سَادِ فِي الْأَقْدَمِينَ
وَمَنْ بَنَى تِلْكَ السُّدُودَ الَّتِي تَخْتَزِنُ السُّحْبَ وَلَا يَمْتَلِينَ؟
غَوَائِثُ الْأَرْضِ إِذَا أَقْلَعَتْ حَوَامِلُ الْغَيْثِ الدَّفُوقِ الْهَتُونَ
وَمَنْ أَتَى الصَّحْرَاءَ فِي دَوَاهَا بِهِذِهِ الْأَسْوَارِ شَمَّ الْحَصُونَ؟
يَا عَبْقَرِيَّ الدَّهْرِ إِنَّ الَّذِي صَنَعْتَهُ مَعْجِزَةُ الصَّانِعِينَ
مَهْنَدُسٌ أَنْتَ سَمَا فَنُّهُ وَعَالِمٌ أَوْتِي عِلْمَ السِّنِينَ
أَدْرَكَتَ مَا لِلْفَنِّ مِنْ قُوَّةٍ فَدِنْتَ بِالْقُوَّةِ فِيمَا تَدِينُ
أَبْيَاتُ شَعْرٍ أَنَا بِنَاؤُهَا أَجْرُهَا اللَّفْظِ السَّرِيِّ الثَّمِينُ
رَسَمْتُهَا بَعْضَ خَطُوطِ كَمَا يُرْسَمُ أَفْقُ الْكُونِ لِلنَّاطِرِينَ
يَبْدَأُ فِيهَا الْفِكْرُ لَا يَنْتَهِي وَتَسْبِحُ الْأَعْيُنُ لَا يَلْتَقِينَ
لَسِيْدِ النَّيْلِ وَفَارُوقِهِ رَفَعْتُهَا فِي مَوْكِبِ الْخَالِدِينَ
مَوْلَايَ، مِنْ جَدِّكَ أَنْشُودَةٌ مَزْهَرُهَا التَّارِيخُ عَذْبُ الرِّينِ
أَلْهَمَهَا وَالذِّكَّ الْمَجْتَبِي وَأَنْتَ مِنْ رُوحِيهِمَا آيَةٌ
وَأَنْتَ مَنْ رُوحِيهِمَا آيَةٌ وَصُورَةٌ مَشْرُقَةٌ سَمْحَةٌ
وَصُورَةٌ مَشْرُقَةٌ سَمْحَةٌ

حُلْمُ لَيْلَةِ الْهَجْرَةِ

يا شرقُ، ملءْ خاطري
أَوْحِي ليلك القدي
يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ
نجومها خلفَ الغما
ترنو على جوانبِ الـ
تَمُدُّ من شعاعها
رُغْيَا المحبِّ للحبيبِ
تقول: ههنا السُّرَى،
سِحْرٌ وملءْ ناظري
مِ أم رُؤَى الزَّوَاهِرِ؟
رائعةِ الدِجَاجِرِ
مِ أَعْيُنُ المِقَادِرِ
سَمَاءِ لِلْمُهَاجِرِ
مِثْلَ جَنَاحِ طَائِرِ
بِ حُفِّ بالمخاطرِ
ومن هنا فحاذِرِ

يا شرقُ، أَيُّ لَيْلَةٍ
حقيقةً تلوح لي،
أرى على صحيفةِ الز
تكمُنُ في فِرْنِدِهِ
ومن بريقه تُط
مُلَقَى وراءَ صخرةِ
أوى إليها مُفْرَدًا
والبادياتُ حوله:
بَعَثَتْهَا من غابِرِ
أم ذاك حُلْمُ شَاعِرِ؟
مان حدَّ باتِرِ
جريمةً لغابِرِ
لُ أَلْفُ عَيْنِ فَاجِرِ
كانت ملاذَّ عابِرِ
غيرَ أخِ مناصرِ
رُوعٌ وهمسُ حائرِ

كَأَنَّمَا أَنَسَامَهُ نَنْ تَمْتَمَاتُ سَاجِرِ
 هُوَ انْتِقَالَهُ الْحَيَا ة، وَثَبَّةُ الْأَدَاهِرِ
 شَدَا الرَّعَاةُ بِاسْمِهِ فِي الْأَعْصِرِ الْغَوَايِرِ
 وَأُودِعُوهُ فَزَحَّةً صَوَادِحَ الْمَزَاهِرِ
 زَفُّوا بِهِ إِلَى الْحَيَا ةِ أَجْمَلَ الْبِشَائِرِ
 لَحْنٌ وَفِيهِ قَسْوَةٌ الـ عَوَاصِفِ الثَّوَائِرِ
 وَفِيهِ ثَوْرَةٌ عَلَى الـ عَقَائِدِ الدَّوَائِرِ
 يَقْتَحِمُ الذُّرَا الْمَنِيـ عَةَ اقْتِحَامَ سَاجِرِ
 يَهْزُبُ بِالْجِيُوشِ فِي أَلْوِيَةِ الْقِيَاصِرِ
 يَهْدُمُ كُلَّ فَاسِدٍ، يَهْزُمُ كُلَّ جَائِرِ
 وَمَنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ يَبْنِي بِنَاءَ قَادِرِ!

* * *

يَا شَرِقُ، سَحْرُكَ الْقَدِيدِ مُمْ مَالِكُ مَشَاعِرِي
 هَذَا الطَّوَالِغُ الْحَسَا نٌ فِي الْحُلَى النَّوَاضِرِ
 الْمَطْلَقَاتُ بِالنَّشِيدِ دُ أَرْحَمَ الْحَنَاجِرِ
 كَأَنَّهُنَّ جَوْقَةٌ الـ هَوَاتِفِ الطَّوَائِرِ
 حَيَّيْنِ مَوْلِدِ الرَّبِيبِ ع، وَالسَّنَا الْمَبَاكِرِ
 عِرَائِسُ الْخِيَالِ، هُنَّ، أَوْ بِنَاتُ خَاطِرِي
 يَنْثَرْنَ مِنْ أَكْفِهِنَّ أَنْضَرَ الْأَزَاهِرِ
 عَلَى طَرِيقِ مُلْهَمٍ مُخَلِّدِ الْمَآثِرِ
 شَرِقُ، أَيُّ رَوْعَةٍ جَلَوْتَهَا لِنَاطِرِي
 حَقِيقَةٌ تَلُوحُ لِي، أَمْ ذَاكَ حُلْمُ شَاعِرِي؟

لَيْلَةُ عِيدِ الْمِيلَادِ

إِسمعي أَيُّتُها الرو
وانظري! هل في نواحي الـ
لا تُرَاعِي إنْ يَكُنْ قَدِ
فالنواقيس التي حيد
الشَّجَى رَجَعُ صداها
والتراتيلُ من البيد
رَدَدْتَهِنَّ التُّكالي
والمصابيخُ التي كا
خَنَقَتْها قبضةُ الشرِّ
صبغوها بسوادِ
مَأْتَمٌ للنور قام الـ
تَحْت ليل ما له بد
أيها المبعوث، لا ضن
انظري الأَرْضَ ... فهل في الـ
نَسِي القومُ وصايا
وكما باعوك، يا منـ

حُ! أفي الكونِ غناء؟
أرض بالليل ضياء؟
صَرَ عنكِ البَشْرَاءُ
تُك، أشجَاها القضاء
والأسى، والبُرْحَاءُ
عَةَ نَوْحٍ وبكاء
واليتامى الشهداء
ن بها يُزْهِى المساء
فما فيها دَمَاءُ
فهِيَ والليلُ سواء
ويلُ فيه والشقاء
ء، ولا منه انتهاء
ت بِرُجْعَاكَ السماء
أرض حُبِّ وإخاء؟
ك، أو ضلُّوا، وأساءوا!
قَدْ، بيعَ الأبرياء!!

ليلة الميلاد، والذنـ
 في ربوع كان فيها
 باسمه يشدو المغنـ
 أين ولت هذه الفر
 لم تصافحك من الأطـ
 رقدوا، غيرَ عيون
 ترقب الآباء، هل عا
 بين أيدي أمهات،
 في طوايا النفس يبكيـ
 ويحهم، أين تُراهم،
 هم وراء الليل، أجسا
 ووجهه رسمَ الرعد
 خندقوا في مآزق المو
 بين موج من سعير
 وجبال من ركام الـ
 وحديد طائر يحـ
 وعجيب! فيم للمو
 في سبيل الخبز؟ والخبـ
 في سبيل الحق؟ والحد
 في سبيل المجد؟ والمجـ
 أو في المجزرة الكبـ
 كذب الباغي، وللسيـ
 وخداع كل ما قا

يا دموعُ ودماءُ
 لكِ بالسلم اذهاءُ
 ن، ويشدو الشعراءُ
 حة؟ أم أين الصِّفاءُ؟
 فقال أحلامٌ وضاءُ
 ريعَ منهنَّ الفضاءُ
 دوا؟ وهل حان اللقاءُ؟
 بتنَّ، والليل جفاءُ
 ن، وقد عزَّ الرجاءُ!
 هؤلاء الأشقياءُ؟
 د، وأرواحُ هباءُ
 بٌ عليها ما يشاءُ
 ت، وما منه نجا
 يتوقَّاهُ الفناءُ
 حُلجٍ يُرسيها الشتاءُ
 نذر مسراه الهواءُ
 ت يُساق التعساءُ؟
 ن اكتسابٌ ورضاءُ!
 قٌ لدى القوم طلاءُ
 دٌ من البغي براءُ!
 رى، تنالُ المجدَ شاءُ؟
 ف بكفَّيه مضاءُ
 ل، وزورُ، وافتراءُ!!

أيها الشرق الذي خـ
 هذه الروح التي شيـ
 والتي من نورها العا

صَّته بالروح السماءُ
 دَ بكفَّيها البناءُ
 لم يُجلى ويُضاءُ

يا أبا الحكمة، لاها	نَ عَلَيْكَ الْحُكْمَاءُ!
نادِ «أوروبا» فقد يند	فَعَهَا مِنْكَ النَّدَاءُ:
حانتِ الساعةُ، يا أخد	تَاهُ، أَمْ حَقَّ الْجَزَاءُ؟
بِئْتِ بِالْقُوَّةِ حَتَّى	صَرَعَتْكَ الْكِبْرِيَاءُ
ارقصي في النَّارِ، أُنْتِ الـ	يَوْمَ لِلنَّارِ غِذَاءُ
واشربي في حانة الشيبـ	طَانَ مَا فَاضَ الْإِنَاءُ
حانةٌ للموتِ فيها	مِنْ دَمِ الْقَتْلِ انْتِشَاءُ
نادمي من شئتِ فيها،	فَالْمَنَايَا النَّدْمَاءُ
وارفعي الكأسَ، وغنِّي،	وَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ؟

* * *

يا قوياً لم يهْنُ يو	مَا عَلَيْهِ الضَّعْفَاءُ
وضعيماً واسمه، يفـ	زَعُ مِنْهُ الْأَقْوِيَاءُ
وأنا المسلمُ، لا يُجـ	حَدُّ عِنْدِي الْأَنْبِيَاءُ
أنتَ في القرآن: حُبُّ،	وَجَمَالٌ، وَنِقَاءُ
عَجَبُ فِدَيْتُكَ الْمُثـ	لَى! وَفِي الْقَوْلِ عِزَاءُ!
ألهذا العالمِ الشَّرِيـ	رٍ؟ قَدْ ضَاعَ الْفِدَاءُ!

عَامٌ جَدِيدٌ

وَأَدْعُ لِلْحَقِّ، وَبِشْرٍ بِالسَّلَامِ
وَتَنْقُلُ بَيْنَ مَوْجٍ وَغَمَامٍ
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَذَامٍ
مُهَجِّجٍ كَلَمَى، وَأَكْبَادٍ دَوَامِي
فِي مِثَالِيٍّ مِنَ الْمَبْدَأِ سَامٍ
وَأَبْتُ ذُلَّ الضَّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشْبُوبِ الضَّرَامِ
وَصِرَاعِ الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ
بِيرَاعٍ، وَتَحْدَى بِحُسَامِ
خَطُوهَا، مَوْلِدُ أَحْدَاثِ جِسَامِ
ضَلَّةَ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الْمَوَامِي!
وَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ مَلْعُونُ الْمَقَامِ
ضُمَّنَتْ كُلَّ فَخَارٍ وَوَسَامِ
أَوْ لِبَاغِ فَاتِكِ السَّيْفِ عُرَامِ
مُسْتَبَاحِ الدِّمِّ مَهْدُورِ الدِّمَامِ
بِقُوَى الرُّوحِ عَلَى الْقَوْمِ الطَّغَامِ
بَرِئْتُ مِنْ كُلِّ ظَلَمٍ وَأَثَامِ
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ آرِيٍّ وَسَامِيٍّ

غَنُّ بِالْهَجْرَةِ: عَامًا بَعْدَ عَامٍ
وَتَرْسَلُ، يَا قَصِيدِي، نَعَمًا
صَوْتُكَ الْحَقُّ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
كُنَّ بِشِيرِ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
هَجْرَتِ أَوْطَانِهَا وَاغْتَرِبَتْ
أَنْفَتُ عَيْشِ الرَّقِيقِ الْمَجْتَبِي
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ: هَذِي مَحْنَةٌ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ، أَوْ جِمَامِ
خَاضَهَا الْإِسْلَامُ فَرْدًا، وَهَدَى
هَجْرَةً كَانَتْ إِلَى اللَّهِ، وَفِي
أَخْطَأَ الشَّيْطَانُ مَسْرَاهَا، فَيَا
أَبَ بِالْخَيْبَةِ مِنْ غَايَتِهِ
صَفْحَاتُ مِنْ صِرَاعِ خَالِدِ
لَمْ تُتَخَّ يَوْمًا لَجَبَّارٍ طَعَى
بَلْ لِدَاعِ أَعْزَلٍ فِي قَوْمِهِ
زَلْزَلَ الْعَالَمَ مِنْ أَقْطَارِهِ
وَبَنَى أَوَّلَ دُنْيَا حُرَّةٍ
تَسَعُ النَّاسَ عَلَى أَلْوَانِهِمْ

* * *

تَذُرُ الظلمَ صديعًا من حُطامِ؟
 ويُطاق اليومَ أصنامُ الأنامِ!!
 أبصرَ الأعمى بهِ والمتعَامِي!
 منطِقَ الآلهةِ الشَّمِّ العظامِ
 صُورَ الوهمِ، وأحلامَ النيامِ
 أيُّ دنيا من دَمَارٍ وجمامِ؟
 أممَ الأرضِ قِطيعًا من سوامِ
 في ادِّعَاءِ لَفَقُوهُ واتِّهامِ!
 حاتمُ الحربِ سَوَى الموتِ الزُّوامِ؟
 من وراءِ الليلِ والغيمِ الرُّكامِ
 مارِدَ الشَّرِّ بمشوبِ السَّهامِ
 يحذرُ النَجْمُ دُجَاهُ المِترَامِي
 واشتكتَ حتى خفافيشُ الظلامِ

حاطِمَ الأصنامِ: هل منك يدٌ
 لم تُطِقْهَا حَجْرًا أو حَشَبًا
 وعجيبٌ صُنْعُهُم في زمنِ
 آدميُّونَ قَرَامَى انتحلوا
 وتراهم مثلما تسمعهم
 بشروا الناسَ بدنيا، ويحهم!
 تسلَّبَ الناسَ جَبَاهم، وترى
 قيل: للحق، وَمَا أعجَبَهُ
 قيل: للخبز، فَهَلْ أطعمَهُم
 أنتِ، يا أَيُّهَا الشَّمْسُ، اطلعي
 سددي بالنارِ قوسًا، واصرعي
 ضَلَّتِ الأرضُ بليلاً داهمِ
 دَمِيتَ أعينُنَا في جُنحِهِ

* * *

مُورِدَ للحقِّ والحبِّ التُّؤامِ
 بينَ مصرِ، وعراقِ، وشامِ
 في البِقَاعِ الجُرْدِ، والحُضْرِ النُّوامِي
 بالقبابِ البيضِ، أو حُمْرِ الخيامِ
 كلُّ قلبٍ بشعاعٍ من غرامِ
 مَشَرِقَ الآمالِ في مطلعِ عامِ
 أعجزَ الباني، وأعيًا المتسامي
 وغُروشِ أمويَّاتِ الدِعامِ
 وتراثٍ من حَضَارَاتِ ضَخَامِ
 كنتِ إلَّا مهدَ أحرارِ كرامِ
 بالتمني، والتغني، والكلامِ

يا قلوبًا ضَمَّهَا الشَّرْقُ علي
 وشعوبًا جَمَعَتْهَا أُمَّةٌ
 وبطونًا من بقايا طارقِ
 ما شدا شعري بها إلَّا هَفَّتْ
 كلُّ روحٍ بهُدًى من حُبِّهَا
 تذكُرُ القُرْبَى وتَسْتَدْنِي بها
 وتُرَجِّي عودَةَ المجدِ الذي
 من بيوتِ هاشميَّاتِ البنى
 ونتاجٍ من نُهى جِبَّارَةِ
 قُلْ لها يا عامٌ: لا هُنْتُ، ولا
 ذاكُ مجدٌ لم يَنْلُهُ أهْلُهُ

عَامٌ جَدِيدٌ

بل بِالْأَمِّ، وَصَبْرٍ، وَضَنْئِي ودموع، ودم حُرٌّ سَجَامٍ
قُلْ لَهَا: إِنَّ الرَّحَى دَائِرَةٌ وَاللَّيَالِي بَيْنَ كَرٍّ وَصَدَامٍ

* * *

فَاسْتَعِدِّي لَعْدٍ إِنَّ غَدًا نُهَزَّةُ السَّبَّاقِ فِي هَذَا الزَّحَامِ!
وَاجْمَعِي أَمْرَكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَحْمِلُ الْبَشْرَى لِعُشَّاقِ السَّلَامِ!

سَمَرٌ

بين كاتب وشاعر وخطيب

يا وحي شعري، أين أنتُ
هل رُحْتَ في إغماءِ
أم نِمْتَ، أم نام الزما
أم خِفْتَ من قلم الرقيـ
أم هل سُقِيتَ (كزوزةً)
أم قد شربتَ زجاجةً
أم في خزانة (صالح)
أم في البنوكِ لأزيمة
أم ذاك جندولُ الحبيبِ
وإلى عروس البحر هم
أم زُغْتَ يوم الانتخابِ
لم تَدْرِ ما نال الرئيـ
أنكرتَ ضَجَّةَ معشرِ
أم طَرَّتْ في جوِّ الحليـ
يا وحيُّ كم من غارةٍ
أم تُرَّتْ للحقِّ الطريـ

في أيِّ زاويةٍ رَكَنْتُ؟
أم بالمخدَّرِ قد حُقِنْتَ؟
نُ، أم اعتُقِلْتَ أم انسَجِنْتَ؟
بِ فما أشرتَ وما أبْنُتُ؟
أم هل حَسَوْتَ (البرمننتُ)
من صنع بار (الكونتنتُ)؟
تركوكِ سهواً فاختزنتُ؟
حَلَّتْ بأهلكِ قد رُهِنْتَ؟
بِ إلى لياليه حَنِنْتَ؟
تُ وفي شواطئها كمننتُ
بِ ولستَ عضو «البرلمنتُ»
سُ أزاَ صوتاً أم (كِرْنْتَ)
لم ينصفوكِ وقد عُيِنْتَ
ففةً مُنجداً أبطال (كِنْتَ)
شعواءَ فيها قد شَنِنْتَ
بِ، وبالبطولة قد فُتِنْتَ

فسللت سيفَ مُدافعٍ عن (كالماس) أو (كُرنت)؟

* * *

يا وحي شعري ما سكو
أفقدت رُشدك أم شعو
عشرون يوماً جاوز الـ
يا وحي شعري مُذ نأىـ
بعد القصائد كالقلا
من كل بيتٍ مشرقٍ
أمسيتُ بعدك كل قا
يا وحي شعري هل أُسرُ
أم غُصتَ في لُججِ البحا
أبكي عليك بكاءً (لا
يا وحي شعري أين أنتُ؟

تلك في الخطوب؟ ألا حزنتُ!
رك بالحياة؟ إذن جُنتُ!
تقديرُ فيها ما ظننتُ
ت وهى بياني أو وهنتُ
ع مشيداتٍ (بالسمنتُ)
يُزري بقصر (اللابرنُتُ)
فيةً نطقتُ بها لحنُتُ
ت وأنت تهجم أم طُعنُتُ؟
ر وفي مجاهلها دُفنتُ؟
مرتينَ) قبرًا في (سُرنتُ)
في أيِّ زاويةٍ ركنُتُ؟

الشُّوقُ الْعَائِدُ

١٩٤٥

إِلَيْهَا

من لياليّ التي لم يهدأ الشوق عليها
من أمانيّ التي كانت رُؤى في ناظريها
من أغانيّ التي استلهمتها من شفقتها
من دموع مازجت أدمعها بين يديها
كلُّ ما قد رَقَّ من شعري وما راقَ لديها
وهو ما ضمَّ كتابٌ، هو منها وإليها

علي محمود طه

سؤال وجواب

تُسألني: وهل أحببت مثلي؟
فقلتُ لها وقد هَمَّتْ بكأسي
نسيتُ، وما أرى أحببتُ يوماً
فقالَت لي: جوابُك لم يدع لي
وفي عينيك أسرارُ حيارى

وكم معشوقَةٌ لك أو خليلَةٌ؟
إلى شَفَتَي رَاحتها النحيلَةٌ:
كحبِّك، لا، ولم أعرفُ مثيلَه!
إلى إظهار ما تُخفيه جيلَه
تُكذِّب ما تحاول أن تقولَه

فقلتُ: أجل، عرفتُ هوى الغواني
خبرتُ غرامهنَّ قَلَى ووصلاً
قلوبُ قاسياتُ قَنَعَتها
إذا طالعنني أنسيَتُ جُرحي
وجاذبني إلى اللذاتِ قلبُ
وعُدتُ، كما ترين، صريعَ كأسٍ
فقالَت: كيف تَضَعُ؟ قلتُ: ويحي

لكلِّ غايةٍ، ولها وسيلَه
كثيرَ الوعد لم يدرك قليلَه
وجوهُ شاعرياتُ نبيلهُ
وأنَّ الحبَّ لم يرحم قتيلهُ
شقيُّ ضلَّ في الدنيا سبيلَه
أنا الظمآنُ لم يُطْفِئ غليلَه
وكيف أطاع «شمشون» «دليلَه»؟

فقالَت: ما حياتك؟ قلتُ: حلُمٌ
حياتي قصَّةٌ بدأتُ بكأسٍ

من الأشواقِ أوثرُ أن أُطيلَه
لها غنيتُ، وامرأةٌ جميلَه!!

الشَّوقُ الْعَائِدُ

اهدئي، يا نوازِعَ الشَّوقِ، في قلـ
أه، هيهاتَ أن يعود، ولو أفـ
أه، هيهاتَ أن يعود، ولو ذوّ
فاهدئي الآن، يا لثورتكِ الهو
بي فلنُ تَمليكي لماضٍ رُجوعًا
نيتُ عمري، تحرُّقًا وولوعًا
بتُ قلبي صباةً ودموعًا
جاءَ جبارةً تدكُّ الضلوعًا

* * *

رحمةً، يا نوازِعَ الشوقِ، لو نا
أسدلَ القلبُ دونه ألفَ سترِ
رحمةً، يا نوازِعَ الشوقِ لو حا
كيف يحيا زهرُ ذوى في إناءِ
ديتُ ماضيٍّ ما وجدتُ سميعةً
عبراتٍ ومثلهنَّ نجيعًا
ولتُ بعثُ الهوى فلنُ أستطيعًا
باتُ في قبضة الحياة صديعةً

* * *

رحمةً، يا نوازِعَ الشوقِ، بالقلـ
إنُ تكوني أحببته فدعيه
نسيّ الأمس أو سلا فتعالني
أو فكوني في حلمه الزهر والأند
ب فما يستطيع بعدُ نزوعًا
ناعمًا بالكرى رضيًا قنوعًا
نجتُ صمتًا من حوله وخشوعًا
غامَ والخمرَ والعروسَ الشموعا

* * *

أيها الزائرُ المعاودُ ما ألد
فكأك أحسنتَ بالمزار صنيعةً

ما أرى في سمات وجهك إلا شَبَحًا رائِعًا وحُلْمًا وِجِيعًا
يتوقَّاهُ ناظرًا يَ كَأَنِّي فيه أَلْقَى أَلَمَ عَمري جَمِيعًا
طالَ ليلي فما طويتُ هزيعًا منه إلا نَشَرْتُ منه هزِيعًا

* * *

أَيُّها الشَّوقُ، خَلِّ عنكَ ودعني، وأمضِ لا خادِعًا ولا مخدوعًا
أَيْنَ هَذَا الجمالُ أَرعاهُ كالبرقِ خَلوبًا وأَجْتَلِيهِ لموعًا
أَيْنَ هَذَا الخيالُ أُسْقاهُ كأسًا بيدٍ منه فَجَّرْتُ ينبوعًا
أين، لا أين! ما غِنائي بالذكَرى وقد أَصْبَحَ الوهوبُ منوعًا!

* * *

عُدْتُ، يا شوقُ، لي وعادتُ لِياليبِ ولكنْ وجدتَ قلبًا صريعًا
عُدْتُ من بعدِ لوعةٍ أحرقتُهُ وجَفَّتُهُ على الرَّمادِ ضجيعًا
ولِيالٍ من الفراغِ عواتٍ هَرَّأَتْهُ ثُلوجهنَّ صقيعًا
عُدْتُ، يا شوقُ! فيمِ عُدْتُ؟ ربيعُ الـعمرِ ولَّى! فهل تُعيدُ الربيعًا؟

جَزِيرَةُ الْعُشَّاقِ

«ذكريات رحلة في سبتمبر عام ١٩٣٨ بين بركان الفيزوف وجزيرة كبرى والجرونا المشهورة بها.»

لِيَالِي الصَّيْفِ فِي كَبْرِي
وَجَنِّيَاتُ بَحْرِ الرُّومِ
عَلَى شَطِّ مِنَ الْأَحْلَا
تَنْفَسَ جَوْهُ عَطْرًا
أَرِيحُ الْبَرْتَقَالَ بِهِ
أَمِ الْإِلَهَةُ الْعُشَّاقُ بِيَدِ
أَهْلُوا تَحْتَ أَشْرَعَةٍ
نَشَاوِي الْحَسَنِ وَالنُّورِ
تَنْهَدَ حِينَ أَبْصَرَهُمْ
أَقَامَ الدَّهْرَ مَوْتُورًا
بِأَنْفَاسِ نُضِيِّ الْأَفْ
فَصَدْنَاهُ عَلَى اللَّيْلِ
فَلَمْ تَغْمُضْ لَهُ عَيْنٌ
وَبَاتَ الْمَوْجُ فِي فَرْ
فَقَالُوا: قَدْ دَنَا الْمَوْعِ
فَعُدْنَا مِثْلَمَا جِئْنَا

أَمِ الْفِتْنَةُ فِي الْبَحْرِ
أَمِ دُنْيَا مِنَ السُّحْرِ
مِ وَالْأَنْغَامِ وَالزَّهْرِ
يُفَضُّضُهُ سَنَا الْبَدْرِ
وَنَفْحُ الْعَنْبِ النَّضْرِ
مِنَ الْمَوْجِ وَالصَّخْرِ
تُقَلُّ عَرَائِسُ الشُّعْرِ
وَبَعْضُ النُّورِ كَالْخَمْرِ
مُحِبُّ مَوْعَرُ الصَّدْرِ
مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْهَجْرِ
سُقِّ بَرَكَانِيَّةِ الْجَمْرِ
وَجَزْنَاهُ مَعَ الْفَجْرِ
تُصِيبُ النَّجْمَ بِالذُّعْرِ
حَوَالِيهِ، وَفِي كَرِّ
سُدُّ أَوْ آذَنُ بِالنَّارِ
مِنَ الْعِبْرِ إِلَى الْعِبْرِ

ويَمِّمْنَا بِجَوْفِ الصَّخْرِ دهليزًا مِنَ التُّبْرِ
سَرَى زورُقْنَا فِي مَا بِهِ الغَافِي سُرَى السَّرِّ
تَرَامِي حَوْلَنَا الأَصْوَا ءُ أَطْوَأًا مِنَ الدُّرِّ
فَمَنْ زُرُقِي، إِلَى صُفْرِ، إِلَى خُضْرٍ، إِلَى حُمْرِ
كَأَنَّ الشَّمْسَ حِينَ رَأَتْ صِبَاهَا أَوَّلَ الدَّهْرِ
زَهَاهَا العُرْيُ فَاسْتَحْيَتْ عِيونُ النَّاسِ فِي البَرِّ
فَجَاءَتْهُ مَحْجَبَةً عَلَى تِيَّارِهِ تَسْرِي
وَنَضَّتْ مِنْ غَلَائِلِهَا وَأَلْقَتْهَا عَلَى الصَّخْرِ
وَخَانَتْ عَيْنَهَا سِنَّةً فَنَامَتْ، وَهِيَ لَا تَدْرِي!

طاقة زهر

إلى المودعة الجميلة

بيدي مودعة يمين مودع
كالطفل نام على ذراع المريض
أمشي بطيف في الظلام مقنع
وسمت بطابع ذوقك المترفع
في هودج أستاره لم ترفع
وخلعت عنها لبسة المتمنع
وترددت أنفاسها في مضجعي
لا تشتكي سهرًا وفرطًا تطلع
وتصب حلو حديثها في مسمعي
وتفر حين تحس حرقة أضلعي
من مغرياتك بسمة لتولعي

زهراتك الحمر التي أسلمتها
لما وصلت إلى المصيف حملتها
أمشي بها فوق الرمال كأنني
مضمومة الورقات طي غلالة
محبوبة كأميرة شرقية
حتى إذا أويتها بعد السرى
هشت لأنيتي وأشرق لونها
ومضت تحالسي حيي لحاظها
هي أنت، أحلام تغازل ناظري
هي أنت، أطراف تعانق مهجتي
أمست تعابيتي وملء شفاهها

* * *

ليلي، وأنت لدي ساهرة معي
تأتيك بالخبر العجيب الممتع
وتعد خطوي إن رجعت لموضعي

ومكرت مكرك يا حبيبة وانقضى
أرسلتها عينًا علي رقيقة
تحصي حراكي إن مشيت لشرفتي

ديوان علي محمود طه

شهِدْتُ بِأَنِّي مُدَّ تَرَكَتُكَ حَائِرٌ مَتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي فِي مَخْدَعِي!!

أَحْلَامُ عَاشِقَةٍ

يا للعدوية، يا حبيب — حين أهبطُ للنَّهْرُ
كي أستحمَّ وأنتَ تم — عنُ في مفاتيحِ النظرِ

* * *

لوِدِدْتُ لو أني أما — مكَ قد جلوتُ محاسني
بغلالةٍ مُبتلَّةٍ — كشفتُ جميعَ مفاتيحي

* * *

أهوى إلى الماءِ الهجو — طَ وأشتهي أن أتبعك
وأشدُّ ما أهواه من — هُ صعودنا، وأنا معك

* * *

بيدي من سمكاته — حمراء رائقة الجمال
فتعال لي أنظرُ إلي — لك! تعال وانظر لي تعال!

امْرَأَةٌ وَشَيْطَانٌ

لحاكِ اللّهُ يا دنيا خلوبًا فأنّتِ الغادَةُ البكرُ العجوزُ

المعري

أَبَدَ الدَّهْرَ وَإِنْ كَانَ إِلهَا
قَرَّبَتْهُ وَاحْتَوَتْهُ قَبْضَتَاهَا
تَتَحَدَّى سَطْوَةَ الْجِنِّ سَطَاهَا
وَيَعْمِرُ الدَّهْرَ مَوْعِدُ صَبَاهَا
قَصَصَ الْحَبِّ وَمَأْتُورَ لُغَاهَا
غَيْرُ شَيْطَانٍ وَلَا يَمْحُو رُقَاهَا
أَثْمَ يُغْرِبُ فِيهَا مَنْ رَوَاهَا
بِدِمَاءِ سَفَكْتِهِنَّ يَدَاهَا
سَرَقَتْ مِنْ كُلِّ حَسَنَاءٍ فَتَاهَا
كُلُّ مَعْشُوقٍ دَعَتْهُ فَعَصَاهَا
سَحَرَتْهُ وَهُوَ فِي حِضْنِ هَوَاهَا
يَسْرِقُ الْأَنْفَاسَ مِنْ طَيْبِ شَذَاهَا
بَعْيُونَ غَارِقَاتٍ فِي كَرَاهَا
أَطْلَقَتْ أَشْبَاحَهُمْ فِي مَنْتَدَاهَا

أَقْسَمْتُ لَا يَعْصِ جَبَّارٌ هَوَاهَا
لَا وَلَا أَفَلَتْ مِنْهَا فَاتِنٌ
قِيلَ عَنْهَا: إِنَّهَا سَاحِرَةٌ
وَعَجُوزٌ بِالصَّبَا مَوْعِدَةٌ
حَذَقْتُ عِلْمَ الْأَوَالِي وَوَعْتُ
قِيلَ: لَا يُذْهَبُ عَنْهَا كَيْدَهَا
وَرَوَوْا عَنْهَا أَحَادِيثَ هَوَى
وَأَسَاطِيرَ لِيَالٍ صُبِغَتْ
يَذْكُرُ الرِّكْبَانَ عَنْهَا أَنَّهَا
وَقَتِيلٌ بَيْنَ عَيْنِي زَوْجِهِ
كَلِمَا التَّدْتُ وَصَالًا مِنْ فَتَى
وَاحْتَوَتْهُ فِي أَصْيَصِ زَهْرَةٍ
زَهْرَاتٌ مَثَلَتْ عَشَّاقَهَا
فَإِذَا مَا اللَّيْلُ أَرخَى سِنْرَهُ

مُهَجًّا خَفَاقَةً مَلْتَاعَةً
تَسْتَعِيدُ الْأَمْسَ فِي لَذَاتِهَا
تَتَلَوَّى بَيْنَهُمْ مَشْبُوبَةً
عَبَرَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا أَفْقَهَا
أَيُّ وَاكِدٍ رَائِعٍ أَحْجَارُهُ
أَيُّ قَصْرِ بَاذِخٍ فِي قَمَّةِ
وَدْرُوبٍ حَوْلَهَا مَلْتَفَّةِ
وَبُرُوجٍ لِحَمَامٍ زَاجِلِ
ظَنِّهَا مِنْ عَبَقِرٍ نَاحِيَةٍ
فَهَوَى مِنْ حَالِقٍ يَرْتَادُهَا
وَرَنَا حَيْثُ رَنَا فَاهْتَاغُهُ
أُصْصُ مِنْ ذَهَبٍ تَحْسِبُهَا
كَلِمَا مَسَّتْ يَدَاهُ زَهْرَةً
فَجَنَى مَا شَاءَ حَتَّى لَمْ يَدَعْ
وَانْتَشَى مِنْ عَطْرِهَا فَانْتَشَرَتْ
عَجَبًا مَا لِمَسَّتْ غَيْرَ الثَّرَى!
نَظْرَةً، أَوْ خَطْرَةً، وَاخْتَلَجَتْ
وَاسْتَحَالَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ دُمَى
فُكَّ عَنْهَا السَّحْرُ فَارْتَدَتْ إِلَى
وَرَنَا الشَّيْطَانُ فِي آثَارِهَا
يَا لَهَا! كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ ثُمَّ فَرَّتْ!
وَدَنَا اللَّيْلُ، وَرِنَتْ صَدْحَةٌ
فَإِذَا مَائِدَةٌ حَافِلَةٌ
مِلْؤُهَا الْخَمْرَةُ نُورًا وَشَدًّا
وَصَحَافٍ كَتَهَاوِيلِ الرَّوَى
وَإِذَا مَقْصُورَةٌ مِنْ حَوْلِهِ
وَقَفَتْ غَانِيَةً فِي بَابِهَا
وَعْيُونًا ظَامِمَاتٍ، وَشَفَاهَا
وَلِيَالِيهَا، وَأَشْوَاقِ رُؤَاهَا
شَهْوَةً، يَلْتَهُمُ اللَّيْلَ لَظَاهَا
فَرَأَى، ثُمَّ فَنُونًا مَا رَأَاهَا
تَحْذِرُ الرِّيحُ عَلَيْهِنَّ سُرَاهَا
تَحْسَبُ الْأَنْجَمَ مِنْ بَعْضِ نُرَاهَا
كَأَفَاعِ سُمَّرَتْ فِي مَنْحَنَاهَا
هُوَ بِالْأَقْدَارِ يَهْفُو مِنْ كُؤَاهَا
أَخْطَأَتْ عَيْنَاهُ بِالْأَمْسِ صُؤَاهَا
طُرُقَاتٍ زَخْرَفَ الْفَنُّ حِصَاهَا
مَنْظَرَ الزَّهْرِ الَّذِي زَانَ رَبَاهَا
بَعَثَرَتْ فِيهَا الدَّرَارِي سِنَاهَا
عَطَفَتْهُ لِقَطَافِ شَفَتَاهَا
فِي أَصِيصِ زَهْرَةٍ إِلَّا جَنَاهَا
مِثْلَ حَبَّاتٍ مِنَ الْمَاسِ يِرَاهَا
أَيُّ نُورٍ شَاعَ فِيهَا فَرْهَاهَا؟
فَعَرَّتْهُ هِرْزَةٌ مِمَّا عَرَاهَا
حَيَّةٌ تَسْتَبِقُ الْبَابَ خَطَاهَا
عَالِمِ الْحَسِّ وَخَفَّتْ قَدَمَاهَا
سَابِجًا فِي دَهْشَةٍ طَالَ مَدَاهَا
لِحِظَّةٍ مَرَّتْ وَلَكِنْ مَا وَعَاهَا!
نَبَّهَتْهُ، حَيْنَ لَا يَبْغَى انْتِبَاهَا
بِالْأَبَارِيْقِ تَرَامَى طَرْفَاهَا
نَسَمَتْ وَانْتَلَقَتْ فَخَارَتَاهَا
تَجِدُ الْأَنْفُسَ فِيهَا مُشْتَهَاهَا
خَالَهَا تَنْبِضُ بِالرُّوحِ دُمَاهَا
قَدْ تَعَرَّتْ غَيْرَ فَضْلِ مِنْ حَلَاهَا

في قوامِ امرأةٍ راع صباحا
وعيون يتَرَقَّرَقْنَ مياها
واغنموا الليلة حتى منتهاها»
لا، ولا نَمُّ مُجِيبٌ لنداها
فرائته، فتلقاها وجاها
يَتَقَنَّعُ، شاهَ هذا الوجه شاهَا
أَرَجُ الزَّهْرِ فَأَجَّتْ نَظْرَتَاها
أَوَّلًا يَعْرِفُ من داسِ حماها؟
صيحةٌ ينذر بالويل صَداها
أتراها تتحدى؟ من تُراها؟
من مُبِينِ السَّحْرِ، أوما فمحاها
عينه، حين أشارت بعصاها
ريحَ لَمَّا سَرَعَتْهَا فَاتَّقَاها
يخترمه بالمنايا محجراها
وتنحَّت والأسَى يُلْجِمُ فَاها
يَتَغَشَى الأَرْضَ إن حان رداها
راحةً من قبلها ما عرفاها
ورأى من هي فاستحيا قواها
اشتهدت كلَّ جمالٍ واشتهاها
في دمي، لو أتأبى ما أباهَا
كلُّ ما في النار من وَقْدٍ لظاها
إن تَقُلْ حَقًّا ولا تَبِخْ أذاها
لحظةً ضلَّ بها عقلي، وتاها
لا يَرُدُّ الرُوحَ إلا من براها
فاستحت منه وأغضى ناظراها
اطلبي ما شئت مني ما خلاها
مَسِخَ الشَّمْسِ فيربدُّ ضحاها

يا لها من فتنَةٍ قد صُوِّرَتْ
طلعت في هالةٍ من خُضْرَةٍ
ثم نادَتْ: «يا أَحِبَّايْ انهضوا
وتلاشى الصوتُ لا رجَعَ صدى
فعرتها رَعْدَةٌ، فالتفتتُ،
أبصرتُ وجهًا كوجه المَسْخِ لم
ورأتُ كَفَّيهِ يَنْدَى مِنْهُما
عرفتُ ما اجترحتُهُ يَدُهُ
يا لهذا المسخ! دَوَّتْ وَمَشَتْ
فانثنى الشيطانُ عنها صارحًا
فَبَدَتْ في شفيتها آيَةٌ
فَدَنَتْ ترمقه فاختلجتُ
بُدِّلَتْ تلك العصا جمجمةً
هي من مَلَكَةٍ جِنٌّ من تُصَبُّ
فتنحى غاضياً مبتئساً
وسجى بينهما الصمتُ الذي
والتقت عيناها فاستروحا
عرفتُ من هو فاستخذتُ له
قال: أختاه، اغفري لي نظرةً
واغفري لي شِرَّةً عارمةً
يا لهذا الدم! ما عنصرُهُ؟
فأجابتُ: زهراتي رُدَّها
قال: لا أذكر إلا حُلْمًا
أَهي جِسْمٌ؟ أهي رُوحٌ؟ إن تَكُنْ
فأحسَّتْ هول ما يجهلُهُ
صَاحَ: غفرانك لا تبتئسي
أنا من تَتَخَطَّى قَدَمي

أأنا من يطفئُ النَّجْمَ فمي
 وتمسُّ القممَ الشَّمَّ يدي
 وأجبيءُ الأرضَ من محورها
 وأصدُّ الرياحَ عن وجهتها
 أأراني عاجزاً عن دَرْكِ ما
 أه، ما أضعفَ سلطاني، وما
 قالت: الآن سلاماً زائري
 أيها الشيطانُ، ما أعظمَ ما
 زهراتي تلك، ما كانت سوى
 قهرتني، واستذلّنتني بها
 وأنانيةً أنثى لم تُطِقْ
 قد صنّعتَ الحقَّ، قد عاقبتني
 فدنا منها، فألفتَ وجهه
 قرّبتَ بينهما روحَ الأسي
 واستهلّتَ دمعاً من عينها
 ضمّنتَ كلَّ عذابٍ وضئى
 ورأها فتندتُ عينه
 وبكى الشيطانُ! يا لامرأةٍ
 وأردُّ الأرضَ غرقى في دُجَاهَا
 فيرى منحدرًا لي مُرتقاها
 فإذا بي يتدانى قطبها
 فتجوبُ الكونَ لا تدري اتّجّاهَا
 تتمنى امرأةً؟! عزّتْ مُناها!
 كنتُ إلّا بغروري أتباهى!!
 ورضًا نفسي إن رُمتَ رضاها
 قُلْتُهُ، ما قُلْتُ لغواً أو سفاها
 شهواتٍ، جسيمي الطاغي نماها
 غَيْرَةً، ينهشُ قلبي عقرباها
 فاتنًا تملكه أنثى سواها
 فارحمِ المرأةَ في ذلِّ هواها
 غير ما كانَ، لقد ألفتَ أخاها!
 فاجتبتُهُ بَعْدَ جِدِّ واجتباها
 دمعاً رفّتْ وشفتُ قطرتاها
 كلُّ ما في النفس من بثِّ أساها
 رحمةً، فاحتيال يُخفي من بُكاها
 أبكيتَ الشيطانَ لَمَّا أن رآها!!

هِيَ وَهُوَ

صفحات من حب

مِنْهَا

ما بين موج طاغياتِ قُواه
حَيْرَى بأقْيَانُوسِ هَذِي الحَيَاةِ
أَيْنَ حَبِيبِي؟ أَيْنَ سَارَتِ خُطَاهُ؟
يَبْسُمُ لِي الحِظُّ فَأَلْقَى سَنَاهُ
تَحْمِلْنِي فِي إِثْرِهِ كَيْ أَرَاهُ
إِلَيْهِ أَفُقٌ لَا يُرَى مِنْتَهَاهُ!
أَعَزُّ إِنْسَانٍ صَفَا لِي هَوَاهُ
تُشِيرُ بِالْأَمَالِ لِي رَاحَتَاهُ
وَأَيْنَ مِنْ عَصْفِ الرِيَاكِ النِّجَاةُ؟
مَحْطَّمًا قَدْ مَالَ بِي جَانِبَاهُ؟
مَهْمَا تَنَاءَى وَارْتَمَتْ لُجَّتَاهُ
جَمِيعُ أَلَامِي؟ أَيْكْفِي مَدَاهُ؟

وَحِيدَةً! وَيُجِي! بِلَا رَاحَةٍ
تَجْرِي بِي الفُلُكُ كَأَرْجُوحَةٍ
أَبْحَثُ عَنْهُ، وَسُدِّي مَا أَرَى
لَمْ يَهْدِنِي نَجْمٌ إِلَيْهِ، وَلَمْ
وَلَيْسَ لِي مِنْ مَوْجَةٍ بَرَّةٍ
مِنْ شَاطِئِ الرَاحَةِ لَمْ يَدُنْ بِي
هَنَّاكَ فِي الشَاطِئِ وَافْرَحْنَا
مَنْتَظِرًا لِي، شَاخِصًا، بِاسْمًا
لَكِنَّمَا هِيَهَاتَ، كَيْفَ السُّرَى
أَصَارَ حَتْمًا أَنْ يُرَى زُورِقِي
وَهَلْ فِضَاءُ البَحْرِ أَوْ غُورُهُ
يَكْفِي مَدَاهُ أَنْ تُوَارَى بِهِ

نَمَتْ زَهْرَةٌ فِي غُضُونِ الْخَرِيفِ كَزَنْبَقَةٍ فِي زُهَى حُلَّةٍ
 كَخَلْمٍ مِنَ الْمَاءِ وَالْخَضِرَةِ تَبَّتْ الْمِرَاعِي نَوْرًا يَشْفُ
 رِبِيعِيَّةِ الْوَشْيِ مُحَمَّرَةٍ كَأَنِّي بِهَا قَدَحًا مُتْرَعًا
 وَيَجْلُو الطَّهَارَةَ فِي النُّظْرَةِ لَهَا وَهَجُ الْحَبِّ فِي قُبْلَةٍ
 بِهِ مُزَجَّ السَّمِّ بِالْخَمْرَةِ أَلَا إِنَّهَا هِيَ بُقْيَا الْهَوَى
 عَلَى شَفَةِ شِبْهِهِ مُفْتَرَّةٍ أَلَا إِنَّهَا هِيَ صَهْبَاؤُهُ
 وَأَخْرُ مَا فِيهِ مِنْ نَضْرَةٍ تُمِيتُ وَتُحْيِي فَيَا لِلْحَيَاةِ
 وَأَخْرُ مَا فِيهِ مِنْ قَطْرَةٍ وَلِلْمَوْتِ الْفَيْنِ فِي زَهْرَةِ!

إِن أَنَا قَاوَمْتُ هِيَاجَ الْعِبَابِ وَمِصْطَرَعًا وَالْأَفُقُ دَاجِي السَّحَابِ
 وَلَمْ تَدْعُ كَفِّي إِلَى زورقي زَمَامَهُ حُرًّا وَخَضْتُ الصَّعَابِ
 فَسَوْفَ يُلْقِيهِ خَفِي الْقَضَا مُحَطَّمًا فَوْقَ الصَّخُورِ الصَّلَابِ
 وَإِنَّ أَقْوَى سَاعِدٍ عَاجِزٌ أَنْ يُمَسِكَ الْمَجْدَافَ دُونَ اضْطِرَابِ
 إِنَّ عَانِدَ الْأَمْوَاجِ فَهُوَ الَّذِي يَحْفَرُ فِي الْيَمِّ حَفِيرَ التَّبَابِ
 وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى حَتْفِهِ فِي هُوَّةٍ مَفْعُورَةٍ فِي الْعِبَابِ
 فَلْيُلِقْ بِالْمَجْدَافِ مِنْ كَفِّهِ وَلِيَتْرِكِ الْمَوْجَ طَلِيقَ الرُّعَابِ
 وَلِيَمِضْ بِالزُّورِقِ مَا يَشْتَهِي إِلَى الْقَضَاءِ الْحَتْمِ دُونَ ارْتِيَابِ
 وَلِيَبْلُغُهُ الْمَوْجُ فِي جَوْفِهِ فَلَا مَفْرَ الْيَوْمِ مِمَّا أَصَابِ
 طَالَ كِفَاحِي، وَيَخَ نَفْسِي فَمَا طَوَّلُ كِفَاحِي غَيْرُ طَوْلِ الْعَذَابِ!

أَطَلَّ الْخَرِيفُ بِأَعْقَابِ لَيْلٍ دَجِي الظَّلَامِ بَكِّي السُّحْبِ
 وَأَخْرُ مَا فِي الرُّبَا زَهْرَةٌ عِدَاهَا مِنَ الصَّيْفِ وَقَدْ اللَّهْبِ
 غَدَّتْ وَحدهَا فِي أَدِيمِ عَفَا مِنَ النُّورِ وَالْوَرَقَاتِ الْقُشْبِ
 كَحَارِسَةِ الْمَيْتِ لَيْسَتْ تَرِيمٌ مَكَانًا بِهِ وَقَفْتُ تَضْطَرِبُ
 تُسَاقِطُ مِنْ حَوْلِهَا أَدْمَعًا غُصُونٌ تَطَالِعُهَا عَنْ كَثْبِ
 جَرَى الْغَيْثِ، مِنْ وَرَقَاتِ بِهَا إِلَى آخِرِ شَاحِبَاتِ، صَبَبِ

هِيَ وَهُوَ

تحدّر مختنقاً فوقها بلا نَبْأَةٍ قَطْرُهُ المنسكبُ

فيا مَنْ لها زهرة «الجورجين»
جَنَاحُ لآخر ما في الفراشِ
مضى الصيفُ وانقطعتْ إنْزَرُهُ
نأى طيرُها عانِيًا واختفى
مَنْ الزائرُ الحائرُ المقتربُ؟!
ومن رحمةٍ بَقِيَّتْ أو حدبُ
أغاريدُ كَنَّ مَنَارَ الطَّربِ
غرامُ أتى ... وغرامُ نَهَبُ

إِلَيْهَا

لا تتركي زورقنا المُجْهَدًا
لا تُسَلِّمي مجدافه للردى
سَيَّانِ أرغى الموجُ أم أزيبًا
هذي يدي! مُدِّي إليها يدًا
يَجْرِي به اليأسُ ويمضي العذابُ
فالشاطئُ الموعودُ وشكُّ اقْتِرَابِ
لن نحني الرأسَ أمام الصعابِ
نقتحم النَّوَاءَ ونطوِّ العُبابِ!

نادى بروحي منك روحُ شروءٍ:
شرائعُ الناسِ بهذا الوجودِ
وَرِدْتُ لو حطَّمتُ هذي القيودُ
يُضِيءُ وجهينا بريقُ الرعودِ
لبيكِ، يا رَبَّانتي الهاتِفَه
أعجزُ من أنْ تقهَّرَ العاطِفَه
وجئتُ ألقاكِ على العاصِفَه
فننثني بالبسمَةِ الخاطِفَه!

وحدكِ أنتِ الآن؟ إننا هنا
شراعنا الخفَّاقُ لن يَسْكُنَا
ونجمنا ما زال طَلَّقَ السَّنَا
إذا الغواشي السُّودُ مرَّت بنا
روحانِ شَبًّا في ظلال الكفاحِ
لليأسِ مهما مَزَّقَتْهُ الرياحُ
يُطالِعُ الأفقَ وَيَلْقَى البطاحُ
ألقى لنا الضوءَ ومدَّ الجناحُ

حُبُّكَ رُبَّانُ الهدى والسلامُ ما لان للأخطار أو أذعنَا
لا تَنْزِعِي من قبضتَيْهِ الزمامَ ولا يَرْعُ قلبك هذا الضَّنَى
كم ثار نَوْءٌ وتدجى ظلامٌ وهذه أنتِ، وهذا أنا
إنَّا بلونا الهولَ باسم الغرامِ جنبًا لجنبٍ، ورجونا المُنَى

* * *

ثِقِي بِمَلَّاحِكِ في المَأزِقِ إنِّي أنا ابنُ الموجِ والعاصفاتِ
الشَعْرَاتِ البِيضِ في مفرقي تُنْبِيكِ عن أَيامِي الخالياتِ
آثارُ عُمَرٍ مُرْعِدٍ مُبْرِقِ تعصف فيه أروعُ الحادثاتِ
ما كَدَّرَتْ من رُوحِي المَشْرِقِ تلك الليالي القُلبُ المظلماتِ

* * *

حبيبتي من أيِّ قلبٍ حزينٍ وأيِّ روحٍ عبقرِيٍّ الأَلَمِ
وأَيِّ وادٍ للأسى أو معينٍ فَجَّرَتْ لَحْنًا من أرقِّ النَعْمِ؟
وَصَفَتْ فيه زهرة «الجُورجين» حارسَةَ الميْتِ بوادي العَدَمِ
وَخَلَّتِهَا كالكأسِ ذات الرنينِ بَرَّاقَةٌ فيها الردى يبتَسِمُ؟!

* * *

بكيتِ بالدمعِ السخينِ الذريفُ على غرامِ خَلَّتِهِ قد مَضَى
وَأَبْصَرْتَ عينكِ ظلَّ الخريفِ يُجَلُّ الأَرْضُ وَيَغْشَى الفَضَا
تخضِبُ كَفَاهُ النضيرِ الوريْفُ وَرَسًا، وتُدْمِي الزنبقُ الأبيضا
وتُخْرِسُ الطيرَ بليلٍ شفيفِ يروعُ فيه القلبُ أن يَنْبِضَا!

* * *

هذا الخريفِ الجَهُمُ تمشي خُطاهُ على الربيعِ الذَّابِلِ المحتَضِرِ
كَأبَةٌ تحجبُ أفقَ الحياةِ سحابةٌ تخنُقُ ضوءَ القَمَرِ
أختَاهُ! هذا الحبُّ غَضُّ صِبَاهُ! أيُّ عذابٍ صاغِ هذي الصُورُ؟
لم يَبْرَحِ الشاطِئِي، إنِّي أراهُ كعهديه في الموعدِ المُنتظَرِ!

* * *

كان حديثُ القَدَرِ المَبْهَمِ مَثَارَ هَذَا الخَاطِرِ المَفزَعِ
برغمِ قلبي، صَحْتُ: لا تُقَدِّمِي! وكان ما كان، فلم تسمعي
أشفقتُ أن تَشْقِي وَأَنْ تَأْلَمِي معي، فَنَاشَدْتُكَ أَنْ تَرَجِّعِي
لكنْ أباي الحَبُّ فلم نَأْتِمْ وكان أن أَبْقَى، وَتَبَقَّى مَعِي!

* * *

أَكَانَ حُلْمًا أم قِضَاءَ دَعَا؟ ماذا يُفِيدُ العَاشِقِينَ الحِزْرُ؟
شئنا فلم نَقْدِرْ وَعُدْنَا مَعًا يا أختِ رُوحِي ذاك حَكمِ القَدْرِ!
لم نَدَّخِرْ جَهْدًا ولا أَدْمَعًا ولا دَمًا، ما نحنُ إِلَّا بَشَرُ!!
ما أَمَجَدَ الحَبِّ وما أروعا إذا تَحَدَّى العَاشِقَانِ الخَطْرُ!

* * *

الحَبُّ ما زالَ، وهذا سَناهُ يُلْهَبُ حَتَّى الجِذْوَةَ الخَامِدةَ
تذوي الأَزهيرُ وتذوي الشِفاءَ وهو ربيعُ الأَنفَسِ الواجِدَةِ
قلوبنا منه تُصِيبُ الحِياةَ وتستمُدُّ النُّضْرَةَ الخالِدةَ
إذا أضعناهُ فوا رحمتاهُ لنا، وبُؤسَى لَليدِ الجاحِدةِ!

ثَلَجٌ وَنَارٌ

أَيُّهَا النَّارُ هَذَا الْمَسَاءُ قَسَا بُرْدُهُ فَاثْهَضِي وَاسْتَفِيْقِي
أَيَا نَارُ كَفَّاي أَثَلَجُ مِنْهُ فَهَلَّا بَعَثْتِ بَدْفَاءَ الْحَرِيْقِ!

* * *

أَمَا فِيكَ بَعْدُ حَيَاةٌ تُشَبُّ؟ أَمَا فِيكَ مِنْ جَدْوَةٍ تُلْهَبُ؟
أَمَقْرورَةٌ؟ أَمْ غَفَا وَانطَوَى عَلَى نَفْسِهِ اللَّهَبُ الْمُتْعَبُ؟

* * *

أَجْلِسْ، يَا نَارُ، وَحْدِي هُنَا أَرَاعِيكَ وَهَنَا وَأَسْتَطْلِعُ؟
خُذِي مَلءَ شَدَقِيكَ هَذِي الرَّسَائِلَ إِنْ كَانَ فِيهِنَّ مَا يُشْبِعُ!

* * *

خُذِيهَا! كُليْهَا! وَلَا تَمْهَلِي فَمِنْهَا الْوَقُودُ وَمِنْكَ الْأَجِيْجُ
وَيَا مَنْ لَهَا كَلِمَاتٌ حَوَتْ مِنْ الْحَبِّ كُلِّ جَمِيْلٍ بَهِيْجُ!

* * *

أَتُبْقِيْنَ حَقًّا عَلَى مَا بَهَا؟ مَتَى أَنْتِ أَبْقَيْتِ شَيْئًا؟ مَتَى!
وَمَاذَا أَرْجِيْ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَكَيْفَ تُلَبِّيْنَ! وَاحْسَرْتَا!

* * *

أجائعة أنت؟ يا للشراهة ما عفت غير بلَى أو رَمَاد
تشهيت كل طعام، وما تذوقت شيئاً كطعم المِداد؟

* * *

ومن لي بزادك؟ لم يبق ما يُلوك لسانك أو يعلك
أيتها النار، ويك اصبري أجئك بكل الذي أملك

* * *

بقرباني القدسي الأخير أزهير كن رقاقا لطافا
أزهير تزهي بها باقة نوت نضرة وأصابت جفافا

* * *

ألا كم تالقن فوق الغصون زواهر في روعة واتقاد
بكفي هاتين جمعتهن من كل روض ومن كل واد

* * *

فوا رحمتا أي عمر قصير لهن، وأي شباب ذوى
وأي حياة كحلُم سرى سرى البرق لألاً ثم انطوى!

* * *

أحقاً فرغت؟ إذن ما سعارك لم يبق، يا نار، ما ينهش
أهذي القصاصة؟ لا! إنني أضم عليها يداً تُرعش!

* * *

أكانت سوى قطعة غضنت من الورق اليابس الأصفر
مهلهة غير مقروءة حوت قصة الحب في أسطر!

تَلْجُ وَنَارُ

ضِنْتُ بِهَا ضَنْ مَعْتَزَةٍ وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أودَعْتُهَا
أَقْبَلُهَا مِثِّي مَرَّةً إِذَا جُنَّ شَوْقِي فأطْلَعْتُهَا

فَيَا لِلشَّرَاهَةِ؟ مَاذَا أَرَى؟ لِسَانِكَ فِي ثَوْرَةٍ وَاهْتِيَاجِ
يَكَادُ إِلَيَّ مِنَ الْمُصْطَلَى بِجَمْرِكَ أَنْ يَتَخَطَّى السِّيَاحُ!

خَسِنْتُ فَرْدِيهِ! مَاذَا يَرُومُ؟ أَلَمْ يَبْقَ، يَا نَارُ، مَا يُطْعَمُ؟
أَهْذِي الْقُصَاصَةَ؟ يَا لِلْحَرِيقِ وَيَا لِلْبَلَى! شَدَّ مَا يُؤْلَمُ!

نَارٌ وَنَارٌ

حبيبة قلبي هي النارُ لا
دعيتها ولا توقظي جمرها
فدى راحتك فؤادٌ يلدُّ
أنيليهما دفءَ ثغري الحنون
تَشُبِّي لظاهها، ولا تستثيري
فما النارُ أحنى من الزمهريرِ
له، في هوكِ، عذابِ السعيرِ
وصونيهما رحمةً من زفيرِ!

* * *

قسا البردُ! كيف؟ أيقسو عليك؟
وكم جئتُه بأرقِّ الغناءِ
أأختاهُ أيُّ عذابٍ طغى
ضرعتُ إليك فلا تُسلمي
ووا عجباً كيف يرضى المساء؟
وأشرقَت فيه بوحي السماء؟
عليك، وأيُّ ضنى أو شقاء
ودائعنا للردى والعفاء!

* * *

فما هُنَّ بعضُ مداٍ جرى
ولكنهنَّ شغافُ الفؤادِ
وأحلامٌ دنيا وأشواقُها
أفاءً إلى أيكَةِ ينظرانِ
ولا هُنَّ أختاهُ بعضُ الورقِ
ودوبُّ السوادِ ونورُ الحدقِ
لروحين بعد الضنى والرهُقِ
جمالَ المساءِ وسحرَ الشفقِ!

* * *

أحسُّ بقلبك لذعِ الأسى
وفي وجنتيكِ لهيبَ الدموعِ

وَأَسْمَعُ صِيحَةً مُسْتَقْتَلٍ يُصَارِعُهُ الْيَأْسُ بَيْنَ الضُّلُوعِ
وَأَلْمَحَ فِي جَانِبِ الْمُصْطَلَى وَجُوهًا زواها الأَسَى والخُشُوعِ
مَحْدَقَةً فِيهِ، مَحْنِيَّةً عَلَيْهِ، وَيَا لِلظَى كَمْ يَرُوعُ!

* * *

لَهْنٌ لِيَالِيكِ أَوْ ذَكَرِيَاتِي جُنُنٌ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ
تَسْمَعُنَ صَوْتِكَ تَحْتَ الظَّلَامِ فَجُبْنَ الثَّرَى وَطَوَيْنَ الفُضَاءِ
تُمْسِحُ كَفَيْكَ رَاحَتُهُنَّ عَلَى قُبُلٍ مِنْ شِفَاهِ ظِمَاءِ
وَيَسْكَبْنَ فِي أذُنِيكِ الدِّعَاءِ وَفِي قَلْبِكَ الغَضُّ نَوْرَ الرَّجَاءِ

* * *

أَلَا، يَا عِرَائِسَ وَادِي الخِيَالِ، بِأَلْهَةِ الرَّحْمَةِ المُنْصَفَةِ
أَلَا ادْفَعْنَ هَذَا الرَّدَى المِشْرَبِ وَأُمْسِكْنَ هَذِي أَلْيَدَ المُضْعَفَةِ
وَأَنْقِذْنَ هَذَا الغَرَامَ الشَّهِيدَ فَقَدْ كَادَتِ النَّارُ أَنْ تَلْقَفَهُ
رِسَائِلُ، أَنْبِلُ مَا سَطَّرَتْ يَدُ الحَبِّ أَوْ رَدَّدَتْهُ شَفَهُ!

* * *

وَصُنَّ أَزَاهِرَ مَا نَوَّرَتْ بِهِنَّ الغُصُونُ لِغَيْرِ الشِّفَاهِ
وَلَا نَسَمْتَ غَيْرَ رُوحِ الهَوَى وَلَا غَيْرَ أَنْفَاسِهِ أَوْ شَذَاهِ
أَزَاهِرُ هُنَّ رُؤَى لَيْلَةٍ هِيَ العِمْرُ أَوْ هِيَ كُلُّ الحَيَاةِ
تَمَثَّلُهَا الحَبُّ فِي بَاقِيَةٍ إِلَهِيَّةٍ جَمَعَتْهَا يَدَاهِ

* * *

أَلَا يَا عِرَائِسَ وَادِي الخِيَالِ أَلَا ابْعَثْنَ رُوحَ الرِّضَا وَالسَّلَامِ
أَلَا احْكُمْنَ بَيْنِي وَبَيْنَ التِّي تَثُورُ بِعَاشِقِهَا المُسْتَهَامِ
تُفَارِقُهُ وَتُطِيلُ الفِرَاقَ وَتَسْأَلُهُ أَيْنَ عَهْدُ الغَرَامِ
فَإِنْ قَال: ضَيَّعْتِهِ، أَسْرَعَتْ إِلَى النَّارِ تُوقِظُ فِيهَا الضَّرَامِ

* * *

نَارُ وَنَارُ

ألا، يا عرائسُ، هَلَّا استمعتِ لأُختي رَبَّةَ هذا القصيدِ!
أَعَرَدَ رُوحٌ بهذا الصَّفَاءِ وردَّ قلبٌ كهذا النَشِيدِ!
يقول: أنا الحبُّ لا تُلَقِ بي إلى النارِ إنِّي قوِّي شديدُ
وما أنا بعضُ رَمَادٍ لها ولا أنا بعضُ حُطَامٍ بديدُ

* * *

أنا الجوهرُ الفردُ لا ماستي تذوبُ، ولا نورُها يَنفَدُ
مُنَحْتُ الخلودَ وأعطيتُهُ لمن يُلْهَمُ الشَّعْرَ أو يُنْشِدُ
تَخَرُّ العروشُ وتَهويُ الشُّموسُ ولي عرشي الخالدُ الأيِّدُ
هو القلبُ أعظمُ ما صَوَّرْتُ يدُ اللهِ ما نازعتها يدُ

* * *

ألا، يا عرائسَ وادي الخيالِ، ألا قربي يَدَهَا قربي
حبيبةَ قلبي نسيْتُ النوى ودعوى البريئةِ والمذنبِ
وأنسيْتُ حتى كأنَّ لم يَكُنْ على الأمسِ ما كان أو مرَّ بي!
حديثُ القُصاصةِ ردَّ الهوى لقلبي، فَشُبَّيه أو ألْهبي!!

يومُ الملتقى

غَنَّكَ «داودُ»، أم حَيَّاكَ «سيناءُ»
موعودةً، من ليالي النيلِ قمرأً
يشدو بهنَّ الثرى، والريحُ، والماءُ
أم أنَّ كَهَانِهَا بالوحيِ قد جاءوا
به زبرجدةً في الشطِّ خضراءُ
فهنَّ فاكهةٌ تَنذَى وصهباءُ

هذي سماؤُك أنغامٌ وأضواءُ
أم النبيُّون قد أزجتْ سفائنهم
أم طالعتك من السَّحر القديم رُؤَى
أم جاء «طيبة» من أربابها نبأً
أم سارَ «عمرو» بنور الفتح فائتلتُ
ماجتْ خمائلُ بالبشرى وأوديةُ

صَبَّاحِهِ قَدِيمَ الرُّسُلِ الأَجْلَاءُ
وكم إليك بسرُّ الروحِ إسرائُ
كما يُلبِّي هُتَافَ الأمِّ أبناءُ
من أمرها الناسُ أمواتٌ وأحياءُ
فقد تَبَدَّدَ، والأيامُ أنواءُ
كما يشاء الأَشْدَاءُ الألبَاءُ
ومن غفوا فهمو الموتى الأرقاءُ

يا مصرُ، ذلك يومُ الملتقى، وعلى
أَسْرَتِ إِيكَ بِهَمِ رُوحٍ وعاطفةُ
دعا، فلبَّوه، صوتٌ من عربتِهم
لا بل أهابَ بهم يومٌ صنائعهُ
إن لم تَصُنْ فيه أيديهم تُراثِهمو
طاحتْ بناصيةُ الضعفى، وسخرها
أحرارُ دهرٍ همُ المستيقظون لها

عليكمو غَيْرُ شَتَّى وأرزاءُ
أمام أعينكم للمجد أجواءُ

بَنِي العروبةِ، دارُ الدهرُ واختلفتْ
مضى بضائقِها الأَمْسُ، وانفسحتْ

شرقاً دعائمه كالطودِ شَمَاءَ
 بالحق ناطقةً، بالحبِّ سَمَاءَ
 فيها لغابركم بعثٌ وإحياءٌ
 لا يصدَعَنَّكُمُ بالخلفِ مَشَاءَ
 لبنانُ، والمسجدُ الأقصى، وشهباءُ
 لها من الروحِ تقريبٌ وإدناءُ
 دمٌ به كَتَبَ التاريخَ آباءُ
 والقادسيَّةِ، واليرمُوكِ أجناءُ
 حرٌّ، وقرٌّ، وإصباحُ، وإمساءُ

اليومِ شيدوا كما شادتْ أبوتُّكم
 دستورهُ وحدةٌ مثلى، وشرعتهُ
 لكم بحاضرکم من دهرکم نُهَزُّ
 شدُّوا على العروة الوثقى سواعدکم
 لم تنأَ بغدادُ عن مصر، ولا بَعَدَتْ
 أيُّ التخومِ تناءتْ بين أربعها
 أرضٌ عليها جرى تاريخنا، وجرى
 مباركُ غرسه، منه باندلسِ
 خوالدُ النَفْحِ لم يذهبَ بنضرتِها

لما تُعدُّونَ، والأذانِ إصغاءُ
 يا شرقُ إنَّ غداً هدمٌ وإنشاءُ
 فَلِلْمَطامِعِ إغراءُ وإغواءُ
 أقلامها، وصغتْ كُنُوبٌ وأنباءُ
 أنصارُ حقِّ على الجليِّ أوداءُ
 فما تشكُّوا، ولا شكُّوا، ولا راءوا
 وما ترى أُمَّ في الحربِ غلباءُ
 بناءً دنيا لها الإحسانُ بناءُ
 يدٌ مُبرَّأةٌ للسُّلمِ، بيضاءُ
 لِمَا جرى من عهدِ الأُمسِ، نساءُ
 لغيرِ كَفِّكَ إنَّ الرياحَ هوجاءُ

إيه بني الشرقِ! فالأبصارُ شاخصةُ
 يستطلعُ الشرقُ ما يجري به عَدُهُ
 بصيحةِ السُّلمِ لا يأخذُكَ إغراءُ
 تَفَتَّحتْ صُحُفُ الأيامِ وانبعثتْ
 وطأطأتْ أُمَّ مَقْهُورَةٌ، ورنا
 مسَّتْهُمُ الحربُ مسَّ المَرْمِضينَ بها
 في عالمِ الغدِ ماذا قد أُعدَّ لهم
 خَطَّتْ موثيقَ للإنسانِ واشترعتْ
 إنني أخافُ عليها أن تضيِّعَها
 في ساعةٍ من حُمارِ النَّصْرِ سامرها،
 فَقدُ شِراعِكَ لا تُسَلِّمَ أزمتهُ

يداك أنتَ، فقد أخلتْهُ أهواءُ
 صدورِ قومك، لم تُنقِذهُ آراءُ
 دمٌ، ونارٌ، وإعصارٌ، وظلماءُ
 بكفه آدمُ العاصي، وحواءُ

يا شرقُ، مجدك إنَّ لم تُرْسِ صخرتهُ
 يا شرقُ، حقك إنَّ لم تحمِ حوزتهُ
 والكونُ ملحمةٌ كبرى جوانبها
 أكان عندك هذا الموتُ يصنعهُ

غولٌ، ونسرٌ، وتنينٌ، وعنقاءٌ
والأرضُ من هولها سوداءُ حمراءُ
يكاد منها يُصيب النجمُ إعماءُ
من ثقلهنَّ لصدر الأرضِ أحناءُ
أو عربدتُ، فالصخورُ الصمُّ أشلاءُ
أو تَنجُ من غدرها غابٌ وصحراءُ
فليس تُغْفِرُ بعد اليومِ أخطاءُ

من ذاتِ أجنحةٍ يخشى مسابحها
شأتُ خطاها بساطَ الريحِ وانطلقت
تعلو وتنقضُ وشكَّ اللَّمَحِ صاعقةً
وزاحفاتٍ من الفولاذِ قد هُصِرَتْ
إنَّ صَعَدَتْ، فالجبالُ الشَّمُّ هاويةٌ
لم يَخُلْ من شَرِّها ماءٌ ويابسةٌ
يا شرقُ، يومك لا تُخْطِئُ سوانحهُ

* * *

جَنَاتِهِ لَقِيَ القربَ الأحبَّاءُ
خِصْبًا لها فيه إنباتٌ وإزكاءُ
فهيا لكلِّ صنيعٍ منه لألاءُ
ملوكهُ الصَّيْدُ، والشَّمُّ الأعزَّاءُ
هذي طوالعكم جلواءُ غرَّاءُ
بها ربوعُ حبيباتٍ وأرجاءُ
إنَّ المَنَاقِبَ للفتيانِ أسماءُ
فالشرقُ مَنبَهَةٌ، والغربُ أصداءُ
مستقتلٌ قرشيُّ الروحِ فدَّاءُ

في عهد «فاروق» طاب الملتقى، وعلى
حَمَى العروبةِ أعرافًا، ومدَّ لها
وباركَتها سماءُ من مآثرِهِ
عباقرُ الشَّرقِ هم أبأؤهُ، وهمو
يا عُصبةُ «الوحدة الكبرى» وعصمتها
وددتُ لو شَدْتُ بالأسماءِ شاديةً
وما أَسْمِي فتى شتى مناقبُهُ
المصطفى وحواريُّوه إنَّ ذكروا
وكلكم عن حمى أوطانه بطلُ

* * *

نُراهُ، فهو أزاهيرٌ وأنداءُ
بالدمعِ عينٌ، وبالأشواقِ حوَباءُ
أُخْتُ لكم في صراعِ الدهرِ عزلاءُ
ورِيَّها منه إيلامٌ وإشقاءُ
عصرٌ به حُرِّ القومِ الأندلاءُ
تنزو بها مهجةٌ كَلَمَى وأحشاءُ
ماذا تقولون إنَّ لم يُحَسَمِ الدَّاءُ؟
على يديكم من العِلَّاتِ إِبْرَاءُ؟

بالله إنَّ جنتم الوادي وناسمكم
وظاف بالذكرياتِ الأمسُ واستَبَقَتْ
فاقضوا حقوقَ إخاءِ تستجير به
طعامها من فُتاتِ العيشِ مَسْعَبَةٌ
أَحَلَّها ذَهَبُ الشَّاري، وحرَّمها
حَرَبانِ أثخناتها أدمعًا ودمًا
هذي «فلسطين» أو هذي روايتها
تَطَلَّعتْ لكم وَلَهَى أليس لها

ديوان علي محمود طه

حملتمُ العهدَ فيها عن أبوتكم إنَّ البنينَ لحملِ العهدِ أكفاءُ

الأيام

أَيُّهَا الأَيَّامُ، ما تصنعينُ
عُبَيْتِ، يا أَيَّام، لم يلتمسُ
يلومك الناسُ على ما بِهِ
وقال من قال: لقد أولعتُ
عدوةً أنتِ لمن خانتهُ
لحاكِ من أخطأ في رأيه
ومن أساء الصُّنْعَ في عيشه
ولأمك الضَّلِيلُ في دهره
حتَّى أخو الحرمانِ في حُبِّه
وأنتِ لا شكوى ولا آهةُ
لمستِ ضَعْفَ الناسِ في عَالَمِ

بذلك العبدِ الذي تحملينُ
عذركِ حتى المستضامُ الغيبُ
جَرَى يَرَاغُ الغيبِ فوقَ الجبينِ
بالشَّرِّ، فالطَّبَعُ لئيمٌ لعينِ
حظُّ، وإن كنتِ الصديقَ المعينِ
كأنما أنتِ التي تفكرينُ
كيف تُسيئينِ ولا تُحسِنينِ؟
فمنكِ لا منه الضلالُ المبينُ!
كأنما أنتِ الحبيبُ الضنينُ
مما ترى عيناكِ أو تسمعينُ
قَوِيُّهُ لا يرحمُ المضعفينُ

* * *

أخذتِ بالحسنى أراجيفهم
وأنتِ، يا أَيَّام، من رحمةِ
وأنتِ، يا أَيَّام، كلُّ الرُّضا
فمن مريرِ علقمِ كالوزينِ
وتُنبتينِ الرفقِ في أنفسِ

والضعفُ لا يشفعُ للمرجفينُ
لَهُمُ تُصلِّينِ، وتستغفرينُ
توليئُهُمُ من كَنزِهِ كلَّ حينِ
حلاوةً في عيشهمُ تسكبينُ
غليظةً قاسيةً لا تلينُ

أنا الذي أدري بما تصنعينُ
لديكِ ما يمحو عذابي، وما
لديكِ ما يُغني همومي، وما
لديكِ ما يُشعرنِي راحةً
لديكِ ما يُنصفُنِي سُلوَةً
لولاكِ لم أنسَ فنائي، ولم
إن ضِقتُ بِالْعُمُرِ الذي تَفسحينُ
يرقأُ دمعي، وهو هامٍ سخينُ
يبرئُ قلبي وهو دامٍ طعينُ
إن عَقَّنِي الوُدُّ وخانَ اليمينُ
إن ظَلَمَ الحُبُّ وجارَ الحنينُ
أحلمُ بأنِّي خالِدٌ في السنينُ

بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

والأُماني بَيْنَ مَوْتٍ وَحِياةٍ
حَمَلْتُ كُلَّ ذُنُوبِ الكائِناتِ
فَطَوْتُ نَجْمِي وَسَدَّتُ طُرُقَاتِي
والصَّبَا نَشوانُ وَالْحُبُّ مَوَاتِي
أَوْ دَعِيها واذكُري لي خَطراتِي
صَفَوَ أنْغامِي، ورَدِّي صَدحاتِي

بَعْدَ خَمِيسٍ جِئْتَنِي، يا ذَكرِياتِي
بَعْدَ خَمِيسٍ، يا لَها في السَنواتِ
صاحَ فيها رُحَلُ بِالظَلَماتِ
وَرَمَتْ شَملي بِبِيبِنِ وَشَتاتِ
فاحفظِها في المَاسِي الخالِداَتِ
أرجِعي لي بَعْضَ أحلامِي، وهاتِي

في سَكونٍ خِفْتُهُ أن يَنْبِضا
قَد دَعونا نَجْمَهُ أن يُغَمِضا
لَجْبا سَوداَ وظَللاً مُقْبِضا
دَفَع «النَيلَ» وأرغِي، ومضى
وادَّعى مِنْهُم خَبِيثُ عَرِضا
شَعَّ نارًا وَتَوارِي في الفِضا

حدَّثني لَيلةَ خُضْنا «الأبِضا»
وَدَجَّى كَالسُّخْطِ مِنْ بَعْدِ الرِضا
جِثْمَ الرِعبِ عَلِيهِ فَنِضا
كَلِما عَودُ ثِقابِ أَوْ مِضا
يُنْذِرُ الرِكبَ فَمَاجوا رُكُضا
أَنَّ نَجْمًا «هَتلِريًا» مُغْرِضا

كِيفَ جُزَّتِ البَرِّ وَالْبَحَرَ القِصِيا؟
وَشِواظًا طَاغِي النَارِ عَتِيا؟
وَأَبْعَثِيهِ نَغمًا عَذبًا شَجِيا

ذَكرِياتِي كِيفَ أَقبَلتِ إِلِيا؟
كِيفَ خُضتِ الكونَ لَجًّا دَمَويا
ذَكرِياتِي جَدِّدي هَذا الرَويًا

ما عجيبٌ أن تردِّيهِ عليًّا بل عجيبٌ أنني لا زلتُ حيًّا
أتلقَّاكِ، وكأسي في يديًّا ونشيدي ضارعٌ في شفتيًّا
طاف بي شاديكِ يدعوني مَليًّا: أيها المَلَّاحُ، حان الوقتُ، هيًّا؟

* * *

حان أن ننشر خفاق الشراع يا سفيني ويك! هيَّا! لا تُراعي
قد تدانى البحرُ من بعد امتناع وغَدتُ «فينيسيا» قيدَ ذراع
هذه الجنَّةُ، يا ويح الأفاعي! نفثتُ في زهرها سُمَّ الخداعِ!!
أه، دعني من أحاديث الصراع ضاع عمري! ويح للعمر المضاع
فالتمس نَهْزَةَ حُبِّ ومُتاع تحت أفقٍ صاوحٍ صافي الشعاعِ
يا شراعي، طُفْ بهاتيكِ البقاعِ وتهيًّا للقاءِ ووداعِ!

* * *

أيُّها البحر! سفيني ما عراها؟ رنَّحتها نِباةً رَقَّ صداها
أوحقًا قَرَبتُ من منتهاها هذه المحنةُ وانجاب دُجاها؟
أغداً تستقبل الدنيا مُناها حرَّةٌ تشدو بمكنون هواها؟
وأرى حُرِّيَّةً عَزَّ جماها لم يُضِعْ عُقباهُ من مات فداها؟
أيُّها الشرق! تأمل!! أتراها؟ أنتِ مِنْ داراتِها أين سَناها؟
ذُدتَ عنها وتقدمتَ خطاها يوم قالوا: حَسَرَ الحربَ فتاها!

* * *

أيُّ بشري زفَّها أرخُمُ لحن؟ من تُراه ذلك الطيف المغنِّي؟
مسَّ قلبي صوتُهُ إذ مسَّ أذني أَلْحَبُّ، أم لسلم، أم تمنِّي؟
يا بشير السلم، لا يكذبك ظنِّي أنا ظمَّانٌ إلى الشدو، فزِدني
عبرتُ بي الخمسُ في صميتٍ وحُزنٍ أيُّ خميسٍ بعدها تمتدُّ سنِّي؟
صاح قلبي: إن تدعني لست مني افتح الباب ونحِّ القيدَ عني
أه، دعني أبصر العالمَ دعني قد سئمتُ اليوم في أرضي سجنِي!

* * *

بَيْنَ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

ما ثوائي في مكان، ما ثوائي!
افتحوا نافذتي عَبْرَ الفضاءِ
في ظلالِ السَّلْمِ أو نورِ الصفاءِ
فانشُدوني بين أمواجِ الضياءِ
لا تقولوا: كيف يشكو من بقاءِ
قد ظلمتم دعوتي، يا أصدقائي
هو ذا الفجرُ فهبُّوا أصدقائي!
افتحوها لأرى لَوْنَ السماءِ
حنَّ قيثاري لشعري وغنائِي
وانشدوا فوق «البحيراتِ» لقائي
شاعرٌ في موطنٍ حالي الرواءِ؟
وجهلتم ما حياةُ الشعراءِ!!

* * *

يا ابنة «الإيزار» حُيِّيتِ، سلامًا
هذه الحربُ التي راعتِ ضرامًا
نُقِيتِ في الغربةِ وجدًا وسقامًا
مصرٌ كانت لمحبَّيها دوامًا
فاذكري في الغدِ أحيانًا كرامًا
واذكري بعض ليالِها القدامى
وغيرًا، لا عتابًا، لا ملامًا
شَبَّها طاغِ بواديكِ أقامًا
أتراها لم تَطِبْ مصرٌ مُقامًا؟
لم تُضِعْ عهدًا ولم تَخْفُرْ نمامًا
إنَّ أَلَمَّتْ بك ذكراها لِمَامًا
في ضفافِ حَمَلَتْ عنكِ الهيامًا

* * *

في ضفافِ كلِّ ما فيها جميلُ
يخطرُ الفجرُ عليها والأصيلُ
يَدُ «هاتور» على كلِّ جميلُ
و«أزوريس» على الشطِّ الظليلُ
هذه مصرٌ ديارًا وقبيلُ!
عجبًا لي، وعجيبٌ ما أقول!
تُنْبِتُ الحُبْدَ، وتُنْمِي وتُنْبِلُ
بين صفصافٍ، وحوور، ونخيلُ
تنشرُ النُوَارَ في كلِّ سبيلُ
يَعْصِرُ الخمرَ، وَيَسْقِي السلسبيلُ
ألها في هذه الدُنْيَا مثيلُ؟
كيف يدعوني غداً عنها الرحيلُ؟!

إِلَى الطَّبِيعَةِ الْمِصْرِيَّةِ

خواطر حزينة

لِمَ أَنْتِ، أَيَّتُهَا الطَّبِيعِـ
لَوْلَا أَغَارِيدُ تَرْسِـ
وَخِيَالُ ثَوْرٍ حَوْلِ سَا
وَقَطِيعُ ضَأْنٍ فِي المَرَوِ
لِحَسْبَتِ أَنْكَ جَنَّةُ
هَجْرُوكِ، لَا كُنْتِ العَقِيـ
عَجَبًا وَمَاؤُكَ دَافِقُ
حُسْنُ يَرْوَعُ طِرَازُهُ
أَرْنُو إِلَيْهِ وَلَا أَحْسُ
حَسَنَاءَ، سَاذِجَةَ المَلَا
يَمَنْ يُقَالُ لَهَا: قُرَى
الطَّيْنُ فِيهَا وَالْيِرَا
يَأْوِي لَهَا قَوْمٌ يِقَا
وَهُمْ ضِعَافٌ أَوْثَرُوا
المَكْثَرُونَ الزَادَ لَمْ
لَهُم الغَرَاسُ وَرَعِيُّهُ،

عَةُ، كَالْحَزِينَةِ فِي بِلَادِي؟
لَلْ بَيْنِ شَادِيَّةٍ وَشَادِي
قِيَّةٍ يُرَاوِحُ أَوْ يُغَادِي
جِ الخَضِرُ يَضْرِبُ بِالهُوَادِي
مَهْجُورَةٌ مِنْ عَهْدِ عَادِ
مَ وَلَسْتَ مُنْجِبَةَ القَتَادِ
وَنَجُومُ أَرْضِكَ فِي انْتِقَادِ
وَيُمَلُّ فِي نَسَقِ مُعَادِ
بِفَرْحَةٍ لَكَ فِي فَوَادِي
مَح، فِي إِطَارٍ مِنْ سَوَادِ
غَرَقَى أَبَاطِحِ أَوْ وَهَادِ
عُ أُسَاسُ رُكْنٍ أَوْ عِمَادِ
لَ لَهُمْ جِبَابِرَةُ الجَلَادِ
بِشَقَائِهِمْ بَيْنَ العِبَادِ
يَتَمَتَّعُوا بِوَفِيرِ زَادِ
وَلِغَيْرِهِمْ ثَمَرُ الحِصَادِ

* * *

لو كنتِ في الغرب الصَّنا عِ لَكنْتِ قِبْلَةَ كلِّ هادي
وافتننَّ فيك الفنُّ بالـ رُوح المَحْرِكِ للجماذِ
وتفجَّرَ المَرَحُ الحبيـ سُ بَكلِّ ناحِيةٍ ووادي
ولقلتُ: أبتدر الشُّدا ةَ غداةَ فخرٍ أو تنادي
هذي الروائعُ فيك لم تُخَلِّقْ لغيرك، يا بلادي!

خَمْرَةُ الْإِلَهِةِ

هَاتِهَا كَأْسًا مِّنَ الْخَمْرِ الَّتِي
سَكِرْتُ آلِهَةً الْفَنِّ بِهَا
إِسْقِنِيهَا وَتَفِيئًا ظُلَّتِي
وَتَرْنَمٌ بِأَغَانِي حُبِّهَا
هَذِهِ النِّكْهَةُ مِنْ صَهْبَائِهَا
شَبَعُ الرُّوحِ وَرِيِّ الْجَسَدِ
عَرَبِدِ الشَّاعِرِ مِّنْ لَّأَلِئِهَا
وَهِيَ كَنْزٌ فِي ضَمِيرِ الْأَبَدِ
هَاتِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَسَنِ
نَفْحَةِ الْوَحْيِ وَإِشْرَاقِ الْخِيَالِ
وَأَذْرَهَا نَغْمًا فِي أُذُنِي
فَاضٌ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ
هَاتِهَا سَحَرَ الْوَجُوهِ النَّضْرَاتِ
هَاتِهَا حَمَرَ الشِّفَاهِ الْمَلْهَمَاتِ
وَالْعَيُونِ الشَّاعِرِيَّاتِ اللَّوَاتِي
شَعَشَعَتْ بِالنُّورِ آفَاقَ حَيَاتِي
ذُقْنَهَا كَالْحَلْمِ فِي رِيْقِ عُمْرِي
قُبْلَةً عِذْرَاءَ مِنْ ثَغْرِ حَيِّ

وَتَسَمَّعْتُ لَهَا فِي كُلِّ فَجْرِ
وَهِيَ تَنْهَلُ بِالْهَامِي الْوَضِيِّ
هَاتِهَا جَلْوَاءً، يَا تَوَّامَ رُوحِي
فَبِهَا أَبْصُرُ لِلخُلْدِ الطَّرِيقَا
لَوْ خَلَا مِنْ كَرَمَتَيْهَا فُلُكُ نُوحِ
أَخْطَأُ الْجُودِيِّ، أَوْ بَاتَ غَرِيقَا
مَا أَرَاهَا أَخْطَأَتْ فِي وَهْمِنَا
عَالَمَ الْغَابَةِ أَوْ مَهْدِ الْجُدُودِ
وَأَرَاهَا خَلْقَةً فِي دَمِنَا
يَوْمَ كُنَّا بَعْضَ أَحْلَامِ الْقُرُودِ
جَدُّنَا الْأَعْلَى عَلَى كُبْرَتِهِ
لَمْ تَشْنُهُ نَظْرَةُ الْمُنْتَقِصِ
هُوَ مَا زَالَ عَلَى فِطْرَتِهِ
ضَاحِكًا خَلْفَ حديدِ الْقَفْصِ
ذَاقَهَا مُذْ كَانَ فِي الْغَابِ لِعُوبَا
يَتَغَذَّى مِنْ ثَمَارِ الشَّجَرِ
فَمَضَى يَحْلُمُ نَشْوَانَ طَرُوبَا
بِحَفِيدِ فِي مِرَاقِي الْبَشْرِ
يَا لَهَا مِنْ قَطْرَةٍ فَوْقَ شَفِّهِ
غَيَّرَتْ مَجْرَى حَيَاةِ الْعَالَمِ
فِي خَيَالِ مَرِحٍ أَوْ فَلْسَفِهِ
أَبْصَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِي أَدَمِ
فَلَسَفْتُهُ حِينَ مَسَّتْ قَلْبَهُ
فَاشْتَهَى الْفَنَّ وَعِلْمَ الْمُنْطِقِ
وَأَرْتَهُ وَأَنَارَتْ دَرْبَهُ
وَهُوَ فِي سُلْمِهِ لَمْ يَرْتَقِ
أَيْهَا الْحَالِمُ، غُرَّرْتَ بِنَا

وكفى سُكْرَكَ ما جَرَّ عَلَيْنَا
عُدُّ بِنَا لِلْغَابِ أَوْ هَاتِ لَنَا
عَهْدَهَا، أَحْبَبَ بِهِ الْيَوْمَ إِلَيْنَا
أَوْ تَرْضَى بِالَّذِي مَا كُنْتَ تَرْضَى
أَيُّ دُنْيَا مِنْ عَذَابٍ وَشِقَاءٍ
وَرُقِّيْ أَهْلَكَ الْعَالَمِ بَغْضًا
بَيْنَ نَارٍ، وَحَدِيدٍ، وَدَمَاءٍ
شَوْهَ الْعِلْمِ رُؤَى الْكُونِ الْقَدِيمِ
وَمَا كُلَّ مَسْرَاتِ الدَّهْوَرِ
أَوْ أَرْضِ جَوْفِهَا نَارٌ جَحِيمٌ؟
وَفِضَاءٌ كُلُّ مَا فِيهِ أُسِيرٌ؟
أَسْرَةُ الشَّمْسِ اشْتَكَّتْ مِنْ أَيْدِهَا
كَيْفَ لَا يَشْكُو الْأَسَارَى الْمَرْهَقُونَ؟
لَوْ أَطَاقُوا أَفْلَتُوا مِنْ قَيْدِهَا
فَإِذَا هُمْ حَيْثُ شَاءُوا يَشْرَقُونَ
إِنْ يَكُنْ قَدْ أَصْبَحَ الْبَدْرُ الْوَضِيءُ
حَجْرًا، وَالنَّجْمُ غَازًا وَحَدِيدُ
فَسَلَامًا، أَيُّهَا الْجَهْلُ الْبَرِيءُ
وَعِزَاءً، أَيُّهَا الْكُونُ الْجَدِيدُ
يَا حَبِيبِي، دَعُ حَدِيثَ الْفَلَسَفَاتِ
طَابَ يَوْمِي فَتَفِيئًا ظُلَّتِي
أَتْرَعُ الْكَأْسَ، وَنَاوِلْنِي، وَهَاتِ
قُبْلَةً تُنْقِذْنِي مِنْ ضَلَّتِي
أَوْ فَقْمٌ لِلْغَابِ مِنْ غَرِيدِهَا
نَسْمَعُ الرُّوحَ الطَّلِيْقَ الْمَرِحَا
وَتَعَبَ الْخَمْرِ مِنْ عُنُقِهَا
وَاتْرِكِ الدَّنَّ، وَخَلِّ الْقَدَحَا

الغرامُ الذَّبِيحُ

من وحي الجسد

كم ليلةٍ حمراءَ خِلْتُ ظِلَامَهَا
وكانَ كلَّ سحابةٍ في أفقها
وكانَ أنجمها نوافذُ حانةٍ
وكانَ أنوارَ المدينةِ تَحْتَهَا
همدَ الهواءِ بها فجدُّ حراكِهِ
وكانما اختنقَ الفضاءُ فكلُّ ما
يَدَ مارِدٍ سلَّتْ خضيبَ حُسامِ
شَبَّحَ الخطيئةَ فوقِ عَرِضِ دامي
شَرِبَ الدُّخَانَ بها بريقَ الجامِ
سُرَّجُ الغوايةِ في طريقِ حَرامِ
هَبَّواتُ نارٍ في نفيثِ قَتامِ
فيه صريعٌ أو وشيكُ جِمامِ

ألفيتُني جسداً تُسارقُ رُوحَهُ
أجتأحُها وأضجُ من لذعاتها
وعلى يَدَيَّ مسمورةٍ مخمورةٍ
متضائلَ الأفكارِ مهدورِ القُوى
قُبَلُ عواصفٍ ضُرَّجتْ بأثامِ
فكانَها بدمي نقيعُ سُمَامِ
ألتذُّ كالمقرورِ حرَّ ضرامِ
متزائلِ الأهواءِ والأحلامِ

هي من تُرى؟ هي هُنَّ، هُنَّ جِواذبي
الشارداتُ العائداتُ مع الضحَى
بأنيقِ ثوبٍ، أو رشيقِ قِوامِ
الطارِداتُ وراءَ كلِّ ظلامِ

ديوان علي محمود طه

هن اللواتي إن صحوْتُ فإِنِّي منهنَّ طالبُ مَهْرٍ وسلامِ
أخمدتُ فوق شفاههنَّ شبيبتني وذبحتُ بين عيونهنَّ غرامي!

امْرَأَةٌ

إِنِّي بِحَبِّكَ، يَا جَمِيلَهُ، رَاضِي
شَطَطَ الْهُوَى، وَسَمَوْتَ عَن أَغْرَاضِي
عُلُوِيَّةَ الْإِشْرَاقِ وَالْإِيْمَاضِ
فَأَرَاهُ لَا يِقْوَى عَلَى الْإِغْمَاضِ
نَفْسِي زِمَامَ جَوَادِهَا الرِّكَاضِ
وَيَخْوِضُ بَرْدَ جِدَاوِلِ وَرِيَاضِ
لَمْ تَلَقْ غَيْرَ الْوَقْدِ وَالْإِرْمَاضِ
رُوحِي كَلِذَّةِ حُلْمِكِ الْمَعْتَاضِ
بِيَدِيكَ لَا عَن ذِلَّةٍ وَتَغَاضِي
دُنْيَاكَ تَسْعَى لِي بِأَرْوَعِ مَاضِي!

أَقْبَلْتِ أَمْ أَمَعَنْتِ فِي الْإِعْرَاضِ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتِ بَلْ جَنَّبْتِنِي
أَلْقَاكَ لَسْتُ أَرَاكَ إِلَّا فِتْنَةً
كَمْ رُحْتُ أُغْمِضُ نَاطِرِي مِنْ دُونِهَا
وَذَهَبْتُ أَلْتَمَسُ السَّلْوَّ وَأَطْلَقْتُ
يَجْتَازُ نَارَ مَفَازَةِ مَشْبُوبِيَّةِ
وَلَقَيْتُ غَيْرِكَ غَيْرَ أَنَّ حُشَاشَتِي
وَأَعْتَضْتُ بِاللَّذَاتِ عَنكَ فَلَمْ تَجِدْ
وَأَطَعْتُ ثُمَّ عَصَيْتُ، ثُمَّ وَجَدْتِنِي
لَكِنْ لِأَنَّكَ إِنْ خَطَرْتَ تَمَثَّلْتُ

نِدَاءُ الْقَلْبِ

من المجموعة الأولى لأغاني الحب عند قدماء المصريين.

حَبِيبَةُ قَلْبِي نَأَتْ دَارُهَا
أَرَى وَجْهَهَا مُشْرِقًا بِالْجَمَالِ
هُوَ النَّهْرُ يَفْصِلُ مَا بَيْنَنَا
تَوَسَّدَ رَمَلْتَهُ شَاخِصًا
إِلَيْهَا عَلَي رَغْمِهِ فَلَأخُضُ
إِذَا مَا تَقَادَفَنِي مَوْجُهُ
مَضَيْتُ كَأَنِّي عَلَي مَائِهِ
لَقَدْ حَالَ يَابِسَةً مَائُهُ
وَصَيَّرَنِي سِحْرُ هَذَا الْهَوَى
أَلَا إِنَّ سُلْطَانَ هَذِي الْمِيَاهِ
وَلَمْ تَنَأْ عَنِّي وَعَنْ نَاطِرِي
يُطِلُّ مِنَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ
مُدِلًّا بِتَمَسَاحِهِ الْغَادِرِ
إِلَيَّ وَمَا كُنْتُ بِالْخَائِرِ
غَوَارِبَ تِيَّارِهِ الثَّائِرِ
وَسَالَ عَلَي بَدَنِي الضَّامِرِ
أُنَيْلُ الثَّرَى قَدَمَي غَابِرِ
بِسُلْطَانِ هَذَا الْهَوَى السَّاجِرِ
وَبِي قُوَّةِ الْقَادِرِ الظَّافِرِ
لِيَعْنُو لِسُلْطَانِهَا الْقَاهِرِ

فَارُوسِ الثَّانِي

نَبَأٌ، فِي لَحْظَةٍ أَوْ لَحْظَتَيْنِ،
نَبَأٌ، لَوْ كَانَ هَمَسَ الشَّفَتَيْنِ
وَتَرَاهُ أُمَّةً بِالضَّفَتَيْنِ
مُوسُلِينِي! أَيْنَ أَنْتَ الْيَوْمَ؟ أَيْنَ؟
طَافَ بِالدُّنْيَا وَهَزَّ الْمَشْرِقَيْنِ
مِنْذُ عَامٍ، قِيلَ: إِرْجَافٌ وَمِئْنُ!
أَنَّهُ كَانَ جَنِينٌ «الْعَلَمِينُ»
حَلْمٌ؟ أَمْ قِصَّةٌ؟ أَمْ بَيْنَ بَيْنٍ؟

* * *

فَصُرُ «فِينِيسِيَا» إِلَيْكَ الْيَوْمَ يُهْدِي
عَجَبًا! يَا أَيُّهَا الْمُتَحَدِّي
إِمْبِرَاطُورُكَ فِي هَمٍّ وَسُهِدٍ
أَيْنَ، يَا «فَارُوسُ»، وَلَيْتَ بَجَنْدِي؟
لَعْنَةُ «الشُّرْفَةِ» فِي قَرَبٍ وَبُعْدٍ
كَيْفَ سَامُوكَ سَقُوطَ الْمُتَرَدِّي؟
صَائِحًا فِي لَيْلِهِ لَوْ كَانَ يُجِدِي:
أَيْنَ وَلَيْتَ بِسُلْطَانِي وَمَجْدِي؟

* * *

اعْتَزَلْتَ الْحَكْمَ؟ أَمْ كَانَ فِرَارًا
سُقَّتَ لِلْمَجْزَرَةِ الرُّغْبِ الصِّغَارَا
يَا لَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ حَيَارَى
يَمْلِئُونَ الْجَوْ فِي الرُّكُضِ غَبَارَا
بَعْدَ أَنْ أَلْفَيْتَ حَوْلِيكَ الدَّمَارَا
بَعْدَ أَنْ أَفْنَيْتَ فِي الْحَرْبِ الْكِبَارَا
نَهَبُوا قَتْلَى، وَجَرَحَى، وَأَسَارَى
وَقُبُورًا مَلَأُوا وَجَهَ الصَّحَارَى

* * *

أَعْلَى «الصُّومَالِ» أَمْ «أَدِيسَ بَابَا»
تَرْفَعُ الرُّوَايَةَ، أَمْ تَبْنِي الْقِبَابَا

أَمْ عَلَيَّ «النَّيْلِ» ضِفَافًا وَعُبابًا لَمَحَتْ عَيْنَاكَ لِلْمَجْدِ سَرَابًا
فَدَفَعْتَ الْجَيْشَ أَعْلَامًا عَجَابًا مَا لِهَذَا الْجَيْشِ، فِي الصَّحْرَاءِ، ذَابًا؟
بَحَّرْتَهُ الشَّمْسُ فَارْتَدَّ سَحَابًا حِينَ ظَنَّ النَّصْرَ مِنْ عَيْنِيهِ قَابًا

يَا أَبَا «الْقَمَّصَانِ» جَمْعًا وَفُرَادَى أَحَمَّتْ قَمَصَانِكَ السُّودُ الْبِلَادَا؟
لِمَ آثَرْتَ مِنَ اللَّوْنِ السَّوَادَا؟ لَوْنُهَا كَانَ عَلَى الشَّعْبِ جَدَاذَا
جِئْتَ بِالْأَزْيَاءِ تَمَثِيلًا مُعَادَا أَيُّ شَعْبٍ عَزَّ بِالزِّيِّ وَسَادَا
إِنَّهُ الرُّوحُ شَبُوبًا وَاتِّقَادَا لَا اصْطِنَاعًا بَلْ يَقِينًا وَاعْتِقَادَا

موسُليَني! قَفْ عَلَيَّ أَبْوَابِ رُومَا وَتَأَمَّلْهَا طُلُوعًا وَرُسُومَا
قَفْ تَذَكَّرْهَا عَلَى الْأَمْسِ نَجُومَا وَتَنْظُرْهَا عَلَى الْيَوْمِ رُجُومَا
أَضْرَمْتَ حَوْلَكَ فِي الْأَرْضِ التُّخُومَا تَقْتَفِي شَيْطَانَكَ الْفِطْرَ الْعُشُومَا
أَوَكَانَتْ تِلْكَ «رُومَا» أَمْ «سُدُومَا» يَوْمَ ذَاقْتَ بِحَطَايَاكَ الْجَحِيمَا؟

هِيَ ذَاقَتْ مِنْ يَدِ اللَّهِ انْتِقَامًا لِأَثَامِ «خَالِدٍ» عَامًا فَعَامًا
يَوْمَ صَبَّتْ فَوْقَ بَيْرُوتِ الْحِمَامَا لَمْ تَذُرْ شَيْخًا وَلَمْ تَرْحَمْ غَلَامًا
مِنْ سَفِينٍ يَمَلَأُ الْبَحْرَ ضِرَامًا! ذَلِكَ الْأَسْطُولُ كَمْ ثَارَ احْتِدَامًا
أَيْنَ رَاحَ الْيَوْمَ؟ هَلْ رَامَ السَّلَامَا؟ أَمْ عَلَى الشَّاطِئِ أُغْفَى ثَمَّ نَامَا؟

أَيُّ عِدْوَانِ زَرِيٍّ الْمَظْهَرِ بِدَمِ قَانٍ وَدَمْعِ مُهْدَرِ
حِينَ طَافَتْ بِحِمَى (الإِسْكَندَرِ) أَجْنَحُ مِنْ طَيْرِكَ الْمَسْتَنْسِرِ
تَنْشُرُ الْمَوْتَ بَلِيلَ مَقْمَرِ! يَا لِمِصْرَ! أَتَرَى لَمْ تَنْشُرِ
بِيَدِ الْمَنْتَقِمِ الْمُسْتَكْبِرِ؟ أَتَرَى تَذَكَّرُ؟ أَمْ لَمْ تَذَكَّرِ؟!

فَارُوسِ التَّائِي

موسليني! لست من أمس بعيدا
هو روح يملأ الشرق نشيدا
موسليني! خذ بكفيك الحديد
أو فضع منك على النصل وريدا
فاذكر «المختار» والشعب الشهيدا
ويناديك، ولا يألو وعيدا:
وصغ القيد لساقك عتيدا
فدمي يخنقك اليوم طريدا!!

هَزِيمَةُ الشَّيْطَانِ

مِنْ وَحْيِ الْهَجْرَةِ

على شَفَقِ دَامٍ تَلْظَى ذَوَائِبُهُ؟!
يُطِلُّ فترتدُّ ارتياحًا كواكبُهُ؟!
تَوَثَّبَ فِيكَ الشَّرُّ حُمْرًا مَخَالِبُهُ
دُخَانًا تُغَشِّي الكائناتِ سَحَابُهُ
كَأَنَّ هَجِيرَ الصَّيْفِ يَلْفَحُ حاصِبُهُ
تَوْهَجَ شَوْقًا لِلدماءِ مَضَارِبُهُ
لقد خَيَّبَ البَاغِي وَخَابَتْ مَارِبُهُ
فَمَاذَا تَوَقَّاهُ، وَمَاذَا تُجَانِبُهُ
إِلَى النورِ تَهْفُو فِي الظَّلَامِ ترائِبُهُ؟!
وَأنتِ حَسِيرٌ ضَائِعُ اللَّبِّ ذَاهِبُهُ:
نُفَاتَةٌ سِحْرِ خَدَّرَتْنَا غرَائِبُهُ؟!
على سِيفِهِ لم تَحُلْ مِنْهُ رواجِبُهُ
وَأينِ تُرى يَمْضِي؟ وَتَمْضِي رِكايبُهُ؟
لقد هَجَرَ الدارَ النَّبِيَّ وَصاحِبَهُ!!
إلى جَبَلٍ يُثْوِي الحَقِيقَةَ جانِبُهُ

ألا ما لهذا الليلِ تَدَجَى جوانِبُهُ
وما ذلكَ الظُّلُّ المَخَوْفُ بأفِقِهِ
أَيُّهَا الأَرْضُ انظري، وَيْكَ! واسْمَعِي!
أَرَى فِتْنَةَ حُمْرَاءَ يَلْفِظُهَا التُّرَى
وأشتمُّ من أنفاسها حَرَ هَبِوَةٍ
أرى قبضةَ الشيطانِ تستلُّ خِنَجِرًا
تَسَلَّلَ يَبْغِي مَقْتَلًا من «محمدٍ»
تَقَدَّمَ سليلَ النارِ! ما البابُ موصدًّا!
تَأَمَّلْ! فَهَلْ إِلَّا فَتَى فِي فراشِهِ
يُسَائِلُكَ الأَشْياعُ زَاغَتْ عِيونُهُمْ
تُرانا عَفَوْنَا أم تُرى عَبَرَتْ بنا
وما زالَ منا كُلُّ أَشْوَاسٍ قابِضًا
تُرى كيفَ لم تُبْصِرْ غريمَكَ سارِيًا
تَقَدَّمَ، وَجُسْ فِي الدارِ وَهْنًا؟ فما تُرى؟
يَحْتَنانِ فِي البَيْداءِ راحِلَتَيْهِما

فَقِفْ، وَتَنْظُرْ حَائِرًا نُصَبَ غَارِهِ تَحَدَّكَ فِيهِ وَرُقُهُ وَعَنَاكِبُهُ

* * *

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ رَوْحٌ وَفِكْرَةٌ يَذُلُّ لَهَا الطَّاعِي وَتَعْنُو قَوَاضِيَهُ
فَطِرٌ، أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، نَارًا أَوْ انْطَلِقْ دُخَانًا، فَأَخْسِرِ بِالَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ!
حَسِئْتَا! وَلَوْ لَمْ يَعْصِمِ الْحَقُّ رَبُّهُ طَوَى الْأَرْضَ لَيْلٌ مَا تَزُولُ غِيَاهِبُهُ

مَوْكِبُ الْوَدَاعِ

قد أوحشَ الأَحْبَابَ لَيْلُ السَّامِرِ!
لِمَ تَوَثَّرِيهِ هَوَى الْمُحِبِّ الشَّاكِرِ!
من ذلكِ الأَدبِ الرَّفِيعِ البَاهِرِ
ما لا يُشَبَّهُ حَسَنُهُ بِنظَائِرِ
بأدقِّ مَثَالٍ وأَرْخَمِ طَائِرِ
وَتَحَطَّفَتْهُ يَدُ الزَّمَانِ الجَائِرِ
مأساةَ مَيِّتٍ في الشَّبَابِ البَاكِرِ
بجراحِهِ، مِثْلَ الشَّهِيدِ الطَّاهِرِ
لن تَطْفِئُوا بالدَّمْعِ لوعَةَ ذَاكِرِ
وحيًا تَحَدَّرَ من أَرْقٍ مَشَاعِرِ
والخَلَدِ غايَةَ عُمُرِهِ المِتْقَاصِرِ
أشواقُهُ لَحْنِ الحَبِيبِ الزَّائِرِ
أَنفاسُهُ لَحْنِ الحَبِيبِ الهَاكِرِ
ذابت على وَتْرِ المُعْنِيِّ السَّاجِرِ
للموتِ مُحتَشِدِ الفَوَاجِعِ زَاكِرِ
خُرْسِ، وأدوِاحِ هَناكَ حِوَاكِرِ
كَفَنًا لَهُ، والنَّعْشِ غَضِّ أَزَاهِرِ
أَمَّا تَخَفٌ إلى وداعِ الشَّاعِرِ

هذا الرَحيقُ، فأينَ كَأْسُ الشَّاعِرِ
لِمَ، يا حَيَاةُ، وقد أَحَلَّكَ قَلْبُهُ
أَخْلَيْتِ مِنْهُ يَدِيكَ حينَ حَلاهُمَا
لو عاشَ، زادَكَ من غَرائِبِ فَنَّهُ
وظَفِرَتْ من تَمثِيلِهِ وَغَنائِهِ
أَمَلٌ مِحا المَقْدارُ طيْفَ خيَالِهِ
وأَصارَ فَرحَتَنَا بِمُقْبِلِ يَوْمِهِ
متوسِّدًا شَوْكَ الطَّرِيقِ، مُلْتَمًّا
رُدُّوا المَرَاثِي، يا رِفاقَ شِبابِهِ،
هذا فَتْيٌ نَظَمَ الشَّبَابَ وَصاعَهُ
جَعَلَ الثَلاثينَ القِصارَ مَدَى لَهُ
غَنَوَهُ بِالشَّعْرِ الَّذِي صَدَحَتْ بِهِ
غَنَوَهُ بِالشَّعْرِ الَّذِي خَفَقَتْ بِهِ
تلكَ القِوافِي الشَّارِداتُ حُشاشَةٌ
فَتَسَمَّعُوا أَصداها في مَوْكِبِ
مَشَتْ الطَّبِيعَةُ فِيهِ بَينَ جِداوِلِ
ولو اسْتَطاعتَ نَضدَتْ أوراقيها
وَدَعَتْ سِواجِعَ طَيرِها فَتَأَلَّقَتْ

* * *

يا ابنَ الخيالِ تساءَلتْ عنكَ الذُّرى
وشواطئُ «محبوبة» شارفتها
أُرى جناحَكَ في السماءِ كعهدِهِ
أُرى شرعَكَ في العُبابِ كعهدِهِ
هدأ الصُّراعُ وكفَّ عن غَمراتِهِ
وطوى البلى إلا قصيدةَ شاعرٍ
شعرٌ تَمَثَّلَ كلَّ جسٍّ مُرهَفٍ
ودمى مُفضَّحةَ الطلاءِ كأنَّها
تتمثَّلُ التاريخَ في أزيائه
من صنُعِ نظامينَ جهَدَ خيالِهِمُ
مُتخَلِّفينَ عن الزمانِ كأنهم

* * *

يا قومُ، إنَّ الشَّعرَ روحانيَّةٌ
نظَرُ «الضريُّ» به فأدرك فوق ما
مُتَعَرِّفًا صُورَ الخلائقِ سايرًا
هذي عروسُ الزنجِ ليلتهُ التي
والنَّجمُ أشواقُ، فمهجةُ عاشقٍ،
الشَّعرُ موسيقى الحياةِ موقعا
عشاقُ بابلَ لو سُقُوا برحيقِهِ
وتَنصَّتْ أقداحُهُمُ لمغرِّدٍ
أو كانَ كلِّمَ بُرجها بلسانه
لم تشكُّ من عوجِ اللسانِ ووحدتْ

صَاحِبُ الْأَهْرَامِ

إِلَّا حَيَاةَ مَآثِرِ وَأَيَادِي؟
إِلَّا نَهَارَ ضُنَى، وَلَيْلِ سُهَادِ؟
بِجَمِيلِ صَبْرٍ، أَوْ طَوِيلِ جِهَادِ؟
فِي مِثْلِ صَمْتِ الْكَوْكَبِ الْوَقَادِ
وَيُضِيءُ فِي الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ
خَلَّاقَةَ مَوْصُولَةِ الْإِمْدَادِ
رَحْبُ الْجَوَانِبِ، شَاسِعُ الْأَمَادِ
فِي شَاطِئِ الْوَادِي مَنَارَةَ هَادِي
يَتَنظَّرُونَ خُطَاكَ فِي الْمِيْعَادِ
هَذَا النَّدْيُ! فَأَيْنَ صَدْرُ النَّادِي؟
سَفَرَ الْحَيَاةِ وَرَحْلَةَ الْآبَادِ
عِنْدَ الْوَدَاعِ بِنَظَرَةٍ وَتَنَادِي
مُتَفَرِّدًا، وَالْمَوْتُ بِالْمَرَضَادِ
الْأَلَقَّةُ، وَالرُّوحُ فِي إِيقَادِ
رَمَقُ يَصَارِعُ حَيْنَهُ وَيُرَادِي
مَضْبُوعَةً بِدَمِ النَّهَارِ الْفَادِي
وَالرُّوحُ رَكْبٌ، وَالْمَنِيَّةُ حَادِي
رَفَافَةٌ، وَالْعُمُرُ وَشَكُّ نَفَادِ

هَلْ كُنْتَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْمِيلَادِ
وَهَلْ اسْتَطَبْتَ عَلَى الرَّفَافَةِ وَالصَّبَا
وَكِفَاحِ أَيَامٍ، وَعَرَكَ شَدَائِدِ،
مُتَوَاضِعًا، مَتَرَفِّعًا، تَرَقَى الذَّرَا
يُلْقِي أَشْعَتَهُ هُنَاكَ وَهَاهُنَا
أَهْرَامَكَ الْمُتَلَى نَتَاجُ قَرَائِحِ
دُنْيَا مِنَ الْفِكْرِ الطَّلِيْقِ، وَعَالَمِ
تَهْدِي الْحَيَارَى الْمُدَلْجِينَ كَأَنَّهَا
قُمْ، يَا فَتَى الْأَهْرَامِ، وَانظُرْ رَفْقَةً
وَيُسَائِلُونَ بِكَ الْعَشِيَّ كَدَّابِهِمْ
يَا لَهْفَ، مَا عَلِمُوا بِأَنَّكَ مُزْمَعُ
يَا لَهْفَ، مَا ظَفِرُوا كَمَا عَوَّدْتَهُمْ
نَحَلُوا عَلَيْكَ الْبَيْتَ جَسْمًا ضَارِعًا
وَالفِكْرُ صَحْوٌ وَالْجَبِينُ شُعَاعَةٌ
وَالشَّمْسُ بَيْنَ سَحَابَتَيْنِ تَدَجَّتَا
فِي شَاطِئِ قَانِي الْمِيَاهِ كَأَنَّهَا
هِيَ صُورَةٌ لَكَ، وَالْمَسَاءُ مِقَارِبِ،
وَالْقَلْبُ فِي كَفِّ الْقَضَاءِ فَرَاشَةٌ

عجبًا أيشكو قلبه من قلبه
وتخونه الأنفاس وهو رحابة
وإذا أتى الأجل النفوس فلا تسل
كنز الرضا، والخير، والإسعاد!
كم نفست عن أمّة وبلايد؟
عن صحّة الأرواح والأجساد

أبأ بشارة لا يرعك بعاذه
أثرتها بهواك، يا لغرامها!
حفظت لوالدك الصنيع المجتبي
ورأت نجيبك فاستفاض حنائها
ذكرت بيتمك يتمه فتفجرت
لبنان نازعها هواك وما أرى
الأرز فيه والنخيل كلاهما
أرض العروبة لا تخوم ولا صوى
وأخوة بالمسجدين وجيرة
مصر اجتبته فلا ترع ببعاد
هي مصر مهّد الموت والميلاد
ورعت فتاه البر في الأولاد
لسميه المرجو في الأحفاد
حُبًا، وقبّلت الرجاء البادي
لبنان إلا من ضفاف «الوادي»
أعشاش حُب أو خمائل شادي
ما مصر غير الشام أو بغداد
من آل «طارق» أو «بني عبّاد»

قسّمًا بأمساء الندى، ومجلس
وجمال أسحار، وطيب أصائل
ومحبّة للخير صفو مزاجها
ألا استمعت إلى رفاقك ليلة
جمد المداد على شبا أقلامهم
وا حسرتا! أي الرثاء أصوغه
أرثيك للأمم التي شاطرتها
وأذعت دعوتها وجزت بصوتها
ووصلت بين قريبها وبعيدها
قم حدث القراء عما شغته
وصف الممالك والشعوب كما ترى
تطوي الغمام والخضارم والثرى
متألّق بالرفقة الأمجاد
بالذكريات روائح وغوايدي
مرضاة نفس أو عزاء فؤاد
والنار في مهج وفي أكباد
فصريرها نوح ولحن حداد
لوفاء حق محبتي ووداي؟
كرب الخطوب وفرحة الأعياد
في المغربين شوامخ الأطواد
رحم العروبة أو عهد الضاد
في العالم المتنافر المتعادي
ببراعة الوصافة النقاد
وتجول بين حواضر وبوايدي

صَاحِبُ الْأَمْرَامِ

بِفَطَانَةِ الصَّحْفِيِّ وَهِيَ بَصِيرَةٌ
يَا رُبَّمَا نَبَأَ أَثَارَ بوقِعِهِ
تَغْزُو وَتَفْتَحُ مُغْلَقَ الْأَسَدَادِ
مَا لَا تُثِيرُ مَلَاحِمُ الْأَجْنَادِ
وَهَدَى قَبِيلًا أَوْ أَضَلَّ جَمَاعَةً
لَسَبِيلِ غِيٍّ أَوْ سَبِيلِ رَشَادِ
وَأَلْهَفَ نَفْسِي كَمَا تَمَنَّيْتَ الْمُنَى
يَوْمَ السِّيُوفِ تَقَرُّ فِي الْأَعْمَادِ
هَلْ كُنْتَ تُبْصِرُ مِنْ حَضَارَةِ عَصْرِهَا
إِلَّا نَثِيرَ حِجَارَةٍ وَرَمَادِ؟

* * *

إِنَّ السَّلَامَ الْحَقَّ مَا آثَرْتَهُ
وَالنَّاسَ مَا زَالُوا كَمَا خَلَفْتَهُمْ
وَالأَرْضُ غَرَقَى فِي دَمٍ وَسَوَادِ
صَرَغَى الْهَوَى وَفَرَائِسَ الْأَحْقَادِ

شرق وغرب

١٩٤٧

أحانٌ وأشعارٌ في منزل ريتشارد فاغنر

يا للطريق الضيق الصاعد بين ربوتين
كأنما خطَّ على قدرٍ خطي لعاشقين
الشجرات حوله كأنها أهدابُ عينٍ
كعهده بصاحب الدار ظليل الجانبين
نَبَّأهُ الصدى المرنُّ عن قدوم زائرين
في فجرٍ يومٍ ماطرٍ شقَّ حجابَ ديمتين
كأنما ينزلُ منه الوحي حباتٍ لجينٍ
فانتبهت خميلةٌ تهزُّ عُشَّ طائرين
وشاع في الغابة همسٌ من شفاه زهرتين
مَن الغريبان هنا؟ وما سَراهما، وأين؟!

* * *

ماذا قدومُهُما والغيثُ مدرارُ
لا صاحبُ الدارِ طلَّعَ ولا الدارُ
هذي البحيرةُ وسنَى، حُلْمٌ ليلتها
لَمَّا تَفِقَ منه شيطانٌ وأغوارُ
والأرضُ تحت سحابِ الماءِ أخيلةُ
مما يُصوِّره عُشْبٌ ونُورُ

والصبحُ في مهدهِ الشرقيِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغيمِ أَسْتَارُ
حَتَّى الجِبَالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
ولا شدا لِرُعاةِ الضأنِ مزمارُ
فمن هُما القادمانِ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوقوعِ خطوهِما والأرضُ أبصارُ!
أعاد من زَمَنِ الأشباحِ سامرُهُ
فالليلُ والغابِ أشباحُ وأسمارُ؟
أم البحيرةُ جَنِّيَاتُها طلعتُ
فهبَّ موجُ يناديها وتَيَّارُ!
أم راصدا كوكبٍ ضلًّا سبيلهما
لما خَبَتْ من نجومِ الليلِ أنوارُ
أم صاحباً سَفَرٍ مالِ الضننى بهما
حَوْتُهُمَا جَنَّةٌ للفنِّ معطارُ
أم عاشقانِ تُرَى؟ أم زائرانِ هما؟
وهل مع الفجرِ عشاقُ وزوَّارُ؟

وأمسك الغيثُ كما لو كان يُصغي مثلنا
واعتنقتُ حتى وُريقاتُ الغصونِ حولنا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخافُ الغُصنا
وانبعث اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا
يثور في إيقاعه قيثارَةٌ وأزُعنا
كأنَّ جِنًّا في السماء يُشعلونَ الفِتْنا
كأنَّ أربابًا بها يحاكمونَ الزمنا
يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرف ما هُجَّت بنا
الفجرُ؟ أم ثارتُ على الشمسِ بوارقُ السَّنا؟
ما لك قد غَنِّيْتَهُ هذا النشيدَ المحزنا

أَلْحَانُ وَأَشْعَارٌ فِي مَنْزِلِ رَيْتشارْدِ فاجنر

غَنَيْتَهُ آلِهَةً أَمْ أَنْتَ غَنَيْتَ لَنَا؟

ما ذلك الصوتُ شاجي اللحنِ سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلْهَامِ زَخَّارُ
فِيهِ تَنَفَّسٌ فَوْقَ السَّحْبِ آلِهَةٌ
وَأَدْمِيُونَ فَوْقَ الْأَرْضِ ثَوَّارُ
وَفِيهِ تَهْمِسُ أَرْوَاحٌ وَأَفئِدَةٌ
مِنْهُنَّ عَيْنٌ، وَرَحْمَنٌ، وَجَبَّارُ
لَهُ مِذَاقٌ، لَهُ لَوْنٌ، لَهُ أَرْجُ
خَمْرٌ أَبَارِيْقُهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ
أَشْتَفُّهُ وَأَنَادِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
مَنْ الْمُغَنِّيِّ وَرَاءَ الْغَابِ يَا دَارُ؟
السَّمْفُونِيَّةُ هَذِي! أَمْ صَدَى حُلْمِ
كَمَا تَجَاوَبُ خَلْفَ اللَّيْلِ أَطْيَارُ!
أَعَادَ لِلْمِعْرَافِ الْمَجْهُورِ صَاحِبُهُ
فَعَرَبَدْتُ فِي يَدَيْهِ مِنْهُ أَوْتَارُ!
أَظَلُّ أَصْغِي وَمَا مِنْ شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
وَلَا أَزَاحَ رِتَاجَ الْبَابِ دِيَارُ
حَتَّى الْحَدِيقَةَ لَفَّتْ كَوْخَ حَارِسِهَا
بَصَمْتِهَا، فَهَمَا نَبْتُ وَأَحْجَارُ
تَوَاضَعْتُ بِجَلَالِ الْفَنِّ مَا ارْتَفَعْتُ
مِثْلَ الْبُرُوجِ لَهَا فِي الْجَوِّ أَسْوَارُ
تُضْغِي إِلَى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةَ
كَأَنَّمَا هَمَسَاتُ الرِّيحِ أَخْبَارُ!

هَنِيهَةً ثُمَّ سَمِعْنَا هَاتِفًا مَرْدِّدًا

يقول: قُمْ «يا سَجْفَرِيدُ» فالصَّبَاحُ قد بدا
عرائسُ الوادي أَلَمْ تَضْرِبْ لَهُنَّ موعدا؟
ماذا! قُمْ انفضِ الكرى، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطر على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلداً
خُذْ سيفكَ السحريَّ صَيْغَ جوهراً وعسجداً
قد لَقِيَ التَّيْنُ منه في العشيَّةِ الردى
صوتٌ مع الريحِ سَرَى ... وللسكونِ أخلدا
فأمسكتُ صاحبتى يدي وحاطتُ بي يدا
تقول: لم أسمعُ كهذا اللحنِ أو هذا الصدى
قلت: ولا بمثله شادٍ على الدهرِ شدا

* * *

قد باح بالنَّعمِ الموعودِ قيثارُ
فالفجرُ أحلامُ عُشَّاقٍ وأسرارُ
صحا يُفصِّلُ رؤياهُ وَيَعْبُرُها
موجٌ على الشاطئِ الصخريِّ ثرثارُ
وزحزحتُ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البحيرةِ أعشابُ وأزهارُ
تُسائلُ الماءَ: هل غَنَّتْهُ أو عَبَرْتُ
شُهبٌ به مستحَمَّاتٌ وأقمارُ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيَةٌ
فأين من «سَجْفَرِيدَ»: السيفُ والغارُ
ما زال فوق نديِّ العشبِ مضجَعُهُ
ومن يديه على الأغصانِ آثارُ
هذا النشيدُ، نشيدُ الحبِّ، تَعْرِفُهُ
له عرائسُ، مثُلُ الوردِ، أبكارُ
بعثتهنَّ من الأنغامِ أجنحةً
هزیزهنَّ مع الأفلاكِ دوارُ

أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ فِي مَنْزِلِ رِيْتشَارْدِ فَاجْنِر

فِي صَدْرِ قِيْثَارَةٍ أَوْدَعْتَهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُفْضِي بِمَا شُنَّتْ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لِيَالٍ وَأَيَّامٌ وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَالْهَيَّةُ
تَمَازَجَتْ فَهِيَ أَلْحَانُ وَأَشْعَارُ!

فلسفة وخيال

نُهُزَةٌ أَهَدَتِ الْخِيَالَ إِلَيْنَا ودَعْتَنَا لِمَوْعِدٍ فَالْتَقِينَا
ها هنا تحت ظِلَّةِ الغَابَةِ الشَّجَرِ رِاءِ سَرْنَا، وَالفَجْرُ يَحْنُو عَلَيْنَا
وَقَطَفْنَا مِنْ زَهْرِهَا، وَانْتَنِينَا فَجَنِينَا تُفَاحَهَا بِيَدِينَا
وَمَرِحْنَا بِهَا سَحَابَةً يَوْمٍ وبِأَشْجَارِهَا نَقَشْنَا اسْمِينَا

* * *

ها هنا يا ابنةَ البحيراتِ والأو دِيَةِ الخَضِرِ والرُّبَى والجِبَالِ
صَدَحَ الحَبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَبَّيْ نَا نَدَاءَ الهَوَى وَصَوْتَ الخِيَالِ
وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الفَجْرِ مَوْسِي قَى مِنْ العُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةِ تَه فَو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهَوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالحَيَاءُ يَصْبُغُ خَدَّيْكَ: أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أَمْ دِمَاءُ؟
مِلْءُ عَيْنَيْكَ يَا فَتَى الشَّرْقِ أَحْلَا مُمْ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ
وَعَلَى ثَغْرِكَ المَشْهُوقِ ابْتِسَامٌ ضَرَجَتُهُ الأَشْوَاقُ وَالأَهْوَاءُ
أَوْحَقًا دُنْيَاكَ زَهْرٌ وَخَمْرٌ وَغَوَانٍ فَوَاتِنٌ وَغِنَاءُ؟

* * *

قُلْتُ: يَا فَتْنَةَ الصَّبَا حَفَلْتُ دُن يَاكَ بِالحَبِّ وَالمُنَى وَالأَغْنَى

ما أثارت حرارة الجسد المش تاق إلا مرارة الحرمان
إن أجسادنا معابر أروا ح إلى كل رائع فتان
أنا أهوى روحية العالم المن ظور لكن بالجسم والوجدان

ما تكون الحياة لو أنكر الأح ياء فيها طبائع الأشياء!
أنا أهواك كالفراشة صاغت ها زهور الثرى وكف الضياء
أنا أهواك فتنة صاغها الم تال من طينة ومن إغراء
أنا أهواك بدعة الخلد صيغت من هوى آدم ومن حواء

أنا أهواك من آثام وطهر حلم إغفائي وصحو غرامي
أنا أهواك تبذعين يقيني من نسيج الظنون والأوهام
أنا أهواك دفء قلبي وينبوع اش تهائي، وشرتي، وغرامي
وحنانا مجسدًا إن طواني ال ليل وسدت صدره آلامي

عجبًا! ما حقائق الكون إلا لمحات الخيال والتفكير
قيل أن تشرق النجوم على الأر ض أضاءت بذهن رب قدير
وتجلت في حلمه بنظام من بديع التكوين والتصوير

أطلقني نفسك السجينة ملء ال غاب، ملء الفضاء، ملء الغاب
واحلمي بالحياة من نغم الخلد د وحمم الهوى وزهر الشباب
ها هنا عشنا على الشاطئ المس حور نبنيه من غصون الغاب
ونخط البستان أحلام طفل صقلت مواهب الأرباب

خطرة، ثم أطرقت في حياء وأدارت في جانب الغاب عينا

فلسفة وخيال

وانثنتُ بابتسامَةٍ فدعتني
وتلاقتُ عيونُنَا فتدانتُ لي،
فاعتنقنا في قُبْلَةٍ قد أذابتُ
ثم قامتُ تمشي هناك الهوينا
وَجُنَّ الحنَانُ في شفّتينَا
جَسَدَيْنَا، ومازجتُ روحينا

على حاجز السفينة

ترنو إلى الرغو والزُّبْدُ
تمضي بها لُجَّةُ الأبدِ
يَزِينُهَا الصَّمْتُ والجَلالُ
والسُّحْبُ والريْحُ والجبالُ
بِمُلْتَقَى النورِ والظلامِ
تَهَامِسُ الشُّهْبُ والغمامِ
في مَعزِلِ شاقِ كلِّ عَيْنِ
مُطَلَّةٌ من سحابتينِ
يكاد عن روحها يشفُ
يَسْرِي بها خاطرٌ ويَهفو
وأَيُّ سرٍّ لها تَبَدَّى
بروحها الحالمِ استبدًا
يودُّ لو مسَّ ناظرِها
ويَنثني جانيًا لديها
مُجَنِّحٌ لا يَبِينُ طيفًا
هوى على صدرها وأغفى
بهمسة ضائعٍ صداها
فكيف تُلقِي له انتباها

حَنَّتْ على حاجز السفينةُ
كأنها الفتنةُ السجينةُ
نَبَتَ بها ضَجَّةُ المكانِ
والبحر من حولها أغاني
ساهرة وحدها تُطِلُّ
لا تسأم الصَّمْتُ أو تَمَلُّ
تُصْغِي إلى الموج والرياحِ
كأنها نجمةُ الصباحِ
هفهافةُ الثوبِ في بياضِ
لأَيِّ ذكري وأَيِّ ماضٍ
وما وراءَ العُبابِ تُبْغِي
وأَيُّ لحنٍ إليه تُصْغِي
عجبتُ للبحر ما عراهُ
يتاخمُ النَجْمَ في علاهُ
وهائمٌ في الفضاءِ صَبٌّ
كم ودُّ لو من ضنِّي وحبِّ
كم بثٌّ من أنَّةِ وألقى
يا ويحَهْ لا يحيرُ نطقًا

عليلاً خَفَقُها اضطرابُ
جريحَةٍ لَحْنُها العذابُ
يُجاذبُ الثوبَ والشَّعْرُ
أثاره الوجدُ فاستعزُ
مُباعداً، وهو ما ابتعدُ
لُبانةَ الرُّوحِ والجَسَدُ
أزاح عن وجهه السَّحابا
يستشرف الأفقَ والعُبابا
لما دعا باسمِهِ الشروقُ
إليّ ... يا أيُّها المشوقُ
وطال مسراكَ في السَّماءِ
واحلُمُ بما شئتَ من هناءِ
بقُبلةِ منكَ يا حبيبي
ولجَّ في صمتهِ العجيبِ
قالتُ، ومن دمعا مَسيلُ:
يا أيُّها الخائِنُ الجميلُ
سكرانَ من خمرِ أمسياتي
من صوتِ حُبِّي وذكرياتِي
تنسلُّ من مخدعي إليها
أم أنني أفتَري عليها
فديتُك، واسلَمَ على التنائِي
واملاً لها الكأسُ من شقائِي
وعَنُّ بالكأسِ والوترُ
واقطفُ من اللذَّةِ الثَّمَرُ
ورِثتُهُ خِلقةً وخَلقا
من قبضتي لن تنالَ عِتقا
ما جُبَّتْ أرضاً وجُزَّتْ بحرا

أنفاسُهُ عن جَواه تُغني
كأهيةً في فمِ المُغني
يدنو، ويرتدُّ في حياءِ
وكلما كلَّ من عياءِ
يضمُّها راعِشاً، ويمضي
كأنَّه بالحنينِ يقضي
والقمرُ الطالعِ الصغيرُ
وقد جرى ضوءه الغريزُ
المرحُ العابثُ الطروبُ
نادتْ به موجةٌ لعوبُ
طال على المنتأى طُروقي
فَنَمَ على صدري الخفوقِ
وأنسني وحشةَ الليالي
لكنَّه مر لا يبالي
مذ أبصرته انثنى ومرّاً
لأنت مثلُ الرجالِ طُراً
وهبتك الغضُّ من شبابي
فأين تمضي على العُبابِ
ومن هي الغادة التي
أعندها مثلُ فتنتي
إذهبُ إليها ودعُ زمامي
أذبِحْ على صدرها غرامي
واله مع الغيدِ والعذارى
وانقعُ من الغلَّةِ الأوارا
أبوك، والطبيعُ لا يحولُ،
يا أيُّها القَلْبُ الملولُ
مطاردُ أنتِ باشتياقي

مُقَيِّدٌ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرْتَ طِفْلِي
حُطَّاءُكَ مَسْبُوقَةٌ بِظُلِّي
سَأَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْكَ دَوْمًا
وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمًا
ضِرَاعَةٌ مِنْ عَذَابِ أَنْثَى
صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحْتَأَّ
وَحَدَّقَتْ فِي الدُّجَى نَجُومُ
وَعَمِغَمَتْ نَجْمَةٌ رِءُومُ
أَمَا يَرَى ذَلِكَ الصَّبِيًّا
فِيَا لَهُ فَاتِنًا خَلِيًّا
كَمْ لَيْلَةٍ بَعْدَ أَلْفِ لَيْلَةٍ
وَكَمْ عِنَاقَ لَهُ وَقُبْلَةٍ
فَاسْتَوْعَبَ الضُّوءُ مِلءَ حِسِّهِ
مُرَدِّدًا فِي قِرَارِ نَفْسِهِ
وَارْتَعَشَ الضُّوءُ ثَمَ أَضْفَى
وَابْتَسَمَتْ نَفْسُهُ فَالْفَى
فِرَاعَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ
فَشَاقَهُ الشُّعْرُ وَالْخِيَالَ

فَقَالَ: يَا رُوعَةَ الْمَسَاءِ
قَدْ أَدْنَى اللَّيْلُ بِانْقِضَاءِ
أَيَّتْهَا الْمَلَكَةُ الْكَسِيرَةُ
أَيَّتْهَا الطِّفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
خَمْسُ لِيَالٍ وَأَنْتَ مَنِّي
قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ

وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَالْبَصْرِ
وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهْرِ
أَيَّتْهَا الرَّبَّةُ الْخَجُولَةُ
لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الطِّفُولَةِ!
وَأِنْ تَلْتَمِئْتِ بِالْخَفَاءِ
مَتَّبِعُوكَ الظِّلَّ بِاشْتِهَائِي
مَنْ فِتْنِ الْحَسَنِ وَالِدَالِ

لكنني الليلة اكتشفتُ
عشقتُ فيكِ الهوى ودلتهُ
وذلك الصمت، ما أجلهُ
هاربةً أنتِ يا فتاتي
هربتِ من ضجة الحياةِ
بها ابدئي أولاً فسلي
لا البعدُ يجدي ولا التسلي
هنيهةً لم يطلُ مداها
لم يبلغ الليلُ منتهاها
والتفتَ الضوءُ للوداعِ
يا ربّة الحسن لا تُراعي

أروع ما شمّت من جمالِ
في زهوة الحسن والشبابِ
في عالم اللغو والكذابِ
من ثورة الشكِّ والرّيبِ
فكيف من نفسك الهرب!
وردك من شوكة الأثيمِ
كطعنك الغدر في الصميمِ
تروع بالصمت والشحوبِ
إلا على روعة المغيبِ
يهمسُ في رقة ووجدِ
فلترعك الكائناتُ بعدي

* * *

يا ليل، يا موج، يا رياحُ
أيتها الغور والبطحُ
في الجو، في الماء، في الثرى
ردي على عينها الكرى
وأنقذها من الجوى
بكل ما فيك من قوى

أيتها السحب والظلالُ
أيتها الشهب والجبالُ
صوني لها العهد والودادا
وأبعدي الفكر والسهادا
يا عاشقاتي على الزمانِ
وكل ما في من حنان!!

اعتراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِبْتُ نَخَبَ كَثِيرًا
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَانِ؛ لِأَنِّي
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثَمَّ أَشْرَكَ
وَتَبَدَّلْتُ فِي غِرَامِي فَلَمْ أَحَدُ
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفِ
تَائِهًا فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي،
لِي قَلْبٌ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بِيضًا
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أُغْنِي
لِي إِلَيْهَا فِي خَلْوَتِي هَمْسًا
تِ وَأَتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأَسِي
مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنَسِ
سْتُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءٍ وَيَأْسِ
بِئْسَ عَلَى لَذَّةِ شَيَاطِينِ رَجْسِي
نُّ طَلِيقًا وَالطَّهْرُ يَمْلَأُ حَسِّي
لِمَ أُرْجِي الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أُرْسِي
ءَ نَمَتَهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبْسِ
وَعَلَيْهَا وَحْدِي أُغْنِي لِنَفْسِي
تُ أَنْطَقْتُهَا بِكُلِّ رَائِعِ جَرَسِ

* * *

كَمْ شَفَاهِ بِهِنَّ مِنْ قُبَلَاتِي
وَوَسَادِ جَرَّتْ بِهِ عِبْرَاتِي
وَهَجُّ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسِ
ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي

* * *

أَيُّهَذَا الْخَدُورُ! أَنْوَارِكَ الْحَمْدُ
أَحْرَقْتَهُنَّ! أِهْ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا
رَاءُ كَمْ أَشْعَلَتْ لِيَالِي أُنْسِي
نَّ سِوَى ذَلِكَ الرَّمَادِ بِرَأْسِي!

الْبَحْرُ وَالْقَمَرُ

من أين يا «كان» هذه الصُّورُ؟
رُؤَى بها بات يَحْلُمُ القَمَرُ!
دعاهُ قلبٌ، وشاقه بَصَرُ
ألَهةٌ هؤلاءِ أم بشرُ؟
كأنما مَسَّ روحه الضَّجَرُ
إلا ومنه بثغرها أثرُ
يعجبُ منها الخيرير والوبرُ
جسمًا تَحَامَى نداءهُ القدرُ
ولا استوى في بنائها حَجَرُ
سقيفةٌ، والنسائمُ السُّتُرُ
حورٌ تلوَّى، وفتيةٌ سكرُوا
قد حَوَّضُوا في العبابِ وانتشروا
وَوَدَّعُوا القلبَ حيثما نظروا
كأنهنَّ النجومُ والزَّهْرُ
لونٌ عجيبُ الرُّوایِ مبتكرُ
نوبٌ من المغرياتِ مُعْتَصِرُ
وثار من حولهنَّ يشتجرُ
ينشقُّ عنهنَّ فيه مُنْحَدِرُ

تَساءَلَ الماءُ فيكَ والشَّجَرُ
البحرُ والخور فيه سابحةٌ
أطلَّ والضوءُ راقصٌ غَزَلُ
يهمسُ فيما يراه من فِتَنِ
يقفز من لجةٍ إلى حَجَرٍ
معربداً لا يريم سابحةٌ
من كلِّ حوَاءٍ مثلما خُلِقَتْ
ألَقَتْهُ عنها رقائقا ونَضَتْ
في حانةٍ ما عَلَتْ بها عَمَدُ
جُدرانها الماءُ، والسماءُ لها
خَمَارُها مُنْشَدُ، وسامرُها
لم تَبَقْ في الشطِّ منهم قَدَمُ
وشَيَّعُوا العقلَ حينما شربوا
والسابعاتُ الحسانَ حولهمُ
يزيد سيقانهنَّ من بَهَجِ
يضيءُ وردًا وخمرةً وسَنَا
تغاير الموجُ إذا طلعت به
بهنَّ يلتفُ مُرْتَقَى وَيُرَى

منفتلات قدودُهُنَّ كما ينفتل الغصنُ آده الثمرُ
مُلُوحَاتِ بِأذْرُعِ عَجَبٍ تحذرهنَّ النهودُ والشَّعْرُ
والضوءُ فوق الخُصُورِ منهمرٌ والماءُ تحت الصدورِ مستعرٌ
ما زِلنَ والبحرُ في تَوْبِيهِ يُرْغِي كما راعَ قَلْبُهُ خطرُ

* * *

قد جاوز الليلُ نِصْفَهُ فمتى تؤمُّ فيه أصدافها الدُرُّ
فليصخبِ البحرُ ولتئنَّ بهِ رماله، وليثرثرِ الشَّجَرُ
ولتعصفِ الرِّيحُ فوق مائِجِهِ ولينبجسَ من غمامه المطرُ
أقسمنَ لا ينتحينَ شاطئُهُ وإن تَرَامَى بمائه الشرُّ
حتى يُرى وهو فضةٌ ذَهَبٌ تمازجُ الليلُ فيه والسَّحَرُ!

تَحْتَ الشَّرَاعِ

بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

فاخفق شراعي، وطِرْ، يصدح لك الماء
تشدو به موجةً في البحر عذراءً
في مَسْبِحِ ماؤه زهرٌ وصهباءُ
لكل حُبِّ جَدِيدٍ فيه أجواء؟
حوريَّةٌ في فجاجِ اليمِّ شقراء؟
في مُطْرَفِ أسودٍ وشَّاهٍ لآلاء؟
لها التفاتٌ إلى الماضي وإصغاءً
مرنِّحاتٌ تُغْنِيهِنَّ أنواءُ

مسراك نورٌ وأنسامٌ وأنداءُ
يا أيُّها القلق الحيرانُ كم أمل
يحدوك بالنغم السكران أرغنُّها
أما ترى البحرَ يبدو في مفاتنه
وفجره صائدٌ طارتُ بمهجته
وليله مرقصٌ تغشاهُ غانيةٌ
شَتَّى مواكبٍ من حورٍ وآلهةٍ
تهزُّها بقديم الشوقِ أشرعةُ

* * *

مَلَّاحٌ وادٍ له بالتَّيِّهِ إغراءُ
واستضحكتُ قَلْبَهُ مُزْنٌ وهوجاءُ
عليه من بعدها نُعْمَى وبأساءُ
بها الأحبَّةُ حُسَّادٌ وأعداءُ
بيضاءً من شَعْرَاتِ الرأسِ غراءُ

يقودهنَّ على الأمواجِ في مَرِحٍ
ما بين عينيهِ سالِ البرقِ مبتسمًا
زَوْتُهُ عنها السنون السبعُ واختلفتُ
مُغْرَبًا في ديارٍ من عشيرته
وقيل: كَفَّتُهُ عن دنيا شواردهِ

* * *

بِالنَّارِ وَالصَّبَوَاتِ الْحَمْرِ مَشَاءً
إِلَّا وَعَادَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ سَمْحَاءُ
مَنْ ذَكَرِيَاتِكَ أَطْيَافُ وَأَصْدَاءُ
رَبَّاتُ وَحَيٍّ، وَأَشْوَاقُ، وَأَهْوَاءُ
وَقَدْ تَعَاقَبَ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءُ
مَجْرُوحَةُ الصَّوْتِ، وَلَهَى اللَّحْنِ، سَجْوَاءُ
صَحَّتْ لَوْعَهُمَا دَوْحٌ وَأَفْيَاءُ:
عَيْنِيهِ سَهْدٌ وَتَعْذِيبٌ وَإِضْنَاءُ
أَمَا لَهُ رَاحَةٌ مِنْهَا وَإِغْفَاءُ؟
وَالرَّيْحُ نَاعِمَةٌ، وَالْأَرْضُ قَمْرَاءُ
وَأَنْهَا جَنَّةٌ لِلْحَبِّ غِنَاءُ
يُسْمِعُكَ أَشْجَى نَشِيدِ زَفَّةِ الْمَاءِ

لا يا غرامي، وهذا الفنُّ ملءٌ دمي
ما أفلتت من يدي غيداءٌ عاصيةٌ
وذاك شاطئنا المسحور تزحمتُ
على الصخور الحواني من مشارفه
أقمن منتظراتٍ، ما شكونَ ضنِّي
حتى رأتنِي على بُعْدٍ مطوّقةٌ
هَمَّتْ تُغْنِي فكَانَتْ نَبَاءَةً وَصَدَى
عرائس الشعر قد عاد الحبيبُ، وفي
آب المغامر من دنيا متاعبه
دَعِيهِ يَحْلُمُ بِأَنْ الْبَحْرُ فِي دَعَا
وَأَنْهَا فِي ظِلَالِ السَّلْمِ نَائِمَةٌ
وَقَرِّي كَأَسُهُ وَاصْغِي لِمَزْهَرِهِ

* * *

سَفِينَةٌ وَهَفَّتْ بِالشُّوقِ دَأْمَاءُ
وَأَنْبَا فِي الْهَوَى أَهْلٌ أَوْدَاءُ
بِهِ قُرَى كَرْبُوعِ الْخُلْدِ شَجْرَاءُ
مَسْحُورَةُ النَّبْعِ، رِيًّا النَّبْتِ، جِلْوَاءُ
وَقَبِلْتُ نَسَمَاتُ «الْأَرْزِ» حِوْبَاءُ
شَدْوُ، وَزَيْتُونَةٌ لِلشَّرْقِ خَضْرَاءُ
كَقَلْبِ آدَمَ إِذْ مَسَّتْهُ حَوَاءُ
بِهِنَّ «لِبْنَانُ» رَوَّاحٌ وَغَدَاءُ
صَبِيَّةٌ، وَهِيَ مِثْلُ الدَّهْرِ شَمْطَاءُ
تَرَعَى سَفَائِنُ مِنْ رَاحُوا وَمِنْ جَاءُوا
مَعْلَقَاتُ، لَهَا بِالسَّحْرِ إِحْيَاءُ!
مَجْدِدِينَ لَهُمْ فِي الْمَجْدِ أَسْمَاءُ

وقيل: «لبنان» سحرُ الشوق، فاندفعتُ
أَوْحَى لِه الشَّرْقِ أَنَا مِنْ أَحَبَّتِي
فَقَرَّبْتَنَا وَشَفَّتْ عَنِ بَشَاشَتِهِ
فِي كُلِّ مَنْحَدٍ مِنْهَا وَمَرْتَفَعِ
فُعَلِّقْتُ بِمِغَانِيهِ نَوَاطِرُنَا
وَاسْتَقْبَلْتَنَا طَيُورٌ فِي مَنَاقِرِهَا
تُرْقِصُ الْمَوْجَ إِنْ مَسَّتْهُ أَجْنَحُهَا
فِي سَاحِلٍ مِنْ خِرَافَاتٍ وَأَخْيَلِيَّةِ
لَاحَتْ عَلَى سَفْحِهِ بَيْرُوتُ فَاتِنَةٌ
تَوَسَّدَتْ صَخْرَةَ الْآبَادِ وَالتَّفْتَتَتْ
أَتَلِكِ بَيْرُوتُ؟ أَمْ مِنْ بَابِلِ صُورُ
شُغْلُ الْعِبَاقِرَةِ الشَّادِينَ مِنْ قَدَمِ

تَحْتِ الشَّرَاعِ

من حولنا تَمَّ أظلالٌ وأضواءٌ
فكلُّ ناحيةٍ زهرٌ وأجناءٌ
فأزَّيْنَتْ فهي سيقانٌ وأثناءٌ
أفوقَ واديكِ مثلي اليومِ حسناء؟
لها إلى الحسنِ بالألِّبابِ إفضاءٌ
إنَّا محبُّونَ، يا عاليُّ، أنضاءٌ
وقد جَرَتْ بِحُطَى الشمسِ المُلَيَّساءُ
وأشْفَقَتْ من وجيبِ القلبِ أحناءُ
له إلى الغَرْبِ بالأسْفارِ إيماءُ

وأومأتُ بالهوى «عاليُّ» فاعتنقتُ
قامتُ تُنَسِّقُ من ماءٍ ومن شجرٍ
كأنما نُبِّئْتُ من «عشترت» لِقَا
تقول: يا رَبَّةَ الحسنِ انظري وَصِفي:
عاليُّ، رُفَقًا بأبصارِ مُدَلَّهَةٍ
عاليُّ، إنَّا نشاوي من هوى وأسى
وحان بَعْدُ وداعٌ من فرادسها
فاغرورقتُ بدموعِ الوجدِ أعيننا
وسار عنها شرعٌ حائرٌ قَلِقُ

* * *

أم استخفَّكَ إزْبَادٌ وإرْغَاءُ؟
لما حَبَّتْ من ربوعِ الشرقِ أسنَاءُ؟
للحسنِ فيه وللعشاقِ ما شاءوا
وَلِي إليها بهذا الشعرِ إسرائُ
هذا الحديدُ له حَزٌّ وإدْمَاءُ!
إنْ لم تَجِيءِ عن جلاءِ القومِ أنباءُ
فأهلها اليومِ أحرارٌ أعزَّاءُ
فهبَّ مستقتلٌ عنها وفدَّاءُ

يا بحرُ ما بك؟ هل مَسَّتْكَ عاصفةٌ؟
أشاقك الغربُ، أم شَفَّتْكَ موجدةٌ
هذي السماءُ صفاءً، والدُّجى قَمَرُ
يا بحرُ ما بك ما بي! مصرُ ما بَعَدَتْ
عَجِبْتُ والعصرُ حرٌّ كيف في يدها
أقسمتُ لا رجعتُ بي فيكَ جاريةٌ
وأنَّ مصرَ بحرِيَّاتها ظَفِرَتْ
أقسمتُ، إلا إذا نادَتْ بِفَتِيَّتِهَا

لحن من فينا

في اهتزاز العَصَبِ التائر والرُّوحِ المعنَى
طَالَعَتْهُ بالهناءِ الليلةُ الأولى فغنَى
ورأى من حوله الأرضَ سلامًا فتمنَى
ليس يَدْرِي، أشدا من فرح أم ناح حُزنا
قُلْتُ: من أيِّ بلادٍ؟ قِيلَ: لحنٌ من فينا!

* * *

يا فينا سلسلي الأنغامَ سحرًا في حنايا النفس لا جوَّ المكانِ
أَوْحَقًا أنتِ ني؟ أم أنتِ ذكري أم رُؤَى تمرح في دنيا الأغاني
وبنَانٌ هزَّتِ الأوتارَ سكري أم شفاهُ لمست روحَ الزمانِ؟

* * *

يا فينا جددي الآن مسرَّاتِ الليالي
روحك الرِّاقص لم يَحْفَلْ بأرضٍ وقتالِ
طَرِبًا ما زال يشدو بين موجٍ وجبالِ
بأساطيرَ، وأحلامٍ، وفنٍّ، وخيالِ
هو روحُ النِّغمِ الهائمِ في دنيا الجمالِ

* * *

ديوان علي محمود طه

يا فينَّا هل على غابكِ للشَّمْلِ اجتماعُ
أم على فجرِكِ نايٍّ، فيه للراعي ابتداعُ
أم على أفقِكِ من نورِ العشيَّاتِ التماعُ
أم على مائِكِ تحت الليلِ للحُبِّ شرعُ
آه من أمس! وما جرَّ على النفسِ الوداعُ!

* * *

يا فينَّا أسمعِي الدنيا وهاتي
أين بالدانوب شدوُ الذكرياتِ
رَحَلوا عنكِ بأحلامِ الحياةِ
قِصَّةَ الغابةِ والفَلْسِ الكبيرِ
وصدى العُشَّاقِ في الليلِ الأخيرِ
غَيْرَ قلبٍ في يدِ الحُبِّ أسيرِ!

أندلسية

حسنك النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ جدِّدا عهدَ شبابي فسكرتُ
حُلْمُ أيامٍ وليلاتٍ وضيَّةُ عبَّرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانٌ وفي الكأسِ بقيَّةُ أيُّ خمرٍ من جنَى الخلدِ عصرتُ
أه، هاتي قرَّبي الكأسِ إليَّ
واسقنيها أنتِ يا أندلسيَّةُ

لا تقولي أيُّ صوتٍ مُلهمٍ قَادَ روحينا، فجئنا، والتقينا
دَمَكِ المشبوبِ فيه من دمي روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ روحي! قرَّبيها من فمي إن شربنا أو طربنا ما علينا
أه هاتيها من الحسنِ جنيَّةُ
واسقنيها أنتِ يا أندلسيَّةُ

كانت النظرةُ أولى نظرتين ثم صارت لفظةً ما بيننا
والهوى يعجب من مغتربين لم يقل: أنتِ ... ولا قالت ... أنا
وسَبَحْنَا فوقِ وادٍ من لجين تَحْتِ أفقٍ من غمامٍ وسَنا
أتملَّأها سَمَاتِ عربيَّةُ
وأناي أنتِ يا أندلسيَّةُ

* * *

صَحْتُ يَا لِلشَّمْسِ فِي ظِلِّ المَغِيبِ تَتَلَمُّ الزَّهْرَ وَأوراقِ الشَّجَرِ
خَلَّتْهَا بَيْنَ مَحَبٍّ وَحَبِيبِ قُبْلَةً عِنْدَ وَدَاعٍ وَسَفَرِ
فَانْتَنَتْ تَنْظُرُ لِلوَادِي العَجِيبِ صُورًا يَذْهَبْنَ فِي إِثْرِ صُورِ
وَبِسْمَعِي هَمْسَةً مِنْهَا شَجِيَّةُ
وَبِرُوحِي أَنْتِ يَا أَنْدَلِيسِيَّةُ

* * *

وَنزَلْنَا عِنْدَ شَطِّ مَنْ نُضَارِ وَانْتَحِينَا خَلْوَةً بَعْدَ زَحَامِ
قُلْتُ وَاللَّيْلِ بِأَعْقَابِ النِّهَارِ: أَلِكِ اللَّيْلَةَ فِي لَحْنِ وَجَامِ؟
مَا عَلَى مَغْتَرِبِي أَهْلٍ وَدَارِ إِنْ أَدَارَا هَا هُنَا كَأَسِّ مُدَامِ
أَهْ هَاتِيهَا كَخَدِّكَ نَقِيَّةُ
وَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أَنْدَلِيسِيَّةُ

* * *

وَاحْتَوَتْنَا بَيْنَ لَحْنِ مَطْرَبِ حَانَةٌ مِثْلُ أُسَاطِيرِ الزَّمَانِ
صُورَتْ جِدْرَانُهَا بِالذَّهَبِ فَتَنَ العِشْقِ وَأَهْوَاءِ الحِسانِ
قَالَتْ: اشْرَبْ قُلْتُ: لَبِيكَ اشْرَبِي مِلءَ كَأْسِينَ فَإِنَّا ظَامِئَانِ
خَمْرَةٌ رُومِيَّةٌ أَوْ بَابِلِيَّةُ
اسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أَنْدَلِيسِيَّةُ

* * *

هَتَفْتُ بِي وَيَدَاهَا فِي يَدِي تَدْفَعُ الكَأْسَ بِإِغْرَاءٍ وَعُجْبِ
أَيُّ قَيْثَارِ شَجِيٍّ غَرِدِ خَلَّتْهُ يَنْطِقُ عَنِ أُسْرَارِ قَلْبِي!
قُلْتُ: طِفْلٌ مِنْ قَدِيمِ الأَبْدِ يَمزُجُ الأَلْحَانَ مِنْ خَمْرٍ وَحُبِّ
مِلءَ كَأْسٍ فِي يَدَيْهِ نَهْبِيَّةُ
فَاسْقِنِيهَا أَنْتِ يَا أَنْدَلِيسِيَّةُ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبِّ
وخبأ المصباحُ إلا كأسَ راحِ نورُهُ ما بين إيماضٍ ووثبِ
قد تحدَّى وهجُهُ ضوءَ الصباحِ فبقينا حوله جنبًا لجنبِ
نتساقاها على الفجرِ نديَّة
وأغني أنت يا أندلسيَّة

* * *

يا عروسَ الغربِ يا أندلسيَّة بَعُدَتْ داركِ والصف دَنَا
أين أحلامُ الليالي القمريَّة والبحيراتُ مُطيفاتُ بنا
اذكري بين الكئوس الذهبية حانَّة، يا ليتها دامت لنا
حين أدعوك صباحًا وعشيَّة
اسقنيها أنت يا أندلسيَّة

الوردة الصفراء

من قطف هذي الوردة الصفراء
وهتفت بالشقراء والصهباء
إنني أعيذُ الحسنَ من أهوائي
سَمَةَ الضَّنَى والغيرة الحمقاء
شابتُ، ونجمِ شاحبِ الأضواءِ
من زهرةٍ أو كوكبٍ وضَاءِ
في نظرةٍ لكِ وادِّكارِ وفاءِ
من نكرياتِ شبيبةٍ هوجاءِ
تَلْقَى بها المفضوحَ من إغوائي
حيرانَ بين قطيعةٍ ولقاءِ!

قالت تُعَاتِبُنِي: أراكَ مَنَعْتَنِي
وبسحرِ هذا اللونِ كمَ غَنَيْتَنِي
قلتُ: اغفري لي يا حبيبةً نَظَرْتِي
أخشى ظنونَ الناسِ فيكِ، وأتَّقِي
وأذودُ عَن عِينِكَ ذَكَرِي ليلَةٍ
في لونِ خَدَّيْكَ اقطفي ما شئتَهُ
قالتُ: أتمنعني الذي أحببتهُ
في عَرَضِكَ الماضي ونَبَشِكَ ما ذَوَى
وبسخرياتك بي، وبسمتك التي
وشحوبِ وجهك إن أرقَّتْ صبابَةٌ

راكبة الدّراجة

أَسْرَفْتِ فِي الْغُدُوِّ وَالرَّوَاكِ
وَالوَيْبُ فَوْقَ الْعُشْبِ وَالصُّفَاكِ
بِالشَّعْرِ الْمَهْدَلِ السَّبَّاحِ
وَالنَّهْدِ وَهُوَ مُطْلَقُ السَّرَّاحِ
وَالسَّاقِ خَلْفَ السَّاقِ فِي كِفَّاحِ
تَدُورُ مِثْلَ الْبَارِقِ اللَّمَّاحِ
وَحَلَّقَتْ فِي كَبَدِ الصُّرَّاحِ
وَخَفَّةِ فِي رُوحِ الصَّدَّاحِ
يَا لِهَوَاءٍ عَابِثٍ مَفْرَاحِ
بَلْ مِنْ صِبَاكِ، وَالصَّبَا كَالرَّاحِ
لَا يَسْتَجِي مِنْ لَائِمٍ وَلَا حِي
وَنَمَّ عَنْ خَمِيلَةِ التُّفَّاحِ
أَخْشَى عَلَى حُسْنِهِمَا الْوَضَّاحِ
بَلْ صَرْتُ أَخْشَى ثُورَةَ الْأُرُوجِ
وَدِدْتُ لَوْ بِالرُّوحِ أَوْ بِالرَّاحِ
صُنَّتُهُمَا حَتَّى عَنِ الصَّبَّاحِ!

تَمَهَّلِي فَرَاشَةَ الصَّبَّاحِ
مَاذَا ارْتِيَادُ الطُّرُقِ الْفِسَّاحِ
بَيْنَ الرُّوَابِي الْخُضْرِ وَالْبَطَّاحِ
كَالْمَوْجِ تَحْتَ الْعَاصِفِ الْمَجْتَاحِ
يَخْفُقُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْوَشَّاحِ
فِي حَلَقَةٍ طَاغِيَةِ الْجَمَّاحِ
تَوَدُّ لَوْ طَارَتْ مَعَ الرِّيحِ
بِلَطْفِ هَذَا الْجَسَدِ الْمَمْرَاحِ
تَكَادُ تُغْنِي الطَّيْرَ عَنِ جَنَاحِ!
سَكَرَانَ، لَا مِنْ خَمْرَةِ الْأَقْدَاحِ
يَرْفَعُ طَرْفَ الثُّوبِ فِي مَزَاحِ
قَدْ آدَنَ الْفَخْزِينَ بِافْتِضَاحِ
فَوْقَ كَثِيبِ الْوَرْدِ وَالْأَقْحَاحِ!
عَيْنَ اشْتِهَاءٍ وَيَدَ اجْتِرَاحِ
فِي مِثْلِ هَذَا الْحَرَمِ الْمُبَّاحِ

إلى أبناء الشرق

فما يعرف الحقُّ إلا النُّضالاً
نَطَلُ يَمِينًا ونَرنو شِمَالاً
تَضجُّ المَطامِعُ فِيهِ اقْتِتالا
رَأَيْتُ الضَّعِيفَ بِهِ لا يُوالِي
ومَضِيعَةُ الخاملين الكَسالِي
تَوَقَّى المقادِرُ مِنْهُ الجِبالا
وصاد الكهاربُ فِيهِ اغْتِيالا
تُحَطِّمُ بعضًا وتُلْقِي نَكالا
فخَرَّتْ سماءٌ ودُكَّتْ جِبالا
تَرى النَجْمَ أَقربَ مِنْها مِنا
مَ أو فَكَّ عن جَنَهِنَّ اعْتِقالا
مَدَى اللِّمَحِ ثَمَّ تَلاشَتْ خِيالا

دَعوها مُنَى وَاتركوه خِيالاً
بني الشرق! ماذا وراء الوعودِ
وما حِكْمَةُ الصَّمْتِ فِي عَالِمِ
زَمانِكُمُ جَارِحٌ لا يَعِفُّ
ويومِكُمُ نُهْزَةُ العَاملينِ
خَطا العِلْمِ فِيهِ خُطى صائِدِ
تَوَعَّلَ فِي مَلَكوتِ الشَّعاعِ
وحزَّبها فِهي فِي بعضِها
رَمَى «دولةَ الشمسِ» فِي أوجِها
مَدائِنُ كانتَ وَرَآءَ الظنُونِ
كأَنَّ «سليمانَ» أَخلى القِماقِ
وأوماً إِلِياها فَطاروا بِها

* * *

غُبَارَ المُجَلِّي يَشُقُّ المِجالا
ومِنَ أفقِنا كُلُّ فَجرٍ تَلاالا؟
أصولاً سَمَتَ وَجباها تَعالِي؟
ونرقبُ مِنْهُ الندى والنوالا؟

ففيمَ وقوفكم تنظرونَ
وحَتَّامَ نَشكو سِوَا الحِظوظِ
ألسنا بني الشرقِ مِنَ يَعْرِبُ
أَجئنا نَسائِلُ عِطْفِ الحَليفِ

نصرناه بالأمس في مَحْنَةٍ
سبحنا إليه على لُجَّةٍ
فكيف تَنَاسَى حَوَارِيَهُ
أردَّ الحقوقَ لأربابها
ورَفَّتْ على الأرض حُرِيَّةٌ
نَبِيَّ الحَقِيقَةِ، كم قُلْتَ لي
رَأَيْتُكَ أُنْدَى وَأَحْنَى يَدًا
فما لك تقسو على أُمَّةٍ
وَعَدْتَ الشُّعُوبَ بِحَقِّ المَصِيرِ
أَتَغْضَبُ مَنْ أَهْلَهَا أَرْضَهُمْ
أَلَيْسَتْ لَهُمْ أَرْضُهُمْ حُرَّةً

تَمَادَى الجَبَابِرُ فِيهَا صِيَالًا
من النار لم نُذِكْ مِنْهَا ذُبَالًا
غَدَاةَ السَّلَامِ وَأَغْضَى وَمَالًا؟
وَأَعْفَاهُمْ مِنْ طَلَابِ سَوَالًا؟
تَأَلَّقُ نَوْرًا وَتَنْدَى ظَلَالًا؟
بِرَبِّكَ قُلْ لِي وَزِدْنِي مَقَالًا
على أُمِّ جَشْمَتِكَ النِّزَالًا
سَقَّتْكَ الودادِ مُصَفَى زُلَالًا
فما لك تَقْضِي وَتُمْلِي ارتِجَالًا
وَتُسَلِّمُ لِلغَيْرِ نَهْبًا حِلَالًا؟
يسودون فيها الدُّهُورَ الطَّوَالًا؟

* * *

«فلسطين» ما لي أرى جُرْحَهَا
تَنَازَعُهَا حَيْرَةُ الزَّاهِدِينَ
أَعَزَّتْ أَسَاتِكَ أَدَاؤُهَا؟
هو الحقُّ إِنْ رَمْتُمْ عَالِمًا
أَقِيمُوا عَلَيْهِ مَوَدَّاتِكُمْ
فيا للبريئةِ ماذا جَنَنْتُ
هي الشرقُ، بل هي من قلبه
وتاريخُ دنيا وأمجادها
وعى الحقُّ «للمصطفى» دعوةٌ
تَبَارَى لها المسلمونَ احتشَادًا
من الشام والأرز والرافدين

يسيلُ ويأبى الغدَاةَ اندمَالًا
وتنهشها شَهَوَاتُ تَقَالِي
هو الحقُّ! ما كان دَاءٌ غَضَالًا!
يشفُ صَفَاءً وَيَزْكُو جَمَالًا
وإلاَّ فقد رَمْتُمُوهُ مُحَالًا
فتحملُ ما لا يُطَاقُ اِحْتِمَالًا
وشائخُ ماضٍ تَأبَى انفصالًا
بنى رُكْنَهَا «خالدُ» ثُمَّ عَالِي
لنُصْرَتِهَا والعوادي تَوَالِي
وهبَّ النَّصَارَى إِلَيْهَا اِحْتِفَالًا
وأقْصَى الجزيرةِ صحبًا وآلًا

* * *

و«إفريقيا» ما لإسلامها
على «تونس» وبمَرَآكشِ

يُسَامُ عِبُودِيَّةً واحْتِلَالًا؟!
تروح السيوفُ وتغدو اِحْتِيَالًا

إلى أبناء الشرق

ألم تخبُّ في الأرض نارُ الحروبِ ويَلقُ الطغاةُ عليها وبالا؟
ألم يتغيَّرَ بها الحاكمونَ؟ ألم تتبدَّلَ من الحالِ حالا
هُمُ العَرَبُ الصَّيْدُ لا تحسبنَّ بهم ضعةٌ أو ضنَى أو كلالا
نماهُمُ على البأسِ آباؤُهُم قساورةٌ وسيوفًا صقالا

* * *

بُناةُ الحَضارَةِ في المشرقينِ ذُرَى يَخشعُ الغرْبُ منها جلالا
ألا أيها الشامخ المطمئنُّ رويدًا فإنَّ اللَّيالي حَبالي
وما لكَ تَنسى على الأَمسِ يومًا به كاد مُلْكُك يَلقى زوالا
فتقذِفُ بالنارِ «سوريةً» وتَرَمي «بلبنان» حربًا سجالا
شباب «أُمِّيَّة» طوبى لكم أقمتُم لكلِّ فداءٍ مثالا
دعتكم «دمشقُ» فما استنفرتُ سوى عاصفٍ يتخطَّى الجبالا
وفي ذمَّةِ المجد من شيبكم دَمٌ فوق أروقةِ الحَقِّ سالالا!
بني الشرقِ كونوا لأوطانكم قُوى تتحدَّى الهوى والضلالا
أقيموا صدوركم للخطوبِ فما شطَّ طالبُ حَقِّ وغالى

* * *

فَزِعْتُ لكم من وراءِ السقامِ وقد جَلَّ الشَّيبُ رأسي اشتعالا
وما إنَّ بكيْتُ الهوى والشبابِ ولكنْ ذكرتُ العُلا والرجالا!!

يوم فلسطين

سَلِمَتِ لأَجْيَالٍ وَعِشْتِ لِأَبْطَالِ
لِقَوْمِكَ نَارٌ فِي ذَوَائِبِ أَجْبَالِ
عَلَى خَلْجَاتِ الرُّوحِ مِنْ تَرْبِكَ الْغَالِي
دَمَّ الْعَرَبِ الْفَادِينَ وَالسُّودُدُ الْعَالِي
وَكُلَّ سَمَاءٍ جَمْرَةً ذَاتَ إِشْعَالِ
رِقَادًا عَلَى لَيْلٍ رَمَاكَ بِزَلْزَالِ
لِكُلِّ غَرِيبٍ دَائِمِ التَّيِّبِ جَوَالِ
مِوَاتِنُهَا — مَا بَيْنَ حَلِّ وَتَرْحَالِ
عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرَاكَ مِنْ عَهْدِ إِسْرَالِ
سِوَى حُلْمٍ مِنْ عَالَمِ الْوَهْمِ خَتَالِ
فَكَانَ نَذِيرًا مِنْ خَطُوبٍ وَأَهْوَالِ
تُطَلُّ بِأَحْدَاثٍ وَتُؤَمِّي بِأَوْجَالِ
أَرَادَ لِيَمْحُو اللَّيْلُ نُورَ الضَّحَى الْعَالِي
وَيَا شَهْبَ غُورِي فِي دِيَاجِيرِ آجَالِ
كَمَا كُنْتَ قَبْلَ الرُّسْلِ فِي لَيْلِكَ الْخَالِي
وَمَا هُوَ بِالْغَافِي، وَمَا هُوَ بِالسَّالِي
وَطَهَّرَ دُنْيَا مِنْ طُغَاةٍ وَضُلَالِ
فَحَرَّرَهُمْ مِنْ بَعْدِ رِقٍّ وَإِذْلَالِ

فلسطين لا راعتك صيحة مُغتالِ
ولا عَزَّكَ الْجَيْلُ الْمُفَدَّى وَلَا خَيْبُ
صَحَّتْ بَادِيَاتُ الشَّرْقِ تَحْتَ غِبَارِهِمْ
فَوَارِسُ يَسْتَهْدِي أَعْنَةَ خَيْلِهِمْ
بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْهُ صَخْرٌ مُنْضَرٌّ
هُوَ الشَّرْقُ لَمْ يَهْدَأُ بِصَبْحٍ وَلَمْ يَطْبُ
غِدَاةً أَذَاعُوا أَنَّكَ الْيَوْمَ قَسْمَةٌ
قَضَى عَمْرَهُ، جَمَّ الْمِوَاتِنُ — وَاسْمُهُ
وَمَا حَلَّ دَارًا فِيكَ يَوْمًا، وَلَا هَفْتُ
مَحَا اللَّهُ وَعَدَا خَطَّةُ الظُّلْمِ لَمْ يَكُنْ
حَمَتُهُ الْقَنَا كَيْمَا يَكُونُ حَقِيقَةً
وَفَتَّحَ بَيْنَ الْقَوْمِ أَبْوَابَ فِتْنَةٍ
أَرَادَ لِيَمْحُو آيَةَ اللَّهِ مِثْلَمَا
فِيَا شَمْسُ كُفِّي عَنْ مِدَارِكَ وَاخْمِدي
وَيَا أَرْضُ شُقِّي مِنْ أَدِيمِكَ وَارْجِعِي
ضَلَالًا رَأَوْا أَنْ يَسْلُوَ الشَّرْقُ مَجْدَهُ
أَلَا يَا ابْنَةَ الْفَتْحِ الَّذِي نُورَ الثَّرَى
وَأَكْرَمَ قَوْمًا فِيكَ كَانُوا أَدْلَةً

لِكَ الشَّرْقُ، يَا مَهْدَ الْقِدَاسَةِ وَالْهُدَى،
لِكَ الشَّرْقُ، يَا أَرْضَ الْعَرُوبَةِ وَالْعُلَا،
وَمَا هُوَ مِنْ مُسْتَعْمَرٍ جَاءَ بِالْهَوَى
هُوَ الشَّرْقُ أَلْقَى عَنْ يَدَيْهِ قَيُودَهُ
سَلِيهِ، تَهَجَّجَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ أَرْضَهُ
سَلِيهِ، يَمْجُجُ مَا بَيْنَ سَمْعَيْكَ أَفْقَهُ
سَلِيهِ الدَّمَّ الْمَهْرَاقَ يَبْذُلُهُ غَالِيًّا

* * *

أَلَا أَيُّهَا الشَّادِي الَّذِي أَطْرَبَ الْوَرَى
وَقَالَ لَنَا: فِي عَالَمِ الْغَدِ جَنَّةٌ
سَمِعْنَا، خُدِّعْنَا، وَانْتَبِهْنَا، فَحَسْبُنَا
وَيَا أَيُّهَا الْغَرْبُ الْمَوَاعِدُ لَا تَزِدْ
شَبْعَنَا وَجَعْنَا مِنْ خِيَالِ مُنَمَّقٍ
فَلَا تَنْدُبِ الضَّعْفَى وَتَغْصِبْ حَقُوقَهُمْ

بَحَلُّو حَدِيثٍ عَنْ حَقُوقِ وَأَمَالٍ
غَزِيرَةٌ أَنْهَارٍ وَرَيْفَةٌ أَظْلَالٍ
لَقَدْ مَلَّتِ الْأَسْمَاعُ قَيْثَارَكَ الْبَالِي
كَفَى الشَّرْقَ زَادًا مِنْ وَعُودٍ وَأَقْوَالٍ
وَمِنْهُ اكْتَسَيْنَا، ثُمَّ عُدْنَا بِأَسْمَالٍ
فَتَلُكَ إِذَا كَانَتْ، شَرِيعَةً أَدْغَالَ!!

من الأعماق

وقبَّلتك جراحاتُ وألامُ
عروبةً وثَّبتتَ فَرَحِي وإسلامُ
بها ليالٍ من الذكرى وأيامُ
جماهُ للحرِّ إعزازُ وإكرامُ
فقد حَمَمْتُهُ من الأحداثِ آجامُ
معاشُهُ ويرقُّ الماءُ والجامُ
أصفادُهُ، ويفكُّ القيدَ ضرغامُ

حَيَّتُكَ في الشرقِ آمالُ وأحلامُ
واستقبلتك على الوادي وضفَّتِه
وحِقْبَةُ من جهادٍ أشرقتُ وهفَّتُ
تعانق العائدَ المنفِيَّ في بلدِ
ديارُ «فاروق» من يلجأ لساحتها
يطيب للعربيِّ المستجيرِ بها
ويحطم القلمُ العاني بحومتها

تحدثتُ عنه أدهارُ وأقوامُ
برقُ على جنباتِ الليلِ بسَّامُ
بها صحائفُ من نورٍ وأقلامُ
صوتُ يرنُّ به رمحُ وضمصامُ
من صوتك الجهوريِّ العذبِ أنغامُ
حتَّى وإن شَرِقتُ بالنارِ أعلامُ
يسيل فيها، وجرحٍ ليس يلتامُ
وكيف! هل في ربوعِ القدسِ نَوَامُ!
السيفُ منهنَّ فوق الخلقِ قَوَامُ

يا أيها البطل الصنديدُ جئتَ بما
هَزَّتْ «فلسطينَ» أنباءُ يطير بها
عادتُ لها ذكرياتُ الأمسِ وانبعثتُ
وأنفُسُ قرشيَّاتٍ يُطربُّها
نصتُ على الليلِ آذانًا تُغازلها
قد أقسمتُ لا ينال الدارَ مغتصبُ
في الله، في الحقِّ، في الإسلامِ كلُّ دمٍ
ظنوكُ أقصيتَ عنها فهي نائمةُ
وتلك أطماعهم في كلِّ ناحية

قالوا: غدرتَ ولم أفهمَ لمنطقهم
أفي دفاعك عن أهلٍ وعن وطنٍ
قالوا: هو الحقُّ ما نسعى لنصرتِه
يا شرقُ يا شرقُ لا تخدعك دعوتهم
أكان غيرَ عيونِ الزيتِ دافقةً
وكان غيرَ أنابيبٍ يحوط بها
قد قسّموكَ مطاراتٍ وما عملوا
أكنتَ غيرَ الفِدا في غيرِ تضحيةٍ
يا شرقُ سلِّ «بالحسيني» الذي صنعوا
سلهم عن الشرفِ الموعودِ كم غدروا
وأنت يا أيُّها الفادي عروبتَه
جهادك الحقُّ مظلومًا ومغتربًا

حُكمًا، ولكنما للقوم أحكامُ
غدرُ؟ إذنُ فجهادُ الظلمِ إجرامُ!
يا بُؤسَهُ كم هوانُ أهلهُ ساموا
واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوهامُ
من قلبك الغصُّ يُجريهن سجامُ
ضلوعَ صدركَ قهارًا وظلامُ
إلا لحرِب لها في الكونِ إضرامُ
إن همَّ عليك بسربٍ للردى حاموا
واسمعَ لحقِّك، لا يخدعك هدّامُ
به؟ كم اجتُرحتَ في السلمِ آثامُ
إسلمَ فديتك، لا عبنٌ ولا ذامُ
وحيُّ لكلِّ فتى حُرٌّ وإلهامُ

على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

فحيّ زِمَامِي عِنْدَهُ وَعُهُودِي
وَنُسَلِمُهُ لِابْنِ لَنَا وَحَفِيدِ
سَمِعْتَ لِتَكْبِيرِي وَوَقَعَ سَجُودِي
خَلَا مَنطِقِي مِنْ لَفْظِهَا وَقَصِيدِي
أَفَقْتُ عَلَى يَوْمِ أَعْرَ سَعِيدِ
نَبَا فِيهِ جَنبِي وَاسْتِحَالَ رَقُودِي
خَمَائِلُ جَنَاتِي وَطَاب حَصِيدِي
مَشَى المَوْتُ فِي زَهْرِي وَقَصَّفَ عُودِي
شَهِيدِكَ فِي هَذَا ... وَأَنْتَ شَهِيدِي!
وَجُودِكَ فِي هَذِي الحَيَاةِ وَجُودِي

أُخِي! إِنْ وَرَدَتِ النِّيلَ قَبْلَ وَرُودِي
وَقَبْلُ ثَرَى فِيهِ امْتَزَجْنَا أُبُودَةَ
أُخِي! إِنْ أَدْنَى الفَجْرِ لَبَّيْتُ صَوْتَهُ
وَمَا صُغْتُ قَوْلًا أَوْ هَتَفْتُ بِأَيَّةِ
أُخِي! إِنْ حَوَاكِ الصَّبْحُ رِيَانًا مَشْرِقًا
أُخِي! إِنْ طَوَاكِ اللَّيْلُ سَهْمَانًا سَادِرًا
أُخِي! إِنْ شَرِبْتَ المَاءَ صَفْوًا فَقَدْ زَكَّتْ
أُخِي! إِنْ جَفَاكَ النُّهْرُ أَوْ جَفَّ نَبْعُهُ
فَكَيْفَ تُلَاحِيزُنِي وَأَلْحَاكُ؟ إِنْ نِي
حَيَاتِكَ فِي الوَادِي حَيَاتِي، فَإِنَّمَا

* * *

مَتَى فَصَلَا مَا بَيْنَنَا بِحُدُودِ؟
فَجَلَّلَ بِالْأَحْزَانِ لَيْلَةَ عِيدِي
مَزَاهِرُ أَحْلَامِي وَمَاتَ نَشِيدِي
عَلَى أَرْضِ آبَاءِ لَنَا وَجُدُودِ

أُخِي! إِنْ نَزَلَتْ الشَّاطِئَتَيْنِ فَسَلِّهُمَا
رَمَانِي نَذِيرُ السُّوءِ فِيكَ بِنَبَأَةٍ
وِغَامَتِ سَمَائِي بَعْدَ صَفْوِ وَأُخْرَسَتْ
غَدَاةَ تَمَنَّى المَسْتَبَدِّ فِرَاقِنَا

لعلَّ بنا حُبَّ السيادة يُودي
وما بيننا من سيِّدٍ ومسودٍ
فِخَاخَ «احتلال» كالدَّهورِ أبيضٍ
بحريين، من زرعِي وِضْرَعِ وليدي
فهمٌ بنكراني ورامٌ جُودي
أأنجز من وعدٍ؟ أفكٌ قيودي؟
مدى الدهر فيها مُبْدِيٌّ ومُعِيدِي
نَجْرٌ على الأشواكِ ثَقْلَ حديدٍ
نَهَبْنَا بشمْلِ في الحياة بديدٍ
مُوحَّدَةٌ في غايَةٍ وجهودٍ
جديدٍ، ولمَّا يأتنا بجديدٍ
فلما دَنَا أَلْفَتْ سَرابٌ وعودٍ
على عاصفٍ يرمي الدُّجى بجليدٍ
فلا تَرَجُّ يَفْتًا من وميضِ رعودٍ
سَرَى رِيَهُ سَمًّا بكلِّ وريدٍ
ويحبسُهُ ما شاءَ خَلْفَ سدودٍ
ظِمَاءٌ نسورٍ أو جِياعُ أسودٍ؟

وزَفَّ لنا زَيْفَ الأمانِي عُلالَةً
أخوَّتْنَا فوقَ الذي مانَ وادَّعى
إذا قال: «الاستقلال» فاحذره ناصبًا
وكم قَبْلُ مَنَانِي، على وَفَرٍ ما جَنَى
فلما أتاه النصرُ هاجتُهُ شِرَّةٌ
ألا سَلَّهُ، ماذا بعدَ سبعينِ حِجَّةً
يُبَدِّلُنِي قَيِّدًا بَقِيدٍ كأنَّهُ
أخي! وكلانا في الإِسارِ مَكْبَلٌ
إذا لم تُحَرِّزْنَا من الضيمِ وَحْدَةً
وما مصرٌ والسودانُ إلا قَضِيَّةٌ
سَتَمْنَا هُتافَ الخادعينِ بِعالمٍ
وَجَعَّتْ حشاشاتٌ وُعدنٌ بِمائه
وطال ارتقابُ الساعِبينَ لنارِهِ
إذا يَدُنَا لم تُذِكْ نارَ حياتنا
إذا يَدُنَا لم تَحْمِ نَبْعَ حياتنا
سيُجرِيهِ ما شاءَتْ مطامعُ قومِهِ
وكيف ينام المضعفونَ وَحَوْلَهُم

* * *

يَرُجُّ من الشيطانِ كلَّ مشيدٍ!
على نفثاتٍ من دمٍ وصيدٍ
وأسرابٍ طيرٍ في الفلاةِ شريدٍ
وضجٌ لَهُ الموتى وراءَ لُحودٍ
لتشتتتِ أهْلٍ وانقسامٍ صعيدٍ
بها الحزنُ إلْفِي والهناؤُ فقيدي
على الظالمِ الجَبَّارِ صَوْتٍ وعيدٍ
بهدمٍ إخاءٍ كالجبالِ مشيدٍ
كطيرٍ جريحٍ في الشبَّابِ جهيدٍ

أخي! هل شَهَدْتَ النَيْلَ غضبانِ ثائراً
جَرى من مَصَبِّهِ شُواظًا لنبعِهِ
وجنَّاتٍ نَخِلٍ واجماتٍ كواسفٍ
لدى نَبأٍ قد رِيَعٌ من حملةِ الصِّدى
جنوبكُ فِيهِ والشمالُ تَفَزَّعا
أحال ضياءَ الصبحِ حَوْلِي ظُلْمَةً
وسَعَرَ أنفاسي فأطلقتُ نارها
أرادكُ مفصومَ العُرى وأرادني
ليأكلنا من بَعْدُ شلواً مَمزَّقاً

على النيل

تَحَايِلُ شَيْطَانَ الْأَسَالِيبِ لَمْ يَدْعُ مَجَالًا لَشَيْطَانٍ بَهَنَ مَرِيدِ

* * *

عَلَى النِّيلِ يَا ابْنَ النِّيلِ أَطْلُقْ شَرَاعِنَا
وَأَرْسَلْ عَلَى الْوَادِي حَمَائِمَ أَيْكِهِ
وَقُلْ: يَا عُرُوسَ النَّبْعِ هَاتِي مِنَ الْجَنَى
وَهَبِّي عِذَارِي النَّخْلِ فِرْعَاءَ وَارْقِصِي
أَلَا يَا أَخِي وَامِلًا كَثُوسَ مُحَبَّبَةٍ
إِذَا هِيَ هَانَتْ فَانْعَ لِلشَّمْسِ نَوْرَهَا
وَقُلْ: يَا سَمَاءَ النِّيلِ وَيْحَكَ أَقْلَعِي
وغيضي عيونَ الماءِ! أو فتفجّري
وَقُلْ لِلْيَالِيَةِ الْهَنْيئةِ: عودي
بِرَنَّةٍ وَلَهَيَ أَوْ شِكَاةِ عَمِيدِ
وَدُورِي عَلَيْنَا بِالرَّحِيقِ وَجُودِي
بِخُضْرِ أَكَالِيلِ وَحُمْرِ عَقُودِ
مُقَدَّسَةٍ مَوْعُودَةٍ بِخُلُودِ
وَلِلْقَمَرِ السَّارِي بَرُوجِ سَعُودِ
وَيَا أَرْضُ بِالشُّمِّ الرَّوَاسِخِ مِيدِي
لظي، وإن اسطعتِ المزيدَ فزيدي!

مِصر

فديتُك! هل وراء الموت حُبٌّ؟
إليك، وكلُّ شيخٍ فيك صبُّ
وكلُّ رضيعَةٍ في المهدِ تحبو
أرى مُهَجًّا لوجهك تَشْرِبُ
لها فوق الضَّفَافِ حُطَى ووُثْبُ
له بيديك تَضْفِيرُ وَعَضْبُ
ووقَّتِكِ اللِّيالِي وهي حَرْبُ
فضاءِكِ غيلةٌ ورماكِ حَطْبُ
وبالنَّسَمَاتِ فهي حَصَى وحَصْبُ
وكلُّ غُصونِهِ ظُفْرٌ وخُلْبُ
صواعقُ ومُضْها رُجْمٌ وشُهْبُ
وفي عينيه إِيماضٌ وسكْبُ
بها شرقُ، ويُلقِي السَّمْعَ غَرْبُ
فراعنُ أو حواريُّونَ عُرْبُ
تموجُ به الضَّفَافُ وثُمَّ رَكْبُ
إليك بكلِّ جارحةٍ تدبُّ
أَجَلٌ بُعِثَتْ، وهبَّ اليومَ شَعْبُ
وأفردَ بالأمانةِ فهو صُلْبُ!

هَوَى لِكَ فِيهِ كُلُّ رَدَى يُحِبُّ
فديتُكِ مِصرُ، كُلُّ فَتَى مَشوقُ
ويحلمُ بالفِدَى طفلاً فطيمُ
أراكِ وأينما ولَيْتُ وجهي
وأرواحًا عليكِ محوِّماتِ
عليها من دَمِ الفادِينِ غارُ
حَمَتِكِ صدورُها يومَ التَّنَادِي
إذا رامتِكِ عاديةٌ وشَقَّتْ
دَعَتْ بالنَّهْرِ فَهُوَ لَظَى ووَقْدُ
وبالشجرِ المنوَّرِ فهو غيلُ
حقائقُ عن يدِ الإِيْمَانِ ترمي
لها في مهجةِ الجَبَّارِ فتُ
صَنائِعُ كَالغَنائِيَّاتِ يَشْدُو
ويُبْعَثُ في الحِياةِ على صداها
أهلوا بالصباحِ فثمَّ ركبُ
بأرواحِ مِجْنَحَةٍ نِشاوِي
لقد بُعِثَتْ مِنَ الأَحْقَابِ مِصرُ
تَوَحَّدَ في الزِعامَةِ فهو فردُ

* * *

فيا لكِ مصرُ! ما لجلالِ أمسٍ
وأبهمٍ فهو رجُعُ صدَى وطيفٍ
ذوت رِيًّا ملامحه وحالتُ
أكانَ دَمُ الفدائِيَّينَ صدَقًا
فِيهدمُ ما بنى ويقالُ: شادوا
علامَ إذنَ أريقَ بكلِّ وادٍ
وجاد به شبابُ عبقريِّ
أحقًا ما يُقالُ: شيوخُ جيلٍ
وكانوا الأَمسِ أرسخَ من جبالٍ
فما لهمُ وهتَ منهم حُلومُ
أأرحامُ مقطَّعةٌ وأرضُ
وأسواقُ تباعُ بها وتُشْرَى
يطوف بها النِّفاقُ وفي يديه
يكاد الليلُ أن يَنسى دُجاءُ
تعالوا يا بني قومي تعالوا
هو الدستورُ منه جنَى قطفنا
فما للشَّرِبِ والجانينَ ثاروا
فأهدِرَ مَرَّةً وأبيحَ أُخرى
إذا ما الأكثريةُ فيه فازتُ
وإن هيَ حورِبَتِ عنه وزيدتُ
عجائبُ لم تَقعَ إلا بمصرِ
تعالوا يا بني قومي إليهِ
وما هو أسطُرٌ كُتبتُ ولكنُ
تحررتِ الشعوبُ فكلُّ شعبٍ
وهبتُ في نواحي الأرضِ دُنيا

عَلَّتُهُ غَبْرَةٌ وَطَوَّتُهُ حُجْبُ
بعيدٌ ليس يستجليه قُرْبُ
مناقبه فهنَّ أدَى وتَلْبُ
وأصْبَحَ وهو بعدَ الأَمسِ كِذْبُ
وتُصدعُ وَحدَةً ويُقالُ: رأبُ؟
فأورقَ مُجِدبٌ وأنارَ خِصْبُ؟
وولدانُ كفرخِ الطَّيرِ زُعبُ؟
على أحقادهم فيه أكْبُوا
إذا ما زُلْزِلتْ قِمَمٌ وهُضِبُ
لها بيدِ الهوى دَفْعٌ وَجَدْبُ
تُعادي فوقها أهلٌ وَصَحْبُ
ضمائِرُ هُنَّ للأهواءِ نَهْبُ
صحائفُ أفعمتُ زورًا وَكُتِبُ
إذا نُشِرتُ ويأخذُ منه رُعبُ
إلى حقٍّ وَحَسِبُ الشعبِ حَسْبُ
ونهرُ حياتنا ملانَ عَدْبُ
عليه بعد ما طعموا وَعَبُوا
وعيبُ، وما له عيبٌ وَذنبُ
تحرَّكتِ الدسائِسُ وهي إلبُ
تحدَّتْ باسمه فَرْدٌ وَحزْبُ
وأحداثُ لهن يَطيشُ لُبُ
فما في حُكْمِهِ قَسْرٌ وَغَضْبُ
معانٍ في القلوبِ لهنَّ عَلْبُ
طليقٌ والمجالُ اليومَ رَحْبُ
لحقٌ يُجْتَبَى ومُنَى تَلْبُ

أَنْلَعِبُ وَالزَّمَانُ يَقُولُ: جُدُّوَا
فَلَا تَقْفُوا بِحَرِيَّاتِ شَعْبِ
فَمَا تَتْنِي حُطَى شَعْبِ طَمُوحِ
إِذَا عَصَفَتْ تَلْقَاهَا بِصَدْرِ
وَنَرْقُدُ وَالْحَيَاةُ تَصِيحُ هُبُّوَا؟
وَأَمَالٍ لَهُ لِلْمَجْدِ تَصْبُو
زَعَارِعُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نُكْبُ
وَرَاءَ ضُلُوعِهِ نَارٌ تُشَبُّ

سَأَلْتُكُمْو الْيَمِينِ وَحُبِّ مِصْرِ
إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ لِمِصْرٍ أَوْمَتْ
فَقَبَّلَهَا وَظَلَّلَهَا هَوَاهُ
وَبِاسْمِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَفْدَى
وَبِاسْمِكَ لَا يُضَامُ لِمِصْرٍ حَقٌّ
وَبِاسْمِكَ مِنْ عُضَالِ الدَّاءِ تُشْفَى
بِحَقِّ عُلاكَ وَهُوَ هُدَى وَنُورٌ
إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ بِالرُّوحِ مِصْرُ
أَلَمْ يَخْفِقْ لَكُمْ بِالْحُبِّ قَلْبٌ؟!
إِلَى «الْفَارُوقِ» وَهِيَ رَضَى وَحُبُّ
وَنَدَى قَلْبَهَا وَالْعَيْشُ جَدْبُ
تَقَشَّعُ غُمَّةٌ وَيَزُولُ كَرْبُ
وَبِاسْمِكَ لَا يُضَارُ بِمِصْرٍ شَعْبُ
وَبِاسْمِكَ كُلُّ دَاءٍ يُسْتَطَبُّ
وَحَقُّ هَوَاكَ وَهُوَ عُلاٌ وَكَسْبُ
وَأَنْتَ لِمِصْرٍ بَعْدَ اللَّهِ رَبُّ

لِقَاءِ وَدُعَاءِ

وعهدُكُما قد كان حُلْمَ زمانِي
ولا عهدَ إلا للعروبة والعُلا
تُحدِّثني عَينِي، وقد سِرْتُما معًا
ويَسألني قلبي، وقد لاح موكبُ
على ملكيِّ من شرّاعِ ولُجَّةِ
تناسمه بين العشيَّاتِ والضُّحَى
وأفئدةً من أرضِ مصرِ مَشْوقَةٌ
إلى أفقٍ فيه من الروحِ هِزَّةُ
أَتَسألُ يا قلبي وأنت بجانبِي؟
وأنت الذي تُصغِي، وأنت الذي تَرى
ومنك الذي أوحى إليَّ فهزَّني
أنالَ جلالَ اليومِ منك، فَخَلَّتُهُ
هو الملكُ الفاروقُ في موقفِ الهدى
يؤمُّ بها ربُّ الجزيرةِ مصره
هما عاهلا الشرقِ العريقِ وركنُهُ
هما الحبُّ والإيمانُ والمجدُ والندى

وَعهدُكُما للشرقِ فجرُ أمانِي
لِقَلْبَيْنِ في كَفِّينِ يَعْتَنِقانِ
حَبِيبَيْنِ سارا، أم هما أَخوانِ
من الأحمرِ اللُّجِّيِّ أَشْرَقَ داني
تَطامُنُ في صَفوٍ لَهُ وَأمانِ
سرايِرُ من أرضِ الحجازِ حواني
شواخِصُ في الثغرِ المشوقِ روانِي
وَفِيهِ مِنَ الوحيِ القَدِيمِ مَعانِي
وَكَيفَ؟ أَلَمْ تَعَلِمِ مِنَ الخَفِيقانِ
وَتُنطِقُ مِنِّي خاطِرِي ولسانِي
وَفَجَّرَ شِعري مِنَ سماءِ بيانِي
رُؤى يَقظَةٌ؟ بل ذاكَ رَأى عيانِ
تَسيرِ إِلِيهِ الفَلَكُ دونِ عَنانِ
وما هِيَ إلا فَرحَةٌ وأغانِي
هما جِصنُهُ الواقِي مِنَ الحَدَثانِ
تَمَثَّلَ في آياتِها مَلِكِانِ!

بأعذبِ ما رَفَّتْ به شَفَتَانِ
بأفراحِ دورِ فوقه وَمَغَانِي
رفارفَ حُضْرًا في ظلالِ جنانِ
وفيكِ يُحْيِي «الْقِبْلَةَ» الهرمانِ
مخاضِها من لَوْلُو وَجْمانِ
يُضِنَّ بأقمارِ بهنَّ حِسانِ
تَغَايِرَ في لألئها القمرانِ
مطالِحُ «فاروقية» اللِّمعانِ
هُنَا وَطَنٌ أَمْ هَا هُنَا وَطَنَانِ
أَمْ أَنْ قَطُوفًا «للرياض» دواني
وما اختلفتُ في صورةٍ ومكانِ
على الرَّحْبِ، والدَّارَانِ تَلْتَقِيَانِ
فما مصرٌ إِلَّا موطنٌ لكِ ثاني
مُوحَّدةٌ في فِكْرَةٍ ولسانِ

سلامًا «طويلَ العمر» مصرُ تَبْنُهُ
وللنَّيْلِ أمواجُ يثبنَ صِبابَةً
تَجَلَّى طرازًا في لِقائِكِ مُفْرَدًا
يُحْيِي بكِ الشَّعْبَ الحِجازِيَّ شَعْبُهُ
تساءلَ فيها الصاحبانِ وقد بَدَتْ
وأفاقها «مَكِّيَّة» النورِ والشَّدى
جلاها المساءُ القاهريُّ صِباحَةً
«سعودية» الإِشراقِ تَزْهَى بنورها
أفِي مصر؟ أم بطحاءِ مَكَّةَ يَوْمُنا؟
وتلكَ قَطُوفُ النَّيْلِ دانيةُ الجَنَى
هُوَى لكَ يا «عبد العزیز» أصارها
وأنتِ أحو «الفاروق» داركِ دارُهُ
فإنْ تَذكرِ الأوطانَ والأهلَ عندها
وما هي إِلَّا أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ

* * *

ويسمع لي الفاروقُ صوتَ جَنانِي؟
فما لي أرى في الشَّرْقِ سُحْبَ دِخانِ!
برعْدِ حِسامِ والتَّماعِ سَنانِ
وفي القُدسِ جَمْرُ مُوشِكِ الثُّورانِ
جَريحاَ إِباءٍ في دمِ غَرِقانِ
وما سَتَرَتْ وَجْهاً لها ببنانِ
مخالِبَ ضارٍ أو برائثَ جاني
علامِ تَضجُ الأرضُ بالشَّنَّانِ
على غيرِ معنَى من رَضَى وأمانِ
وَدَاوَرَ حَتى راعٍ في الدَّورانِ
وإنْ حَوَّرتُ في صبغَةٍ ودهانِ

أَيْنِصَتْ لي الضيفُ العَظيمُ هَنيئَةً
يقولون: نارُ الحَربِ في الغَربِ أُخِمدَتْ
مَشَتْ بالشتاءِ الجَهمِ فوقِ تخومهِ
بإيرانَ صِحاتٍ، وفي الشامِ ضَجَّةٌ،
وفي الساحلِ الغَربيِّ من «أل طارِقِ»
طِماعِيَّةٌ فيه أزالَتْ قِناعَها
رَمَتْ عن يَدِ قَفَّازِها وتَحَفَّزَتْ
فإن قيل: هذا «مَجلسُ الأَمْنِ» فاسألوا
وفيمَ دِعاةِ السَّلْمِ طالَ حَدِيثُهُمْ
وَأبْهَمَ حَتى بانَ كالأظَلِّ طامِساَ
أرى اليَومَ مِثْلَ الأَمسِ صَورةً غاصِبِ

* * *

تثاني حيائي والوفاء دَعَانِي
يُفَاخِرُ جَيْلٌ بِالَّذِي هُوَ بَانِي
تُهَدِّدُهُ فِي حَوْزَةِ وَكَيَانِ
بِكُلِّ فَتَى بِالطَّيِّبَاتِ مُعَانِ
وَمَا زَالَ مِنْ خُلْفِ الْوَعُودِ يُعَانِي
وَلَا فَازَ مِنْ حَرِيَّةٍ بِضِمَانِ
مَطْرَحَةٌ فِي زَلَّةٍ وَهَوَانِ
بِجَمْعِ يُدْبِرُ الرَّأْيِ حَوْلَ خَوَانِ
وَأَقْلَامِ كُتَّابِ وَسِحْرِ بَيَانِ
وَمَاذَا يُصِيبُ الْقَوْلُ يَوْمَ طَعَانِ
بِمَسْتَقْتَلٍ مِنْ حَوْلِهَا مُتْفَانِي
وَأَسْيَافُهُمْ مِنْ صُلْبَةِ وَلدَانِ
يُنَابِيعُهُ شَتَّى ذُرَى وَرِعَانِ
عَلَى كَرِّ دَهْرٍ وَاخْتِلَافِ زَمَانِ

إِلَيْكُمْ مَلُوكَ الشَّرْقِ كَمْ عَنِ مَقَالَةِ
أَشَدَّتْ بِمَا شَدْتُمْ فِرَادِي، وَكَلِّكُمْ
أَنَاشِدُكُمْ وَالشَّرْقُ بَيْنَ مَطَامِعِ
فَهَلَّا جَمَعْتُمْ أَمْرَهُ وَاسْتَعْنَتُمْ
أَرَى حُلْفَاءَ الْأَمْسِ لَمْ يَحْفَلُوا بِهِ
وَمَا قَرَّ فِي ظِلِّ السَّلَامِ بِحَقِّهِ
وَتَلْكَ أَمَانِيهِ عَلَى عَتَبَاتِهِمْ
أَنْقَنِعَ مِنْ حَقِّ وَ«جَامِعَةٍ» لَهُ
وَلَيْسَ لَهَا مِنْ قُوَّةٍ غَيْرِ أَلْسِنِ
وَمَاذَا يَفِيدُ الرَّأْيُ لَا سَيْفَ عِنْدَهُ
عَلَى الْبَاسِ فَابْنُوا رُكْنَهَا وَتَاهَبُوا
تَلَقَّى بِهِ رَايَاتُ كُلِّ شُعُوبِهِ
كَأَمْوَاجِ بَحْرِ زَاخِرٍ مُتَلَاظِمِ
ضَمِنْتُ بِكُمْ مَجْدَ الْعَرُوبَةِ خَالِدًا

عَوْدَةُ المَحَارِبِ

تَشُقُّ الغَرْبَ أَوْ تَطْوِي ظِلَامَهُ؟
بِهِ، وَاسْتَقْبِلْتُ لثَمًا غَمَامَهُ!
ضَفَافُ النِّيلِ تَسْتَهْدِي حِيَامَهُ
غَضِيضُ الطَّرْفِ لَمْ يَنْفِضْ مَنَامَهُ
تُظَلِّلُهُ الرِّعَايَةُ وَالسَّلَامَهُ
بِعَيْنِ المَلْهَمِينَ رَنَا فِشَامَهُ
وَأَمْجَادًا مُشْهَرَةً مُسَامَهُ
يَخَافُ الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى عُرَامَهُ
أَبَى غَيْرِ الشَّهَامَةِ وَالكَرَامَهُ
تُرَاثَ الشَّرْقِ أَوْ يَرَعَى نَمَامَهُ
وَسَلَّتْ عَزْمَهُ وَجَلَّتْ حُسَامَهُ
وَأَنْفَذَ مِنْ مَضَارِبِهَا هُمَامَهُ
وَوَيْدٍ، فَمَا أَطَاقَ بِهَا مَقَامَهُ
فَعَادَتِ مِنْهُ وَادَّرَأَتْ حِمَامَهُ!
دَمًا حَرًّا وَرَوْحًا مَسْتَهَامَهُ
وَلَا يَنْسَى الكَمِيَّ بِهَا غَرَامَهُ
وَتُشْجِيهِ بِرَنَّتِهَا الحِمَامَهُ
إِلَى خَطَرٍ تَعَشَّقُهُ وَرَامَهُ

أَتَدْرِي الرِّيحُ مِنْ مَلَكْتِ زَمَامَهُ
هَفَّتْ لِلشَّرْقِ فَاخْتَلَجَتْ جَنَاحًا
وَقِيلَ: دَنَا وَحَوِّمَ، فَاشْرَأَبْتُ
وَعَانِقَهُ الصَّبَاحُ عَلَى رُبَاهَا
يُضِيءُ بَوْرِدَهُ الأَزْلِيَّ أَفْقًا
وَوَاكِبُهُ عَلَى «سِينَاءٍ» بَرَقَ
تَمَثَّلَ إِذْ تَأَلَّقَ نَكَرِيَاتِ
لِمَحْتَرِبٍ مِنَ الأَبْطَالِ فَادِ
حَوَارِيٍّ عَلَى كَفِّهِ قَلْبُ
نَحِيفٍ مِنْ شُرَاةِ الخَلْدِ يَحْمِي
كَسْتَهُ خُشُونَةً غَيْرَ اللِّيَالِي
أَشَدَّ عَلَى قَوَاضِبِهَا مَرَأَسًا
أَقَامَ عَلَى الفَلَاةِ طَرِيدَ ظَلَمِ
وَبَايَعَ فِي شَبِيبَتِهِ المَنَايَا
أَحْلَوْا قَتْلَهُ وَتَطَلَّبُوهُ
تَنْسَى الحَرْبُ كُلَّ فِتْيِ هَوَاهُ
رَئِيْرُ اللِّيْثِ يَطْرِبُ مَسْمَعِيهِ
وَوَثْبُ الخَيْلِ أَفْرَاسُ الأَمَانِي

يَصْفُ البِيضَ وَالسُّمْرَ العَوَالِي وَيَفْرُكُ رَاحِيَتَهُ دَمًا وَنَارًا
وَيَرْقُبُ مِنْ فَمِ الصُّبْحِ ابْتِسَامَهُ كَذَلِكَ رَأَى الحَيَاةَ فَمَا اجْتَوَاهَا
يُعَنِّي حُبَّهُ وَيُدِيرُ جَامَهُ مَفَاذِعُ لِلرَّيِّ إِنَّ لَاحَ فَرَّتْ
وَلَا عَرَفَ المَلَالَةَ وَالسَّامَةَ وراءَ خَطَاهُ وَارْتَدَّتْ أَمَامَهُ!

* * *

أَخَا الهِجَاءِ كَيْفَ شَهِدْتَ حَرْبًا وَكَيْفَ رَأَيْتَ بَعْدَ الحَرْبِ سَلْمًا
وَقَالُوا: عَالَمٌ قَدْ جَمَّلُوهُ تَنَاثَرَتِ المَمَالِكُ فِيهِ حَتَّى
مَتَاهَاتُ تَضَلُّ بِهَا اللِّيَالِي فِلَسْطِينُ الشَّهِيدَةُ فِي دِجَاهِ
أَقَامَ المَسْتَبَدُّ عَلَى حِمَاهَا وَجَاءَ بِأَبْقِ لَفْظَتَهُ دَارٌ
أَبَاحَ لَهُ عَلَى كَيْدِ جَنَاهَا وَعَلَّمَهُ الرَّمَايَةَ وَاجْتَبَاهُ
نَدِيمُ الأَمْسِ سَقَّاهُ بِكَأْسِ رَمَى الشَّيْطَانُ عَنِ فَخَّارَتِيهَا
أَلَا لَا يَمْرَحُ البَاغُونَ فِيهَا مُحَالٌ أَنْ تَطْيِبَ لَهُمَ حَيَاةٌ
عَرُوبَتُهَا عَلَى الأَدْهَارِ أَبْقَى أَتَهْدَأُ وَهِيَ فِي الغَمْرَاتِ تَأْسُو
وَمَفْتِيهَا الأَمِينُ وَمَفْتِدِيهَا فَتَى أَحْرَارِهَا مَا غَابَ عَنْهَا
كَأْمِسُ، كَعَهْدِهَا، لَمْ يَغْفُ عَيْنًا يُوَلِّفُهَا عَلَى الأَحْدَاثِ صَفًّا
جَهَادٌ فِي العُرُوبَةِ وَاحْتِشَادٌ يُذَكِّرُ هَوْلَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ
تَمَلًّا بِالضَّغِينَةِ وَاللَّامَةِ فَلَمْ يَعُدَّ الشَّنَاعَةَ وَالدَّمَامَةَ
لِتَعْجَزَ أَنْ تُبَيِّنَ لَهَا حَطَامَتَهُ وَلَا يَدْرِي بِهَا فَلَكُ نِظَامَتَهُ
مُفْرَعَةُ الخَوَاطِرِ مُسْتَضَامَتَهُ فَعَاثَ بِهَا وَأَفْرَدَهَا طَغَامَهُ
وَأَفْأَقَ يُحْمَلُهَا أَثَامَتَهُ وَشَاطِرُهُ عَلَى حُبِّثِ مَدَامَتِهِ
فَسَدَّدَ فِي مَقَاتِلِهِ سَهَامَتَهُ! أَحْسَسْ لَهَيْبِهَا وَرَأَى ضَرَامَتَهُ
وَعَضَّ عَلَى نَوَاجِذِهِ نَدَامَتَهُ فَلَنْ يَنْسَى لَهَا الحَقُّ انْتِقَامَتَهُ
عَلَيْهَا، أَوْ تَدُومُ لَهُمُ إِقَامَتَهُ وَأَثَبْتُ مِنْ رِوَاسِخِهَا دِعَامَتَهُ
جَرِيحًا؟ أَوْ تَشَدُّ لَهُ ضَمَامَتَهُ؟ وَرَاءَ تَخُومِهَا يَشْكُو هَيَامَتَهُ؟
وَلَا مَنَعَ الخِيَالَ بِهَا لِمَامَتَهُ بَلِيلِ أَقْسَمْتُ أَلَّا تَنَامَتَهُ
جَسُورَ النَفْسِ جَبَّارَ العُرَامَتِهِ لَهُ التَّارِيخُ قَدْ أَلْقَى زَمَامَتَهُ

* * *

أخَا الصَّبَوَاتِ هَلْ شَفَتِ اللَّيَالِي
حَلَلْتَ بِسُورِيَا بَعْدَ اغْتِرَابٍ
فَقُلْتُ: تَحِيَّةُ الزَّمَنِ الْمُعَارِي
وَأَشْرَقَتِ الْكُتَاتِبُ عَنِ لَوَاءٍ
لَأَصْهَبَ مِنْ أَسْوَدِ الْحَرْبِ يَمْشِي
حَوَاكَ جَلَالَةً فَحَنِيَّتَ رَأْسَا
طَرِيقُ الْمَجْدِ كَمْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ
وَكَمْ جَبَلٍ هَبَطَتْ بِرَأْسِ وَاوِدٍ
حَمِيَّتِ الْغَاصِبِينَ خُطَى إِلَيْهِ
بِجَيْشٍ مِنْ «بَنِي عَدْنَانَ» فَادٍ
يُرْوَعُ «خَالِدٌ» فِيهِ وَتَلْقَى
كَأَنَّ الْفَاتِحِينَ مِنَ الْأُوَالِي

جِرَاحَ الْقَلْبِ أَوْ رَوَّتْ أُوَامَهُ؟
وَقَدْ كَادَ الْجَلَاءُ يُتِمُّ عَامَهُ
لِمَقْتَتَلِ أَطَالَ بِهِ صَدَامَهُ
يَدُ الشَّهَدَاءِ لَمْ تَتْرَكَ عِصَامَهُ
بِأَصْهَبَ تَمَسِكُ الدُّنْيَا لِحَامَهُ
وَلَمْ تَخْفِضْ لِحَبَّارِينَ هَامَهُ
لِأَهْوَالِ لَقِيَّتِ، وَكَمْ عِلَامَهُ!
يَعِزُّ الْجَنُّ أَنْ تَرَقَى سِنَامَهُ
فَصَانَ عِرَاقَهُ وَحَمَى شَامَهُ
تَرَى نَسْرًا بِهِ وَتَرَى أُسَامَهُ
«عُبَيْدَةَ» وَهُوَ فِي سَيْفٍ وَوَلَامَهُ
عَلَى أَسْيَافِهِمْ رَفَعُوا خِيَامَهُ!

* * *

حُمَاةَ الشَّرْقِ، كَمْ فِي الْغَرْبِ بَاغٍ
وَكَمْ أَيْدٍ عَلَيْهِ مُجَرَّدَاتٍ
نِزَابٌ حَوْلَ جَنَّتِهِ تَعَاوَى
فَهَزُّهُ صَوَارِمَ مُشْرَعَاتٍ
هُوَ السَّيْفُ الْأَصْمُ إِذَا تَغَنَّى
أَعِدُّوا حُدَّهُ لَصِرَاعِ دَهْرٍ

عَلَيْهِ، أَذَاقَهُ بَطْشًا وَسَامَهُ
مُخَالِبَ كَاسِرٍ يَبْغِي التَّهَامَهُ
كَأَنَّ بِهَا إِلَى دَمِهِ نَهَامَهُ
تَشْقُّ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ زِحَامَهُ
صَغَا مُتَجَبِّرٌ وَوَعَى كَلَامَهُ
صَرِيحُ الْوَهْمِ مِنْ يَرْجُو سَلَامَهُ!

بطل الريف

وَيَحِ البشير! بأيِّ سلمِ نادى؟
تَجْنِي العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا
شمسَ النهارِ - فخالطهُ سوادَا
أتراهمو صَبَغُوا السماءَ حدادَا؟
لو أطفئُوهُ وأسقطُوهُ رَمَادَا
وَبُرُوقَ كلِّ غمامةٍ تتهادى
ضَرَبُوا على آفاقها الأَسَدَا
تَغزُو كُهوفاً أو تَوُمُّ وهادَا
وقضى الوجودُ ضلالَةً وفسادَا
مَنْ نَصَّ هذا الكوكبَ الوَقَادَا؟
أَيَّامَ شَعِّ عدالةٍ ورغادَا
أو شَيَّدُوا لحضارةٍ أوتادَا
تبني الشعوبَ وتنسجُ الأبادَا
لا تعرفُ العُبدانَ والأسِيادَا
وعديديكم تتخايلون عَتَادَا
ماءً به تجدُ الحياةَ وزَادَا
قَدَحَتْ به كَفُّ السماءِ زنادَا
وَيَزِيلَ عن أوطانهِ استعبادَا

لا السيفُ قرَّ ولا المحاربُ عادَا
الأرضُ من أجسادٍ من قُتِلوا بها
فاض السحابُ لها دَمًا - مُذْ شَيَّعت
رأتِ الحدادَ به على أحيائها
ودَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ
وتخوفُوا ومَضَ الشهابِ إذا هوى
ولو أنهم وصلُوا السماءَ بعلمِهِم
لولا لوامعُ من نُهى وبصائرِ
لم يَرِقَّ عقلُ أو تَرِقَّ سريرةٌ
راعِ الطُّغاةَ شُعاعُهُ فتساءلوا
إنَّ تجهلوا فسَلُوا به آباءكم
هل أبصروا حُرِّيَّةً إلا به
حملتَ سَنَاهُ لهم يدُ عربيَّةٍ
هي أُمَّةٌ بالأمس شادتْ دَوْلَةً
جُرْتُمُ عليها ظالمين بعدكم
ومَنَعْتُموها من مواهبِ أرضِها
في المغربِ الأقصى فتى من نورِها
سَلَّتْهُ سيفًا كي يحررَ قومَهُ

ما بِالْكُمْ ضِقْتُمْ بِهِ وَحَشِدْتُمْ
أَشْعَلْتُمُوهَا ثَوْرَةً دَمَوِيَّةً
حتى إذا أَوْهَى الْقِتَالَ جِلَادَكُمْ
جِئْتُمْ إِلَيْهِ تُهَادِنُونَ سُيُوفَهُ
من دونهِ الأسيافِ والأجنادَا
لا تعرفون لنارها إخمادَا
ومضى أشدَّ بسالةً وجِلادَا
وسيوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادَا
وكتبتمو عهدًا — بحدِّ سيوفكم —
مَزَقْتُمُوهُ ولم يجِفَّ مِدادَا

* * *

الأهْلُ أَهْلُكَ، يا أميرُ، كما ترى
أَنْى نَزَلْتَ بِمِصْرَ أو جاراتِها
مَدَّتْ يَدَيْهَا، واحتوتْكَ بصدرها
ولو استطاعت رَدَّ ما اسْتَوْدَعَتْهَا
وَأَتَتْكَ بِالذِّكْرِ الخوالِدِ طاقَةً
ماذا لَقِيتَ من الزمانِ بصخرةٍ
وَبَلَوْتَ من صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِم
جعلوا البحارَ، ومثلَهُنَّ جبالِها،
دَعُومُ! فَأَنْتَ سَخِرْتَ من أحلامهم
عشرين عامًا، قد حَرَمْتَ عيونهم
يَتَلَقَّوْنَ وراءَ كُلِّ جَزِيرَةٍ
من أيِّ وادٍ ... موجةً هَتَفَتْ بِهِ
لو أنصفوا قَدَرُوا بطولةَ فارسِ
نادى بأحرارِ الرجالِ فقَرَّبُوا
يدعو لحقٍّ أو لإنسانيةٍ
شيخُ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أن ترى
«الرَّيْفُ» هَبَّ مَنازِلًا وقبائِلًا
حَنَّ الحَسامِ لِقَبْضَتَيْكَ، وَحَمَمَتْ
وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلَاجِمُ
أَوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُدَاءَ، وَاللَّهْمَتْ
عبدُ الكريمِ انظُرْ جِياك هل ترى
والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وَعِمادَا
جِئْتَ العُروبةَ أُمَّةً وِبِلادَا
أَمْ يَضُمُّ حنانِها الأولادَا
رَدَّتْ عَلَيْكَ المَهْدَ والميلادَا
كأَجَلٍ ما جمعَ المحبُّ وهادَى
قاسَيْتَ فيها غُرْبَةً ووِحادَا
فيها الليالي والسنينِ شِدادَا
سَدًّا عَلَيْكَ وَأوسعوكِ بِعِبادَا
وأَطْرَقْتَهُنَّ مع الرياحِ بِدادَا
عُمَضُ الجفونِ، فما عَزَفْنَ رُقادَا
ويسائلونِ الموجَ والأطوادَا
ومضى، فحَمَلَهَا السلامَ، وعادا
لبلادِهِ بدمِ الحُشاشَةِ جادا
مُهْجًا تموتُ وراءَهُ استشهادَا
تأبى السجونَ وتَلَعَنُ الأصفادا
هذي الفتوحَ وهذه الأمجادَا
يدعو فتاهُ الباسِلِ الدَّوادَا
خَيْلٌ تُقَرِّبُ من يديك قِبادَا
تَشْجِي النُّسورَ وتُطْرِبُ الآسادَا
فُرسانهم تحت الوغى الإنشادا
إلا صراعًا قائمًا وجهادَا

الشرق أَجْمَعُهُ لواءً واحدٌ
 لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
 سألت حلوقَ الهاتفين دماً، وما
 فصُخَّ البيانُ به، وأنطقَ حدُّهُ
 كذبتُ موَدَّاتُ الشِّفاهِ ولم أجِدْ
 نَظَّمَ الصَّفوفَ وهيئاً القوَّادا
 أو يَنسَ من مُتَرَقِّبٍ ميعادا
 هزُّوا لطاغيةَ الشعوبِ وسادا
 يَسْمَعُ إليك، مَكْرَراً ومُعادا
 رغمَ العداوةِ كالسيوفِ ودادا

لَهَجَتْ قلوبٌ بالذي صَنَعَتْ يَدُ
 حَمَلَتْ نَدَى مَلِكِ، وَنَحْوَةَ أُمَّةٍ
 وَحَمَّتْ عَزِيْزًا لا يَقْرُ، وَأَمَّنَتْ
 فادٍ من الغُرِّ الكُماةِ مجاهدٌ
 جارت عليه الحربُ ثم تعقَّبتُ
 زُغْبٌ صِغارٌ مثل أفراخِ القَطَا
 هو من رواسي المجدِ إلا أنه
 رَجُلٌ رأى شراً، ففادى قَوْمَهُ
 ظلموا هواهُ إذ أحبَّ بلادَهُ
 شَدَّتْ لِحْزَحِ المسلمِينِ ضِمادا
 صانت بها شرفاً أشمَّ تِلادا
 حُرًّا يقاسي الجورَ والإبعادا
 تتنازَعُ الألامُ منه فوَّادا
 في السُّلْمِ تحت جَناحِهِ أكبادا
 وحرائرٌ بَتَّنَ السنينِ سُهادا
 عَصَفَ الزمانُ بِجانِبِيهِ فمادا
 وَأَحَسَّ عاديَةً، فَهَبَّ، ورادى
 ما كان ذنباً أنَّ أحبَّ ففادى!

إندونيسيا

أم الشمس يجري فوق صفحاتها الدم؟
سيوفٌ تُغني أو حتوفٌ تُرنمُ
على جثثٍ منهن يرَوَى وَيَطْعَمُ
وهنَّ لأهل الغرب نهبٌ مُقسَّمُ
يُدارُ على الشربِ الرحيقُ وَيُسْجَمُ
كَأَنَّ صداه الغيبُ، لو يتكلمُ!
وتُشفقُ أنواءٌ، ويفرقُ عيَلَمُ
فلا تَمَّ آفاقُ، ولا تَمَّ أنجمُ
إذا الأرضُ غشاها ضلالٌ ومأثمُ
من العيش ما يقضي القوي ويبرمُ
يُبَاعُ وَيُشْرَى فيهم ويسومُ
لمغتصبٍ، أو من عذابٍ تَأَلَّمُوا!
وفيم أحلوه لقومٍ وحرَّمُوا؟
على الحقِّ، بل روحٌ على الجور ينقمُ
على الأمس كانت كالمزامير تُنعمُ
من النارِ تُذكيها رياحُ تَهْرَمُ
أضيقُ، وحقُّ يُستباح ويُهضمُ
إلى النورِ، يطويها ظلامٌ مخيمُ

سحائبٌ حمراءُ؟ أم سماءٌ تَصْرَمُ؟
على مَشْرِقِ الإصباح من «إندونيسيا»
وفوق رُباهَا يزحفُ الموتُ ضاحكًا
فراديسُ شرقِ نِيدٍ عنهن أهلهُ
يُدارُ بها ماءُ الجماجمِ مثلما
وفي أرضها أو أفقها صوتٌ مُحنقُ
تميد الصحارى والجبالُ لوقعه
وترتدُّ حتَّى الشهبُ عن سَبَحَاتِهَا
وفيم تُضيءُ الشمسُ أو يشرقُ السَنَا
وأصبح فيها المضعفون وحظهم
أذلاءُ إن ناموا، أرقاءُ إن صحوا
يُسَمَّونَ نُورًا إذ ما تجهَّموا
لآية إنسانية ذلك الوغى؟
رويدًا بُناة الكونِ، ما تلك ثورةُ
وما هي إلا منكمو رَجْعُ صيحةُ
هو الشرقُ ثارت روحه فهو لَجَّةُ
يُنَادِي بعهدٍ بين يومٍ وليلةٍ
وحريةٍ موءودةٍ، طال شوقها

تُداسُ، ويؤبَى أن يبوح لها فمُ!
 جلالُك موفورٌ، وعهدُك مُكرَمُ
 كأنك فيهم عن «سليمان» تحكُمُ
 وفي راحتِك السبعةُ الخضِرُ تسلِمُ
 لغيرك، أو يبعدُ به عنك مغنمُ
 على أمةٍ عزلاءَ بالسلم تحلمُ؟
 بأجنحةٍ تغزو النجومَ وتزحمُ
 على نسماتٍ في الغصون تُهينمُ؟
 تنازعها «الميكاد» غضباً و«لهم»
 يراُدُ بهم أن يمسحُوا أو يحطموا!
 من الدهر هذا البارِق المتبسّمُ
 وطيفُ برؤياه نُسرٌ وننعمُ
 نذُقُ من نعيم العيش ما نتوهمُ
 تُمثّلُ منه بَعْضُ ما كنت تزعمُ!
 لنا في مراقبي العلم والفن سلّمُ
 طموحٌ، وقلبٌ بالمحاسن مُغرَمُ
 مآثرَ لا تبلى ولا تتهدمُ
 أوائلنا، لسنا على البذل نندمُ!
 به المسلمون الأولون تقدموا
 له أثرٌ في الكون أسمى وأضخمُ
 أياديه شتى، حُسنياتٌ وأنعمُ
 ففي ضوئه للحق هُدًى ومعلمُ
 يلنُ منك قلبٌ بالحديد ملتممُ
 مقاماً، وأنا أمةٌ ليس تظلمُ
 فإن لم يكن ... فالشرُّ بالشرِّ يحسمُ!

مُكبّلةُ الكفّين، مغلولةُ الخطى
 سلاماً، سلاماً، سيّد السلم والوعى
 ويعنو إليك الجنُّ والإنس طاعةً
 وبين يديك الأرضُ تُلقي زمامها
 ولم تبقَ في الكون السحيق رحابةً
 فما لك بالأسطول والجيشِ واثباً
 وتُنقضُ مثل النسر فوق سمائها
 الأقيت في أجوائها غيرَ طيرها
 وأبصرت إلا أمةً من «محمد»
 ملايينٍ ممن كرمَ الله خلقهمُ
 أنل هذه الدنيا رِضاك، وحسبنا
 سرابٌ من الأوهام نُسقى بلمعه
 ودعنا بمعسول المنى وعودها
 ونبدع لهذا الكون في الوهم صورةً
 فإننا شعوبٌ من سلالة «آدم»
 لنا خطرةٌ تهوى الخيال، ونظرةٌ
 على أننا نبيي على الحق والهدى
 ونزعى موثيق الوفاء، كما رعتُ
 من الصين حتى ساحل الغربِ عالمُ
 بنوه حضاراتٍ ضخاماً، ولم يزلُ
 نظامٌ من الشورى وعهدٌ من الرضا
 سل العام إن أوفى عليك هلاله
 لعلك إن يمسسك من نوره سناً
 ويُنبيك أنا لا نطيق على الأذى
 على الحق نجزي من جزانا بحقنا،

في صفوفِ المجاهدين

أب الزعيمُ اليوم من أسفاره
نَصَلَ الدُّجَى ألقى عصا تسياره
لِيُنْقَلَ التاريخ في أدواره
ورمى بأسره وذل إساره
ضرب الوجودُ بها وراء بحاره
في مائجٍ مُتَلَتِّمٍ بخطاره
ويروع وحش البحر صَمْتُ قراره
حتى أُتْحِنَ فكنَّ من أخباره
يطلعُ بها زمنٌ على حُضَارِهِ
يا من غدا التاريخُ من آثاره
حربَ الفدائيين من أنصاره
والكونُ كيف يضيّق عن أحراره
يجري الدمُ القاني ومن أظفاره
«داودُ» لما يَشُدُّ في مزماره
والبرقُ، بعضُ دخانه وشراره
أنَّ المأمَنَ هن من أخطاره
ودمُ الجنايةِ صارخُ بيساره
كالليلِ بدَّده الضُّحَى بمناره

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره
جاب البحارَ إليكم حتى إذا
هذا الذي قدر الإلهُ حياته
الأعزلُ المنفِيُّ فارق قيده
عجبًا يُخَافُ مطاردٌ بجزيرة
فَيَجْشَمُ المنفى البعيدَ بصخرة
تخشى أساطيلُ الغزاة عبوره
سَيرٌ من الأمجاد لم يُسَمَعْ بها
تلك البطولةُ لم تكن يومًا ولم
قم حدثُ التاريخ غير مُكذَّبٍ
أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا
والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحماؤها
والغاصبُ السَّفَاحُ من أنيابه
يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم
تحت الرَّمادِ وميضُ نارٍ، فالدجى
رُدُّوا السلامَ إلى الحوادثِ تشهدوا
حملَ البشيرُ قميصَهُ بيمينه
هذا ضياءُ العدلِ بدَّدَ ظلمهم

* * *

سعدُ أهلٌ به وسعدُ جاءكم
فاستقبلوه كعهدكم وتخيروا
قالوا: نفييت! فهل نفي عنك الهوى
لا تلح من كفروا بدعوتك التي
آثامهم فزعت بخالقهم فدع
والله لو لمسوا فؤادك لانتنوا
ومحا سناه ظلام أنفسهم وما
الشعب مثل البحر إن يغضب فما
ورجاله الأبطال، ويح رجاله
خاضوا الحتوف فما انتنت عزماتهم
طلعوا على حصن الظلام فزحزحوا
قذفوا به غضب السرائر فانظروا
أمسى ورايات الجهاد خوافق

بالحق أبلج في سماء دياره
لجبينه العالي مضفر غاره
ظلم سقيت الأمس كأس عقاره
وضحت وخل أذى المسيء وداره
لله حكم الله في كفاره
جزعين مما لامسوا من نارِه
حملن من نل النكوص وعاره
تقف السدود الشم في تياره
لم يهدوا والظلم في تهداره
عن قاهر الوادي وعن جباره
أحجاره ومشوا إلى أغواره
للحصن يسقط في يدي ثواره
حمر منشرة على أسواره

شهيد ميسلون

مهلاً! فديتُك، ما الصباحِ بواضحِ
فَجَاءتُكَ بالشوقِ الملحِ البارِحِ
ووثبتَ في غَسَقِ الظلامِ الجانِحِ
حَمْرَاءُ تُرْعَشُ في وميضِ لامِحِ
هوجاءُ تُنذرُ بالقضاءِ الجائِحِ
هانَتْ على سيفِ المغيرِ الطامِحِ
تَرَعَى خُطَاكَ على رُبَى وأباطِحِ
بجوانِحِ مشبوبةِ وَجَوَارِحِ
أيقنتَ أَنهمُ فريسةُ جارِحِ
السابحونَ على السَّعيرِ اللافِحِ
شَتَّى جَمَاجِمِ في الترابِ طرائِحِ
مُهَجًّا تَضَرَّمُ في حُطامِ صفائِحِ
أَلْفَيْتَ، ما أَلْفَيْتَ غيرَ جرائِحِ
دمويةِ، ورأيتِ أَيَّ مذابِحِ
ماجتُ بباغِ في دمائِكِ سابِحِ
ذاتُ الجلالةِ تحتِ سيفِ الفاتِحِ!
شَمَاءَ من جَلادِها المتصايِحِ
في «ميسلون» دَمَ الشهيدِ النازِحِ

هَبَّ الكميُّ على النفيرِ الصَّادِحِ
أَيُّ الملاحمِ بينَ أبطالِ الوغى
فقضيتَ ليلَكَ لا هدوءَ ولا كَرَى
والشرقُ من خلفِ الجبالِ غمامَةٌ
سَلَّتْ حرابَ البرقِ فوقِ سمائِهِ
هي صيحةُ الوطنِ الجريحِ وأمةُ
قَرَنْتَ بحظِّكَ حظَّها فتماسكتُ
في موكبِ الفادينِ مجدُ «أُمِّيَّة»
لو قَسَّتْهم بعدوُّهم وسلاحِهِ
الخائضونَ الفَجَرَ بحرِ مصارعِ
الناهضونَ على السيوفِ وتحتها
الرابضونَ على الحصونِ خرائِبًا
صرعى ولو فَتَنَّتْ عن أجسادِهِم
يا «ميسلون» شَهِدْتَ أَيَّ روايةِ
ووقفتِ مُتَحَنِّةَ الجراحِ بحومةِ
تتأملينِ «دمشق» يا لهوانِها!
جَرَّتْ حديدِ قيودِها وتقدَّمتُ
نَسَيْتُ أليمِ عذابِها وتذَكَّرْتُ

من هبَّ في غسق الظلام يحوطها
وتَسَمَّعتُ صوتًا فكان هتافُهُ
أُمَّاهُ! خاننتني المقادر فاغفري
بذراعٍ مقتتلٍ وصدْرٍ مُكَافِحِ
يا للحبيب من المحبِّ البائِحِ!
قَدَرِي، وإن قَلَّ الفداءُ فسامحي!

* * *

«فيحاء» إن نَصَّتْ حواليكِ القرى
وتواكبُ الفُرسانُ فيك وأقبلوا
وشدا الرعاةُ الملهمون وأغرقوا
أقبلتُ بين صفوفهم مُتَقَرِّبًا
حيث الشهيدُ رنا لمطلع فجرِه
وتَلَفَّتْ لِكِ رُوْحُهُ فتمتَّلتُ
حيث الرُّبى في «ميلسون» كأنما
وكأنما غَسَلَتْهُ «بغدادية»
أسعى إليه بكلِّ ما جمعتُ يدي
وهو الجدير بأن أُحْيِيَّ باسمِه
من كلِّ حُرٍّ، نافِضٍ مما اقتني
أو كُلِّ فادٍ بالحياة عَشِيرَهُ

* * *

قُلْ للدعاة المحسنينَ ظنونهم
لا تُغريَنَّكم وعودُ محالفٍ
تمضي السنون وأنتم من وعده
والله لو حسر القناع لراعكم
من كلِّ مَصَّاصِ الدماءِ مُنَوِّمٍ
بالغرب: ماذا في السَّرابِ لماتِحِ؟
يطأ الممالك بادِّعاءِ مصالِحِ
تَنَقِّلبون على ظهور أراجِحِ
قَبْرُ أَعْدَاءِ لِكُمْ وَخِنْجَرُ ذابِحِ
يُدْعَى بمنقذِ أمةٍ ومُصالحِ!

* * *

يا «يوسف» العظمت غرسك لم يَضَعْ
قُمْ لحظةً وانظُر «دمشق» وقُلْ لها:
وجنَّاهُ أخلدُ من نتاج قرائِحِ
عاد الكميِّ مع النفير الصَّادِحِ

شَهِيدٌ مُسَلِّون

ودعاكِ يا بنتَ العروبةِ فانهضي واستقبلي الفجرَ الجديدَ وصافحي!

سوريا وعيد الجلاء

تحية واعتذار

يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَارَا
لَمْ يَمْتَشِقْ فِيكَ سَيْفًا أَوْ يَخُضْ نَارَا
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَامًا وَأَسْوَارَا
دَمًا يُرَوِّي الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَا
يَوْمَ تَبَارَكَ أَنْدَاءٌ وَأَسْحَارَا
عَرُوبَةٌ فِيكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالِدَارَا
نَارًا، وَهَاجَ النَّسِيمُ الْعَذْبُ إِعْصَارَا
شَدَّتْهُ قَوْسًا، وَسَلَّتْ مِنْهُ بَتَّارَا
مَدَّ النَّبُوغُ لَهُمْ فِي الْخَلْدِ أَعْمَارَا
سَمَّاهُمُ الْغَاصِبُ الظَّلَامُ ثَوَارَا
عَلَى الطَّوَاغِيَتِ حِصْنُ الظُّلْمِ فَانهَارَا

هَنَأْتُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَارَا
دَمَشَقُ! يَا بَلَدَ الْأَحْرَارِ، أَيُّ فِتْنَى
ذَوْدًا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ، مِنْ دِمِهِ
زَكَّتْ «أُمِّيَّةٌ» فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرَفَهُ
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلَ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
لَوْلَا مِصَابُ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
وَرَوَّعَ الْأُمَّةَ الْغُلْبَاءَ فِي رَجُلٍ
مِنَ النَّوَابِغِ أَعْمَارُ إِذَا قَصُرَتْ
أَحْرَارُ مَمْلَكَةٍ فِي الرَّأْيِ مَا أَثْمُوا
ثَارُوا عَلَى الْقَيْدِ حَتَّى انْحَلُّوا، وَاقْتَحَمُوا

* * *

أَطْوَى بِهِ الْجَوَّ آفَاقًا وَأَقْطَارَا
تَحْتَ الصَّفَائِحِ مَقْدَامًا وَمِغْوَارَا
مَا يَنْظُمُ الْمَدْحَ الْحَانَا وَأَشْعَارَا!

لَوْلَاهُ كَانَ إِلَيْكَ الْبَرْقُ رَاحِلَتِي
وَجِئْتُ «فِيحَاءُ» أَزْجِي الشَّعْرَ مُفْتَقِشْدًا
وَالْمِفْتَدُونَ، شُرَاةُ الْخَلْدِ، قَلَّ لَهُمْ

في عالم الذكرى

محمد صبري أبو علم باشا

رغم الفراق بهذا العالم الفاني
عن صفحتي مَرِح في الخلد جَدْلانِ
عينين حَدَّثَتَا عن رُوحِ فَنَّانِ
كعهديه، وأراه مِلء وجداني
ما في طباعك من حُسْن وإحسانِ
أُنْكِ بحكمتهم أحلامَ شُبَّانِ
في منطقِ جهوريِّ الصَّوتِ رنَّانِ
وفي النَّرى منه زاهرٌ، فوق أفنانِ
فلم تَرعُه بأشكالِ وألوانِ
لا خوفَ بطشٍ ولا زُلْفَى لسلطانِ
حرًّا، ويجري حبيسًا بين شيطانِ
شَتَّى روائعٍ في حقلِ وبستانِ
عنه، ويُغرِقُ فيه كلَّ بهتانِ
لا يأمن العدلُ فيه سطوةَ الجاني
صُنْعُ السماءِ تُرى؟ أم صُنْعُ إنسانِ؟

ألقاك في عالم الذكرى وتلقاني
أرنبو إلى وجهك الضَّاحي فيشرقُ لي
وأجتلي لَمَحَاتِ العبقريَّةِ في
لأنتَ حيٌّ برغم الموت، أسمعُه
عذبُ البيانِ، سَرِيُّ اللفظِ مازجُه
يُنْكِ الشيوخَ بأحلامِ الشبابِ وكم
أصْغِي إليك، عميقَ الفكرِ، ملتَمِعًا
كالغيثِ يلمعُ في الأفاقِ بارقُه
عفُّ الضميرِ حوى الدنيا بنظريتهِ
مُقَيَّدٌ بعريقٍ من خلائقهِ
كالنهرِ يقتلع الأسدانَ، منطلقًا
يُعْطِي الحياةَ لأقوامٍ وينشرها
تمثَّل الحقُّ يرمي كلَّ شائبةِ
حامي القضاءِ وراعي العدلِ، في بلدِ
ورافعُ الصَّرحِ لاستقلاله، عَجَبًا!

هذي المواكبُ من قاصٍ ومن داني
صدى هُتافِكَ في جنَّاتِ رضوانٍ؟
يا صاحبَ الخلدِ هذا يومُكَ الثاني!

صبري! أحقُّ طواكَ الموتُ؟ كيف؟ وما
كالأمسِ ضَجَّتْ فهل أَسْمَعَتْ هاتفها
قُمْ بَشْرَ الحَقِّ واخطبْ في كتابِهِ

* * *

حينَ الشَّبابِ رُؤى غيِّدٍ وألحانِ
كهلاً يُصاوِلُ عن أهلٍ وأوطانِ
بحبها، مَنْ لهذا المَدَنفِ العاني
عادي الرِّدى، وهو لا واهٍ ولا واني
سيفاً خضيباً وجُرْحاً من دمِ قاني!

يا واهبَ الثَّورَةَ الكبرى يَفَاعَتَهُ
وصاحبَ العهِدِ لم يطرحْ أمانتَهُ
وَقَفْ على مصرَ هذا القلبِ مُتَّقِداً
قد استبدَّتْ به، حتى استبدَّ به
يا للشَّهيدِ صريعاً ملءِ حومتِهِ

* * *

هيهاتَ يُسَلِّمها دهرٌ لنسيانِ
على مَسامعِ أَجْيالٍ وأزمانِ
أوطانَهُم، وأناشيدُ لفرسانِ
على أساسِ من الشَّورى وأركانِ
بسيفِ باغٍ ولا أَصْفادِ سجانِ
على دموعِ وآلامِ وأشجانِ
فيما يَرى الجيلُ من مرفوعِ بنيانِ
وسائلِ الأثرِ الباقي: مَنْ الباني؟

هذي الصَّحائفُ من مجدٍ ومن شرفِ
نخائرِ الوطنِ الغالي يُرْتَلُّها
فيها أغانٍ لعشاقٍ قد افتقدوا
أحرارُ مملكةٍ أرسوا دعائمها
لم يَرْهَبُوا سَوطَ جَلادٍ ولا حَفَلوا
ولا أقاموا على ذلٍّ وإنْ نهبوا
همو البُناةِ وإنْ لم يذكروا يَدُهُم
لا تسألنَّ الضحايا عن مآثرهم!

* * *

بالقلبِ، إلَّا وهاجت نارَ أحزانِ
أأربعونَ مَضَّتْ؟ أم مرَّ عامانِ؟
وأنسيَتِ كلماتي شَدُوَ أوزاني
قد صاغه الله من حقٍّ وإيمانِ
وقبَلتْ جُرْحَها في قلبه الحاني!

نكراركَ ما سنحت للفكرِ، أو عَبَرْتَ
فَزَعَتْ منها إلى الأوهامِ أسألها
قد أذهل الخطبُ شعري عن شواردهِ
فجئتُ أُجربِهِ دمعاً في يدي رجُلِ
هذا الذي باركتُ مصرُ زعامتَهُ

الأمير المجاهد

رزءُ النُّهَى وفجيعَةُ الأَقلامِ
بصفوفهم مستقتلٍ مَقْدَامِ
في الشرقِ وحىَ يراعَةٍ وحسامِ
أصريحِ حربٍ أمَ شهيدِ سلامِ؟
خُضَّتْ الحياةَ كثيرةَ الألامِ
هُوجٌ وموجٌ مُزْبِدٍ مترامي
مُتَجَبِّرٍ، أو غاصبٍ ظلامِ
في موكبٍ من نائدين كرامِ
متجمِّعين على هوى ووثامِ
سيلُ الرُّبى وشوامخ الأعلامِ
دَعَاَ النفوسَ وصحَّةَ الأجسامِ
قلماً يصاولُ دونه ويحامي
في الله عَن عربٍ وعن إسلامِ

رزءُ العروبةِ فيكَ والإسلامِ
هو مَأْتَمُ الأحرارِ في متوئبِ
أبأ المثاليين صوتكُ لم يزل
وَنَدَاءَ فادِ تسألُ الدنيا بهِ
لخلاصِ دارٍ أو فكاكِ عَشيرةِ
واجتزتِ جِسْرَ العمرِ بين عواصفِ
وشهرتها حرباً على مستعمرِ
تَلَقَى ببسمتك العريضةِ نارها
متفرِّقين على البعادِ منازلًا
كالبحرِ ماجٍ وفي غواربه التَّقَى
وقفوا الحياةَ على الجهادِ وقربوا
إرثُ الجدودِ الصيدِ أنتَ وهبتهِ
وشبابٌ مهذورِ الدماءِ مجاهدٌ

* * *

مَسْحُورَةَ الأفنانِ والأكمامِ
أعلامُ آلهةِ على أطامِ
مسرىَ البيانِ ومسبحُ الإلهامِ

الشاعرُ الغرَّيدُ نازحُ جَنَّةِ
أفياؤها ظلُّ الدهورِ، وأرزها
قامت على جَبَلِ أشمِّ، سماؤه

تُهدِي إليه بكل مغربِ كوكبٍ
أُمُّ تَحَنُّ إلى لقاءِ نجيبها
أشواقِ نِضْوِي لوعةٍ وغرامِ
وَأبُّ، هو الوطن المشوقِ الظامي
يَوْمُ الرحيلِ، ولات حين مقامِ
ويتساءلان متى الإيابُ؟ ويومُهُ

مَرَّت «جَنيفُ» بخاطري فتمثَّلتُ
متوَحِّدًا في عُربَةٍ، متوقِّدًا
شَيْخٌ يدبُّ على عصاهُ، وقلْبُهُ
يطوي الثمانين الوضاءَ مَليئَةً
وَجَلَّائِلُ للمأثراتِ موائلُ
هيئات ما أوهتِ قِواه ولا ثنَّتْ
هيئات ما نالت على إرهاقها
هيئات ما شابت بِمُرٍّ مذاقها
طَلَّقُ الجبين على نديِّ شمائلِ
صُورُ الشهيد كأنهنَّ أمامي
بِصبايَةٍ، متفردًا بسقامِ
متوثِّبُ الآمالِ والأحلامِ
بمواكبٍ للذِّكْرِياتِ ضخامِ
وَجَحافلُ للحادثاتِ جسامِ
من خطوه عن غايةٍ ومَرَامِ
من قلبه في نَضْرَةٍ ووسامِ
فيه حلاوةٌ روحه البَسَامِ
كالفجر بين أشعةٍ وغمَامِ

يا ابنَ الإمارةِ نافضًا من إرثها
حيث الغنى والجاهُ فتنَةٌ معشر
صفٌ كيف أبصرتَ الحياةَ وأنت في
ورأيتَ دنيا المالكين بعالمِ
تومي إليك قصورهم وكأنها
ومشيتَ تُنذِرُ والوعى مُتَسَعَّرُ
في حومةٍ من قاهرين تربصوا
عنتِ الشعوبِ لسيفهم فتألَّبوا
يأبى يراعك أن يُفارق راحةً
بيضاءَ ملهمةً البنانِ مزاجها
أخذتَ خناقِ الظلمِ فاستخذى لها
وتعقبتُهُ تهزُّ قبضةً ثائرِ
يَدُهُ لِنَضْرَةٍ مبدأً ونمامِ
عن قومهم متخلفين نيامِ
عزُّ الملوكِ وهيبة الحُكَّامِ
متخوِّنٌ، متلوِّنٌ، هَدَّامِ
عينٌ مقرَّحةٌ وقلبٌ دامِي
والأرضُ غرقى في دمٍ وِضْرَامِ
بالمضعفين منافذَ الأيامِ
يتنازعون مصايرَ الأقوامِ
خُلِقَتْ لردِّ تحييةٍ وسلامِ
فَيُضُّ من الأضواءِ والأنغامِ
وارتدَّ يستر وجهه بلِثامِ
فإذا الحديدُ بها صديقُ حطامِ

وإذا الحصونُ الشامخاتُ حجارةٌ
وإذا المجاهدُ تحتَ غارِ جهادهِ
روحٌ يَهزُّ الشرقَ من أعماقه
وَيَدُّ تُعَانِقُهُ برغمَ مَنِيَّةِ
منثورةٌ، والنارُ سُحِبُ قَتامِ
طُهرُ اليدينِ مُخَضَّبُ الصمصامِ
وسَنًا يَمزُقُ عنه كلَ ظلامِ
وَفَمٌ يُقَبِّلُهُ برغمِ حمامِ

مصرع سياسي

كم شهيدٍ فيك مهذور الدماء
كلُّ غالٍ من متاعٍ ودمٍ
إيه يا مصرُ، خُذي ما شئتَه
قيل: أودي «بأمين» قاتلُ
كيف يُودي بفتى من خُلِقِه
كمن الغدر له، ثم رمى
صاعدًا يرقى على سُلْمِه
دمُه المسفوك حُبٌّ وندى
ورحيقٌ عَطِرٌ من نفحه
وهوى للوطن الحر الذي
لو أتاه نباٌ عن قتله

لا تُراعي! أنتِ أمُّ الشُّهداء
لكِ يا مصرُ، وما عزُّ الفداء
ولداعي المجد منا ما يشاء
كيف يُودي ببنيك الأُمْناءُ
كلُّ معنَى من سماحٍ ووفاءٍ
عن يدٍ عسراءٍ شعواءٍ الرِّماءُ
دَرَجَ المجد ومرموق العلاء
ومزاجٌ من حياءٍ وإباءٍ
يَنتمَلُ الأعداءُ قبل الأصدقاء
خرَّ في حومته بعضُ نماءٍ
قال: وهمُّ وأحاديثُ افتراءٍ

* * *

فتنةٌ حمراءُ شَبَّتْ نارها
عربدتُ هوجاءً واستشَّرتُ قُوى
باطلٌ، إن مرَّت الرِّيحُ بهِ
وإذا ما لمح النُّورَ جَرى
لا تقولوا: طائشٌ في رأيه
شهواتٌ ينتحينَ الأبرياءُ
واستبدَّتْ بعقول الضعفاءُ
طارَ عن صاحبه وهو هباءُ
وتخفَى تحت جُنحٍ من مساءٍ
إنما الرأيُ من الغدر براءُ

إِنَّمَا النَّاسُ لَهُمْ آرَاؤُهُمْ وهو الأحرار فيها الطُّلُقَاءُ
وعلى ودِّ وبرِّ وهدى لهمو فيها فراقٌ ولقاءٌ
غير ما مسَّ دمًا فاجهرُ به وَتَحَدَّ الحاكمين الأَقْوِيَاءُ
واذكر الأوطانَ لا تأخذُ بما يكتبُ الحقدُ ويُمليهِ العداةُ
ليس منْ مصرٍ ولا من أهلها مُزهقُ الأرواحِ أو مُجري الدماءِ

* * *

يا زعيمَ الشعبِ هذي محنةٌ فوق ما يحمل طوقُ الزعماءِ
ليست الأولى وقد كُنْتَ لها غَرَضًا، منه لك الرُّوحُ وقاءُ
قَدَّرَ اللهُ، وما قَدَّرَهُ ليس يُعْفَى منه سكانُ السماءِ
من يكن مثلكَ في إيمانه كيف أدعوهُ لصبرٍ أو عزاءِ
إنني أرثي لمصرٍ رجلًا مصرُ منا فيه أحرى بالرتاءِ!

أرواح وأشباح

١٩٤٢

الإهداء

إلى صاحب تاييس وسافو وأفروديت والزنبقة الحمراء صديقي الكاتب الكبير
أحمد الصاوي محمد.
تحية لأدبه وحبه.

علي محمود طه

هذه الأرواح والأشباح

بقلم علي محمود طه

هذه الأرواح، تهيم أشباحها ويدور حوارها في صفحات هذا الكتاب، يعيش بعضها في عالم الحقيقة، ويضطرب البعض الآخر بين عالمي الأساطير والخرافات، لم أسع إليها عن عمد، ولم ألقها مصادفة، ولكني تبينتها صوراً يتمثلها خيالي، وحديثاً يتردد في خطرات نفسي، فوجدت مطابقة بينها وبين أشخاص قرأت لهم وسمعت عنهم، ورأيت اتفاقاً ومواءمة بين ما نزعوا إليه في عالم الروح وما صنعوه في عالم المادة؛ فعرضت للطبائع والغرائز والأهواء، واستعرضت الوقائع والآثار والأسماء، فأيقنت أن كلاً يكاد يكون المعنيّ بهذا الحوار، المتسقة طبائعه وغرائزه على هذا الغرار.

وحبب لي هذا الجو الإغريقي الساحر، وأساطيره الغادية الشادية، أني وأنا أتمثل هذه الأرواح صوراً، وأستلهمها إحساساً وفكراً، خيل لي أن روحي قد انسرقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة، أو لحظات الشرود الإلهي، مأخوذة بما ترى، مشفقة مما تسمع، وكأني بها وراء سحابة في عالمها الذي سبق لها أن عاشت فيه عند بعثها الأول، ووجدت نفسي في طريق أفلاطون ومثله العليا، فتنفست في هذا الجو طليقاً حرّاً لا تقيدني بيئة أو عقيدة، ولا يحد من حريتي حذر أو اتهام، وأرسلت بصري في هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهت البصر، فإذا أبواب سحرية موصدة، وراءها خفايا وأسرار، وقضايا وأقدار، وإذا بي عند ختام قصيدتي لا أزال في ذات الطريق لم أصل إلى غاية، ولم أوف على نهاية.

وفي عالم الأسرار والأقدار سمعت حوارًا يجري بين حوريات، من صواحب الفن ورباته، هن: سافو، وبليتيس، وتاييس، ورأيت بينهن إلهًا عجيبًا فذاً يحكم بينهن، ويقضي فيهن، وجدت «هرميس» الذي لا مثبه له بين آلهة الإغريق، في تعدد صورته، وتنوع مذاهبه، وتنافر طبائعه، وتناقض وظائفه، إله عجيب شاذ، لائق حقًا بالمهمة الموكل بها في هذه القضية، ومن غيره إله له في الروحيات والماديات؟ له في التجارة والكسب، وله في الخداع والدهاء، له في الجد والعبث، وله في الشعر والغناء، يجمع بين النزعات العليا، والرغبات السفلى، يلهم الشعراء، ويرعى القطعان، ثم هو بعد ذلك وقبله، لص أو إله للصوص؟

من غيره إله متناقضات حقًا، يحكم بين صاحبات الفن ورباته؟ والحياة لا تذلّهن إلا بهذا التناقض، ولا يرين لها جمالًا إلا من خلال أمزجتهن الرقيقة المتقلبة.

لم يكن غير «هرميس» ليحكم بين هذه الأرواح العابثة، اللاهية، المرحة الغاوية، المتألّمة المعذبة، اللطيفة المتكبرة، ولم يكن لهن غير هذا الإله القوي العجيب، الخبير بالمرأة حقًا، الذي يعرف جمالها ودلالها، ويدرك سرها الذي رآه ووعاه في «أفروديت» ربة العشق وإلهة الصباية. ولم يكن لهن غير إله مرح، قادر، ماهر، يتعقب الحوريات ويلعب معهن، وتتحدى قوته العمالقة ويعبث مكره بالآلهة. وما رأيك في إله سرق ليلة مولده خمسين ثورًا من قطيع الأوليمب السماوي، وجد بينها في كهف «بيلوس» متلبسًا بإثمه؟ ثم هو بعد ذلك قاتل العملاق «أرجوس» وقائد «هيراكليس» إلى عالم الظلمات.

وهذه «سافو» ربة الشعر الغنائي والأماديج والأناشيد التي يراها «سوينبرن» أعظم شاعرة عرفها التاريخ، والتي اضطربت حياتها في محيط اللذات والآلام، أحبت الرجال ثم اجتوتهم، ووصمت بهذا اللون المريض من العشق، حتى قيل: إنها كانت تعد في «لسبوس» كاهنة الرذيلة، ثم هي هذه المحبة الوامقة التي انتحرت من أجل معشوقها الملاح الميثيليني «فاون» الذي كان يعطر «فينوس» أجمل الرجال!!

هذه المرأة الواقعية، ما سر شذوذها المزعوم؟ وما سر صاحبته «بليتيس» الخرافية؟ السر هو ما يعلل به العلماء هذا الانحراف الجنسي، هو الشعور العميق بالازدراء والامتهان من الجنس الآخر، هو الخيبة الشديدة في الحب، والإخفاق الأليم فيه، يصدّم العصب الإنساني فيهزه هزًا عميقًا عنيفًا يختل له نظامه، وهذا ما يتجلى في حوار الشاعرتين، وما يعبران عنه بالذات في مقطع «دنيا النساء».

أما «تاييس» تلك الراقصة الفاتنة اللعوب، التي لا تستقيم حياتها الخاصة بغير الرجال وغير موداتهم، والتي لا ينمو فنها ولا يتفتح ولا يزدهر، إلا في أجواء محبتهم

هذه الأرواح والأشباح

وإعجابهم وتحت أشعات أبصارهم وبين رفيف شفاههم وقلوبهم، هذه المرأة الذكية القلب لم يكن لها غير أن تدافع عن الرجال؛ لأن الحياة كما تعرفها وكما خبرتها لا معنى لها بدونهم، ولا بهجة فيها إلا بهم، وإن عطفت على بنات جنسها في بعض أقوالها، فذلك من البديهيّات التي لا خلاف عليها.

فإن كان ثمت فرق محسوس بين نزوع هذه الأرواح في السماء، وبين صنيع أصحابها في الأرض، فهو الذي تقضي به طبائع الأشياء، ويستقيم به المنطق، فكل روح قد سمعت بحديث الخير والشر، وتأثرت به وطبعت على ما هيئت له وهي في صحبة الآلهة قبل حلولها في أطيافها الأرضية، وهيئات أن ندرك في أقوالها مدى عنفها ولينها، وحبها وبغضها، وسخطها ورضاها، وسلامها وخصامها، وهي روح مجرد في العالم المعقول، كما نرى ذلك ونلمسه في أفعالها، وهي مزاج من روح وجسه في العالم المنظور، وهذه الأطياف الأرضية، سجون أرواحنا، مثار الأهواء الآثمة، ومستقر الغرائز الدنيا.

الشخصيات

هرميس: ابن الإله جوبيتر، وزوج أفروديت إلهة الصباية، ووالد هرما أفروديت الفتاة العجيبة الشاذة المعروض تمثالها في متحف اللوفر بباريس، وهو رسول آلهة الإغريق، إله البلاغة والموسيقى والوحي، ومبتكر جميع الفنون، ومخترع القيثارة في طفولته، وتروي الأساطير حوادث كثيرة عن رجولته ومغامراته الغرامية، وقد أقام له الإغريق شتى المعابد في كثير من أنحاء اليونان وجزائرها كما نصب له الرومان أجمل التماثيل وقيل: إنه المكلف بقيادة الأرواح الآتمة إلى الجحيم.

سافو: شاعرة إغريقية، ولدت في القرن السادس قبل الميلاد، وأنشأت مدرسة لها في جزيرة «لسبوس»؛ لتعليم الفتيات الشعر والموسيقى وكانت لسبوس في ذلك العهد أشد جاذبية من أثينا لرجال الأدب والفن وأحفل منها بمباهج الحياة، ومرادًا فانتًا للهو والقصف، وقد تغنّت سافو في شعرها بالحب والجمال والأهواء العنيفة المضطربة بين الفتون والمرح، واشتهرت بين بنات جنسها بالمذهب السافي في ملذات الحب.

تاييس: راقصة أثينية، غير القديسة التي وضع فيها أناتول فرانس قصته المشهورة، ولدت قبل الميلاد بأربعة قرون. وكانت فاتنة مرحة أكثر ما تكون المرأة فتنة ومرحًا حتى أسكرت بأنوثتها شبان أثينا، وكانت صاحبة فن في حياتها وغواية لكثير من أرباب الخيال وأفذاذ الرجال، ومن عشاقها الشاعر الأثيني «مناندر» وقد تسلطت على الإسكندر الأكبر. وصحبته في فتوحاته الآسيوية وقيل: إنها التي قدمت إليه المشعل الذي أحرق مدينة «برسبوليس»، وفي رواية أنها هبطت مصر وأغوت بطليموس بجمالها حتى تزوج منها.

بليتييس: هي الشاعرة الخرافية التي خلقها إبداع الشاعر الفرنسي «بيير لويس»، وأفرد كتاباً لأشعارها المزعومة باسم «أغاني بليتييس»، وهي مجموعة من الشعر الغنائي الذي يتحدث بالغزل المكشوف، والحب الملتهب، ويرمز إلى رغبات الجنس المكبوتة، وهي صورة محرفة من الشاعرة سافو، وقد ولدت في القرن السادس قبل الميلاد على شاطئ «الملاس» بالقرب من «بانفلي»، ثم انتقلت في صباها إلى «لسبوس»، حيث قضت حياتها في الحب والبؤس والتهتك، وكانت معاصرة لسافو ومن صواحباتها الحبيبات.

الأرفسي: نسبة إلى شاعر إغريقي كان يحرك الجماد والنبات بقوة شعره وسحر غنائه، ويروى أنه أبرع من عزف على القيثارة، وكانت لألحانه خوارق المعجزات حتى قيل: إن مدينة «سيبا» بنيت بسحر إيقاعه، وقيل: إنه أخضع الوحوش الضارية لغماته، فكانت تقبل من كهوفها على أصدائها وترقد تحت قدميه مصغية إليه، وفي الأساطير أنه أحب «يوريس» وكانت فتاة بارعة الجمال فتزوجها، وفي ليلة العرس لدغتها أفعى في أثناء رقصها فماتت لساعتها، وحن «أرفيوس» حزناً عليها، فاقتحم أرض الفناء وأخذ يوقع على قيثاره أمام «بلوتو» ملك الموت، أشجى أنغامه المتفجرة لوعة وحزناً، فتأثرت زوجته «برسيفون» من أنغامه وعطفت زوجها عليه، فوعدها بإعادة «يوريس» إليه، على أن يخرج من أرض الموت دون أن يلتفت وراءه، وخرج «أرفيوس» وقلبه يتنصت بين جنبيه لواقع أقدام حبيبته، فلما لم يسمعها نظر خلفه فرأها، ولكنها لم تلبث أن تلاشت من عينيه وتبددت بين ذراعيه الممتدتين للقائها!

الأليمب: مقر آلهة الإغريق وسماء وحي شعرائهم.

السامري: بعد خروج موسى ببني إسرائيل من مصر، واجتيازه البحر في طريق الأرض المقدسة، واعد موسى ربه في طور سيناء، فذهب إلى مواعده وسبق قومه الذين تخلفوا عنه في البرية زهاء ثلاثين يوماً، ولما طال غيبته دبت فيهم الحيرة وتولاهم القلق، فانبرى منهم السامري فصنع لهم عجلاً من الذهب يسمع له خوار عجب، وقد فتن بنو إسرائيل بهذا المعبود الجديد، فباتوا يغنون ويطنون، وقامت أجمل فتياتهم ترقص حوله على ضوء النيران، ونسي القوم مقالة موسى لهم عند وداعه.

مانا: أعظم آلهة الطابو وأشداهم انتقاماً، والطابو معناها المقدس، وهي عقيدة بعض قبائل السود المنتشرين على شاطئ العاج الإفريقي وبعض جزر الشرق النائية، ومن الإيمان بها حلول روح القدس في جسد فتاة بارعة الجمال، يسمونها «عذراء الطابو»

الشخصيات

إذا مسها أحد بشر غضبت أرواح آلهتهم، فثارت البراكين وطغت البحار وعصفت الرياح ولعلعت البروق انتقاماً لهذه العذراء المقدسة.

هاواي: من جزائر المحيط الهادي، اشتهرت بجوها الشرقي الساحر وطبيعتها البدائية الفاتنة، وموسيقاها الفطرية المترجمة عن أرق العواطف وأحب خلجات الحياة.

موسوي: إشارة إلى قصة النبي موسى في أرض مدين، وقد مر بمورد للماء مغطى بحجر ثقيل، تقف دونه فتاتان بأغنامهما على استحياء دون أن تستطيعا الورود من زحام الرجال، فخف موسى لنجدتهما وقدم فرفع غطاء البئر بيديه وقرب الماء لهما وسقى الغنم، وأعجبت به إحدى الفتاتين وأسماها صفورة، فدعته لمرافقتها إلى والدها الشيخ، وكان ذلك وتزوج موسى منها.

الشاعر

إلى قَمَّةِ الزَّمَنِ الغَابِرِ
سَمَتَ رَبُّهُ الشَّعْرَ بالشَّاعِرِ
يَشُقُّ الأَثِيرَ صَدَى عَابِرًا
وروحًا مُجَنِّحَةَ الخَاطِرِ
مَضَتْ حُرَّةً من وثاقِ الزَّمَانِ
ومن قَبْضَةِ الجَسَدِ الأَسِرِ
وأوفتْ على عَالِمٍ لم يَكُنْ
غريبًا على أَمْسِهَا الدَّابِرِ
نَمَتْ فِيهِ بين بناتِ السَّديمِ
وَشَبَّتْ مع الفَلَكِ الدَائِرِ
تُلَقَّنُ سِيرَتَهَا في الحَيَاةِ
وتنطقُ بالمثَلِ السَائِرِ
وتَرَسُّمُ أَسْمَاءٍ ما عُلِّمَتْ
من القَلَمِ المَبْدَعِ القَائِرِ
مَشَاهِدُ شَتَّى وَعَنْهَا العَقُولُ
وغابَتْ صَوَاهَا عن الناظِرِ
وجودُ حَوَى الرُّوحِ قَبْلَ الوجودِ
وماضٍ تَمَثَّلَ في حَاضِرِ

ديوان علي محمود طه

تبدَّى لها، فانجلى شُكُّها
وثابتَ إلى وَعِيَّهَا الذَّاكِرِ
وأصغَت، فمرَّتْ على سَمْعِهَا
روايَةٌ ميلادِهَا الغَايِرِ
هو البعثُ، فاستمعوا واقراءوا
حديثَ السَّمَاءِ عن الشَّاعِرِ!

فِي السَّمَاءِ

يمر روح جميل، هو فنان أذنته الكلمة بالبعث في عالم الأرض، وقد صحبه هرميس ملك الوحي، حتى يجوز به أقطار السماء، فيمران في طريقيهما بحوريات انطلقن في سمرهن، في انتظار بعثهن، فيدور حديثهن الآتي:

سافو:

عَجِبْتُ! مَنْ الْمَلِكُ الْعَابِرُ؟
وَمَنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ الطَّائِرُ؟
أَهْلًا عَلَيْنَا فَمَا سَلَّمَآ
وَلَا صَافِحَ النَّاطِرَ النَّاطِرُ
وَلِلرَّيْحِ حَوْلَهُمَا زَقَّةٌ
كَمَا صَدَحَ الْمِزْهَرُ السَّاحِرُ
أَفِي عَالَمِ الْأَرْضِ بَعَثُ جَدِيدٌ؟
أَمْ الْوَهْمُ مَثَلُهُ الْخَاطِرُ؟

تاييس:

نعم هو روح جميل الإهابِ
يُنِيلُ الرِّيَّاحَ جَنَاحِي مَلِكُ
وَذَلِكَ هَرْمَيْسُ يَسْرِي بِهِ

ديوان علي محمود طه

سُرَى النُّورِ فِي سُبْحَاتِ الْفَلَكَ
عَرَفْنَاهُ ... لَا شَكَّ ... هَذَا فَنِّي
سَيَسْأَلُكَ الْفَنُّ فَيَمْنُ سَلَاكَ
غَدًا تَمَلُّهُ الْأَرْضُ أَلْحَانَهُ
وَيَبْقَى صَدَاهَا إِذَا مَا هَلَكَ!

بليتييس:

إِلَى الْأَرْضِ؟ فليَمِضْ هَذَا الشَّقِيَّ
أَلَا وَلْتَفِضْ كَأْسُهُ بِالشَّجُونِ
جِزَاءً لِمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِنَا
وَمَرًّا كَأَنَّ لَمْ تَلَّاقَ الْعَيُونَ
أَرَاهُ، وَلَمَّا يَزَلُ بَيْنَنَا
أَصَابَتْهُ لُوثَةٌ أَهْلِ الْفَنُونِ
لِئِنْ صَحَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ
فِيَا شَقْوَةَ الْأَرْضِ مِمَّا يَكُونُ

تاييس:

حَنَانِكَ، يَا أُخْتِ، لَا تَغْضَبِي
فَمَا اخْتَالَ زَهُوًّا وَلَا اسْتَكْبَرَا
لَقَدْ كَفَّ عَيْنِيهِ بَرَقُ الْحَيَاةِ
فَمَرًّا بَنَا دُونَ أَنْ يُبْصِرَا
لَنَا مِثْلُهُ فِي غَدٍ غَشِيَّةٍ
إِذَا مَا حَلَلْنَا رِحَابَ التُّرَى
إِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الشَّقَاءُ
فَلَا كَانَ بَعْتُ وَلَا قُدْرًا

أرى في حديثك معنى الرضا
وأسمع فيه هُتافَ الحنانِ
فهلأ ذكرت له إخوةً
حديثهم ملء سَمْعَ الزَّمانِ
أصاروا الفنونَ رُموزَ الأثامِ
واستلهموا الشرَّ سحرَ البيانِ
وأغرَّوا بحواء ما لُقُّنوا
وما حدَّقوا من طريدِ الجنانِ

* * *

ألم تسمعي بفتى شاعرٍ
يُحَمِّلُهَا عِبَاءَ أوزارِهِ
ترشَّفَهَا خمرَةً فانتشى
فألقمها مُرَّ أثمارِهِ؟
أنالَتْهُ أجملَ أزهارِهَا
فأهدى لها شرَّ أزهارِهِ؟
إذا كنتِ يا أختِ لم تسمعي
خُذِي فاقرأي بعضَ أشعارِهِ..

الحية الخالدة

(تاييس تفتح كتابًا وتقرأ من قصيدة الحية الخالدة.)

«وفي قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة وأثر الغريزة فيه، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجًا حيًّا لفنه، فأغوته بمفاتن جسدها، ودفعته بحماسة في غمار ملذات لا يلبث أن يفيق منها، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه، والموقف كله شذوذ واضطراب، وكله عنف وضعف، وهو تصوير لهذه الحية الخالدة التي يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها...».

وَلَقَّتْ زِرَاعَيْنِ كَالْحَيَّتَيْنِ
عَلَيَّ، وَبِي نَشْوَةٌ لَمْ تَطِرْ
وَقَدْ قَرَّبَتْ فَمَهَا مِنْ فَمِي
كَشُقَّيْنِ مِنْ قَبَسِ مُسْتَعِرِ
أَشْمُ بِأَنْفَاسِهَا رَغْبَةً
وَيَهْتَفُ بِي جَفْنُهَا الْمُنْكَسِرُ
تَبَيَّنْتُ فِي صَدْرِهَا مِصْرَعِي
وَأَخْرَةَ الْعَاشِقِ الْمُنْتَجِرُ!!

* * *

أفني حُلْمُ أَنَا أَمْ يَقْظِيَّةٌ؟
وَمِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْخَاطِئَةُ؟

هو الحُبُّ؟ ... لا ... بل نداءُ الحياة
تُلَبِّبُهُ أَجْسَادُنَا الظَّامَّةُ
يَخْفُ دمي لصداهُ الحبيبِ
وتدفعني القدرةُ الهازئةُ
كأنِّي ببحرٍ بعيدِ القرازِ
طَوَى أَفقهَ وَزَوَى شاطئَه

أرى ... ما أرى؟ جسداً عارياً
تَضجُ به الشهوةُ الجائعةُ
أرى ... ما أرى؟ حَدَقِي ساحرِ
تَوَجَّانِ بالنظرةِ الرائعةِ
أرى ... ما أرى؟ شَفَتِي غَادِي
تَرَفَّانِ بالقُبلةِ الخادعةِ
تُسَاقِطُنِي ثَمراً! ما أرى؟
أرى حَيَّةَ الجِنَّةِ الضائعةِ

بعينك أنتِ، فلا تُنكري
صفاتِ أنوثتكِ الشَّاهدةِ
تَمَثَّلْتِ شَتَّى جُسُومٍ وكم
تَجَدَّدْتِ فِي صُورٍ بَائِدَةٍ
نعم، أنتِ هُنَّ ... نعم ... ما أرى؟
أرى الكلَّ في امرأةٍ واحدةِ
لقد فَنِيَتْ فِيكَ أرواحهنَّ
وها أنتِ أيتها الخالدةُ

الْحَيَّةُ الْخَالِدَةُ

لقد كنتِ وحيَ رَخَامٍ يُصَاغُ
فأصبحتِ لحمًا يثِيرُ الدماءَ
وكنْتِ فتَّى ساذجًا لا أرى
سوى دُمِيَّةٍ صُوِّرَتْ من نقاءِ
أنيلِ الثرى قَدَمِي عابِرِ
يعيش بأحلامِهِ في السماءِ
فأصبحتُ شيئًا ككلِّ الرجالِ
وأصبحتِ شيئًا ككلِّ النساءِ!

وكنْتِ أميرةَ هذي الدُّمَى
وصورةَ حُسنِ عزيزِ المنالِ
وكنْتِ نموذجَ فنِّ الجمالِ
أحبُّكَ للفنِّ لا للجمالِ
أرى فيك ما لا تحدُّ النهى
كأنَّكَ معنَى وراءِ الخيالِ
فجرَّدتني رجلًا أشتهي
وجرَّدتُ أنثى تشهَى الرجالِ

دعيني حواءَ أو فابُعدي
دعيني إلى غايتي أنطلقِ
أخمرٌ ونازٌ؟ لقد ضاق بي
كياني، وأوشكُ أن أختنقِ
أرى ... ما أرى؟ لهبًا؟ بل أشمُّ
رائحةَ الجسدِ المُحترقِ!
فيا لكِ أفعى تشهَىئُهَا
ويا لي من أفعوانٍ نَزِقُ ...

المرأة والفن

(بليتييس تضع يدها على صفحة الكتاب في غضب وتمنع تاييس من القراءة.)

بليتييس:

كفانا، فقد جُنَّ هذا الفتى
وجاوز حدَّ الكلام المباح
نكادُ نُحسُّ اختلاجَ النجوم
ونسمع مُضطربًا في الرياح
مريضُ الغريزة، فتَّاكها
حَبَّتُهُ الطبيعةُ أمضى سلاح
سَقَّتُهُ الشياطينُ يحمومها
فمَجَّ الرحيقَ وندمَّ الصباح

* * *

تأنَّم بالفنِّ حتى غوى
وما الفنُّ بالمرأةِ الخاطئةُ
هو الدمُّ واللحمُ ما يشتهي ...
هو الخمرُ والمتعةُ الطارئةُ
وكم في الرجالِ سَعَارُ الوحوش

إِذَا لَمَسُوا الْجُبَّةَ الدَّافِئَةَ
فَلَا تَذَكَّرِي فَنُّ هَذَا الْفَتَى
بَلِ الْحَيَوَانِيَّةِ الْخَاسِئَةُ
رَأَى جِسْمَ حَوَاءَ فَاشْتَاقَهُ
فَهَاجَتْ بِهِ النُّزُوءَ الْمُسْكِرَةَ
سَبَى رَوْحَهَا، فَاشْتَهَى جِسْمَهَا
فَنَارَتْ بِعِزَّةٍ مُسْتَكْبِرَةَ
سَمَا جِسْمَهَا وَتَأَبَّى عَلَيْهِ
فَجَرَّدَ فِي وَجْهَهَا خَنْجِرَهُ
وَهَمَّ بِهَا، فَالْتَوَى قَصْدُهُ
فَأَرْسَلَ صِيحَتَهُ الْمُنْكَرَةَ

أَلَمْ يَنْسِمِ الْخُلْدُ مِنْ عَطْرِهَا؟
أَلَمْ يَغْبِدِ الْحَسَنُ فِي زَهْرِهَا؟
أَلَمْ يَقْبِسِ النُّورَ مِنْ فَجْرِهَا؟
أَلَمْ يَسْرِقِ الْفَنُّ مِنْ سِحْرِهَا؟
شَفَّتْ غُلَّةَ الْفَنِّ حَتَّى ارْتَوَى
وَإِنْ دَنَسَ الْفَنُّ مِنْ طَهْرِهَا
وَهَامَتْ عَلَى ظَمَأٍ رَوْحَهَا
وَكَمْ مَلَأُوا الْكَأْسَ مِنْ خَمْرِهَا

عَلَى مَذْبِحِ الْحَبِّ مِنْ قَلْبِهَا
سِرَاجٌ يُسَبِّحُ مَنْ لَأَلَاهُ
مَنَازٌ يَجُوبُ الدُّجَى لَمَحُهُ
فَتَلْقَى السَّفِينُ بِهِ مَرْفَأَهُ
يَبِثُّ الْحَرَارَةَ بَرْدَ الشِّتَاءِ

المرأة والفن

ويُلْهِبُ شُعَلَتَهُ المطفأةً
وتمشي الحياة على نوره
وما نورُهُ غيرُ عينِ امرأة!

خطيئتها قصَّة الملهمين
وإغراؤها الفرح المُفتقد
بأرواحهم يرتقون الخلود
على سُلْم من متاع الجسد
ولو لم تكن لهوى فنُّهم
صريع الظلام قتيل الجمد
وما الفنُّ إلا سعيُّ الحياة
وثورتها في محيط الأبد

لهيبُ إذا الرُّوح مَرَّتْ به
تضاعفت الرُّوح في ناره
يُطيقُ القويُّ لظى جمره
ويعشو الضعيفُ بأنواره
رَمَتْ فيه حواءُ آثامها
فذابت على صمِّ أحجاره
لقد قرَّبتُ جسداً عارياً
وقلباً يَضُنُّ بأسراره

الأصلُ والمثالُ

أمن صنعة الله هذا الجمال؟
نعم، ومن الفنُّ هذا المثال!
على معرضٍ مرمريِّ الدُمى
تَرامى أشعتهُ والظلالُ
تماثيلُ من جسدِ فاتنٍ
تأبى على شهواتِ الرجالِ
حَبَّتْهُ الطبيعةُ أسرارها
ولاقى الحقيقةَ فيه الخيالُ

ثَوْرَةٌ

سافو:

لقد أخذتُنا شجونُ الحديثِ
وكم في حديثِ الفتى من شجونِ
سَمَرْنَا به وجهلنا اسمَهُ
وما حظُّه من رفيعِ الفنونِ؟
أمن ربيّةِ الشعرِ إلهامُهُ؟
أم الوترِ «الأرُفسيّ» الحنونِ؟
أم المرمَرِ الغضِّ يجلو به
رفيفَ الشفاهِ ولمحِ العيونِ؟

بليتييس:

هبي وحيه من سماءِ الأولمبِ
وألّهةِ الحكمةِ الغابرينِ
فما هو بالملكِ المستعزِّ
ولكنّه الأدميُّ المَهينِ
وما الأدميةُ بنتُ السماءِ
ولكنّها بنتُ ماءٍ وطينِ
يريدُ لها الفنُّ أفقَ النجومِ

ديوان علي محمود طه

فَيُقْعِدُهَا جِسْمٌ عَبْدٌ سَجِينُ!

سافو:

وما فنُّه! ما أراه سوى
أداة مطامعه الواسعة
غداً يستغلُّ غرامَ الحسانِ
سبيلاً إلى الشهرةِ الذائعةِ
يصيبُ بهنَّ خلودَ اسمهِ
وهنَّ قرابينه الضائعةِ
تمنيتُ لو أطلقنا السماءَ
ويا حبذا لو يُعْتِنَا معهُ ...

اِنْتِقَامٌ

بليتييس:

ألا حَبِذا الأَرْضُ مَغْدَى لَنَا
وإن بَشَّرْتُهَا المَنَيا بِنَا
وما الأَرْضُ بِالمَنْزِلِ المَسْتَطابِ
ولكِنَّه تَأْرُ أترابِنَا
لنَشْرِبَ مِنْ دَمِ هَذَا الفَتَى
مُصَفَّى الرَحِيقِ بِأَكوابِنَا
ونَجْعَلُ مِنْ حَشْرَجَاتِ الرِجالِ
تَحِيَّةَ شَأٍ لَأَنْخابِنَا

سافو:

ونَسْلُبُ ما رَزَقُوا مِنْ جِجِي
ونَهْدُمُ ما رَفَعُوا مِنْ قِبابِ
ونَبْنِي لَهُم نُصَبًا خالِداً
يكونُ على الدَهرِ رَمَزَ العِقابِ
تَطوِّفُ بِهِ لَعَنَاتُ السَماءِ
وترصُدُهُ مُثَلاتُ العَذابِ

تاييس:

ولكن أرى غيرَ ما قلتما
وما الغدرُ في الرأيِ كلُّ الصوابِ
إذا خَلَّتِ الأَرْضُ من طيرِهِمْ
فمن ذا يُحْيِي الجمالَ القسيمَ
ومن يُطَلِّقُ الحبَّ من وكرِهِ
على خَطَرَاتِ الغناءِ الرَّخيمِ؟
وفيمَ نُرَقِّشُ هذا الجناحَ
ونصقلُه ببنانِ النعيمِ؟
طيورَ السماءِ! حَذَارِ الوقوعِ
على حَطَبِ في الثُّرى أو هشيمِ؟

دُنْيَا النِّسَاءِ

(بليتييس تخاطب تاييس في ألم وغضب.)

بليتييس:

أَيغريكِ بِالْحَبِّ سَوْدُ اللَّحَى
غَلَاظُ الشَّفَاهِ، الْعَرَاضُ الطَّوَالُ؟
كَأَنَّ الْهَوَى صُنْعُ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ غَيْرِهِمْ كُلُّ عَيْشٍ مُحَالُ؟
إِذَا شِئْتِ كَانَ لَنَا عَالَمٌ
يَحُوطُ الْأُنُوثَةَ فِيهِ الْجَلَالُ
حَمَتِ رِقَّةَ الْجِنْسِ رَبَّاتُهُ
فَلَيْسَ بِهَا حَاجَةٌ لِلرِّجَالِ!
لِكُلِّ اثْنَتَيْنِ هَوَى وَاحِدٌ
تَلَاقَى عَلَى سِرِّهِ مَهْجَتَانُ
وَعُشٌّ يَضْمَهُمَا فِي الْمَسَاءِ
وَرَوْضٌ بِهِ فِي الضُّحَى يَعْثَانُ
وَفِي رَكْنِ خَدْرِهِمَا مَغْرَلٌ
وَفَوْقَ الْأَرِيكَةِ قَيْثَارَتَانُ
وَتَحْتَ الْوَسَادَةِ أَقْصُوصَةٌ

ديوان علي محمود طه

لقلبيين لم يَرَوْهَا عاشقانُ

تاييس:

وماذا تُرى صَنَعَ العاشقانُ؟
وما ذكرياتُ الليالي الحسانُ؟
حديثُك، إنْ لم يكنْ بِدَعَاةٍ
فَحُلْمُ جَرَى في قديمِ الزمانِ
وصيحةُ مُخَفِّقَةٍ في الهَوَى
مُعْرِبِدَةِ الرُّوحِ، سَكْرَى اللسانِ
أعيدُ الأنوثةَ هذا الهوانُ
وفيها الدهاءُ القويُّ الجَنانُ!

الكَيْدُ الْعَظِيمُ

(تاييس مسترسلة في كلامها.)

تاييس:

لنا الكيدُ إن خَدَلْتْنَا الْقَوَى
أَحَابِيلُ شَتَّى وَفَنُّ عَجَابُ
نُلَقَّاهُ عَنْ مَلِكَاتِ الزَّمَانِ
أَقَاصِيصَ لَمْ يَرَوْ عَنْهَا كِتَابُ
وَقَدْ نَسْتَعِيرُ صَفَاءَ النَّمِيرِ
وَقَدْ نَسْتَمُدُّ صِرَاعَ الْعِبَابِ
وَقَدْ نَسْحَبُ اللَّيْلَ فَوْقَ الْقُلُوبِ
وَنُغْرِي الْعَيْونَ بِقَوْسِ السَّحَابِ
نَسَاقِطُهُمْ مِنْ غَوَايَاتِنَا
أَزَاهِرَ تَنْدَى بِمَاءِ الشُّبَابِ
إِذَا لِأَلَّتْ فَوْقَ مَوْجِ الشُّعُورِ
أَثَارَتْ بِهِمْ ظَمَأً لِلْسَّرَابِ
بِأَلْوَانِهَا الْحُمْرُ جَمْرُ الْغَضَا
وَفِي نَفْجِهَا لَفَحَاتُ الْعَذَابِ
هُوَ الْفَنُّ لَا تَرْتَوِي رُوحَهُ

ديوان علي محمود طه

بأشهى من الأرجوان المذاب

هو الحسنُ فتاننا العبقريُّ
هو الحبُّ سلطاننا القاهرُ
ممثلهم ... لُعبَةٌ في يديه
ومثالهم إصْبِغُ فاجِرُ
وأحائهم من فحيحِ العروقِ
يُصعِّدُها الوترُ الساخرُ
ورسامهم صنمٌ مُبصرُ
فإن جُمعوا فهُمُ الشاعِرُ!

قلوبٌ مُدلَّهَةٌ بالجمالِ
ترى فيه معبودها المُلهما
هو الرجلُ القلبُ، لا غيرُهُ
فأودعنه القبسَ المضرمًا
أنمنَ به الشرسُ المستخفَّ
وأيقظنَ فيه الفتى المُغرما
إذا ما اقتحمتنَّ هذا السياجَ
فقد خضع الكونُ واستسلمًا!

سافو:

ولكن حذارِ ففي طبيعنا
ليانٌ يسمونه بالوداعه
وفيهم جراءةٌ مستأسدٍ
تحدى المنيّة باسم الشجاعه

تاييس:

وَهَمَّتْ، فَذَلِكَ هَزَلُ الرَّجَالِ
وَفَنُّ أَجْزَانِ عَلَيْهِمْ خِدَاعُهُ
نُذَيْبٌ بِهِ صُلْبَ أَعْصَابِهِمْ
وَفِي رِقَّةِ الْعُودِ سِرُّ الْمَنَاعَةِ

شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!

سافو:

أَطَلْنَا الْأَحَادِيثَ عَنْ عَالَمٍ
مُلْتَمَّةٍ أَرْضُهُ بِالْخَفَاءِ
جَعَلْنَاهُ مَطْمَحَ أَحْلَامِنَا
كَأَنَّا شَقِينَا بِسُكْنَى السَّمَاءِ
طَوَانَا عَلَى حُبِّهِ شَاعِرٌ
كَثِيرُ الْمَجَانَةِ نَزَرُ الْحَيَاءِ
أَثَارَ الْمَلَائِكِ فِي قُدْسِهَا
وَأَوْقَعَ فِي سِحْرِهِ الْأَبْرِيَاءِ

بليتييس:

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ جَازَ السَّمَاءَ
وَعَرَّرَ بِالْمَلَأِ الطَّاهِرِ
أَيْمَرُحُ فِي الْكُونِ شَيْطَانُهُ
بِلا وَازِعٍ وَبِلا زَاجِرٍ؟
دَعِيَ الْوَهْمَ «سافو» وَلَا تَحْقِرِي
«بليتييس» مَعْجَزَةَ الشَّاعِرِ
فَمَا نَتَّقِيهِ بِحَيَاتِنَا

ديوان علي محمود طه

إِذَا هُوَ أَلْقَى عَصَا السَّاحِرِ

(وكانت تسمع ضجة كلما ارتفعت روح الشاعر في معارك السماء.)

تاييس:

«بليتيس» هَلْ هُوَ ذَاكَ الْخِيَالُ
الْمُجَنِّحُ بَيْنَ حَوَاشِي الْغَيْومِ؟
عَشِيَّةً صَاحَ بِأَتْرَابِنَا
وَقَدْ أَخْطَأَتْهُ قِسِي الرُّجُومِ؟
وَقِيلَ: لَنَا مَلِكٌ عَاشِقُ
يُسْرِي الهمومَ بِنِتِ الكرومِ،
يَجُوبُ السَّمَاءَ إِذَا مَا انْتَشَى
يُعْرِبُ بَيْنَ خُدُورِ النُّجُومِ؟

بليتيس:

أعاجيبُ شَتَّى لهذا الفتى
وأعجبُ منها الذي تذكُرِينِ
كَأَنَّ أَحَادِيثَهُ بَيْنَنَا
أَسَاطِيرُ آلِهَةٍ غَابِرِينَ
إِذَا كَانَ لِلْفَنِّ هَذَا الصِّيَالُ
فَوَا رَحْمَتًا لِلْجَمَالِ الْغَبِيْنِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي فِي إِثْرِهِ
دَرَجْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي الدَّارِجِينَ

تاييس:

أَتُغْوِينِ بِالشَّعْرِ شَيْطَانَهُ؟
خِيَالِيَّةٌ أَنْتِ، أَمْ شَاعِرَةٌ؟

شَيْطَانُ الشَّاعِرِ!

بليتيِس:

بل الشعرُ أسْرُهُ المستبِدُّ
فيا ليتَ لي روحَه الأَسْرَةَ
ويا ليتَ لي وثباتِ الخيالِ
وقوَّةَ أربابِه القَاهِرَةَ
لصيرتُه مُثَلَّةً في الحياةِ
وسُخْرِيَّةَ البعثِ في الأخرَةَ!

الفنُّ الشَّهِيدُ

تاييس:

صفي لي «بليتيس» هذا الأملُ
وماذا ابتدعتِ له من حَيْلٍ!

بليتيس:

أدُّلُّهُ هذا الفتى بالجمالِ
وأُسمِعُهُ من رقيقِ الغَزَلِ
وأورثه جُنَّةً بالرحيقِ
وأحرّمه رَشَفَاتِ القُبُلِ
إلى أنْ تُحَرِّقَ أعصابُهُ
ويصرعه طائفٌ من حَبَلِ

* * *

وأحفرُّ بعد الردى قبرَهُ
هناك على قَمَّةِ الهاويَةِ
وأغرس في قلبه زهرةً
من الشرِّ رويّةً ناميةً
سَقَّتْهَا سمومُ شرايينِهِ

ديوان علي محمود طه

ورفَّتْ بها رَوْحُهُ العاتِيَهُ
تخفُّ إليها قلوبُ الرجالِ
وترجعُ بالشوكةِ الداميَّةُ

* * *

إذا جَنَّهَا الليلُ لاحتْ به
كعينٍ من اللَّهَبِ المضطرمِّ
تثورُ الشياطينُ من عطرِها
كمجمرةِ السَّاحرِ الملتئمِ
إذا استأفها الرَّجُلُ العبقريُّ
تَحَوَّلَ كالحيوانِ الوخِمِ
تضجُّ البلاهةُ من حوله
وينظرُ كالصَّنمِ المبتسِمِ!

تاييس:

هَبِي الشَّعَرَ أَوْلَاكَ مِنْ مُلْكِهِ
سَمَاءَ الأُلُوهِةِ ذَاتِ البُرُوجِ
وَنَصَّ المَعَانِي عَنِ جَانِبِيكَ
فَمِنْهَا السُّرَى، وَإِلَيْكَ العُرُوجُ
فَمَا تَصْنَعِينَ إِذَا مَا بُعِثَتْ
وَاحِدَةً مِنْ بَنَاتِ الزُّنُوجِ
أَلَمْ تَقْرِي قِصَّةَ «السَّامِرِيِّ»
وَمَا صَنَعَ القَوْمُ بَعْدَ الخُرُوجِ؟

جُنُونِ الْحَيَاةِ!

نَبَاً مَنْطِقُ الْوَحْيِ فِي سَمْعِهِمْ
وَحَفًّا عَلَيْهِ رَنِينُ الطَّرْبِ
وَمَدُّوا الْعَيُونَ إِلَى فِتْنَةٍ
تَجَسَّدُ فِي حَيَوَانٍ عَجَبٍ
تَرَامَى بِأَحْضَانِهِ غَادَةٌ
أَفَادَ صِبَاهَا شَبُوبَ اللَّهَبِ
جُنُونُ الْحَيَاةِ وَأَهْوَاؤُهَا
أُنُوثَتُهَا وَبَرِيقُ الذَّهَبِ!

* * *

فَأَيْنَ مِنَ الْقَوْمِ سَحَرُ الْبَيَانِ
وَصَيْحَةُ «مُوسَى» قُبَيْلِ الْوَدَاعِ؟
هُمُ النَّاسُ لَا يَعشُقُونَ الْخِيَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ حَافِزًا لِلطَّمَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَعْبُدُونَ الْجَمَالَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نُهْزَةً لِلْمَتَاعِ
هُمُ النَّاسُ لَا يَأْلِفُونَ الْحَيَاةَ
إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعْرِضًا لِلخُدَاعِ

مَعْرِضُ الْحَيَاةِ!

تماثيلُهُ بعضُ أجسامِنَا
وقد صاغَهَا العبقريُّ الصَّنَاعُ
وَلَوْحَاتُهُ صُورُ العاريَاتِ
إِذَا مَزَّقَ الفَنُّ عنها القِنَاعُ
أبِالشُّعْرِ تُغْوِينَ هذا الفَتَى؟
وهِمَّتِ إِذْنُ وَجَهَلَتِ الطَّبَاعُ!
أليست لَهُ صَبُوءُ الأدميِّ
وشهوةُ تلكِ الذنابِ الجِياعِ؟

فَزَعٌ وَعِتابٌ

بليطيس (في فزع من حديث صاحبتها عن بعثها زنجية):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَلَا تَغْضَبَا
وَكُفَّا العِتَابَ وَلَا تُسْهِبَا
لَقَدْ رُعْتُمَانِي بِهَذَا المِزَاحِ
وَأَبْدَعْتُمَا نَبَأً مُغْرِبًا
سَرَتْ بِي مِنْ ذِكْرِهِ رَعْدَةٌ
كَأَنِّي لِبِسْتِثْ بِهِ الغَيْهَبَا
«أَتاييسُ» لَا كُنْتُ بِنْتُ الزَّوْجِ
وَلَا شِمْتُ أُمَّا بِهِمْ أَوْ أَبَا!

السَّحْرُ الْأَسْوَدُ

بليتييس (ضاحكة من فزع بليتييس قائلة لها في معاينة):

وَصَمَّتِ الْخَلِيقَةَ فِي بَعْتِهِمْ
كَأَنَّهُمُ الْحَدِيثُ الْمُنْكَرُ
وَمَا أَخْطَأَ الطَّيْفُ أَلْوَانَهُ
وَلَكِنَّهُ اللَّهَبُ الْأَحْمَرُ
أَبُوهُمْ، كَمَا زَعَمُوا، أَدَمُ
وَحَوَاءُ أُمَّهُمُ الْمُعْصِرُ
لَهُمْ أَعْيُنٌ تَتَمَلَّى الْجَمَالَ
وَأَفئدَةٌ بِالهُوَى تَشْعُرُ

* * *

لَهُمْ نَارُهُمْ فِي أَقْصَى الدُّجَى
وَأَبْيَانُهُمْ فِي أَعَالِي الْكَهْفِ
وَسِحْرُ الطَّبِيعَةِ فِي عُرْيِهَا
إِذَا هَتَكَ الْفَجْرُ عَنْهَا الشُّفُوفَ
وَنَائِي يُقَسِّمُ فِيهِ الرِّبِيْعُ
وَيَسْكُبُ شَجْوَ الْمَسَاءِ الْهَتُوفَ
وَرَقْصٌ يُمَثِّلُ قَلْبَ الْحَيَاةِ

ديوان علي محمود طه

إِذَا مَا اسْتُخِفَّ بِنَقْرِ الدَفُوفِ

تَفَرَّدَ فَتُنُّهُمُ بِالْخَفَاءِ
وَصِيغَ بِفَطْرَتِهِمْ وَأَتَسَمُ
يَعِيشُ جَدِيدًا بِأُرُوجِهِمْ
وَإِنْ عَاشَ فِيهِمْ بَرُوحَ الْقَدَمِ
لَهُ بِأَسِ «مَانَا» وَإِحَاؤُهُ
إِذَا اضْطَرَبَتْ رُوحُهُ بِالْأَلَمِ
وَرَقَّةَ «هَآوَايَ» فِي شَدْوَاهَا
إِذَا جَاشَ خَاطِرُهَا بِالنَّعْمِ

رُقِيَّةُ!

(سافو وتاييس تشيران إلى بليتييس إشارات السحرة وتنطقان بصوت واحد):

أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ فَنِّهِمْ
سَمُو اللَّظَى وَعَتُو الْجِبَالُ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ سَحْرِهِمْ
فَنُونَ تُعَطِّلُ سَحَرَ الْخِيَالِ
أَلَا فَلْيَكُنْ لِكَ مِنْ نَارِهِمْ
وَشَا حُ مَوْلَاهُ بِالْجَمَالِ
إِلَى الْأَرْضِ فَاَنْتَقِمِي لِلنِّسَاءِ
وَكُونِي بِهَا مَحَنَةً لِلرِّجَالِ ...

عَوْدَةٌ

(الملك وقد عاد في طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع الفنان على أفق الأرض.)

هرميس:

سلامٌ لَكِنَّ عذارى السماء

الحوريات:

سلامٌ لهرميس روحِ الإله

هرميس:

أرى وَمُضَّةَ الشَّرِّ فِي جَوْكَنَّ
وَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّي أَرَاهُ
يلاحقني في رحابِ السماءِ
ويرتجُّ في مسمعيَّ صداه:
«لقد فارقَ البَشْرُ غُرَّ الوجوهِ
وشاعَ الذبولُ بورِدِ الشفاة!»

الحوريات:

أجل، أيها المَلِكِ المَجْتَبَى
صدقناكَ فاغفر عذابَ الضميرِ
لقد مرَّ كالطيرِ من قَرِينَا
فتى في رعاية ربِّ خطيرِ
رأنا فأعرَضَ عنَّا، ولمْ
يُحْيِي السَّمَاءَ بروحِ قَريزِ
تخايلَ عُجْبًا بأوهامِهِ
وأمعن في شَرِّهِ المِستطيرِ

هرميس:

ظلمتَنَ هذا الغلامَ البَريءِ
وقد غَضَّ من ناظرِيهِ الحَذِرِ
أهلٌ بقلبِ كَفَرخِ القَطَا
يرفرفُ تحتَ جناحِ القَدَرِ
رَأكُنَّ فِيهِ وحيًا بِهِ
فلم أدِرِ حاجَتَهُ للنَظرِ!

الحوريات:

وكيف تكلم قلبُ الفتى
وما هو إلا سليلُ البشرِ؟

ابنُ السماءِ

هرميس:

هُوَ ابْنُ السَّمَاءِ وَلَكِنَّهُ
مِنَ النِّقْصِ تَرْكِيْبُهُ وَالتَّمَامِ
صَنَاعُ الطَّبِيعَةِ، بَلْ صُنْعُهَا،
فَمِنْهَا دَمَامَتُهُ وَالْوَسَامُ
يُسْفُ إِلَى حَيْثُ لَا يَنْتَهِي
وَيَسْمُو إِلَى قِمَّةٍ لَا تُرَامُ
وَيُسْقَى بِكَأْسِ إِلَهِيَّةٍ
مُرْنَقَةٍ بِالْهَوَى وَالْأَتَامِ

* * *

نَقِيْضَانِ شَتَّى فَمَا يَسْتَقْرُ
عَلَى غَضَبٍ مِنْهُمَا أَوْ رِضَاءٍ
تَحْدَى الْحَيَاةَ وَالْأَمَهَا
بِبَأْسِ الْجَبَابِرَةِ الْأَعْلِيَاءِ
يَزِيدُ عُتُوًّا عَلَى نَارِهَا
وَيَلْمَعُ جَوْهَرُهُ مِنْ صَفَاءِ
وَيَنْشَقُّ عَنِ نَضْرَةِ قَلْبِهِ

وإِنْ طَمَرْتُهُ ثَلُوجُ الشِّتَاءِ
هُوَ المَرْحُ الشَّارِدُ المَسْتَهَامُ
شُرُودَ الفَرَاشَةِ عِنْدَ المَسَاءِ
حَبَّتُهُ الأُلُوهَةُ رُوحًا يَرَى
وَيَنْطِقُ عِنهَا بِوَحْيِ السَّمَاءِ
يُحَسُّ الخِيَالَ إِذَا مَا سَرَى
وَيَلْمَسُ مَا فِي ضَمِيرِ الخِفَاءِ
وَيَبْتَدِرُ النُّجْمَ فِي أَفْقِهِ
فَيَرشُفُهُ قَطْرَةً مِنْ ضِيَاءِ

* * *

أَرْتُهُ السَّمَاءَ أَعَاجِيبَهَا
وَرَوَّثُهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بَدِيعِ
فَضَنِّ بِلَاءِ هَذَا الجَمَالِ
وِخَافِ عَلَيَّ كَنزِهِ أَنْ يَضِيعِ
أَبَى أَنْ يُبَدِّدَهُ نَاطِرَاهُ
فَأَطْبِقْ جَفْنِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ
فَإِنَّ شَارِفَ الأَرْضِ نَادَتْ بِهِ
فَفَتَّحَ عَيْنًا كَعَيْنِ الرَّبِيعِ

الفنَّانُ الأوَّلُ

هناك حيث تشبُّ الحياةُ
وحيث الوجودُ جنينُ العدمِ
وحيث الطبيعةُ جبارةُ
تشقُّ الوهادَ وتبني القممَ
وحيث السعادةُ بنتُ الخيالِ
ولذتُّها من معاني الألمِ
وحيث الطريدانِ شجَا الكتوسِ
ومجَا صبابتها من قدمِ
رنا، والطبيعةُ في حليها
وحواءُ عاريةُ كالصنمِ
فمن أين سارَ وأنى سرى
تصدتُّه مُقبلةً من أممِ
هناك أولُ قلبٍ هفا
وأولُ صوتٍ شدا بالنغمِ
وأولُ أنملةٍ صورتُ
وخطتُ على اللوحِ قبل القلمِ
فما لكِ حواءُ أغويتهِ
وأعقبتهِ حَسراتِ الندمِ

ديوان علي محمود طه

لقد كان راعيكِ المَجْتَبَى
فأصبحَ رامِيكِ المَتَّهَمُ
ولولاكِ ما ذرَفَتْ عَيْنُهُ
ولا شامَ بارِقَةٌ فابْتَسَمُ
وعاشَ كما كانَ أبَاؤُهُ
يُغْنِي النجومَ ويرعى الغنمَ!

الفنان الأعمى

لأجلك يَشقى بلمح العيونِ
ويُضرعُ بالنظرةِ العابرةِ
لوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصخُ
أو ارتدَّ بالمقلةِ الحاسرةِ
وكم من فتى عزَّها سمعُهُ
وغضَّ على حذرٍ ناظره
عصاها، فنادتْ، فلم يَسْتَمِعْ،
فحلَّتْ به لعنةُ الفاجرةِ

له مُقلتانِ على ما وعى
من الألقى الطُّهرِ مختومتانِ
ففي عقله حركاتُ الزَّمانِ
مُصَوِّرةٌ، وحدودُ المكانِ
وفي قلبه أعينٌ ثرَّةٌ
بها النارُ طاغيةُ العنفوانِ
وفي كلِّ خاطرةٍ نَيْرُكُ
يشقُّ سناه حجابَ الزَّمانِ

إِذَا مَا هَوَتْ وَرَقَاتُ الْخَرِيفِ
أَحْسَّ لَهَا وَخَزَاتِ السَّنَانِ
وَإِنْ سَكَبَتْ زَهْرَةً دَمْعَةً
فَمَنْ قَلْبِهِ انْحَدَرَتْ دَمْعَتَانُ
وَمَنْ عَجِبَ شِدْوَةَ لِلرَّبِيعِ
وَقَدْ يُخْطِئُ الطَّيْرُ شِدْوَ الْأَوَانِ!
وَقِيثَارَةُ الرِّيحِ مَا لِحْنُهَا
سَوَى الرِّيحِ فِي جَفْوَةٍ أَوْ حِنَانِ

* * *

عَوَالِمُ جَيَّاشَةٌ بِالْمُنَى
وَدُنْيَا بِأَهْوَائِهَا تَضْطَرِبُ
مَنْ اللَّأ نَهَائِيَةِ الْوَانِهَا
مَشْعَشَعَةٌ بِالنَّدَى الْمَنَسْكِبِ
فَفِيهَا الصَّبَاحُ، وَفِيهَا الْمَسَاءُ،
وَبَيْنَهُمَا الشَّفَقُ الْمَلْتَهَبُ
تَطُوفُ بِهَا صَدَحَاتُ الطَّرُوبِ
وَتَسْهُو بِهَا أَنَّةُ الْمَكْتَبِ!

حَنَانُ

الحوريات (يخاطبن هرميس):

لَكَ الْحُبُّ فِيمَا أَتَاكَ لَنَا
سَرِيرَتُكَ السَّمْحَةُ الطَّاهِرَةُ
وَمَنْ مَلَكَ مِنْهُ هَذَا الْحَدِيثُ
طُمَأْنِينَةً الْمُهَجِّ الْحَائِرَةِ
عَطَفْتَ عَلَى قَلْبِ هَذَا الْفَتَى
قَلُوبًا عَلَى فَنِّهِ ثَائِرَةً
وَصَوَّرْتَهُ مَلَكًا نَاقِمًا
عَلَى أَدْمِيَّتِهِ الْجَائِرَةِ!!

هرميس:

أَجَلٌ هُوَ ذَاكَ وَلَوْ زِدْتُكُنَّ
لَزِدْتُنَّ عَطْفًا عَلَى فَنِّهِ
وَمَا ذَنْبُ رُوحِ نَمْتِهِ السَّمَاءِ
إِذَا ضَجَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ سِجْنِهِ
تَعَلَّقَ مَهْوَاهُ فَوْقَ النُّجُومِ
وَحَوَّمْ وَهَنَا عَلَى كُنْهِ
لِيَنْعَمَ فِي ظِلِّهِ لِحَظَّةً

ديوان علي محمود طه

وَيْمَلَأُ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ
لَهُ وَكَلْعُ بَخْدُورِ النُّجُومِ
إِذَا مَا تَخَلَّصَ مِنْ طَيْفِهِ
وَيَا رَبَّ لَيْلٍ كَوَادِي الْخِيَالِ
دَعَتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنْ جَوْفِهِ
فَسَارَ يَضُمُّ صُدُورَ الْغَمَامِ
وَيَسْتَضْحِكُ النُّورَ فِي سُدْفِهِ
وِغَابَ كَأَعْجُوبَةٍ فِي الدُّجَى
تَحَارُّ الْأَسَاطِيرُ فِي وَصْفِهِ!

(هرميس ينظر إلى غمام بيضاء قريبة وكأنما يتربص شيئاً عندها.)

على الأرض شيطانهُ الحائمُ
وفي الكون وجدانهُ الحالمُ
مضى سابحاً في عُبابِ الأثيرِ
كما يَسْبَحُ النظرُ الساهمُ
يدورُ فلا أفقٌ يَنْتَهِي
إليه، ولا كوكبٌ هائمُ
وحيثُ هو الآنَ فيمَنُ أرى
هناك على سرِّه جاثمُ

سافو:

هُنَاكَ!

بليتيس:

هناك! كأنِّي أراه!

حَنَانُ

هرميس (مشيرًا بيده):

نعم خلفَ هذا الغمامِ الرقيقِ
إذا ما عطفتنَّ ناديتُهُ
عسى الآن من رَوْعِهِ أن يُفِيقَ
ألا أيُّها الروحُ مني السلامُ
وأنتَ بحبِّ العذارى خليقُ
عرائسُ أحلامِكَ المائلاتُ
وما أنا إلا مَلَاكُ صديقُ!

(صمت ... الحوريات يبدو عليهن القلق، ويتربعن في لهفة حديث هرميس.)

هرميس:

لقد طَلَعَ الفجرُ، يا شاعري
وكادتْ تزولُ نجومُ الصباحِ
وحان الرواحُ فودَّعْ خباءَكَ
وادنُ أحدثُكَ قبل الرواحِ

الشاعر:

أتهتفُ بي أنتَ؟ أم هُنَّ؟ أم
نذيرُ الردى والقضاءِ المتاحِ؟

بليتييس:

تُراك سمعتَ أحاديثنا؟

الشاعر:

لقد نَقَلْتُهَا إِلَيَّ الرِّيحُ!
عجبتُ لِحورِيَّةِ فِي السَّمَاءِ
ويأخذ أهلَ السَّمَاءِ العَجَبُ
أتحلُّمُ بالأرضِ مخمورةً
من الدمِ، راقصةً في اللَهَبِ!؟
وتُغْرِى بِي المَوْتَ، لا جَانِيًا،
ولكنها ثورةٌ من غَضَبِ
برئتُ من الإثمِ حورِيَّتِي
فَرُدِّي الطُّنُونِ وَخَلِّي الرِّيبَ!

حَوَاءُ

أَبْغَضُ حَوَاءَ وَهِيَ الَّتِي
عَرَفْتُ الْحَنَانَ لَهَا وَالرُّضَا؟
وَبَاعَ بِهَا آدَمُ خُلْدَهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَتَمَنَّى الْقَضَا؟
وَرِثْتُ هَوَاهَا، فَرَمْتُ الْحَيَاةَ
وَحَبَّبَ لِي الْعَالَمَ الْمُبْغَضَا
أَرَاهَا عَلَى الْأَرْضِ طَيْفَ النِّعِيمِ
وَحُلْمَ الْفِرَادَيْسِ فِيمَا مَضَى!
وَكَانَتْ حَيَاتِي مَحْضَ اتِّبَاعِ
فَصَارَتْ طَرَائِفَ مِنْ فَنِّهَا
وَكَانَ شِبَابِي صَمْتِ الْقِفَارِ
وَرَجَعَ الْهَوَاتِفِ مِنْ جَنِّهَا
فَعَادَتْ لِيَالِي الصَّبَا وَالْهَوَى
أَرَقَّ الْمَقَاطِعِ فِي لَحْنِهَا
وَأَفْرَغْتُ بَوَسِي فِي حَضْنِهَا
وَأَتْرَعْتُ كَأَسِي مِنْ دَنْهَا
وَكَمْ ذَكَرِيَاتٍ لَهَا عَذْبَةَ
أَعِيشُ عَلَيْهَا وَأُحْيَا بِهَا

لها في دَمِي خَلَجَاتُ الحَيَاةِ
كَأَنِّي خُلِقْتُ بِأَعْصَابِهَا
مُسَامِرَتِي حِينَ يَمُضِي الشَّبَابُ
وتَهْتَفُ رُوجِي بِأَحْبَابِهَا
وتَخْلُو بِي الدَّارُ عِنْدَ الغُرُوبِ
وأَجْلِسُ وَحْدِي عَلَى بَابِهَا!
بَدَتْ شِبْهَ عَابِسَةٍ فَاثْنَيْتُ
وقد زَايَلَ الشَّمْسُ لَأَلْوَاهَا
وَخَلْتُ الحَيَاةَ وَضُوضَاءَهَا
تَمُوتُ عَلَى الأَرْضِ أَصْدَاؤُهَا
وكَفَّ عَنِ الِهُمِّسِ حَتَّى النَسِيمِ
وَأَمْسَكَ عَنِ لَعِبِ مَاؤُهَا
وَنَادَيْتُ، فَالْتَفَتْتُ لَا تُجِيبُ
ولَكِنْ دَعَانِي إِغْرَاؤُهَا
وَمَرَّتْ إِزَائِي فَتَابَعْتُهَا
بِقَلْبِي، وَعَيْنِي إِلَى أُمَّهَا
رَأَيْتُ مَفَاتِنَهَا غَيْرَ تِلْكَ
وَإِنْ لَمْ يُخَلِّدَنَّ فِي جَسْمِهَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ حَوْلِهَا الكَائِنَاتِ
جَوَانِحَ تَهْفُو إِلَى ضَمِّهَا
وَيَحْنُو الصَّبَاحُ عَلَى ثَغْرِهَا
وقد جُنَّ شَوْقًا إِلَى لَثْمِهَا
يُسَائِلُنِي القَلْبُ عَنِ أَمْرِهَا
وَأَسْأَلُهُ أَنَا عَنِ سِرِّهَا
وَيَعْطِفُنِي فِي الهَوَى ضَعْفُهَا
وَأَنْسَى بَأَنِّي فِي أَسْرِهَا
وَتُبْدِي لِي الأَنْجُمُ الوَامِقَاتُ

رَفِيفَ الْأَمَانِي عَلَى ثَغْرِهَا
 فَأَحْسَبُ أَنْ اهْتَزَّازَ الْحَيَاةِ
 صَدَى حُبِّهَا وَرُؤَى سَحْرِهَا
 لِكِدْبَتِهَا تُسْتَحَبُّ الْحَيَاةُ
 وَيُصْفَوُ الزَّمَانُ بِتَغْرِيرِهَا
 وَيَأْخِذْنِي الشُّكُّ فِي قَوْلِهَا
 فَتُقْنِعَنِي بِأَسَارِيرِهَا
 وَتَعْصَفُ بِي شَهْوَةً لِلْجِدَالِ
 فَتُسَكِّتُنِي بِمَعَاذِيرِهَا
 غَفَرْتُ لَهَا كُلَّ أَخْطَائِهَا
 سِوَى دَمْعَتَيْنِ لِتَبْرِيرِهَا!
 أَحَاوَلُ أَفْهَمَهَا مَرَّةً
 فَأَعْيَا بِهَا وَبِتَفْكِيرِهَا
 أَمْخْلُوقَةٌ هِيَ؟ أَمْ رَبَّةٌ
 تَسِيرُ الْخَلَائِقُ فِي نِيرِهَا؟
 وَمَا سَحْرُهَا؟ أَلْتَكْوِينُهَا؟
 وَمَا حُسْنُهَا؟ أَلْتَصْوِيرُهَا؟!
 تَقُولُ الطَّبِيعَةُ: بِنْتِي! وَمَا
 أُحْسُ لَهَا بَعْضَ تَأْثِيرِهَا!

أَعِنْدَ الطَّبِيعَةِ هَذَا الدَّلَالُ؟
 وَفِي دِفْئِهَا مِثْلُ هَذَا الْحَنَانِ؟
 إِذَا قِيلَ لِي: هَاكَ مُلْكُ النَّرَى
 وَدُنْيَا الشَّبَابِ، وَعُمُرُ الزَّمَانِ
 فَمَا لِدَّتِي بِالَّذِي نَلْتُهُ،
 وَمَا نَشْوَتِي بِرَحِيقِ الْجِنَانِ،
 كَرَعِشَةِ رُوجِي وَهَزَاتِهَا

وصدري على صدرها واليدان!

وَعَنَّتْ فَأَسْمَعَنِي صَوْتُهَا
صَدَى الرُّوحِ فِي خَلْجَاتِ البَدَنِ
عميقًا كَأَنْفَذِ مَا فِي الحَيَاةِ
وأبعد ما فِي قرَارِ الرِّمَنِ
فَأَحْسَسْتُ كَيْفَ تَطْيِشُ العُقُولُ
وتسهو القلوبُ وتصحو الفتنُ
وقال لها الحسنُ: يَا رَبَّتِي!
فَقَالَتْ لَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ»!!

رَأَاهَا عَلَى النَّبْعِ بَعْضُ الرُّعَاةِ
مَصَوَّرَةً فِي إِطَارِ الغُصُونِ
فَقَالُوا: أَحْلَمُ تَرَاهُ العَيُونَ؟
أَفِي الغَابِ حورِيَّةٌ؟ مِنْ تَكُونُ؟
ومسّ مزاهرهم حُبُّهَا
فَرَفَّتْ بِهَا خَالِدَاتُ اللِحُونِ
وبانت تعانق أحلامهم
وقد كاد يرقص حتى السكونُ

ولاحت بمرأى لعيني فتى
طوى البحرَ لئسَ لَهُ من قرَارِ
تَفَتَّحُ عَنْ صَدْرِهَا موجتانِ
وينشقُّ فِي الفجرِ عنها المَحَارُ
رَأَاهَا فَجُنَّ غَرَامًا بِهَا

حَوَاءُ

وَعَنَى بِهَا اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ
وَقَالُوا: تَعَشَّقُ جَنِيَّةً
فَتَى شَاعِرٌ تَائِهٌ فِي الْبَحَارِ!

* * *

قَضَى اللَّهُ أَنْ تُغْوِيَ الْخَالِدِينَ
وَتُغْرِيَ بِالْمَجْدِ عُشَّاقَهَا
لَقِيَتْ عَلَى بَابِهَا الْفَاتِحِينَ
وَعَارَ الْفَتْوحِ وَأَبْوَاقَهَا
وَكَلَّ مُدِلُّ عَصِيَّ الْقِيَادِ
دَعَتْهُ الصَّبَابَةُ فَاشْتَاقَهَا
سَلَا مَجْدَهُ الضَّخْمَ فِي قُبْلَةٍ
تُذِلُّ وَتُسْعِدُ مَنْ ذَاقَهَا!
أَمَانِي شَتَّى تَمَثَّلْنَ لِي
بِكُلِّ وَضِيءِ الصَّبَا نَاعِمِ
مُبَعَثَرَةً، حَوْلَهَا فِي التَّرَابِ،
بِقَايَا الدُّمَى فِي يَدِ الْحَاظِمِ
تَمُرُّ بِهَا وَهِيَ فِي ضِحْكِهَا
وَمَا ذَرَفَتْ دَمْعَةَ النَّائِمِ
فِيَا لَكَ مِنْ طِفْلَةٍ فَذَّةٍ
وَرُحْمَاكِ سَيِّدَةَ الْعَالَمِ!

بليتييس (مخاطبة سافو):

يحاولُ بالشعرِ إغراءنا

ديوان علي محمود طه

سافو:

لنؤمِنَ واحدةً واحدةً!

بليتيس:

هو الموقفُ الصَّنْكَ ما يَتَّقِيهِ

تاييس:

كما يَتَّقِي باشقُ صائِدَهُ

سافو:

متى كان صَبًّا عَطُوفَ الفؤادِ
وهذي قصائِدُهُ الجاحِدِة؟
ألا نَكْرِيهِ بِمَثَالِهِ
ونادي بِحَيَّتِهِ الخالِدِة

قُلُوبُ الشُّعْرَاءِ

الشاعر (محدثًا سافو):

ظَلَمْتِ الفنونَ وأربابَها
وما كنتِ حُورِيَّتي ظالمَـه
قلوبُ تَلِدُ بتعذيبِها
غرائزُ عاتيةَ عارِمه
تُرَنِّحُها سَكَراتُ الهوى
وتُوقِظُها الفتنَ النَّائِمه
صَحَّتْ من خُمارِ مَلَذَّاتِها
تُعَنِّفُ أهواءَها الأثِمه

* * *

ألا ما لأختيكِ؟ ما تبغيانِ؟
أقلبي والخنجرَ المُنتَضِي؟
خذاه! اقتلاه! ولا ترحماه!
فليسَ له بَعْدُ أن يَنبِضَا
أذيقاهُ ما شِئْتُمَا واغرسَا
به الشرَّ ملتَهَبًا مُرْمِضَا
فلن تُنْبِتَا فيه إلا السَّلَامَ

ديوان علي محمود طه

والْحُبِّ وَالرَّهْرِ الْأَبْيَضَا!

إنَاءً من النُّور طَافَتْ بِهِ
يَدُ الحُبِّ غَارِسَةُ الزَّنْبِقِ
تُغَادِيهِ هَاتِفَةٌ فِي الدُّجَى
وراقصَةٌ فِي الضُّحَى المَشْرِقِ
بأجْنِحَةٍ كَرُؤَى الخَالِدِينَ
لغير الصَّبَابَةِ لم تَخْفِقِ
وقلبي من قَدَحِ فِي السَّمَاءِ
ومن نَبْعِ آلِهَةٍ يَسْتَقِي!!

الطيفُ الأدميُّ

سافو (في تهكم):

أتخشى لقانا سليلَ السماءِ
أتحذرنا أم تخافُ الضياءَ؟

الشاعر (يهم بالظهور فيحسن أن له جسدًا وأنه لم يعد روحًا مجردًا):

مُحدِّثتي ما أحبُّ اللقاءَ
لقد حالَ جسمي دونَ اللقاءِ
وكنْتُ تَخَلَّصْتُ من طيفِهِ
فلقَّتهُ حولي يدٌ في الخفاءِ
كأنِّي أهذي بأضغاثِ حُلْمٍ
أو إني ضللتُ طريقَ السماءِ!!

تاييس:

بليتيِس ... سافو ... الفرار!! الفرار!
فقد لبسَ الروحُ طيفَ البشرِ
أتبصرُهُ جسدًا عاريًا؟
ونقربُهُ؟ تلك إحدى الكُبر!

هرميس:

على رَسْلُكُنَّ فقد عَاقَبْتَهُ
بأقوالِ الكُنَّ بناتُ القَدْرِ

تاييس:

لقد عاقبته بأشعاره
فيا ليتته ما هدى أو شعر

(الحوريات يلتفتن إلى الملك وقد سمعن الشاعر يصرخ في مخبئه.)

هرميس:

أتصرخ؟ وَيَحَكَ إِنَّ السَّمَاءَ
لِتَأْخُذَهَا صَرَخَاتُ الْأَلَمِ
من الغيمِ، يا شاعري، فالتمس
بِتَارِكَ وَاخْصِفْ بِهِ مِنْ أُمَّمٍ
وَحُذْ مِنْ جَنَاحِيَّ مَا تَتَّقِي
به في السماءِ عَثَارَ الْقَدَمِ
وَأَقْسِمُ مَا رُمْتُ غَيْرَ الْحَنَانِ
وإني زعيمٌ بهذا الْقَسَمِ

الرَّجُلُ!

(يسمع صوت من وراء غمامة قريبة تنشق عن الشاعر في موقف اضطراب!)
(سافو تنظر إليه في دهشة بينما تاييس وبليتيس متجهتان إلى هرميس.)

سافو:

بليتيس! تاييس!

الحوريتان:

ماذا؟

سافو:

انظرا ...
فثُمَّتْ أَعْجُوبَةٌ تَظْهَرُ

هرميس:

تعالِ فتى الشُّعْرِ ...

تاييس:

يا للسماء!
أبالشعر أم بالفتى تسخر؟

سافو:

أهذا هو الأدمي العظيم؟

بليتيس:

ألا شدا ما يخذع المنظر

تاييس:

تصورتته من أحاديثه
فتى لوسامته يؤثر

هرميس:

تريدينه صورة أم فتى
تهلل فيه الحجي وابتسم؟

سافو:

رأيت الرجولة كل الجمال
هو الرجل الفرد في المزدحم
تراه على النبع يعلّي الغطاء
ويُدلي الدلاء ويسقي الغنم
ويحدو العذارى إلى دارهن

الرُّجُلُ!

حَيِّ الْخَطَى «مُوسَوِي» الْقَدَمُ

هرميس:

لشَدِّ الذي قُلْتِه، يا ابنتي
كلامًا توَهَّجَ مِنْهُ الحَنِينُ
تعالِي هنا والثَّمِي جبهَةً
هزأتِ بها وهي حُلْمُ السنينِ

بليتييس (تدنو من الشاعر وتلمس بيدها صدره وتمر بها على وجهه):

أمن حَمَلِ السُّحْبِ هذا الدثارُ؟
ومن حمأ الأرضِ هذا الجبينُ؟

هرميس:

دَعِي طيفُهُ وانظري روحَهُ
ففيها الصَّبَا والجمالُ المبين

بليتييس:

هل الرجلُ الروحُ؟

تاييس:

لا، إِنَّهُ
مُحَيًّا تَرَقَّرَقَ فِيهِ الوسامُ
وعينانِ بالسحرِ تستأثران ...

سافو:

خيالٌ لَعَمْرُكَ هذا الكلامُ!
مُحَيًّا وعينانِ؟ ما في الرجالِ
سوى كلِّ أصيدٍ سَبَطِ القوامِ
ذراعاهُ تستدرجانِ الخصورَ
وفي شفثيه حديثُ الغرامِ!

الملك (محدثاً نفسه في قلق وزهول):

تنزَّهتَ عن شُبْهَةِ عالمي
ولا رابني فيكَ ما أسمعُ
عهدتُ البراءةَ فيمن تَظَلُّ
فما لي من ريبَةٍ أفزعُ
وأبدعتَ خَلْقًا ولكِنِّني
أراهُ إلى عَبَثٍ ينزعُ
سَبَى السُّحْرِ أجملَ أرواحه
فأنطقهنَّ بما يخدعُ

* * *

أفي عالم الرُّوح تفسو الظنونُ
وينطق روحٌ بهذا الكلمِ؟
أسائلُ نفسي ... أسيطانةُ
توسوسُ لي؟ أم ملاكٌ أثم؟
أم الشكُّ آذني بالصِّراعِ؟
أم حلَّ بي غضبُ المنتقمِ؟

الرَّجُلُ!

صوت السماء (في موج من الأنغام الشجية):

بَلِ الْبَعْثُ آذَنَهُنَّ الْغَدَاةَ
فَلَا تَلْحَهُنَّ لَا تَتَّهَمُ

الْبَعْتُ الْأَوَّلُ

هي الأدمية طافتُ بهنَّ
وتلك غرائزُها والطباعُ
غداً تدرجُ الرُّوحُ في طَيْفِها
وما الطيفُ للرُّوحِ إِلَّا قِنَاعُ
سترقدُ في غورها الذِّكْرِيَّاتُ
وتُوقظهنَّ السنونُ السَّرَاعُ
وتمشي لحاضِرِها في الحياة
بمصباحِ ماضٍ خَفِيَ الشُّعاعُ
وكم نِباةٌ كالحدِيثِ الجَدِيدِ
وما هو إِلَّا القَدِيمُ السَّماعُ
من الخَيْرِ والشرِّ إِلهامُها
مقادِرُ تجري بهنَّ اليراعُ
فدَعُ للسماءِ تصاريفَها
فقد أذُنُ البعثِ بَعْدَ انقِطَاعِ

الملك (مخاطبًا الشاعر وقد أخذ طريقه في السماء):

وداعًا، صديقي ...

ديوان علي محمود طه

الشاعر (في حيرة وذهول):

إلى أين تمضي؟

الملك (ملوحًا بيده):

إلى الملتقى، فالوداع!

الشاعر (ملوحًا بيده والحوريات ينظرن إليه في عطف وابتسام):

الوداع!

أُغْنِيَهُ الرِّيحَ الأَرْبَعِ

١٩٤٣

أغنية الرياح الأربع

بقلم علي محمود طه

نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من ألفي عام، ونوّه بكشفها ونقلها إلى الفرنسية العلامة الجليل الأب دريتون عام ١٩٤٢، وأتمّها وقَدّم لها شاعر مصري محدث بعد الميلاد بما يقرب من ألفي عام، محاولاً أن يتخيّل قصّتها وأن يهيئ لها جوّاً مسرحياً يترسّل فيه الحوار التمثيلي بروح ذلك العهد البعيد الذي نظمت فيه.

القاهرة، ١٩٤٣

تمهيد

- **زمن الرواية:** في عهد الأسرة التاسعة المصرية، أي: منذ أكثر من أربعة آلاف عام.
- **مكانها:** بدأت وقائعها في ميناء بيبيلوس من أعمال فينيقيا (بيروت الآن)، وكانت آشور العظيمة تبسط سلطانها السياسي إذاك على فينيقيا والكلدان وميزوبوتاميا وأرض كنعان. ولبيبيلوس حديث ذائع في التاريخ المصري سواء السياسي أو الديني أو الأدبي ... تقرأه في رسائل تل العمارنة التي وجدت من عهد الملك أخناتون. وفيما أشار إليه «برستد» من نصوص قصيدة «ملاح السفينة المحطمة»، وفي النصوص الدينية لقصة الإله أوزيريس إله الخصب والخير عندما قتله أخوه «ست» إله الجذب والشر، وأودع جثته صندوقاً ألقاه في اليم فحمله التيار إلى ميناء بيبيلوس، حيث استقر في جذع شجرة تعرفت عليها إيزيس بسحرها، وتوصلت بفتنتها إلى اقتلاعها والإبحار بها إلى مصر. وتنتهي وقائع القصة في شاطئ مصر غربي ميناء «رافيا» أول الثغور المصرية من جهة الشرق (رفح الآن).
- **الأشخاص:**

- **باتوزيس:** المغني المتجول. شاعر مصري. صاحب فن ورب خيال، يعيش ليومه قبل غده.
- **أزمردا:** القرصان الفاتن. رجل فينيقي. أنيق البزة. رياضي الجسم. خلاب الحديث.
- **حروازا:** سوداء الشعر. تمثل جمال الشرق.

- **مريتّا:** سوداء الشعر والعينين. تميل إلى الرقص والغناء والمرح، تمثل طابع الغرب.
- **ويشافا:** شقراء أوروبية في صورتها وتكوينها وزیها. تمثل الشمال.
- **أسميتّا:** زنجية هيفاء. تمثل الجنوب.
- **أرسطفان:** صاحب الحانة. رجل يوناني مادي النزعة بين الكهولة والشيخوخة.
- **أنتجونّا:** زوجة أرسطفان. شابة يونانية جذابة الطلعة، خيالية.
- **ماتوكّا:** عبد أسود رئيس خدم سفينة القرصان أزمردا.
- **حرشاف:** بحار فينيقي.
- **داريوس:** بحار يوناني.
- **سرنبال:** بحار إسباني.
- **إمرا:** امرأة آشورية صديقة حرشاف.
- **نفراي:** امرأة آشورية صديقة داريوس.
- **أزيرو:** عملاق فينيقي من الشذاذ الأفاقين.
- **شيلّا:** خليفة أزيرو.
- **سمارا:** خليفة قديمة لأزيرو.
- **النكرات المسرحية:** جماعة من البحارة الإغريقين والشماليين والشرقيين غانيات وبنات هوى، جوقة من الفتيات الراقصات مختلفات الأعمار يمثلن عرائس الأمواج، جماعة من العبيد السود يعملون في سفينة القرصان أزمردا.

الفصل الأول

حانة «الملاح التائه» حانة صغيرة أنيقة، مزدانة بالقناديل الزجاجية الملونة، رفعت على جدرانها صور تمثل مغامرات العشاق في العصور الأولى. ذات باب عريض مواجه لرصفة البحر بميناء «بيبلوس». أرسطفان الخمار وزوجته أنتجوننا في صدر الحانة منهمكان في تجفيف الأقداح وصفها بعناية، وقد أخذ ظل المساء يمتد على الشاطئ.

أنتجوننا:

يا لِلْمَسَاءِ الْجَمِيلِ

أرسطفان:

لَأَنْتِ أَجْمَلُ مِنْهُ

أنتجوننا:

أرسطفانُ النَبِيلُ
لِسَانُهُ لَمْ يَخْنُهُ
قَوْلُ بَغَيْرِ دَلِيلِ
لَا يَصْفَحُ الْقَلْبُ عَنْهُ

أرسطوفان:

فَمُ عَنِ التَّقْبِيلِ
إِنْ صُنَّتْهُ لَمْ أَصْنَهُ!

(وقد مال عليها يقبلها ثم يربت على خدها وهو يقول):

أسرعي، يا أنتجونا، أسرعي
قد طوى المغرب أطراف النهار
سوف لا يبقي هنا من موضع
قادة السفن ورواد البحار
وهمو في كل زبي مبدع
قد خلت منه حوانيت التجار

أنتجونا:

دع حديث الزي بالله دع
أنت تذكى، في دمي، شعله نار
أوترضى أن أرى في المرفع
بإزاري ذاك أو ثواب معار؟

أرسطوفان:

أقصري، يا أنتجونا، واسمعي
لك مني، في غد، أغلى إزار؟

أنتجونا (وقد زمت شفيتها):

في غد تنسى وعسرا تدعي

الفصلُ الأوَّلُ

وَسَرَاوِيكَ مَلَأَى بِالنُّضَارِ!

أرسطوفان:

تَبَّا لَهَا شَرَاهَةُ النِّسَاءِ
تُغْرِي بِهِنَّ أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ
يَحْلُمْنَ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
بِالْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَالْأُزْيَاءِ

(يمر في هذه اللحظة باتوزيس وهو يتأمل ما حوله فيسترعي انتباهه منظر الحانة، فيقف ببابها ويعتمد قيثاره ويسترسل في الإنشاد):

باتوزيس:

هَيْمَانُ هَيْمَانُ، يَا غَرَامِي
ظَمَانُ ظَمَانُ لِلْمُدَامِ
مُشَرَّدُ اللَّبِّ لَيْسَ يَدْرِي
تَعَاقَبَ النُّورِ وَالظُّلَامِ
هَيْمَانُ مِنْ حَانَةِ لِأُخْرَى
بَلَا قَرَارٍ وَلَا زِمَامِ
يَشُدُّ قَيْثَارَهُ وَيَشْدُو
لِلنَّجْمِ، لِلرَّيْحِ، لِلْغَمَامِ!
يَخْطُبُ وَدَّ الْكُتُوبِ حِينَا
وَوَدَّ شُرَّابِهَا الْكِرَامِ
يُلْقِي أَغَانِيَهُ وَيُلْقَى
مَبَاذِلَ الْقَوْمِ بَابِتِسَامِ
أُذْنَاهُ لَا تَسْمَعَانِ إِلَّا
تَصْفِيقَ رَاحٍ وَضَحْكَ جَامِ
عَيْنَاهُ لَا تُبْصِرَانِ إِلَّا

ديوان علي محمود طه

مطالعِ الحسِنِ وَالوسامِ
هيْمَانُ ظمَانُ، يَا غرامِي

أرسطفان (إلى باتوزيس):

كثيرونَ مثلكَ مرُّوا بنا
فَرَدُّوا الزبائنَ عَنُ بَابِنَا
وَبَثُّوا السَّامَةَ فِي شَرِّبِنَا
فَفَرَّجْ بِبُعْدِكَ عَنُ كَرِّبِنَا!

باتوزيس:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ لَا تُقْصِنِي
وَلَا تَكُنْ مِنْ رَحْمَةِ مُوَيْسِي
إِنَّ صَفِرْتَ كَفَّايَ مِنْ دِرْهَمِ
فَمَا أَنَا بِالرَّجُلِ الْمُفْلِسِ

أرسطفان:

وَمَا يَكُونُ لَوْ هَذَا الْغِنَى؟
غِنَى الْخِيَالِ؟

باتوزيس:

بَلْ غِنَى الْأَنْفُسِ!
غَنِيْتُ بِالنَّفْسِ فَلَمْ أَحْتَفَلْ
بِالزَّائِلِينَ: الزَّادِ وَالْمَلْبَسِ
عِنْدِي كَنُورُ الْقَنِّ وَهَاجَةٌ
فَهَاتِ لِي كَأْسًا، وَخُذْ، وَأَقْبِسِ
لَوْ كُنْتُ فِي «طَيِّبَةٍ» يَوْمًا مَعِي

الفصل الأول

رَأَيْتَ بِاتُوزَيْسَ فِي الْمَجْلِسِ
يَسْقِيكَ مِنْ خَمْرَةٍ كُهَا نَهَا
مِصْرِيَّةً عَذْرَاءَ لَمْ تُمَسِّسِ
عَلَى رُخِيمِ الشَّدْوِ فِي رُفْقَةٍ
مِنَ الْكِرَامِ الطَّيِّبِي الْمَغْرِبِ

أنتجونا:

من طيبة أنت؟

باتوزيس:

أجل

أنتجونا:

حَبِّ ذَا
مَعْدَايَ فِي شَتَائِهَا الْمَشْمِسِ!

باتوزيس (بعاطفة):

لَكُنْتُ، يَا سَيِّدَتِي، أَغْتَدِي
إِلَيْكَ فِي خِمَائِلِ السُّنْدِسِ
بِكُلِّ مَا اخْتَارْتُ وَمَا جَمَعْتُ
إِلَهْتِي مِنْ زَهْرِ اللُّوتِسِ
وَقَلَّ أَنْ يُهْدَى لِهَذَا الصَّبَا
وَالْحَسَنِ كَنْزُ النَّهْرِ الْأَقْدَسِ!

أنتجونا:

أَيُّهَا الْمُنَشِّدُ الْغَرِيبُ فَتَى أَنْتَ مُعْجَبٌ
مِنْكَ عَنِ طَيِّبَةِ الْغِنَاءِ جَمِيلٌ مُحِبُّ

باتوزيس (غناء):

حَبَّبَا النَّهْرُ وَالشَّرَاعُ بِهِ الرِّيحُ تَلْعَبُ
بَيْنَ شَطَائِنِ كَالرَّبْرَجِدِ، وَالْمَاءُ مُذْهَبُ
رَاحِ مَلَأَهُ الشَّجِي يُغْنِي فَيُطْرَبُ
وَعَلَى الْأَفْقِ وَالْحَقُولِ نَشِيدٌ وَمَوْكِبُ
أَيُّهَا الزَّارِعُونَ، مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ طَيِّبُ
اقطفوا زَهْرَ أَوْزَيْسٍ وَمِنْ حَمْرِهِ اشربوا!

(أنتجونا في شبه حلم لذيذ، تنظر إلى زوجها وقد كفت يدها عن الأقداح، وهي تقول):

أنتجونا:

هَذَا النِّشِيدُ الْجَمِيلُ
يَشْدُو بِنَجْوَانَا
مَلَّاحُ وَادِي النِّيلِ
بِالْأَمْسِ غَنَّاْنَا
وَهَزَّ بِالتَّرْتِيلِ
مَوْجًا وَشَطَانَا

باتوزيس:

أَيُّ صَدَى هَزْنِي
وَأَيُّ حُلْمٍ عَجَابُ

الفصل الأول

هَلْ لِي إِلَى مَوْطِنِي
يَا رَبَّتِي مِنْ إِيَابٍ؟
يَا رَبَّتِي رَدِّدِي
هَذَا النِّدَاءَ الْجَمِيلُ
الْيَوْمَ أَمْ فِي غَدٍ
أَرَى ضِفَافَ النَّيْلِ؟!

أنتجونا:

يَا لَلْفَتَى دَمْعُهُ
يَجْرِي عَلَى الْقَيْثَارُ
أَرْسُطَفَانُ ادْعُهُ
فَاللَّيْلُ عَيْدُ الْبَحَارُ
وَشَدْوُهُ وَقَعُهُ
تَحْلُو بِهِ الْأَسْمَارُ

أرسطوفان:

ذَكَرْتِ مَرَاخِنَا، يَا أَنْتَجُونَا
وَأَيَّامَ الصَّبَابَةِ وَالتَّمَنِّي
وَلَيْلَاتِ «بَطْيِبَةَ» سَاحِرَاتِ
رُؤَاهَا لَمْ تَغِبْ، فِي الدَّهْرِ، عَنِّي

أنتجونا:

وَضَلَّئْنَا عَلَى خُضِرِ الرَّوَابِي
وَزورقنا على الموج المغني

أرسطوفان:

وَشَدَوَ رِعَاتِهَا فِي كُلِّ فَجْرِ
عَلَى جَرَسِ الْقَطِيعِ الْمَطْمِنِّ

أنتجونا:

وَتَرَجِيعِ الْحَمَائِمِ وَهِيَ تَهْفُو
حَوَائِمَ بِالنَّخِيلِ الْمَرْجَحِ

أرسطوفان:

دِيَارٌ مِنْ بَنِي فِرْعَوْنَ طَالَتْ
بِأَسْسٍ مِنْ حَضَارَتِهَا وَرُكْنٍ
إِذَا أَبْوَابُهَا فُتِحَتْ أَطَلَّتْ
عَجَائِبٌ لَمْ تَجُلْ يَوْمًا بظنِّ
تُنْسِي صُنْعَ أَشُورٍ وَتَجْلُو
رَوَائِعَ مُلْهَمَاتٍ كُلِّ فَنِّ

(أرسطوفان يملأ قدها ويضعه على المائدة، أنتجونا ترفعه وتقدمه إلى
باتوزيس، وهي تقول):

أنتجونا:

إِشْرَبْ، وَعَنْ الآنَ، يَا شَاعِرِي
وَأَقْضِ هُنَا اللَّيْلَ مَعَ السَّامِرِ
وَهَاتِ لَحْنَ الْبَلَدِ السَّاجِرِ
مَصْرَ الَّتِي مَا بَرِحَتْ خَاطِرِي

الفصل الأول

باتوزيس (يشرب القدر دفعة واحدة، وينحني شكرًا وهو يغني):

خَمْرَةٌ طَبِيبَةٌ أُم بَابِلِيَّةٌ
هَذِهِ نَفْحَةٌ رُوحِ قُدْسِيَّةِ
مَنْحَةُ الحُسْنِ بِكَفِّي أَرِيحِيَّةِ
تَمْنَحُ الرَّحْمَةَ قَلْبَ البَشَرِيَّةِ
لَكَ، يَا أَجْمَلَ رَبَّاتِ البَرِيَّةِ،
دَعْوَةٌ صَادِرَةٌ مِنْ أَصْغَرِيَّةِ!

(تسمع ضجة من بعيد تقترب، فيقف باتوزيس بباب الحانة متطلعًا وهو يقول):

أَرَى سَاحَةَ المِينَاءِ شَتَّى مَشَاعِلِ
تَبَّتْ سَمَاءَ البَحْرِ شَتَّى مَفَاتِنِ
رَبَابِنَةُ السُّفُنِ المَوَاحِرِ أَقْبَلُوا
يُحْيُونَ عِيدَ المَاءِ، عِيدَ السَّفَائِنِ
يَلُوحُونَ مِنْ أَقْصَى الطَّرِيقِ بِمَوْكٍ
تَصَايَحُ فِيهِ كُلُّ نَشْوَانٍ مَاجِنِ
أَلَا حَبْدًا عِيدُ البَحَارِ وَحَبْدًا
شَرَابِي فِيهِ أَوْ شَجِيٌّ مَلَاحِنِي!

أنتجونا:

أرسطفان انظر جمال الموكب
واسمع لذيالك النشيد المطرب
أراهم من بُعد كأنهم
في مرقص يلهون أو في ملعب
كل فتى ضم فتاة ومشى

ديوان علي محمود طه

يَخْطُرُ فِي زَهْوِ الْمَحَبِّ الْمَعْجَبِ
أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ...

أرسطوفان:

أنتجونا، ما أرى
غيرَ خَلِيطِ هَائِجِ مَوْلَبِ
من الرجالِ العابثينَ، بينهمُ
أخُ الأثامِ والغرامِ القُلْبِ
وبائعاتِ الحبِّ في أسواقِهِمْ
من النساءِ جامعاتِ الذَّهَبِ!
حبيبتِي، أخشى عليكِ سُكرَهُمْ
في حانتي، فاجتنبِهِمْ وادهبي

أنتجونا:

مِمَّ تَخَافُ؟ فتنَةٌ أَمْ غيرَةٌ؟
تظنُّ بي سوءاً؟ أَمَا وثقتَ بي؟

أرسطوفان:

أصغي إليَّ الآن، يا صغيرتي
وامضي إلى مَخْدَعِ الْمَحَبِّ

أنتجونا:

كلا! سأبقى ها هنا

أرسطفان:

بل اذهبي
ولا تثيري غضبي

أنتجونا:

بل اغضب!!

أرسطفان (يأخذ بيد زوجته مشيراً لها إلى باب خلفي):

هذا طريقك، فاذهبي بأمان
سارَ الهتافُ على طريق الحان
إنِّي أخافُ عليكِ وسوسةَ الطَّلَا
في كأسِ عربيدِ الصُّبا، نشوان
وهبَ المخاطرَ عمُرَه، فشبابُه
أحلامُ كأسٍ أو خيالُ غواني
وأخافُ نظرةَ جارحٍ متربِّصٍ
تُخفي حُلاه حبالَ القُرْصانِ
عزلاً، إذا ساقَ الحديثَ حَسْبِيَه
ربَّ الخيالِ وشاعرِ الوجدانِ
يُغوي إناثَ الجنِّ لا يعيا بها
حَيْلاً، ويقنصها بطرفِ بنانِ
أرسي سفينتَه هُناكَ كأنَّها
مقصورةُ العشاقِ في بستانِ
ملعونةِ الحُجراتِ، كُلُّ أثنائها
قَيْدُ الضحيةِ أو سياطُ الجاني
إنَّ يدُ زائرةٍ لها فسبيلُها
سوقُ الرقيقِ وعالمُ النسيانِ

ديوان علي محمود طه

عن قنصٍ جاريةٍ وخطفِ أميرةٍ
كم عندَ قُرصانِ البحارِ أغاني!

(تخرج أنتجوتا من الباب الخلفي كأنها متضايقه.)

أرسطوفان:

وأنتَ، يا باتوزيس، هيَّا
إملاً فضاءَ المساءِ شدواً
وابعثتِ أغانيكِ مفرحاتِ
أنا، وأنا يسلمنَ شجواً
وإن علتُ ضجَّةُ السكارى
فألهُ معَ الشاربيينَ لهواً
ولا تضحُ بالسبابِ صدراً
وظنَّ ما ينطقونَ لغواً

(يقترّب موكب الملاحين وهم ينشدون نشيدهم حتى يدخلوا الحانة بأزيائهم
البهجة، وهم مستمرّون في نشيدهم ويأخذون أماكنهم.)

الجميع:

نحنُ قادةُ السفين
نحنُ سادةُ البحارِ
لا يعزُّنا السَّفارُ
أو يهزُّنا الخطارُ
عيدنا من الجمالِ،
والجلالِ، والفخارِ
نحنُ سادةُ البحارِ
البحارِ

الفصلُ الأوَّلُ

أحد البحارة:

البحارُ مَهْدُنَا

الجميع:

وَالسَّفِينُ مَجْدُنَا

أحد البحارة:

قَدِ عَشَقْنَاهَا شِرَاعًا خَافِقًا

بحار آخر:

أَيْنَا لَمْ يَكْ يَوْمًا عَاشِقًا؟

الجميع:

لابِنَةِ المَاءِ عَرُوسِ الجَارِيَاتِ
عَيْدُهَا أَجْمَلُ أعيَادِ الحَيَاةِ
أَيُّ عَيْدٍ مِثْلُهُ فِي الكَائِنَاتِ!

أحد البحارة:

غَادَةً عَشَّاقُهَا فِي كُلِّ ثَغْرِ
تَعشَقُ المَجْهُولَ وَالوَجْهَ الغَرِيبَا

بحار آخر:

تَحْمَلُ الأَشْوَاقَ مِنْ بَحْرِ لِبْحَرِ

الجميع:

وَهِيَ لَا تَوَثِّرُ بِالْقُرْبِ حَبِيْبًا

أحد البحارة:

عَنْ أَبِيهَا وَرَبَّتْ حُبَّ الصَّرَاعِ
يَوْمَ لَاقَى الْأَرْضَ غَضْبَانَ عَتِيًّا

بحار آخر:

طِفْلَةٌ تَرْقُصُ فِي ظِلِّ الشَّرَاعِ

بحار آخر:

وَتَقْوُدُ الْمَوْجَ وَالنَّوَى الْعَصِيًّا

الجميع:

إِنَّهَا بِنْتُ الْبَحَارِ
الْبَحَارِ

(الجميع يصفقون ويهللون.)

سرنبال:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ عَجِّلْ بِأَبَارِيْقِ الْمُدَامِ
هَاتِنَا مِنْ خَمْرَةِ الشَّرِقِ أَفَاوِيْقَ الْغَرَامِ

(أرسطوفان يسرع بالأقداح والأباريق.)

الفصل الأول

(الجميع يملئون أقداحهم ويرفعونها وهم ينشدون مع الإعادة وبالطرق على
الموائد.)

(أحدهم يغني الشطر الأول والجميع يرددون الشطر الثاني.)

الجميع:

غَنُّوا الكَأْسَا يَا أَصْحَابِي
حَيُّوا الشَّمْسَا فِي الْأَكْوَابِ

سرنبال (وهو يتأمل الحانة):

بِاللَّهِ مَا أَجْمَلَ هَذِي الْحَانَةَ
وَضِيئَةَ جِدْرَانِهَا مَزْدَانَةَ
بِالصُّوْرِ الرَّائِعَةِ الْفَتَانَةَ
تُمَثِّلُ الصَّبُورَةَ وَالْمَجَانَةَ

حرشاف:

صَاحِبُهَا الْمَلَّاحُ فِي الْبَحْرِ شَرْدُ

داريوس:

وَرُبَّمَا يَعُودُ آخَرَ الْأَبْدِ

سرنبال:

لَا! بَلْ حَسَا شَرَابُهُ حَتَّى نَفَدَ

داريوس:

فهام في اللجة يعصر الزبد

حرشاف:

بل عبثت جنيته برأسه

سرنبال:

فظنّها إحدى بنات جنسه

حرشاف:

يا ويحه مانفعه بنفسه
وهو أسير حيه وكأسه؟

سرنبال:

أغاص في البحر أم قدح الخمر

حرشاف:

أم أبحر الشعر من حيث لا يدري؟

داريوس:

يا أيها الخمار، قل ودلنا
من صاحب الحانة؟ أين؟ قل لنا

الفصل الأول

أرسطوفان (دهشًا):

من صاحبُ الحانّة؟ من هذا؟ أنا!

داریوس:

أنت؟ عجبٌ أن نراك بيننا

حرشاف (ضاحكًا):

انظر إلى وجهك في المرآة
وصف لنا عجيبة الحياة

داریوس:

من أي غاب، يا وحيد القرن

سرنبال:

وما اسمك الصحيح؟ لا تُكني!

أرسطوفان (مبتسمًا):

أرسطوفان

حرشاف (ممسكًا بشعرات شارب أرسطوفان):

عالم مغلوط
صحته وشكله المضبوط
تنبئ عنه هذه الخيوط

ديوان علي محمود طه

سرنبال:

أرسطفانُ أنتَ أخطُوطُ

داریوس:

حِرشافُ هذي شَعراتُ مُضجِكِه

سرنبال:

يَلْفُهَنَّ بِيَدِ مَرْتَبِكِه

داریوس:

في شاربٍ يَرْعُدُ مِثْلَ السَّمَكِه

حِرشاف:

إِلَيَّ، يا داريوسُ، هاتِ الشَّبَكِه!

(ضحك متواصل.)

أرسطفان (هامساً متضرعاً):

باتوزيس هيا غَنِّي
زدهم عَنِّي بصدى لحن!

(يرتقي باتوزيس مائدة ويشير إلى أرسطفان فيناوله قدحاً فيرفعه عاليًا، وهو يئس.)

باتوزيس:

جَدِّدُوا، يَا أَيُّهَا الصَّحْبُ، مَسَرَّاتِ الزَّمَانِ
إِنَّ هَذِي لَيْلَةَ الْحُبِّ فَضْجُوا بِالْأَغَانِي
إِرْفَعُوا الْأَقْدَاحَ مَلْأَى، وَاشْرَبُوا نَخْبَ الْحَسَانِ!

(الرجال يرفعون أقداحهم والنساء يصفقن رافعات الأقداح.)

حرشاف:

للصواحبِ الحسانِ

إمرا:

للشبابِ

نفراي:

للغزلِ!

سرنبال:

للقدودِ

داريوس:

للخدودِ

حرشاف:

للتغورِ

باتوزيس:

لَلْقُبْلِ!

داريوس:

لَلْعَيْنِ

حرشاف:

لَلْفَتُونِ

سرنبال:

لَلْجَنُونِ

باتوزيس:

لَلْأَمَلِ!

إمرا (واقفة رافعة قدحها):

نَحَبَ صَاحِبِي الْجَمِيلِ كُلُّ شَارِبٍ نَهْلُ!

(يميل عليها حرشاف فيقبلها والجميع يهتفون):

الجميع:

تحيا القُبْلُ يحيا الغَزْلُ

الفصل الأول

حرشاف (رافعاً قدحه مشيراً إلى إمرا):

وَنَخَبَ عَيْنِكَ، يَا جَمِيلَةَ

داريوس:

يَا أَظْرَفَ الْغَانِيَاتِ طُرّاً

نفراي (وهي تجذبه):

تُغِيظُنِي أَمْ تَرِيدُ حِيلَةَ؟

داريوس:

إِنِّي أَحْيِي صَنِيعَ إِمْرَا

نفراي:

قَوْلٌ تَوَقَّعْتُ أَنْ تَقُولَهُ!

داريوس:

نِفْرَايَ لَا شَكَّ أَنْتِ غَيْرِي!

نفراي (ساحرة):

غَيْرِي؟ أَمِنْ هَذِهِ الْهَزِيلَةِ؟
داريوس أنت امتلأت حمراً

داريوس:

بَلْ أَنْتِ نَفْرَاي! أَنْتِ سَكْرِي

نفرائي:

داريوسُ مَا لَكَ عَيْنُ
تَطِيقُ وَهَجَ ضِيَائِي
أُنْظِرُ لَوَجْهِي قَلِيلًا
وَلَا تَذُبُ مِنْ حَيَاءِ
أَيِّ الْجَمِيلَاتِ مِنِّي
أَحَقُّ بِالْإِطْرَاءِ
«بيبلوس» تعرف سحري
وَفِتْنَتِي وَرَوَائِي
إِذَا خَطَرْتُ الْهَوِينَا
وَالْعَاشِقُونَ وَرَائِي
مِنْ كُلِّ سَابِّ جَمِيلٍ
جَمُّ الصَّبَا وَالثَّرَاءِ
لَوْ نَالَ تَقْبِيلَ نَغْرِي
أَتَى بِمُلْكِ السَّمَاءِ
لَكِنْ صَدَقْتُكَ حُبِّي
وَأَنْتِ، فِي الْبَحْرِ، نَاءِ
دَارِيوسُ مَا لَكَ عَهْدُ
لَأَنْتِ زِيرُ نِسَاءِ

(ثم تثب فجأة واقفة ملقبة بمعطفها نازعة وشاحها، وتبدأ في رقصة خلابة مثيرة تشرئب إليها الأعناق، وتتردد صيحات الإعجاب. ثم تنتهي رقصتها فتقف حانية رأسها، مضمومة اليدين على صدرها، بين التصفيق والهتاف، وتلمع الفتنة في عيني داريوس فينحني مقبلًا قدميها مادًا ذراعيه لضمها، وهو يصيح):

داريوس:

هيا اهتفوا، أيها الرجالُ
لرَبِّةِ الحسَنِ والدلالِ
نفرایِ معبودةِ الجمالِ

(في أذن إمرا.)

داريوس يحنو عليها يَبْحَثُ عن شَفَتَيْهَا

إمرا:

قد خَرَّ بينَ يَدَيْهَا مُقْبِلًا قَدَمَيْهَا

(ويحتضنها داريوس وينزل بها وهي مغمضة العينين موسدة رأسها صدره، وهو يناجيهما):

داريوس:

ضَعِي هنا رَأْسَكَ، يا حَبِيبَتِي
لشَدِّ ما أهواكِ، يا جَمِيلَتِي
أُرْنِي إِلَيَّ، واغفري خَطِيئَتِي
أنا الغيورُ، فاصفحي عَن غَيْرَتِي

(ويقبلان بعضهما.)

حرشاف:

والآن، يا أيها النساءُ هيا إلى الرقص والغناء

(وفجأة يدخل أزمردا الحانة بزيه العجيب ومشيته المهيبه دون اكرات
بالجميع، فيستري منظره الأنظار، ويأخذ مكانه بانحراف في آخر الحانة
بينما ينظر إليه باتوزيس من طرف خفي، وهو يقول لنفسه):

باتوزيس:

مَنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ يَبِينُ نَصْفُهُ؟
هَذَا فَتَى مَا غَابَ عَنِّي وَصْفُهُ
جَبِينُهُ، وَعَيْنُهُ، وَأَنْفُهُ
أَذَاكَ أَزْمَرْدَا تُرَى! أَمْ طَيْفُهُ؟
يَا لِلْعَيْنِ لَمْ يُصِبْهُ حَتْفُهُ
حَيًّا أَرَاهُ وَالصَّبَا يَحْفُهُ
وَالخَمْرُ فِي الْأَقْدَاحِ تَسْتَحْفُهُ

داريوس:

أَيُّهَا الْخَمَّارُ هَيَّا أَتَرَعِ الْكَاسَ وَنَاوِلُ

حرشاف:

لَا تَدْعُ فِي الدَّنِّ شَيْئًا وَاسْقِنَا مِنْ خَمْرٍ بَابِلُ

(ويسري المرح في جو الحانة من جديد ويسرع أرسطفان بأباريق الخمر
فيهتف سرنبال):

سرنبال:

أَيُّهَا الشَّادِي، أَمَا تُسْمَعْنَا لِحَنَّا شَجِيًّا؟

نفرای:

غُنْنا، یا شاعَرَ الحَبِّ، قَصِيدًا عبقريًا

داریوس:

قِصَّةٌ مِصرِيَّةٌ الأَلحانِ وَزناً وَروِيًا

إمرا:

أَوْ نَشِيدًا أُسويًا

حرشاف:

أَيها المِصرِيُّ هَيَّا

(يعتمد باتوزيس قيثاره ويأخذ في الإنشاد حينًا والغناء حينًا آخر ويشترك معه الجميع في بعض أبياتها):

باتوزيس:

يَرْوِي لَكُمْ، فِي الشَّعْرِ، بَاتُوزِيسُ
أَجْمَلُ مَا يُرْوَى
مَنْ قَصَصَ أَوْحَتْ بِهِ إِيزِيسُ
يُغْجِبُ مَنْ يَهْوَى
وَيَسْتَثِيرُ الْوَجْدَ وَالشَّجْوَا
فِي مَا مَضَى، مِنْ غَابِرِ الْأَيَّامِ كَانَ فَتَى مَلَّاحٍ
نَهَارُهُ أَوْ لَيْلُهُ أَحْلَامٌ بِالْغَيْدِ وَالْأَقْدَاحِ
مَسْتَغْرِقًا فِي اللَّهْوِ وَالْأَفْرَاحِ
جُنَّ بِأَشُورِيَّةِ هَيْفَاءِ مَعْبُودَةِ الْحُسْنِ

كانت لها سفينة في الماء أميرة السفن
شراعها أعجوبة الفن
وليلة مرر فغنناها أغاني الحب
فاستمهلت تصغي، فحيها تحية القلب
فأومات تدعوه من قرب
وعلمته القنص والأسفار في الغرب والشرق
فطوفا في قاصيات البحار أو لجة العشق
عامين مررا كسنا البرق
وليلة في الشاطئ الفضّي أسرى إلى القنص
بيننا دنت من شعب الأرض سفينة اللص
تدب في خوف وفي حرص
وحدعتها رنة الصوت من هاتف الباب
يصيح في حشجة الموت يا رحمة الأرباب
هذا غريق في ثنايا العباب
وأوقعتها نخوة الإحسان في قبضة القرصان
ولم يزل عاشقها الولهان من سالف الأزمان
يسأل عنها الريح والخلجان
وقال راو: حدثوا عنه في قصتي نوح
إن الها زوجت منه في عالم الروح
فأنجبت آلهة الريح!
فإن سمعتم في صدى الأمواج أو لحن شاديكم
أغنية تهفو على الأتباع حيرى تغاديكم
فهي لها، وهي تناديكم!

حرفاشاف:

يا للفاجر يا للغادر

داريوس:

أين نراه! أو نلقاه؟

باتوزيس:

سَلْ إِلَهَ الرِّيحِ عَنْهُ إِنَّ أُرْدتِ الثَّارَ مِنْهُ!
هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ جَائِثٌ إِنْ تَفْتَقِدُهُ
وَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ إِنْ تَسَلْ عَنْهُ تَجِدُهُ
وَتَرَاهُ بَيْنَنَا الْآنَ وَإِنْ لَمْ تَعْتَقِدُهُ
مَثَلٌ لِلشَّرِّ مَهْمَا يَطُوهُ الدَّهْرُ يَعِدُهُ

إمرا:

أَنْقُضِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَسْرَى هَذِهِ الْحَاثَةَ؟
وَفِي بَيْبُلُوسَ أَلْوَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ فَتَانَهُ

حرشاف:

هَلُمُّوا، أَيُّهَا الإِخْوَانُ، فَاللَّيْلَةُ حُسَّانَةٌ

نفراي:

وَهَذِي الْغُرْفُ الْحَمْرَاءُ بِالْإِغْرَاءِ مِلَانَتَهُ

داريوس:

وَمَعْشُوقَاتُنَا يَنْظُرْنَ مِنْ أَنْ إِلَى أَنَّهُ

سرنبال:

هَلُمُّوا قَبْلَ أَنْ يَهْجَرَ طَيْرُ الْفَجْرِ أَوْ كَانَتْ

حرشاف:

وَيُجْرِي الشَّقَقُ الْأَوَّلُ فَوْقَ الْمَاءِ عُقْيَانَهُ

داريوس:

وَيَدْعُو صَاحِبُ الْفُلِكِ إِلَى الدَّفَةِ سَفَانَهُ

باتوزيس:

فَلَنْزَعِ الْأَكْوَابَ
وَلْتُدِرِ الْأَنْخَابَ

سرنبال:

في صحة الإغراء

نفرای وإمرا:

وَالْغُرْفِ الْحَمْرَاءِ

حرشاف:

بَلْ نَحَبَ بَاخْوِسَ

داريوس:

وَحُورِ بَيْلُوسِ

الجميع (ينشدون في صوت واحد، وهم يغادرون الحانة):

فَلْيُحَيِّ بِاخُوسُ وَلْتَحَيِّ بَيْلُوسُ

حرشاف (وهو يأخذ بذراع إمرا):

فَوَاتِنَ الدُّنْيَا هَيَّا بِنَا هَيَّا

(ويغادر الجميع، ما عدا أزمردا، وقد ألقوا بنقودهم، ثمن الشراب، على الموائد فيسرع أرسطفان إلى جمعها مبتهاجًا.)

باتوزيس (إلى أرسطفان متعمدًا تجاهل أزمردا):

إِلَيَّ بِجَرَعَةٍ قَدْ جَفَّ حَلْقِي
وَأَوْهَى الْمِعْرَفُ الشَّادِي بِنَانِي

أرسطفان (يملاً قدحًا ويسرع به إلى باتوزيس ضاحكًا مرعًا):

إِلَيْكَ إِلَيْكَ، باتوزيس، فاشرب
مِعْتَقَةً مَخْتَمَةَ الدَّانِ
لَقَدْ أَبْدَعْتَ فِي شَدْوٍ وَلَهُوَ
كَمَا أَبْدَعْتَ فِي نَظْمِ الْأَعَانِي!

أزمردا (للخمار مشيرًا إلى باتوزيس):

وَهَاتِ لَهُ بَثَانِيَةَ فَانِّي
طَرِبْتُ كَأَنَّ آلِهَةَ تُغْنِي

ديوان علي محمود طه

لَقَدْ غَنَّكَ طَيْبِي نَبِيلٌ
أَرَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَنَأْ عَنِّي
تَحَدَّرَ مِنْ ضِفَافِ النَّيْلِ حَتَّى
أَتَى أَشُورَ فِي ثَوْبِ الْمَغْنِيِّ

(مشيرًا لباتوزيس).

أَبَاتُوزَيْسَ هَاتِ الْكَأْسَ هَيَّا
تَعَالَ، تَعَالَ، وَاذْنُ الْآنَ مِنِّي
سَمِعْتِكَ فِي الطَّرِيقِ فَجِئْتُ أُصْغِي
إِلَيْكَ، وَأَنْتِ فِي سُبُحَاتِ فَرْجٍ
وَأَزْمُرِدَا صَدِيقَكَ لَمْ تَخُنْهُ
فِرَاسَتُهُ، وَصَوْتُكَ لَمْ يَخُنِّي!

(باتوزيس يتصنع الدهشة والفرح معًا، يحمل قدحه ويخف به إلى أزمردا وهو يقول):

باتوزيس:

يَا لَفَجَاءَاتِ الْفَرْحِ! وَيَا لَنَشْوَةِ الْقَدْحِ!
أَأَنْتِ أَزْمُرِدَا؟ أَحَقًّا أَنْتِ؟ أَمْ أَنْتِ شَبِيحٌ؟

(مشيرًا إلى ثياب أزمردا).

هَذَا الْجَلَالُ! مَا أَرَى؟ أَرَى نَفَائِسَ الْحَلِّ
كَأَنَّهَا أُسْطُورَةٌ يَبْرُزُ لِي مِنْهَا بَطْلٌ
أَقُولُ: مَنْ هَذَا الْأَمِيرُ فِي صِدَارَةِ الذَّهَبِ؟!
وَهَذِهِ الْجَوَاهِرُ الْمَضُوتَاتِ كَالشَّهْبِ!

أزمردا:

وَلَا تُقُول: بَلْ فَتَى عَرَفْتُهُ عَلَى الزَّمَنُ
كُنَّا مَعًا نَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ وَنَقْتَا السُّفُنَ!

باتوزيس (رافعاً قدحه):

نَحَبَ الثَّرَاءِ الْعَظِيمِ
نَحَبَ الصَّدِيقِ الْقَدِيمِ

أزمردا (رافعاً قدحه):

نَحَبَ الْغِنَاءِ الرَّخِيمِ
وَنَحَبَ صَيْفِي الْكَرِيمِ

باتوزيس:

ضَيْفُكَ! مَا تَعْنِي؟ وَمَاذَا تُرِيدُ
تَضِيفَنِي أَنْتَ الثَّرِيُّ الْعَتِيدُ
وَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ مُغْنٍ شَرِيدُ
فِي أَيِّ قَصْرِ أَوْ بِنَاءٍ مَشِيدُ؟
تَقِيمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ السَّعِيدُ؟!

أزمردا:

أَقِيمُ فِي قَصْرِ؟ وَفِيمَ الْقَصُورِ
وَطَوَّعَ سُلْطَانِي هَذَا الْبَحُورِ
أَوْمٌ فِيهَا حَالِيَاتِ الثَّغُورِ
مِبْتَهَجِ الْأَصَالِ نَضَرَ الْبُكُورِ
عَلَى شِرَاعِ قَرْمَزِيٍّ جَسُورِ

ديوان علي محمود طه

منطلقًا يَغْرُو سَمَاءَ النُّسُورِ
ولا يَنِي بَيْنَ الصَّبَا والدُّبُورِ
يُثِيرُ أَهْوَاءَ الحِسانِ الحُورِ
حتى تُرَى في ظِلِّهِ المَنْشُورِ
يحملها إلى الغَدِ المقدورِ!

باتوزيس:

سِرُّكَ، يا صاح، عرفتُ مَكَمَنَهُ
سفينتكِ الراسي وعيشُ القرصنَه
يا للثراءِ، وَيَحَهُ، ما أَلَعَنَهُ!

أزمردا:

ألا تزالُ، يا فتى، مهذارا
مُحَدِّثًا أو مَنْشِدًا ثَرْتَارًا
تُلَفِّقُ الأَلحانَ والأشعارًا
تَتَّهَمُ السفينَ والبحارًا
وَتَخْلُقُ القراصنَ ابْتِكارًا
في صُورَةٍ تكسو الرِّجالَ عازًا؟

باتوزيس:

عارُكَ لن يُمَحَى ولن يُوارَى!
أذاكرَ أنتَ أزمردا منعمَةً
بيضاء كالشمسِ في أبهى مطالعِها؟
إذا مَشِينَا على الميناءِ ترمقُها
خَلْسًا، وعيناك نارٌ في مدالِعِها
خدعتني عن خطاها وهي واثبةٌ

الفصل الأول

مِثْلَ الغزاليّةِ تلهو في مراتبِها
حتى ظفرت بها غدراً وطرت بها
مثل الرياح أضلّت خطوً تابِعها
قنصتَها قنصَ جبارٍ وما شفعتُ
لديك حتّى الدوامي من مدامِها
يا بؤسها، وهي في الأسواق عاريةً،
ويا لها بين شاربيها وبائعها!
معروضةً الجسم تلتفّ العيونُ بها
تكادُ تنفذُ من أخفى مقاطعها
كأنها دُميئةُ المئالِ يفحصها
نُقادهُ ليزروا أخطاءَ صانعها
كأنّها الشاةُ والقصابُ ينقذها
بمثل ما جسّ لحمًا في أضالعها
روايةً كلّما مرّت يُجددّها
قرصانُ بحرٍ ويحبي من وقائعها
فاذكُرْ مصائبَ آباءٍ بما اجترحتُ
يداك، أو أمّهاتٍ في فواجِعها
واذكُرْ فتاتك إن صرت الغداة أبا
وكانَ مثلكَ مَقدورًا لطالعها!

أزمردا:

أراك كما فارقتك الأمسَ شاعراً
على الدهرِ عرييداً، من الناس ساخرًا
ترامى بك الحاناتُ تشدو بمزهرٍ
تغني السُّكاري والنساء العواهرًا
حوانيتُ لهو أنتَ فيها فراشةُ
تظلُّ على أضوائها العمرَ حائراً

ديوان علي محمود طه

وسادك كرسى عتيق بحانة
إذا ضافك الخمار وامتت أجرا
ومن عجب تزري على الجاه والغنى
وتسأل بي هذي الحلى والجواهر
وتهزأ بي بين السكارى وما أرى
بهم غير فتاك يلص المواخر

باتوزيس:

وغدرك أزمردا! تكلّم فإنني
أرى منك وحش الغاب أنقى أظافرا!

أزمردا:

رويدك، باتوزيس، ما كنت غادرا
وما كنت إلا أسيويا مغامرا
أبيع الصبايا الهائمات على الطوى
لأمنحن العيش ريان ناضرا
وأخدع فيهن الرجال وربما
نسلن نجومًا أو ولدن عباقرا
وأغشى بهن الدور عالية الذرى
لأجعل منهن الإماء حرائرا
والهة فوق الشعوب يسمنها
مقادة ربّات يقدن المقاديرا
فخلّ خيال الفنّ للساعة التي
يدين لك المال النهى والخواطرا
هو المال غفار الخطيئات فالتمس
به خالقا يعفو ويبطش قادرا!

باتوزيس:

أَيْهَا السَّاجِرُ دَعْنِي كُفَّ هَذَا السَّحْرَ عَنِّي
أَيُّ أَنْعَامٍ مِنَ السُّحْرِ مُرْنَاتٍ بِأُذْنِي
كِدْتُ أَنْ تَبْلُغَ مَا لَمْ تَبْلُغَ النِّشْوَةُ مِنِّي
كِدْتُ أَلْقِي فِي يَدِ الشَّرِّ بِسَيْفِي وَمَجَنِّي
لَا عَلَيْنَا الْآنَ مِنْ هَذَا التَّحْدِيِّ وَالتَّجَنِّي
لَكَ سُلْطَانُكَ فِي الْبَحْرِ، وَلِي كَأْسِي وَلِحْنِي!

أزمردا:

وَلَكَ الْخِيَالُ الْعَبْقَرِيُّ يَصُوغُ آلِهَةَ الرِّيحِ
مُتَرَنِّمَاتٍ بِالْعَشِيِّ مَغَنِّيَاتٍ بِالصَّبَاحِ
تَحْتَالُ تَذَكْرَهُنَّ فِي قِصَصٍ مِنَ الْكَذِبِ الصُّرَاخِ
قِصَصٍ تُنَمِّقُ لَا إِزْيِسُ بِهِنَّ تَعْلَمُ أَوْ بَتَاخِ!
وَتَرُوخُ تَغْمَزْنِي، وَأَنْتَ تَجِدُّ فِي قَوْلِ الْمَزَاخِ!

باتوزيس:

وَيْكَ أزمردا دَعِ الظَّنَّ وَلَا
تَحْسَبِ الْقِصَّةَ مِنْ هَزَلِ الْحَيَاةِ
كُنْتُ فِي «طَبِيبَةٍ» مِنْ عَامٍ مَضَى
وَتَسَمَّعْتُ لِأَخْبَارِ الرُّوَاةِ
فَتَيَاتُ أَرْبَعُ يَظْهَرْنَ فِي
كُلِّ عَامٍ صُورًا مُخْتَلِفَاتِ
رَائِعَاتٍ يَتَخَطَّرْنَ عَلَيَّ
هَذِهِ الْأَمْوَاجُ مِثْلَ النَّسَمَاتِ

أزمردا:

حبذا هُنَّ، أَلَا صِفَهِنَّ لِي
كَيْفَ يَطْلَعْنَ؟ وَفِي أَيِّ الْجِهَاتِ؟

باتوزيس:

فَوْقَ شَطِّ رَمْلُهُ مِنْ نَهَبٍ
لِوَلُؤَيِّ الْمَاءِ دُرِّيِّ الْحَصَاةِ
مَنْ يَحْزُنُهُنَّ يَحْزُنُ مُلْكَ الثَّرَى
وَمَقَالِيدَ الْبَحَارِ الطَّاغِيَاتِ

أزمردا:

آه، لَوْ يَسْنَحَنَ لِي كُنْتُ إِذَنْ
سَيِّدَ الْبَحْرِ وَرَبَّ الْغَزَوَاتِ!
كُنْتُ، بَاتُوزَيْسَ، أَحْبُوكَ الْغِنَى
وَمَسْرَاتِ الْعَصُورِ الْخَالِيَاتِ

باتوزيس:

يَا لِأَطْمَاعِكَ أَزْمَرْدَا، أَفِي
مَلَكُوتِ الرِّيحِ؟ قَفْ! بَعْضَ الْأَنَاةِ!

أزمردا:

أَوَأَنْتَ بَاتُوزَيْسُ تَوْمَنُ بِالْقُوَى الْمُتَجَسِّدَاتِ؟
وَبِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ فِي صُورِ الْإِنَاثِ مُصَوَّرَاتِ؟
أَوَأَنْتَ تَوْمَنُ

باتوزيس:

كيف لا! والروح كُبرى المعجزات
نحيا كآلهة بها ونعيش من بعد الممات

أزمردا:

هذي الرواية من نسيج الوهم أو صنغ الخيال
أو أنت تـؤمـن؟

باتوزيس:

لست أومن بالخديعة والضلال
أمنت بالروح القوي يهد طاغية الرجال
ويصب صاعقة السماء على العتي من الجبال

أزمردا:

لم يكن عهدي بباتوزيس نشوان يجادل
ولقد أعمدت سيفي، وهو لا زال يناضل
أنت ضيفي، فقم الآن، ودع هذي المبادئ
وتهنأ بالكري العذب وصل ما أنت واصل
من ذوات القرط والشف وربات الخلاخل
وليكن حلمك حوريات آشور وبابل

باتوزيس (مغضباً):

لك عذري، يا أبا الود، فما أنت بقائل؟

أزمردا:

يا أيها الفتى الرقيقُ، لا تَكُنْ مُعاندي
أنتَ أخي، فلا تُرَبِّكْ، يا أخي، مقاصدي
نَكَرْتُ عَهْدَنَا الْقَدِيمَ وَالْوَفَاءُ شَاهِدِي
فَرَاغَنِي أَنِّي أَرَاكَ فِي هَوَانٍ شَارِدٍ
تَقْتَاتُ كَالهَرَّةِ مِنْ سَوَاقِطِ المَوَائِدِ
تَعَالَ فِي سَفِينَتِي، وَكُنْ أَخِي وَسَاعِدِي
وَاسْتَقْبِلِ الدُّنْيَا وَعَنَّ لِلْغِنَى المَوَاعِدِ
وَدُقْ مِبَاهِجَ الحَيَاةِ عَذْبَةَ المَوَارِدِ
دَعِ الخَيَالَ وَاطْرَحِ تَوَافِهَ العَقَائِدِ
وَخُضْ مِلَاحِمَ الرِّجَالِ، وَاقْتَحِمْ، وَجَالِدِ!

باتوزيس:

قُلْ لي: مساء الخير، يا صديقي
وَلِنَفْتَرِقُ كُلُّهُ إِلَى طَرِيقِ!

(وفجأة تعلقو ضجة بباب الحانة حيث يبدو «أزيرو» متعلقة بذراعه «شिला»
ومن ورائه جماعة من الرجال والنساء بينهن «سمارا»، ويأخذ أزيرو مكانه
مواجهًا لأزمردا وهو يقبل شिला فيندفع رجل من الجماعة إليه):

أزيرو:

إِلَيْكَ عَنِّي الآن؟ ما تروم؟

الرجل:

أَطْلُبُ حَقِّي، أَيُّهَا الزعيم!

أزيرو:

أها هُنا حَقُّكَ، يا لئيمُ؟

الرجل (بصوت جهوري):

أنا اللئيمُ؟ بلْ أنا المَلومُ!

أزيرو:

إِلامَ تَهْذِي أَيها المَحْمومُ
غَـدًّا أراكَ

الرجل (مهددًا بيده):

موعِدُ محتوم!!

أزيرو (وهو يلعب بسفيهه علامة التهديد):

ألا تَعيشُ، يا فَتَى، إلى الصبَاحِ؟

الرجل (وقد تقلص وجهه):

ألا أَعيشُ؟

أزيرو (متوعدًا ساخرًا):

لا تَخَفْ ولا تُرَعْ!

ديوان علي محمود طه

الرجل (في استخفاف):

ممن أخافُ منك!

أزيرو (مشيراً لسيفه):

بل من السلاح

الرجل (في شراسة):

عَفْوًا أزيرو نحن في الهوى شَرَعُ
هذا سِلَاحٌ لم يُعَدَّ للكفاح
عَدَا غِنَاءٌ أَوْ بكاءٌ وَقَزَعُ!

أحد الجماعة:

يا للشقيِّ قَدْ نَجَا بِنَفْسِهِ

شيلاً:

كَيْفَ أزيرو لَمْ تُطَحْ برأسه

أزيرو:

لا لَنْ أُمَّدَّ إِصْبَعًا للمسيه
غُـدًّا أَرَاهُ

أحد الجماعة:

راقداً في رَمْسِهِ!

الفصل الأول

شילה (مصفقة):

أرسطفان هيئ الشرابا

سمارا:

إملاً لنا الصحافَ والأكوابا

أزيرو:

فاكهةً وخمرةً عجابا

(ويسرع أرسطفان بالأقداح بادئاً بأزيرو وشيلا واضعاً أمامهما صحفتين من العنب والتين، ويمر بالجميع موزعاً الأقداح فيرفعونها وهم يهتفون):

الجميع:

نَحَبُ الزَّعِيمِ نَشْرُبُ وَنَلْعَبُ وَنَطْرِبُ

شילה:

هَيَّا اشْرَبُوا هَيَّا اطْرَبُوا

أزيرو (يقبلها ثم يهمس في أذنها ويخرج من صدارته شيئاً وهو يهتف):

شילה أغمضي ناظريك واقتربي
عندي كنزٌ إليك أهديه

(تغمض عينيها وتقرب وجهها منه فيضع في عنقها عقداً مصاعاً من دنانير ذهبية صغيرة، والجميع ينظرون بلهفة بينما تنهض سمارا من مكانها في غيظ وكمد):

ديوان علي محمود طه

شيلا (وهي تتحسس عنقها):

ماذا أزيرو وَضَعَتَ فِي عُنُقِي؟
ع_____ق_____دُ؟

أزيرو:

أَجَلْ، يَا حَبِيبَتِي، تَيْهِي
أَجْمَلُ عِقْدٍ رَأَيْتَهُ، وَأَرَى
جِيدَكَ أَمْسَى أَحَبَّ مَا فِيهِ

شيلا (إلى سمارة وهي تتأمل العقد):

هاك انظريه!

سمارة (في خبث):

نظرتُ ... وا عَجَبِي!
بعضُ نحاسٍ وبعضُ تمويه

(مشيرة إلى عنق شيلا).

لَوْ كَانَ هَذَا أَحَبَّ مَا فِيهِ
مَا بَاتَ مِنْ دِرْهِمٍ يَسَاوِيهِ

شيلا (غاضبة):

لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ، يَا سَمَارَا، لَأَخْتَفَيْتُ عَنِ الْعَيُونِ

الفصل الأول

سمارا (وهي تشير إلى أزيرو):

لو كَانَ لِي رَجُلٌ لَكُنْتُ ... وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَا أَكُونُ!
لكن سُرِقْتُ وهكذا يُسبَى الرجالُ ويُسرقونُ

شيلا (صارخة في سمارا):

وَيْحِكِ، يَا سَارِقَةَ الْجِيُوبِ!

سمارا (وهي تشيح عنها):

أشرفُ من سارقةِ القلوبِ!

شيلا:

أأنتِ، يَا عَدُوَّةَ الْجَمَالِ

سمارا (في حدة):

بَلْ أَنْتِ، يَا خَاطِفَةَ الرِّجَالِ
أَسْطَى مِنَ الْقِرْصَانِ فِي السَّفِينَةِ
كَيْدُكِ، يَا قِرْصَانَةَ الْمَدِينَةِ!!

(وينهض أزيرو حائقًا فيصفع سمارا ويدفع بها بقوة بين قدمي أزمردا وهي تتشج بقاء، فيرفعها أزمردا ويجلسها على كرسيه بينما يتقدم أزيرو منه صائحًا):

أزيرو:

تَنَحَّ عنها، أَيُّهَا الْقِرْصَانُ!

ديوان علي محمود طه

أزمردا (بصوت رائع):

وَمَنْ تَكُونُ، أَيُّهَا السَّكَرَانُ؟

(فيستل أزيرو سيفه وفي لمحة خاطفة يجرد أزمردا سيفه، ويضرب به سيف أزيرو فيكسره ويقف أزيرو عاجزًا.)

أزيرو (مدممًا):

قد حُنْتُني!

أزمردا (في عنف وهو ينزع قلنسوته):

بل خانك الجنان
أنظر لوجهي أيُّها الجبان!

(وتتردد صيحة من جوانب الحانة.)

أزيرو (وهو ممتقع الوجه.):

أزم ... ردا أزم ... ردا
أزم ... ردا

(ويتراجع الرجال والنساء متلاصقين خوفًا وهم يرددون هذا الاسم في رعب وفزع، بينما يغمد أزمردا سيفه ويتناول قلنسوته، ويشير إلى باتوزيس فيهرع إليه طائعًا، ويسير إلى جانبه كالمسحور، وهما يغادران الحانة تتبعهما سمارا بين هذه الصيحات والهمسات!)

الفصل الثاني

المنظر الأول

أزمردا، سفينته الصغيرة الأحاذة المنظر راسية في الصباح في مكان غربي ميناء «رافيا» على شاطئ غريب منبسّط متألّق الرمال. فيه زهرات برية مختلفة الألوان ونبت جميل وشجرات صغيرة من النخيل والزيتون، منتشرة بينها بعض الصخور وعلى الأفق تبدو أشباح سحب وجبال. أزمردا وماتوكا يتأملان في دهشة الشاطئ.

ماتوكا:

سَيِّدِي! ما أرى الغداةَ إزائي؟

أزمردا:

شاطئٌ ضاحكٌ الثرى والماء

ماتوكا:

فيه نبتٌ، وفيه زهرٌ جميلٌ،
وظلالٌ تموجُ في أضواءِ

أزمردا:

كَالَّذِي تَذْكُرُ الْقَوَافِلُ عَنْهُ
كُلَّ عَامٍ فِي مَسْتَهْلِ الشِّتَاءِ
مُلْتَقَى الْعَابِرِينَ مِنْ أَرْضِ كِنْعَانَ
إِلَى مَصْرَ أَوْ حَمَى سَيْنَاءِ

ماتوكا:

أَيُّ رُوحٍ خَفِيَّةٍ، أَيُّ رِيحٍ
حَمَلْتُنَا بِأَجْنَحٍ فِي الْخَفَاءِ؟
نَشَرْتَ ذَلِكَ الشَّرَاعَ وَأَمَّتْ
ذَلِكَ الشَّاطِئُ الْعَجِيبَ الرِّوَاءِ

أزمردا (وكأنه لم يسمع كلام ماتوكا):

نَحْنُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ إِلَى مَصْرَ
وَهَذِي عَجِيبَةُ الْأَنْبَاءِ

ماتوكا (تاركا أزمردا متوجهاً إلى البحر منحنيًا يبحث بين الأصداف):

يَا لِهَذِي الرِّمَالِ تَلْمَعُ وَالْأَصْدَافِ
فِيهَا كَثِيرَةٌ اللَّأْلَاءِ
فَلَأَفْتَشَنَّ فِيهِنَّ عَنْ دُرَّةِ عِصْمَاءِ
وَلتُحَسِّنِ الْحِظُوظُ لِقَائِي!

أزمردا:

يَا مَاتُوكَا الزِّمِ الْحِذْرُ نَحْنُ فِي مَوْقِفِ الْخَطَرِ
تَطْمَعُ الْآنَ فِي اللَّالِي، يَا هُزُوءَةَ الْقَدْرِ!

ماتوكا (وهو مستمر في بحثه):

منك، يا سيدي، عرفتُ متى أَلْزَمُ الحَذْرُ
وَتَعَلَّمْتُ سَيِّدِي كَيْفَ لَا يَقْنَعُ البَشْرُ!
أنا، في البَحْرِ، باحثٌ عَنْ يَتِيمٍ مِنَ الدَّرْرِ
مثلما أَنْتَ باحثٌ عَنْ يَتِيمَاتِكَ الأَحْرُ!
الصبايا المُرَنِّحَاتُ مِنَ الدَّلِّ والخَفْرِ!

أُزمردا:

أيها الغرُّ، لا تُغْرِكَ بِرَأَقَةِ الحَجَرِ
جَفًّا حَلَقًا مِنَ الظما ذاك بَرْقُ بلا مَطَرِ

(ويستمر ماتوكا في عمله غير مصغ إلى كلام سيده فينصرف أزمردا عنه
ويجلس على صخرة، وهو يقول):

عَشْتُ عمري بذلك البَحْرِ أَلْقَى
فِيهِ شَتَّى الرِّياحِ وَالأنواءِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَلْقَ مِثْلَ رِياحِ
الأَمْسِ! يا للعواصِفِ الخرساءِ!
أهَيَ تلك التي تَحَدَّثُ باتوزيس
عنها في مَجْلِسِ الصهباءِ؟
فَتِيَّاتُ الرِّياحِ، أَلهَةُ المَوجِ
المَغْنِيِّ، عرائسُ الدَّاماءِ؟
قَصَصٌ مِنَ خرافةِ أَوَّلِ النَاسِ
بِها كُُلُّ حادِثٍ بِقَضاءِ
وَأساطيرُ «طِيبية»، رَبِّةِ السَّحْرِ،
ومهدِ الخِيالِ والإغراءِ

وَعَجِيبٌ رُقَادُنَا لَا نُحِسُّ الْفَلَكَ
تَجْرِي وَلَا هَدِيرَ الْمَاءِ
أُتْرَى بِاتُّوزَيْسُ دَبَّرَ أَمْرًا
فَسَقَانِي وَاشْتَطَّ فِي إِسْقَائِي!
وَرَأَنِي أَغْطُ فِي النَّوْمِ فَانَسَابَ
خَفِيْفًا كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ
ثُمَّ حَلَّ الشَّرَاعَ، وَانْتَزَعَ الْمَرْسَاةَ،
مَسْتَلْهِمًا مَهَبَّ الْهَوَاءِ
لَا ... فَأَيْنَ الْعَبِيدُ أَمْ أَيْنَ مَاتُوكَا
الشَّدِيدُ الْحَرِصِ الْقَوِيُّ الدَّهَاءِ
لَا ... فَمَا زَالَ بِاتُّوزَيْسِ صَرِيحَ الْكَأْسِ
نَهَبَ الْأَحْلَامِ وَالْأَهْوَاءِ
هُوَ فِي مُخْدَعِي كَمَا بَاتَ، يَهْدِي
بِالسُّكَارَى، وَبِالطَّلَا وَالْغِنَاءِ
فَلِيكُنْ مُنْشِدَ السَّفِينَةِ أَحْتَالُ
بِهِ فِي مَوَاقِفِ الْإِغْوَاءِ
كَلِمَا أَطْبَقْتُ فِخَاخِي عَلَى صَيْدِ
غَرِيرٍ مِنْ نَافِرَاتِ الظُّبَاءِ
غَاشِيَاتِ الْأَسْوَاقِ فِي كُلِّ مِينَاءِ،
وَمِنْهُنَّ صَاحِبَاتُ الْخَبَاءِ
كَانَ عِيدُ الْبَحَارِ مُوسَمَ صَيْدِي
فِي دِيَارِ بِالْمُغْرِيَاتِ مِلَاءِ
عُدْتُ مِنْهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ بِيَوْمِ
لَمْ أَفُقْ فِيهِ مِنْ حُمَارِ الْمَسَاءِ
فَلْتَكُنْ وَجْهَتِي إِلَى الْغَرْبِ عَلِّي
ظَافِرٌ مِنْ غَنِيْمَتِي بِلِقَاءِ!

(ثم يقف أزمردا متطلعًا إلى الأفق البعيد متأملًا صفاء السماء، وهو يقول):

الفصل الثاني

يا عينُ ما أجملَ هذا الصبَّاحُ
يثيرُ في نَفْسِي قَوِيَّ الطُّمَّاحِ
للصيدِ، والكَّاسِ، وحبِّ المَرَّاحِ

(تبدو في هذه اللحظة أربع فتيات جميلات كأنهن قادمات إلى نزهة على الساحل، وهن يتمخرن صفًا واحدًا متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموسيقي الموقع، فيشيع في نفسه الرجاء ويفرك كفيه مبتهجًا، وهو يقول):

يا عينُ، ما هذي الوجوه الصُّباحُ
وهذه القاماتُ مثلُ الرِّمَّاحِ
طوالُ الحسنِ، الصبايا، المِلاخِ

(لنفسه)

حبائلي، لا يُخْطِئُكَ النَّجَّاحُ
وهل يُتَّاحُ الصيدُ لي؟ هل يُتَّاحُ؟

(الفتيات وقد اقتربن من مكان أزمردا وهن مبتهجات باليوم الجميل ومنظر الميناء، وينظرن إلى أزمردا وهو يحني رأسه قليلاً ويشير بيديه تحية لهن):

أزمردا:

عَمَّنْ صباحًا، أيها الحسنُ

الفتيات:

وعَمَّنْ صباحًا، أيها الرُّبَّانُ

أزمردا:

أَمْبَحْرَاتُ؟ حَبَّذَا الْأَوَانُ
فَالْبَحْرُ صَفْوُ كُلِّهِ أَمَانُ
حَتَّى الرِّيحُ مَسَّهَا الْحِنَانُ
أَوْ عَطَفَتْهَا لِلْكَرَى الشَّطَّانُ
سَفِينَتِي، يَا حُسْنَ، لَوْ تَزَانُ
بَكْنَ أَوْ يُسَعِدُهَا الزَّمَانُ

(أزمردا يتوجه إليهن باسمًا بعد أن أتم كلامه، فيبتسمن له ويقفن كأنما يتفرجن على سفينته الراسية بينا يختلسن النظرات منه ومن زيه الغريب الجميل):

حروازا:

أَيُّهَا الرَّبَّانُ، لَسْنَا مَوْذَنَاتٍ بِرَحِيلِ
نَحْنُ مَا جِئْنَا إِلَى الشَّاطِئِ نَسْعَى لِسَبِيلِ

مريتا:

إِنِّهَا تَسْلِيَةُ النَّفْسِ، وَإِرْضَاءُ الْمَيُولِ
بَيْنَ نَوْرِ الْأَفُقِ الضَّاحِكِ وَالْبَحْرِ الْجَمِيلِ

أزمردا:

حَبَّذَا أَنْتَنَّ، فِي الشَّاطِئِ، تَخْطِرَنَ مَلِيًّا
يَا أَرْقُ الْحَوْرِ، يَا أَجْمَلَ مَنْ رَفَّ عَلَيَّا
حَبَّذَا هَذَا الْحَدِيثُ الْعَذْبُ مِنْكَنَّ إِلَيَّا

(إلى حروازا):

الفصل الثاني

خَبَّرِينِي أَنْتِ، يَا حَسَنَاءُ، يَا أُخْتَ الثَّرِيَّاءِ
صَوْتِكَ السَّاحِرُ يَسْرِي نَعْمًا فِي أُذُنِيَّاءِ
وَبِعَيْنِي فَتُونُ مَنْ سَنَا هَذَا الْمُحِبَّاءِ
أُنْزَى تَسْكُنُ هَذَا الْوَادِي الْخِصْبِ النَّدِيَّاءِ؟
حَبِذَا الدَّارُ الَّتِي تَمْنَحُنَهَا الْعَيْشَ الرِّضِيَّاءِ
خَبَّرِينِي، أَيْنَ أَلْقَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الْوَضِيَّاءِ
لأَحْيِيهِ إِذَا مَا جِئْتُ صُبْحًا وَعَشِيَّاءِ

حروازا:

يَا أَخَا الرَّقَّةِ وَالزِّيِّ الْعَجِيبِ
أَنْتَ لَا شَكَّ غَرِيبٌ هَا هُنَا
إِنْ تَسَلْ عَنْ مَرْفَأِ النَّيْلِ الْقَرِيبِ
فَاتَّجِهْ غَرْبًا عَلَى هَذَا السَّنَاءِ

مريتيا:

أَوْ تَسَلْ عَنْ ذَلِكَ الْوَادِي الْخِصْبِ
فَهُوَ مَعْنَى الْأُنْسِ، أَوْ رَوْضُ الْمُنَى

ويشافا:

نَلْتَقِي فِيهِ عَلَى شَطِّ حَبِيبِ
كُلِّ عَامٍ مَا دَعَا الشُّوقُ بِنَاءِ

أسميتا:

مَا لَنَا مِنْ مَنَزِلٍ فِيهِ رَتِيبِ
مِصْرُ مِنْ أَطْرَافِهَا دَارُ لَنَا!

ديوان علي محمود طه

(ثم يعدن إلى خطرتهن الأولى متماسكات الأيدي فيما يشبه الرقص الموقع،
متجهات في طريقهن الأول مبتعدات عن أزمردا.)

أزمردا (هاتفًا بعد تفكير خاطف كأنما كان يدبر في نفسه أمرا):

هذه اللحظة الجميلة حلم البحر،
حلم السفائن الراقصات
سرت وامرحن، أو تغنين ماشتنن،
وانعمن بالصبا والحياة
وليكن يومكن، يا فتياتي،
يوم عيد لهذه الكائنات

ويشافا (ناظرة خلفها):

رَجُلٌ مُعْجِبٌ وَأَعْجِبُ مِنْهُ
زِيَّةُ الْمَذْهَبِ الْجَمِيلِ الشَّيْثِ!

(ويظهر ماتوكا في هذه اللحظة مقبلًا من الشاطئ فيرى الفتيات الأربع ولا
يصدق ما يراه، وينظر إلى أزمردا فيراه واقفًا في مكانه شاخصًا إلى الفتيات
وكانه مأخوذ وحين يرى ماتوكا إزاءه يقول):

ماتوكا:

أَذَنِّي بِوَجْهِكَ الظُّهُورُ
فَعَابَ عَنِّي الأُنْسُ وَالْحَبُورُ
وأنت، يا أسود، يا مغرور

(مشيرًا إلى الفتيات وهن يبتعدن.)

تَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ يَغِيبُ النُّورُ!

ماتوكا (شاخصًا حيث يشير أزمردا):

أبصر حور البحر يمرحَن، أم ترى
هو الشاطئ المسحور، أم أنا أحلم؟

أزمردا:

بل الواقع المرئي حور فواتن
دعاهنَّ لهو أو دعاهنَّ مائم
تحايلتُ أدعوهنَّ حتى حَسِبْتُنِي
أخا صَبُوءَ أو شاعرًا يترنم
وسدَّتْ سهمي في الصميمِ فصدّه
خيالٌ حَفِيٌّ، أو جلالٌ مُلْتَم
رأيتُ قُوَى فيهنَّ لم أرَ مثلها
كالهةِ علويةٍ تتكلم

ماتوكا:

أمنك تعلمتُ الجراءة والسُّطا
وَأَلْقَاكَ أزمردا تَهْمُ فَتُحْجِمُ؟

أزمردا:

رويدك، ما توكا، فما تلكَ خطَّتي
ولأنا مَمَّنْ يُسْتَثَارُ فيهْجَمُ
ولي قدرةٌ ليستُ تعفُّ، وجرأةٌ
يخافُ سطاها القسورَ المتأجِّمُ
وأشتفُّ أهواءَ النفوسِ بنظرةٍ
تذوقُ الطلا في الدنِّ، وهو مختَم

ديوان علي محمود طه

وَلَكِنِّي أَحْتَالُ بِالشُّعْرِ وَالْهَوَى
وَأَسْتَلْهُمُ الحَسْنَ الخِيَالَ وَالْهَمُّ
وَيَا رَبِّ صَيِّدِ نَفْرَتَهُ ضِرَاوَةً
وَأَسْلِسْهُ فِي القَيْدِ لَفْظٌ مُنْعَمٌ

ماتوكا:

وَلَكِنْ قُوهَنَّ العَجِييَاتُ!

أزمردا:

لا تَرْعُ
فَللمَنْطِقُ الخَلَابِ أَقْوَى وَأَعْظَمُ

(مشيرًا إلى لسانه.)

بِقِطْعَةٍ هَذَا اللّحْمِ يَمْضَغُهَا الفَمُ
أَزْلِزُّ أَرْكَانَ الجِبَالِ وَأَحْطِمُ

ماتوكا:

وَإِنْ هُنَّ حَاولنَ الفِرَارَ!

أزمردا:

حَبَائِلِي
تَسُدُّ عَلَى الرِّيحِ الفِضَاءَ وَتَدْهَمُ
أَتَفَلَّتُ مِنْ كَفِّي قَنَائِصُ أَرْبَعُ؟
لَهُنَّ جَمِيعًا لِي مَتَاعٌ وَمَعْنَمٌ!

ماتوكا:

أثرتَ فضولي بالكلام فما ترى
وقوفك ترنو نحوهنَّ وتبسمُ؟

أزمردا:

لأَمْضِي فِي آثَارِهِنَّ وَأَتَّقِي
خُطَاهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَ الْمُتَكْتَمُ
أَرَاهُنَّ لَا أَبْدُو، وَأَسْمَعُ لَا أَرَى
كَأَنِّي خِيَالُ ضَائِعِ الظِّلِّ مُبْهِم!

ماتوكا:

وما تَتَّقِي؟

أزمردا:

إِنَّ النِّسَاءَ غَرَائِزُ
تَحْسُ دَيْبِبَ الوَهْمِ إِذْ يُنَوِّهَمُ

ماتوكا:

وما تَبْتَغِي؟

أزمردا:

أَسْرَارَهُنَّ وَإِنْهَا
مَفَاتِيحُ بَابِ خَلْفِهِ الحِظُّ يَجْتُمُّ

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو يلف طيلساته على كتفه بقوة):

إِيهِنَّ أْزَمْرَدًا! إِيهِنَّ لَا تَقْفُ!
أَلْهَةَ الشَّرِّ انظري كَيْفَ أُقَدِّمُ!

(وينطلق أزمردا في أثر الفتيات.)

المنظر الثاني

بقعة خضراء تشبه الواحة ذات شجر ونبات خلف صخرة بيضاء تحجبها عن البحر، وعن الأنظار، يهبط إليها الفتيات دون أن يشعرن بتعقب أزمردا لهن وقد اختفى وراء الصخرة مطلقاً عليهن من فجوة صغيرة، فيراهن وقد أخذن يخلعن غلائلهن الشفافة ويلقينها على العشب بينما تنشد حروازا:

حروازا:

إلى صخرتنا البيضاء بين الماء والخضرة
تعالِي، يا مِريتَا، وارْقُصي رقصتكِ الحُرَّة
على ترنيمَةٍ أَسْمِيَّتًا، وشدوِ الموجِ للصَّخْرَةِ
وَعَنِّي أَنْتِ وَيَشَافَا بِصَوْتِ سَاحِرِ النَّبْرَةِ
أَغَانِي الرِّيحِ على حوافي الأَعْيُنِ النَّوَّرَةِ
وَأَنْتِ، عرائسَ الأمواجِ، قد أفضى الهوى سرَّهُ
ونادتكِ شِفاهُ من زُهورِ الأرضِ مَفْتَرَهُ
فهبِّي من وراءِ البحرِ، أو فانطلقِي عِبْرَهُ
وَعَنِّي مَعَنَا لحنَ النَّدَى الرَّفَافِ بِالرَّهْرِهِ
وَتَلْعَابِ السَّحَابِ إِذَا أَثَارَ البرقِ أو عَرَّهُ

(وفجأة تتردد من فضاء البحر ضحكات مطربات، وتتب عرائس الأمواج شاديات راقصات مرسلات الشعور شبه عاريات، يتحلين بصفائر الورد

الفصل الثاني

والأصداف البراقة ويملأن جوانب المكان، بينما يأخذن جميعهن في الرقص
التوقيعي، وهن ينشدن):

عرائس الموج
نحنُ الحبيباتُ
لنا على المَرَجِ
للَّهِ مِيقَاتُ

إِنْ يَطَّلِعُ الْفَجْرُ
تُفْتَحُ الْأَصْدَافُ
وَيَصْدَحُ الْبَحْرُ
فِي مَوْكِبِ زَفَافِ

لَبَّيْكَ قَدْ جِئْنَا
بِالْجِسْمِ وَالرُّوحِ
فَسَلِّسْ لِي اللَّحْنَ
أَلْهَةَ الرِّيحِ

عُشَّاقْنَا نَامُوا
عَنْ فَجْرِنَا الْوَهَّاجِ
وَالْأَفُقُ أَنْغَامُ
وَالشُّطُّ وَالْأَمْوَاجُ

مَا مَتَّعُوا النَّفْسَا
بِطَّلَعَةِ الْحَوْرِ

ديوان علي محمود طه

أَوْ مَلَأُوا الْكَأْسَا
مِنْ خَمْرَةِ النُّورِ

(وينتهين من إنشادهن بانتهاء مريتا من رقصتها فتتقدم ويشافا وتبدأ
أغنيتهما):

ويشافا:

أَنَا أُخْتُ الصَّبَا
أَنْ بِنْتُ الشَّمَالِ
أَنَا رُوحُ الصَّبَا
أَنَا حُلْمُ الْخَيَالِ

طَوَّقْتُ سَاعِدِي
بِحُرِّ «إِيجَا» الْجَمِيلِ
وَأَحْتَوْتُ بِالْيَدِ
شَطَّ مِصْرَ الظَّلِيلِ

أَتَشَهَّى الرَّقَاذِ
وَأُحِبُّ الْمَرْخَ
مَنْ يَجِيءُ بِالْوَدَادِ
جِئْتُهُ بِالْفَرْخِ

لَيْسَ يَشْكُو الْمَلَالُ
مَنْ صَفَا لِي هَوَاهُ
إِنَّ رِيحَ الشَّمَالِ

الفصل الثاني

هِيَ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ آلِهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَتَبَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَيَّ مَلَكُوتُهَا

حروازا (تتقدم وهي تغني):

أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ أَوْ بِنْتُ الضِّيَاءِ
أَنَا مَنْ تَمَنَّحُ أَنْفَاسَ الشَّرُوقِ
بِيَدَيَّ أَفْتَحُ طَاقَاتِ السَّمَاءِ
عَنْ دَرَى وَلَأَلَاءِ يَرُوقِ
أَصْحَبُ الشَّمْسِ إِلَى ضَحْوَتِهَا
وَهِيَ تَسْعَى يَسْبِي وَيَدَاها فِي يَدَيَّ
هَيَّاتُ لِي الشَّمْسُ فِي سَاحَتِهَا
مَنْزَلُ الحُبِّ وَعَيْشُ الرَّغْدِ
كَمْ تُرَى يُشْغَفَنِي حُبُّ الطَّعَامِ
مِثْلَ «أَبَيْسٍ» اشْتَهَاءً وَهَيَامًا
نَهْمٌ يُغْرِي بِمَضْغِ وَالتَّهَامِ
مِثْلَ «سَيْتٍ» حِينَ يَشْتَاقُ الطَّعَامَا
أَنَا بِنْتُ الشَّرْقِ، أَوْ رُوحُ سَنَاهُ
أَنَا رِيحُ الشَّرْقِ، أَوْ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ آلِهَتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَتَبَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهَتِي أُعْطِيَتْهَا

أحيا بها أبدَ الزمانِ، وفي يدي ملكوتها

مرينا:

أنا ريحُ الغَربِ
بِنْتُ الأَبَـادِ
أنا هَمْسُ القَلبِ
أنا رَجْعُ الشَّادِي
أنا رَمَزُ الحُبِّ
في هذا الوادي
أنا التي أَعْبُرُ الصَّحراءَ فوقَ حُطَيِّ
مِنَ نِكْرِياتٍ وَأَحلامٍ وَأَشواقِ
أنا التي اتَّخَذْتُ رُوحِي لها وَطَنًا
أجسادَ آلِهَةٍ عانينَ عَشاقِ
لم أَرُنْ يومًا ورائي، غيرَ ناظِرَةٍ
إِلَّا لِضَوْءِ بافِقِ الغَربِ حَفاقِ
يهتاجني موجُهُ والشَّمسُ سابِحَةٌ
في مِثْلِ بَحْرِ مِنَ النيرانِ الأَقِ
مَضَى حَبيبِي ولم أَبْرَحْ لِعَوَدَتِهِ
على الرُّبى بِفؤادِ جِدِّ مُشْتاقِ
والليلُ يُرْخِي على شِعْري جِداثَهُ
فوقَ الرِّمالِ، وزادَ البَرْدُ إِرْهاقي
وقد سَنَدْتُ بِكفِي جِبْهَتِي، وهوتُ
قَبِثارَتِي من يَدِي من طولِ إِطْراقِي
من قَبْلِ ما كانَ في الوادي وَضَفَّتَهُ
مُلْكانِ مُخْتَلِفا عَهْدِ ومِثاقِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهْتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَانَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهْتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَي مَلَكُوتُهَا

أَسْمِيْنَا (تتقدم وتغني):

أَنَا بِنْتُ الْجَنُوبِ، رِيحُ الْحَيَاةِ
أَنَا زَنْجِيَّةٌ تَسْوِقُ الْمَاءَ
أَنَا حُبُّ الثَّرَى، وَحُلْمُ النَّبَاتِ
فِيهِ أَحْيَا وَأُبْعَثُ الْأَحْيَاءَ
أَنَا سِرُّ الْحَيَاةِ وَالْكَائِنَاتِ
إِنَّ رِيحَ الْجَنُوبِ رِيحُ الْحَيَاةِ

الفتيات (ينشدن):

سَاءَلْتُ إِلَهْتِي، فَكَانَتْ لِي الرِّيحُ وَكَانَتْهَا
وَهِيَ الْحَيَاةُ، كَمَا سَأَلْتُ إِلَهْتِي أُعْطِيَتْهَا
أَحْيَا بِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ، وَفِي يَدَي مَلَكُوتُهَا

(وتسرع الفتيات وهن يتضحكن في ارتداء غلائلهن وقد سارت عرائس الموج إلى البحر، فيغادر أزمردا مكانه ويدخل عليهن فجأة فتشرئب العيون إليه وهو في زيه الفاتن الرائع فيشيع الصوت بينهن، وهو يقول):

أزمردا:

أَيُّهَا الْفَاتِنَاتُ، أَيُّهَا الْأَرْوَاحُ، أَنْتَنَّ يَا رِيَاخَ السَّمَاءِ
يَا جَمِيلَاتُ، هَلْ لَكُنَّ بَأَنْ تَقْبَلْنَ مِنِّي تَحِيَّتِي وَوَلَائِي؟
مَا تُرَاهَا أَسْمَاؤُكُنَّ، وَمَنْ وَاهِبُ هَذِي الصِّفَاتِ الْأَسْمَاءِ

ديوان علي محمود طه

من تراه؟ ومن حباكنَّ هذا البأس والملك واسع الأرجاء؟

حروازا:

قد وُلدنا من قبل أن يبعث الناس لعيشٍ مقدرٍ وهلاكٍ

مريتا:

ووجدنا من قبل أن يوجد الأرباب، من قبل دورة الأفلاكِ

ويشافا:

قبلما يغتدي إلى الصيد قنَّاص ويهوي طيرٌ صريع شباكِ
قبلما تعلقُ الحبالُ بثورٍ أو ثقتهُ، فما له من فكاكِ

أسميتا:

قبلما لامس الهوى جسم «ماتريت»، ومسته قبلة المشتاقِ

مريتا:

قبلما ضمَّها ذراعُ مُحبٍّ، واحتوتها أحضانه لعناقِ

حروازا:

قبلما أشبعت رغباً إله، أزلِّي، مصوِّر، خلَّاقِ
منحتني إلهة الريح سلطاني هذا، فسُدت في الأفاقِ!!

أمردا (إلى حروازا):

يا رَبَّةَ الحَسَنِ تَعَالَى مَعِي
سَفِينَتِي فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ
أَلْقِي عَلَيَّهَا نَظْرَةً وَارْجِعِي
هَلَّا نَزَلتِ الآنَ؟ هَيَّا مَعِي!

حروازا:

لا ... إِنَّ لِي سَفِينَتِي مَهِيَّاهُ
تَجْرِي إِلَى التَّغْرِ تَوَمُّ مَرْفَاحُ
حَيْثُ أُعِدَّتْ لِي فِيهِ مُنْشَأُهُ
مَنْشُورَةٌ قَلُوعُهَا مُضَوَّاهُ
مَأْمُونَةٌ عَلَى المَدَى سَبِيحُهَا
أَلْفُ ذِرَاعٍ لَوْ عَلِمْتَ طُولُهَا
أَرْقَى بِهَا مَعَارِجَ السَّمَاءِ
لِلشَّمْسِ فِي مَنزِلِهَا الوَضَاءِ

أزمردا (قائلاً لنفسه):

أأقول: قد ضهبت محاولتي سُدَى؟
هيهات إن وسائلِي لِن تَنفِدا!
أَيَّتُهَا الرِّبَاتُ، إِنَّ تَجْهَلُنِنِي فَمَعْدِرَةٌ
لِقَاوِكُنَّ قِسْمَةَ الأَلْهَةِ المُقَدَّرَةَ
عَرَفْتَكُنَّ بِالوَجُوهِ وَالخُطَى المَعْبُورَةَ

(مشيراً لحروازا).

أَلَسْتُ حروازا ابنة المطالع المنورة؟

ديوان علي محمود طه

حَبِيبَةَ الْمَشْرِقِ أَوْ أَنْفَاسَهُ الْمُعْطَّرَةَ

(إلى ويشافا.)

أَلَسْتِ وَيَشَافَا ابْنَةَ الشَّوَاطِئِ الْمُنْضَّرَةِ؟
طَيْفَ الشَّمَالِ، رُوحَهُ الْقَوِيَّةَ الْمُؤَثَّرَةَ

(إلى مريتا.)

أَلَسْتِ أَنْتِ، يَا مَرِيَّتَا، الْفَتْنَةَ الْمَصُورَةَ؟
حُلْمَ الْمَسَاءِ، رَبَّةَ الْمَغَارِبِ الْمَعْصِفَرَةَ

(إلى اسميتا.)

وَأَنْتِ، يَا اسْمِيَّتَا، ابْنَةَ الْيُنَابِعِ الْمَفْجَرَةِ
إِلَهَةَ الْغَايَةِ، عِذْرَاءَ الْجِبَالِ الْمَقْمِرَةَ

حروازا:

عقولنا مما رويت، يا فنى، منبهرة

مريتا:

لا شك أنت من وراء الكون روح محضرة

أسميتا:

إن لم تكن مشعوذاً أوتي علم السحرة!

أزمردا (إلى الفتيات):

يا جميلاتُ، يا فواتنُ، يا أظرفَ ما مثَّلتُ صفاتُ السماءِ
يا أرقَّ المسمَّياتِ بأحلى
ما جرى في الشفاهِ من أسماءِ
فلَيَزِدْكَنَّ مِنْ شَبَابٍ وَحَسَنِ
كُلِّ صُبْحٍ مُجَدِّدٍ وَمَسَاءِ
ورعتُ خطوكنَّ آلهةَ الوادي
على الأفقِ، والثرى، والماءِ
يا حريَّاتُ بالذي ما تراءى
لعيانٍ، ولا جرى بسَمَاعِ
ما السفينُ المجنَّحاتُ تناهى
طرفاها بألفِ ألفِ ذراعِ
كالتي صَفَّقَتْ لَكُنَّ مَجَادِفَ
وَحَيَّتْ بِقَرْمَزِيٍّ شَرَاغِ
جَمَعَتْ مِنْ عَجَائِبِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ،
وَمِنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَمَتَاعِ
كُلُّ ما في سفينتي طوعُ أيديكنَّ،
من كُلاً جَوْهَرٍ وَثِيَابِ
مِنْ شَفُوفٍ وَرَدِيَّةٍ نَسَجْتَهُنَّ
العذارى عرائسُ الأربابِ
مِنْ يَواقِيتِ، مِنْ يَتِيمِ لَالِ
ما رأتها في الحُلْمِ عَيْنُ كَعَابِ
مِنْ طَيُوبٍ بِكَفِّهَا قَطَرَتْهَا
مَلِكاتُ الْجَمالِ مِنْ كُلاً غابِ

ويشافا:

كَمْ مَرَحْنَا بِشِرَاعٍ وَسَبَحْنَا بِسَفِينِ

أسميتا:

وَسَمَعْنَا مِنْ حَيَالٍ وَعَرَفْنَا مَنْ يَقِينِ

مريتا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالْجَوْهَرِ وَالْدُرِّ الْمَصُونِ؟

حروازا:

أَيْنَا تَوَثَّرُ بِالطَّيِّبِ وَبِالثَّوْبِ الثَّمِينِ؟

ويشافا:

أَيُّهَا يَصْلِحُ لِي عِنْدَكَ يَا رَبَّ الْفِتُونِ؟
أَيُّهَا الْفَاتِنُ بِالرَّقَّةِ وَاللَّفْظِ الْمَبِينِ

أزمردا (إلى ويشافا):

أَيُّهَا الْقَادِمَةُ الْحَسَنَاءُ مِنْ خُضْرِ الْبِقَاعِ
أَنْتِ، يَا مَنْ طَوَّقَتْ «إِيْجَةَ» مِنْهَا بَذْرَاعِ
وَاحْتَوَتْ أَطْرَافَ مِصْرٍ بَيْنَ رَفَافِ الشُّعَاعِ

* * *

أَنْتِ، يَا بَاعِثَةَ الْبَهْجَةِ فِي قَلْبِ الصَّدِيقِ
لَكَ عِنْدِي كُلُّ فَتَّانٍ مِنَ الثُّوْبِ أَنْيَقِ

الفصل الثاني

* * *

يُبْرزُ الْفِتْنَةَ مِنْ سَاقِيكَ وَالْقَدَّ الرَّشِيقَ
لِكَ عِنْدِي مِزْهَرٌ صُنْعُ أُسَاطِيرِ الشَّمَالِ
وَحَيُّ مُوسِيقَاهُ بُوهِيمِيَّةٌ بِنْتُ خِيَالِ
وَهُوَ لَحْنٌ فَاضٌ مِنْ بَيْنِ سَحَابٍ وَجِبَالِ

* * *

شَعْرُكَ الْمَرْسَلُ، يَا شَقْرَاءُ، مَا أْبْلَغَ سِحْرَهُ
إِنْ تَحَلَّى مِنْ أَوَانِي الْحَبِيبَاتِ بَرْهَرَةَ
وَزَهَتْ فِي مَفْرَقِيهِ مِنْ بَحَارِ الشَّرْقِ دُرَّهُ

* * *

لِكَ عِنْدِي تَحْتَ ضَوْءِ الْأَفُقِ الشَّرْقِيِّ حَجْرَهُ
وَوَسَادُ عِبْقَرِيٍّ إِنْ غَفَتُ عَيْنَاكَ فَتْرَهُ
حَشْوُهُ رِيشٌ نَعَامٌ لَمْ يَرِ الصَّائِدُ وَكْرَهُ

حروازا:

وَأَنَا، مَاذَا تُرَى أَعْدَدْتَ لِي
مِنْ طَيُوبٍ، وَشَفُوفٍ، وَحُلِيِّ
أَيُّهَا الشَّادِي الرَّقِيقُ الْغَزَلِ

أزمردا (إلى حروازا):

يَا أُسَيُويَّةُ أَنْتِ، يَا غِيدَاءُ، يَا بِنْتَ الضِّيَاءِ
يَا مَنْ وَهَبْتَ الشَّرْقَ أَنْفَاسًا مُسَلَّسَةَ النِّقَاءِ
يَا مَنْ تَفْتَحُ عَنْ عَيُونِ الْمَاءِ طَاقَاتِ السَّمَاءِ

* * *

أَنْفَاسُكَ الذَّهْبِيَّةُ النَّشْوَى بِصَهْبَاءِ الشَّرِيقِ
لِمَ لَا يُنَاسِمَهُنَّ عِطْرٌ فِي إِنْءٍ مِنْ عَقِيقِ
مَزَجْتَهُ سَاحِرَةً بِسِرِّ الْحَبِّ فِي زَمَنِ سَحِيقِ

* * *

أُحْرَى بِلَبَّتِكَ الْجَمِيلَةِ، يَا جَمِيلَةً، عَقْدُ مَا سِ
لِصَفَاءِ رُوحِكَ أَوْ لِدَاتِكَ فِي أَشْعَتِهِ انْعِكَاسِ
مَا فِي كُنُوزِ الْأَرْضِ مِنْهُ، وَمَا لِجَوْهَرِهِ جِنَاسِ

* * *

أُحْرَى بِإِصْبَعِكَ الرَّهِيْفَةِ خَاتِمٌ، بَلْ خَاتِمَانُ
تُؤَمِّي بِأَحْكَامِ الْمَقَادِيرِ فِيهِمَا يَاقُوتَتَانِ
مَا خُتِّمَتْ بِهِمَا مَتَوَجِّعَةً عَلَى عَرْشِ الزَّمَانِ

* * *

أُحْرَى بِقَامَتِكَ الرَّشِيقَةِ مُطْرَفُ ضَافِي الذِّيُولِ
رَسَمْتَ عَلَيْهِ يَدُ الْهُوَى أَحْلَامَ فَاتِنَةٍ قَتُولِ
شَهْبُ وَأَزْهَارُ، وَلَيْسَ لَهَا أَفُولُ أَوْ ذَبُولِ

* * *

فَإِذَا احْتَوَتْكَ سَفِينَتِي نَلْتِ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ
وَطَعَمْتِ مِنْ ثَمَرٍ مِنَ الْكَرْمِ الْجَنِيِّ جَمَعْتَهُ
وَشَرِبْتِ مِنْ قَدَحٍ بِخَمْرِ إِلَهْتِي أَتْرَعْتَهُ

حروازا:

يَا أُحَوَاتِي، هَلْ رَأَيْتَنِي فَتَى فِي حُسْنِهِ

الفصل الثاني

مَا ضَرَرْنَا أَلَّا نَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ

مریتا:

أُخْتَاهُ، مَا أَحْذَرُ غَيْرَ سِحْرِهِ وَفَنِّهِ

حروازا:

لَا تَحْذَرِي، إِنِّي أَرَى الطَّيِّبَةَ مِلءَ عَيْنِهِ
يَكَادُ قَلْبُهُ يُضِيءُ فِي بَيَاضِ سِنَّهِ

ويشافا:

أَسْمَعَتِ الطَّفَّ مِنْ عِبَارَتِهِ

حروازا:

وَرَأَيْتِ أَجْمَلَ مِنْ إِشَارَتِهِ
وَيَدَاهُ تَعَبَتْ فِي صِدَارَتِهِ؟

مریتا:

أَغْرَاكِ، يَا حَوَاءَ، سَبَطُ الْقَوَامِ
أَنْتَظِرِي حَتَّى يُتِمَّ الْكَلَامَ

أزمردا (إلى مریتا):

أُخْتِ «يَا هُو»، إِلَهَةَ الصَّحْرَاءِ
يَا جَمَالَ الطَّبِيعَةِ الْعِذْرَاءِ
أَيُّهَذَا الصَّبِيَّةُ الْحَيَّةُ الْأَشْوَاقِ، ذَاتِ الْغَلَالَةِ السُّودَاءِ

لك عندي قيثارة لحنها الذكرى، وأصداؤها حفيف المساء
يسمعُ الطيرُ صوتَهَا فيلبيُّ وتلبيُّ الوحوشُ في البيداءِ

* * *

أنتِ، يا من ترفرفين على الوادي بأنفاسك العذابِ النديَّةِ
أنتِ، يا من تراقصينَ على النبعِ ظلالَ الأصائلِ العسجديةِ
حقُّ هذا الشَّهرِ المكلَّلُ شفُّ نسجت وشيهُ يد الأبديةِ
خالداتُ سماتُ حُسنكِ فيه رائعاتُ آياته السرمديَّةِ

* * *

حقُّ هذا الحصرِ النحيلِ إزارٌ من نُصارٍ مقدسٍ وجُمانِ
حقُّ تينِ الأذنينِ قرطانٍ من دُرٍّ بحارٍ مسحورةِ الخلجانِ
حقُّ هذا الفمِ الرقيقِ سلافٌ عُصرتُ من حدائقِ النسيانِ
قبلما قبَّلتُ خطاكِ رُبي الوادي وقامت عليه مملكتانِ

الفتيات (ويشافا ومريتا وحرروازا):

إنَّا نرى الفاتنا ينسي فتاةَ الجنوبِ!
أما يرى أختنا تكاد شوقًا تذوبُ؟
الوقتُ قد فاتنا واليومُ وشكُ الذهبِ

أزمردا (إلى أسميتا):

حييت، يا بنتِ جبالِ القمرِ يا من تُطلين على المنحدرِ
فيضحك البرقُ ويبيكي المطرُ ويتغنَّى بالحياةِ الشجرِ

* * *

حييت، يا فرعاءِ يا ربَّةَ السَّحرِ
يا من تسوقُ الماءَ من منبعِ النهرِ

الفصل الثاني

يا نشوة المَلَّاحِ في الليلة القمرَاءِ
يا فتنة الفلَّاحِ في الضِّفَّةِ الخضراءِ

عقيصة الشَّعْرِ حَقٌّ لها حَقٌّ
ذوبٌ من العطرِ لَمْ يَحْوِهِ حَقٌّ

مزاجُهُ النُّورُ في شَفَتَي زَهْرِهِ
كم ودَّتِ الحورُ مِنْ ذوبِهِ قطرِهِ

عبيزُهُ يُغْرِي آلِهَةَ الغابِ
بالرقصِ للجمْرِ والجسدِ الصابي

جيدك ما أحلاه في لونه الفتانِ
يَسْحَرُ لو حلَّاهُ عقدُ من المرجانِ

حبَّاتُهُ الحُمُرُ تَذكو بها الأشواقِ
لَمْ يَنِمِها بحرُ بل مُهَجُّ العشاقِ

يا سَحَرَ ما يُبدي نراعُكَ الوَهَّاجِ
تُزْهِى به عندي أسورةٌ من عاجِ
ما في الثرى منه جوهْرُهُ الفَرْدُ
إفريقيًا عنه تسألُ والهنْدُ

حروازا:

يا أخواتي، حانَ وقتُ الوداعِ
انتصَفَ اليومُ ومالَ الشعاعُ

(متلفته إلى أزمردا.)

إلى غَدٍ ... ألقاك، يا صاحبي
في موكبِ الشمسِ وظلِّ الشُّراعِ

مريتا:

فلنَبِّحَ حروازا إلي أن نَرَى
حواشيَ الظلِّ تَلْفُ الطريقُ
فالقَيْظُ يُلقي جَمْرَهُ والتَّرى
مفازَةً في هَبَواتِ الحريقِ

حروازا:

وَدِدْتُ لَكِنِّي أَخشى السُّرى
وحدي، والمَشْرِقُ ناءٍ سَحيقُ!

أزمردا:

كما شئتِ فاتنَّةَ المشرقِ
ولكنْ عِديني ...

الفصل الثاني

حروازا:

عُدًّا نلتقي!

(وبينما تنسق حروازا ثوبها إيدانًا بالرحيل تنتحي مريتا بويشافا وأسميتا جانبًا، وهي تقول):

مريتا:

يواعِدها وحدها!

أسميتا:

وهي لا تُفكِّرُ في ذلك المزلقِ

ويشافا:

لعلَّ بها صبوةٌ

أسميتا:

صبوةٌ؟

مريتا:

وما هي والآدميُّ الشَّقِي

ويشافا:

ولمَّ لا، وفي وجهه مَسَكَةٌ
من الجاذبيَّة والرَّونقِ؟!

أسميتنا:

وَفِي صَوْتِهِ رَنَّةٌ حَلْوَةٌ
من الحَبِّ سَاحِرَةٌ المنطِقِ

مريتنا:

أَتَلْقَاهُ لَا تَتَّقِي غِيَّهَ؟

أسميتنا:

وَكَيْفَ؟ أَللهُ تَتَّقِي!؟

مريتنا:

عِصْمَةٌ نَحْنُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ كَالْبَشَرِ
يَتَسَاوَى ابْنُ آدَمَ - وَإِلَهُ - إِذَا شَعَرَ
إِنْ أَحَبًّا فَلَا خِلَافَ وَلَا فَرْقَ فِي الْأَثَرِ

ويشافنا:

يا مريتنا، تَقَدَّمِي وَخُذِي مَوْقِفَ الْحَذَرِ

أسميتنا:

فَلَنَحُلْ دُونَ شَرِّهِ أُخْتُنَا مِنْهُ فِي حَطَرٍ!

(ولا تكاد تتم هذه العبارة حتى تهتم حروازا بالانصراف وقد وضعت يدها في يد أزمردا، وهي تقول):

الفصل الثاني

أيها السيّد الرقيقُ، وداعًا ... إلى اللقاء!

ويشافا:

أمهلي ...

مريتا:

بل تريّثي نحنُ في موقفٍ سواءٍ
ما علينا ولم تحلُ بعد إشراقة السماء
إن مَضِينا إلى السفينة في موكب الضياء
ورأينا كنوزها وظفرنا بما نشاء!

أزمردا:

حبّذا هذه السماحةُ منكَّ والرضاءُ
حبّذا في سفيتي ذلك الودُّ والصفاءُ!

حروازا (وقد سحبت يدها من أزمردا):

أو تذهبنَ؟

مريتا (بعد تردد):

لحظةً قبل أن يُقْبَلَ المساء!

حروازا:

أو تذهبنَ وحدكنَّ؟

ديوان علي محمود طه

مریتا:

وما عنك من غناء!

حروازا:

أَتَصَدَّقَنَّ قَوْلَهُ؟

مریتا:

أَتَشْكِينَنِي؟

حروازا:

لا مِراءَ

أُزْمَرِدَا (مندفعًا في خبث):

أَسْفًا رَبَّتِي فَمَا قَلْتَ زورًا وَلَا ادْعَاءَ

حروازا:

هَاتِ بَرَهَانَكَ الْمَبِينَ وَمِنَّا لَكَ الْوَفَاءُ!

(يخرج أزمردا من صدارته ياقوتة كبيرة ذات بريق أخاذ ويقدمها إلى حروازا بين نظرات الإعجاب.)

أُزْمَرِدَا (بصوت مؤثر):

إِلَيْكَ، إِلَيْكَ، يَا حَسَنَاءُ، سَحَرَ الْعَيْنِ وَاللَّبِّ
وَرَمَزَ الْمَجْدِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْفِتْنَةِ، وَالْعُجْبِ

الفصل الثاني

خُذِي ياقوتةَ حمراءَ تحوي صورةَ القلبِ
هديةً رِيَّةَ الرَّبَّاتِ من عاشِقها الصَّبِّ!

حروازا (وهي تتأملها مشدوهة):

كلونِ الدمِ

مريتانا (وهي تحديق فيها):

والغيرةِ

أسميتانا (وهي تلمسها):

والشهوةِ

ويشافانا (وهي تنتهد):

والحُبِّ!

أزمردانا (في حماسة):

خُذِيها وأفتني الأربابَ، يا معبودتي، وأسبي
ألاً ولنمليكي العالمَ من شرقِ إلى غَرْبِ

مريتانا:

وكيف أراكَ لم تُحرِّزِ بها العالمَ إحرارًا؟

أزمردا:

هو السرُّ الذي أُلْهِمْتُهُ وحيًا وإِعْجَازًا
فهذا جوهرٌ ضَنَّتُ بِهِ الرَّبَّاتُ إِعْزَازًا
ولم يُخْلَقْ لغيرِ إلهةٍ تُسَمَّى «بحروازًا»

مريتًا:

أعندك غيرُهُ؟

أزمردا:

عندي وطوبى للذي فازًا

ويشافًا:

يواقيتُ؟

أسميتًا:

وبالأسماءِ؟

أزمردا (وهو يشير بيديه إشارات رائعة):

إِسْهَابًا وَإِيْجَازًا!
أُلْهِمْتَنِي السَّمَاءُ أَيْنَ أَرَاكِنَّ فَطَوَّفْتُ فِي الْبَحَارِ الْقَصِيَّةِ
وَلِبْلُوسٍ بِاسْمِ إِيزِيسٍ أَبْحَرْتُ بِرُوحٍ مِنَ الْقَضَاءِ خَفِيَّةِ
وَنَقَلْتُ الْكَنِينَ مِنْ كَنْزِ أَوْزْرِيسِ وَالتَّاجِ وَالْعَصَا الْعَسْجَدِيَّةِ
وَيُوَاقِيْتَهُ وَلَوْلَوْهُ الْمَنْظُومُ حَتَّى الْقِيْثَارَةَ السَّحْرِيَّةِ
ثُمَّ قَادَتْ سَفِينَتِي حَيْثُ أَنْتَنَ وَقَادَتْ أَقْدَامَكُنَّ إِلَيْهِ

الفصل الثاني

وبأسمائكَنَّ ألهةَ الرِّيحِ سرى صوتُها على شفتيِّه
إنَّ ألفًا من الهدايا لحروازا وكلُّ خُصَّتْ بألفِ هديِّه

(وهو يمد يديه لهن.)

يا مريتا، ويا ويشافا، ويا اسميتا، ألا ضَعَنَ أيديا في يديِّه
سرن بي الآنَ للسفينة، للكنز، وخذن الودائع القدسيَّة!!

(وتقبل الفتيات الأربع على أزمردا ويسرن به كالمسحورات متجهات إلى
السفينة.)

الفصل الثالث

مخدع القرصان أزمردا في مقدم سفينته، حجرة أنيقة وثيرة الأثاث، معلق فوق السرير بها سيف لماع رائع، وبحوائطها حلقات من حبال، وسياط متنوعة، يجاورها بهو السفينة وهو رحب مزدان بقناديل زجاجية، وبه أثاث متواضع. باتوزيس مضطجع على السرير بمخدع الربان، والنوافذ الصغيرة حوله مسدلة الستائر غير نور منبعث من شعاع الضحى يتخللها من كوة صغيرة، يدخل ماتوكا حاملاً مائدة طعام بعد أن يطرق الباب.

باتوزيس (وهو يتقلب في وساده):

مَنْ هَا هُنَا عِنْدِي؟

ماتوكا:

عَبْدُكَ مَاتوكَا!

باتوزيس:

مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ؟ عِبْدِي!

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو يتقدم بالمائدة في دهشة واضطراب):

عبدك ماتوكا!
حُييتَ، يا سيدي وطابَ هذا النَّهَارُ
لم آتِ في موعدي بوجِبَةِ الإفطار

باتوزيس:

ماذا جرى، يا تُرى أكادُ لا أفهمُ

ماتوكا:

إنَّ الذي قد جرى أعجبُ لو تعلمُ
قد حملتنا الرياحُ ونحنُ صرعى الكرى
وما رأينا الصباحُ إلاَّ بهذا التُّرى!

باتوزيس:

أيُّ تُرى؟

ماتوكا:

شاطئُ تضحكُ فيه الرِّمالُ
نسيمهُ دافئٌ ومأوهُ سلسالُ

* * *

يَعرفُهُ مِنْ سناه ربابُ البحرِ
أولُّ ما نلقاهُ من طَرْفِي مصر!

باتوزيس:

مصرُ؟

ماتوكا:

أَجَلٌ: مِصْرُ! وَنَحْنُ فِيهَا الْآنَ
مِن دُونِنَا تُغْرُ مِنْ دُونِهِ يَوْمَانُ

باتوزيس (مشيراً إلى المائدة):

مَا زِلْتُ مَرِيوِكًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْلَامِ
مَا تَلِكَ مَا تَوَكَا؟

ماتوكا:

مَائِدَةٌ مِنْ طَعَامِ
مَائِدَةٍ حَافِلَةٌ كَثِيرَةٌ الْإِغْرَاءِ
جَاءَتْ بِهَا قَافِلَةٌ تَدْلِفُ مِنْ سَيْنَاءِ

مِنْ كُلِّ رَوْضٍ بَهِيحٍ فَآكِهَةٌ نَاضِجَةٌ
وَكَلُّ لَحْمٍ نَضِيحٍ وَبَقْلَةٍ طَازِجَةٍ

وَإِنْ تَشَاءُ فَالرَّحِيقُ مُهَيَّأٌ مُخْضَرٌ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ عَتِيقٌ شَمِيمٌ يُسْكِرُ

طَوَّفَ كَالْكُوْغِبِ عَلَى تَوَالِي السَّنِينِ

ديوان علي محمود طه

من شاطيءِ المغربِ إلى بحارِ الصينِ

بين السَّنا والنَّدى وفي الرياحِ الهُوجُ
والحرُّ يُذكي الصَّدى والقَرُّ يذروُ الثلوجُ

تحيَّةُ الإخوانِ في بُغرِ الصَّيفِ
من سيِّدي الرُّبانِ لسيِّدي الضَّيفِ!

باتوزيس:

والسيِّدُ أزمردا هل قامَ من النَّومِ الآنا؟

ماتوكا:

هو عندَ الشاطيءِ يستقضي
نَبأً وَيُسائلُ رُكبانا

إن شاء سيِّدي أمرُ
أرفعُ هاتيكَ السُّتُرُ

(ويمضي ماتوكا في رفع الستائر بإشارة من باتوزيس فيغمر نور الضحى
المخدع، باتوزيس يحملق فيما حوله فيروعه منظر السيف المتألق بشعاع
النهار.)

باتوزيس (مشيراً إلى السيف):

ما ذلك الشيءُ أرى؟

الفصل الثالث

يَكَادُ يَبْهَرُ النَّظْرُ
أَجْلِيَّةً نَادِرَةً
أَمْ ذَاكَ مِنْ مَاضٍ أَثَرُ

ماتوكا (متباهياً):

بَلْ ذَاكَ سَيْفٌ سَيِّدِي
وَعَوْنُهُ عَلَى الْخَطَرِ
حَدِيثُهُ مِلءُ الْبُحُورِ
وَالْتَّغَوْرِ وَالْجُرُزِ
هُوَ الرَّدَى إِذَا مَشَى
فَكُلُّ كَائِنٍ خَبِرُ

باتوزيس:

وَمَا السَّيِّئُ هَذِهِ؟
السَّنَةُ مِنَ الشَّرِّ

ماتوكا (في حماسة):

يُلِينُ لَدُعُّهَا الْحَدِيدَ
أَوْ يَفْتَتُّ الْحَجْرُ!
تُخْرِسُ أَوْ تُنْطِقُ مَنْ
تَشْكُو الْكَلَامَ وَالْحَصْرُ!

باتوزيس:

وهذه الحبالُ؟

ماتوكا (مترسلاً في حماسته):

هُنَّ مِنْ حَبَائِلِ الْقَدَرِ!
تَلْتَفُّ بِالسُّوقِ الرَّقَاقِ
وَالْمِعَاصِمِ النَّضْرِ
وَلَا تَرُقُّ لِلدُّمُوعِ ضَارِعًا بِهَا الْحَوْرُ!

باتوزيس (مشمئزاً):

كَفَاكَ مَاتوكَا كَفَاكَ
فَالْحَدِيثُ لَا يَسُرُّ!
قَرَّبَ إِلَيَّ الْكَأْسَ أَوْ
هَذَا النَّضِيحَ وَالثَّمْرَ!

(ماتوكا يسرع بالمائدة فيضعها أمام باتوزيس وقد جلس في السرير، وهو يقلب أنواع الشراب فيختار لوناً ويملاً به قدحه ويشربه ويأكل قطعة من النضيج.)

باتوزيس (شبه مسرور):

طَيِّبَةٌ هَذِي السَّلَافُ وَالطَّعَامُ طَيِّبٌ
إِنِّي عَلَى مَوْثِقِ أَمْزَرِدَا وَعَهْدِي أَشْرَبُ
قُلْ لِي مَاتوكَا أَنْتَ لِلْجَنُوبِ تَنْسَبُ؟
إِنَّ بِلَادًا أَنْجَبَتْكَ لِلْكَرَامِ تَنْجِبُ

ماتوكا (شبه متألم):

أَيُّ الْبِلَادِ هَذِهِ أُنْكَرُهَا لِسَيِّدِي؟
جَهَلْتُ مَنْ أَيْنَ أَنَا وَأَيْنَ كَانَ مَوْلِي!
دَرَجْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ وَالْخَفَاءِ مُوجِدِي

كَأَنَّمَا أُمِّسِي يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِي وَعَدِي
مَا لِلْعَبِيدِ فِي مَصَائِرِ الْحَيَاةِ مِنْ يَدٍ
وَلَيْسَ مَاتوكَا الرَّئِيسُ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدٍ
حَبَاهُ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ جَمَّةَ التَّرْعُدِ

(وقد تغيرت لهجته إلى العنف.)

وَبَثَّ فِي رُوحِهِ رُوحَ قِضَاءِ مُرْصِدٍ
يَصُولُ بِالسَّوْطِ إِذَا شَاءَ وَبِالْمَهْدِ
وَيَقْتَدِي سَيِّدَهُ، دَمِي فِدَاءُ سَيِّدِي!

باتوزيس:

حَبَاكَ أَزْمَرْدَا الْحَيَاةَ؟ عَبَثٌ مُضَلَّلٌ!
أَنْتِ أَسِيرٌ بَطْشِهِ، بِسِحْرِهِ مُغْلَلٌ
سَبْتِكَ مِنْهُ قُوَّةٌ تَصْرَعُ أَوْ تُقْتَلُ
أَنْتِ وَأَزْمَرْدَا سَوَاءٌ وَالْأَصُولُ تَعْدُلُ
أَلَسْتَ إِنْسَانًا تُحِسُّ مِثْلَهُ وَتَعْقِلُ؟
تَفْعَلُ مَا يُوْجِي بِهِ الضَّمِيرُ أَوْ لَا تَفْعَلُ؟
كَيْفَ تَعِيشُ لَا رَجَاءَ فِي غَدٍ تُؤَمِّلُ؟
يِرْعَاكَ أَزْمَرْدَا وَأَنْتِ فِي قَوَاكِ تَرْفَلُ
فَإِنْ مَرَضْتَ أَوْ هَرَمْتَ أَنْتَ مِنْهُ مَهْمَلُ
أُنْظِرِي إِلَى الْأَطْيَارِ فِي أَجْوَاهِهَا تَنْقَلُ
سَيِّدَةً تَصْعَدُ مَا شَاءَتْ هُنَا وَتَنْزَلُ
مُوطَأً لَهَا السَّحَابُ وَالثَّرَى مُدَلَّلُ
تَبْنِي الْحَيَاةَ فِي الْوَكُونِ حُرَّةً وَتَنْسَلُ
لَهَا الضِّيَاءُ وَالْفَضَاءُ وَالنَّمِيرُ السَّلْسَلُ
هِيَ الْحَيَاةُ حُرَّةً فِي طَائِرٍ تُمَثَّلُ

ديوان علي محمود طه

حَقِّكَ لَا مَنْ بِهِ عَلَيَّكَ أَوْ تَفْضُلُ

ماتوكا:

يا سيِّدي، أنَّى لي الكونُ الذي تُخَيِّلُ؟
أنَّى لمثلي ذاك العالمُ؟ إنِّي أجهلُ!
سفينتي هي الحياة، والغدُ المؤمَّلُ
قد طابَ لي في ظلِّها العيشُ وطابَ المنزلُ
ومن كساءِ سيدي الرُّبانِ هذا المخملُ
وَمِنْ شَرَابِهِ أعلُّ هانئًا وأثملُ
أَيُّ حياةٍ لي من هذي الحياةِ أجملُ!

(ثم ينحني ويغادر الحجرة بالمائدة ويظل باتوزيس مبهوتًا ثم يعاوده الكسل، فيتمدد على الفراش بينما يدخل إلى البهو أزمردا ومعه الفتيات الأربع وهو يحييهن باسمًا، وبينما هن يتأملن البهو ومنظره والصور وجلود الحيوانات المعلقة على جوانبه، يعتذر إليهن أزمردا ليعد الكنز ويختفي من باب صغير وهن منشغلات عنه يتهامسن):

ويشافا (متعجبة):

أهذه السفينة الموعودة
حاملة العجائب المنشودة؟!

مريتا (حائرة):

ماذا أرى؟ طاقتها مسدودة!

أسميتا:

ورأؤها كنوزُه المرصودة!

حروازا:

تَمَهَّلِي! سوف نرى وعوده
وَالْفَتَنَ الرَّائِعَةَ المشهودة!

مريتا:

أحسُّ بصوتِكِ المهموسِ هزَّاتٍ من العطفِ

حروازا:

لَقَدْ جاءَ ببرهانٍ

مريتا:

وَهَلْ ياقوتةٌ تكفي!

حروازا:

أیغريني ترابيُّ بهذا الوضعِ وَالوصفِ؟

مريتا:

لَقَدْ أغراكِ حروازا بأمرٍ ظاهرِ الزَّيْفِ

ويشافا:

وَكِدَّتْ عَلَى ذِرَاعِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَنْ تُغْفِي

حروازا (مبتسمة):

حَزَرْتُ حَدِيثَكَ هُنَاكَ حِينَ غَضَضْتُ مِنْ طَرْفِي
مَرِيئًا ... لَا يَغْرُنُكَ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ ضَعْفِ
فَهَذَا عَبَثٌ مَنِّي وَبَعْضُ اللَّهْوِ

مريتا:

وَالظَّرْفِ

حروازا:

أَرَدْتُ بِهِ لِأَعْرِفَ مَا يُسِرُّ لَنَا وَمَا يُخْفِي!

أسمتيا:

وَكَيْفَ إِذَا تَحَدَّأْنَا؟

ويشافا:

وَنَحْنُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ؟

حروازا (في قوة واعتداء):

أَلَلَّهُ تَخَافُ النَّاسَ؟ هَذَا مِنْتَهَى السُّخْفِ!

مرينا:

وإن لم ينفع اللين؟

حروازا:

أَخَذْتُ الأَمْرَ بالعُنْفِ!
إِذَا واجهتهُ فاصمُدَّنْ من حولي ومن خلفي!

(ويستمع أصواتاً بالحجرة المجاورة فيخفضن من أصواتهن، ويستمعن حيناً إلى مصدر الصوت وينظرن حيناً آخر إلى محتويات المكان، ثم يميل بعضهن على بعض وهن يتهامسن قلقات بينما يدخل أزمردا من باب خلفي على باتوزيس في المخدع وهو شديد الاضطراب المزوج بالفرح هامساً في انفعال):

أزمردا:

هَنَّ هنا! هَنَّ! باتوزيسُ أما
تسمعُ أصواتهنَّ بالبَابِ؟
هَنَّ هنا هَنَّ باتزيسُ أَفَقُ
أُخْرِجْ عليهنَّ غَيْرَ هيَّابِ!
أَعِدَّ قيثارك، استثرُ نغمًا
يروِّضُ حتى الوحوشُ في الغابِ
حتى تراهنَّ بينَ شاديةٍ
وَبَيْنَ رَقَاصَةٍ بأَكوابِ!
يكادُ قلبي لما ظفرتُ بِهِ
يَطِيرُ من فرحةٍ وإعجابِ

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (وهو ينهض من الفراش مبهوتًا):

من هُنَّ أزمردا أثرتَ نفسي
ورُعَّتْ أوهامي وهجتَ حِسِّي؟

أزمردا (مشيرًا بأصبعه على فمه):

لا ترفعِ الصوتَ وَقُلْ بهمسِ
فهنَّ يسمعنَ خفيضَ الجرسِ
آلهةَ الرياحِ حُلْمِ الأُمسِ
لَقِيتهنَّ في شروقِ الشمسِ
بينَ الغياضِ والصخورِ المُلسِ
يرقصنَ في غلائلِ الدمقسِ
ما زلتُ أحتالُ بغيرِ يأسِ
حتى تُسمعنَ لضعفِ الجنسِ
وَجئنَ في ابتهاجةِ وَأُنسِ

باتوزيس:

بل هذه تخيُّلاتُ الكأسِ!
ما هنَّ إلا من بناتِ الإنسِ
وَقَعنَ في تدبيركِ الأُخسِ
ويحكُ أزمردا وويحُ نفسي
أحسبُ أن اليومَ يومُ نَحسِ!

أزمردا (ملاطفًا):

تُنكرُ ما شَمْتُ بعيني رأسي؟
مَسَّكَ باتوزيسُ أيُّ مسِّ!

باتوزيس:

وهبْ أَنهِنَّ كَمَا قُلْتَهُ فَمَاذَا بِالْهَيْهَةِ تَصْنَعُ؟

أزمردا:

أَسْخَرَهُنَّ قَوِيَّ يَنْتَظِمْنَ شِرَاعِي مَا قَادَنِي الْمَطْمَعُ
أَسِيرَاتِ بَاسِيٍّ أَوْ صَاحِبَاتِي أَرْسُو كَمَا شَتَّتْ أَوْ أَقْلَعُ
وَأَغْزُو بِهِنَّ مَنِيْعَ الثَّغْوَرِ وَأَجْنِي الثَّرَاءَ وَأَسْتَمْتَعُ

باتوزيس:

أَتَطْمَعُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ؟

أزمردا:

هُوَ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَا يَقْنَعُ

باتوزيس:

خُلِقْنَا غَرَائِزَ مِنْهُومَةِ
فَلَيْسَتْ تُرَوَّى وَلَا تَشْبَعُ!

أزمردا:

تَعَالَ مَعِي وَاتَّبِعْ حِكْمَتِي
فَدُونَ سَعَادَتِنَا إِصْبَعُ!

باتوزيس:

أَلَمْ يَكْفِ مَا حُرَّتْهُ مِنْ غِنَى
وَمَا تَقْتَنِي مِنْ غَرِيبِ النِّسَاءِ؟
أَضَاقَتْ بِمَنْسَرِكِ الْكَائِنَاتُ
فَحَاوَلَتْ تَخَطْفُ حَتَّى الْهَوَاءِ؟

أُزْمَرِدَا:

ليضحكني مِنْكَ هَذَا الْحَدِيثُ
خِيَالٌ بَدِيعٌ وَقَوْلٌ مُرَاءُ
دَلِيلُ الْحَيَاةِ اغْتَصَابُ الْمَتَاعِ
وَمَا الزَّهْدُ إِلَّا دَلِيلُ الْفَنَاءِ
تَمَتَّعْ بِأَوْفَرِ مَا تَسْتَطِيعُ
وَلَا تَقْتَصِدْ وَاغْتَصِبْ مَا تَشَاءُ

باتوزيس (صائغًا):

يَا لِمَسَاءِ الْحَانَةِ اللَّعِينَةِ
قَدْ قَادَنِي لِهَذِهِ السَّفِينَةِ

أُزْمَرِدَا (ملاطفًا في ثورة نفس ضارغًا):

مَا هَذِهِ الْخَفَّةُ وَالرَّعْوَنَةُ
كَفَى صِيَاحًا وَالزِّمِ السَّكِينَةُ
أَوْ لَا فَدَعْ هَيْئَتَكَ الرَّزِينَةَ
وَأَكْثِرِ الضُّحْكَ وَزِدْ رَيْنَهُ
وَهَاتِ مِنْ وَادِي الْهَوَى لِحُونَهُ
مَسْحُورَةً، مَخْمُورَةً، مَجْنُونَهُ!

باتوزيس (ضارعًا):

سَأَلْتِكَ الْإِلَهَةَ الْحَزِينَةَ
لَا تُؤْذِي هَذَا الْمُهَجَّ الْمَقْتُونَةَ
فَإِنَّهَا بَرِيئَةٌ مَسْكِينَةَ

أُزْمَرِدَا:

أَنْتَ فَتَى لَمْ يَطَّرِحْ مُجُونَهُ
يَسْأَلُنِي الرَّحْمَةَ وَالْمَعُونَةَ
وَلَوْ رَأَى الْخَمْرَةَ فِي قَنِينَهُ
لِبَاعِ دُنْيَاهُ بِهَا وَدِينَهُ!
دَعْ عَنْكَ هَذَا الْمُثَلَّ الْأَفِينَهُ!
وَلَا تُضِعْ فُرْصَتَكَ الثَّمِينَهُ!

باتوزيس (غاضبًا):

عَهْدِي، يَا قَرِصَانُ، لَنْ أَخُونَهُ
مَا كُنْتُ أُزْمَرِدَا، وَلَنْ أَكُونَهُ!!

أُزْمَرِدَا:

أَجْنَنْتَ بَاتُوزَيْسَ وَيْحَكَ! لَا تُثْرُ هَذَا النَّزَاعُ
أَنْسَيْتَ حُلُوَ حَدِيثِنَا، وَالكَأْسَ ضَاكِكَةَ الشَّعَاعُ
وَرِوَاةَ طَيْبَةَ عَنِ بَنَاتِ الرِّيحِ آلِهَةِ الْبِقَاعُ
فِيمَ التَّشَاوُمُ، وَالتَّنَكُّرُ، وَالتَّغْيِيرُ، وَالْخِدَاعُ؟
وَلِمَ الصِّيَاحُ إِذَا دَعَوْتُكَ لِلرَّوِيَّةِ وَالسَّمَاعُ؟
أَتُرِيدُ تَسْمَعَهُنَّ صَوْتِكَ؟ لَا رَجَاءَ وَلَا انْتِفَاعُ!
أَحْكَمْتُ أَمْرِي، وَالْعَبِيدُ هُنَا عَلَى أَهْبِ الصَّرَاعُ

ديوان علي محمود طه

بإشارة تَهْوِي السياطُ وسيفُ أزمردا الشجاعُ
إِنِّي عرضتُ عليكَ أجملَ ما أدخرتُ من المتاعِ
لكنَّ أبيتَ وخانني فيكَ الغرائزُ والطباعُ
فاسلمْ بنفسك باتزيسُ! ولا سلامَ ولا وداعُ!
عمَّا قليلٍ يهتفُ الداعي وينطلقُ الشراعُ!!

(ويسرع باتوزيس بمغادرة الحجرة بينما يرتفع صوت من البهو المجاور،
هو صوت القلق المستحوذ على الفتيات وأزمردا داخل عليهن.)

حروازا:

ما هذه الضجَّةُ والسياحُ
نسمعُ والرؤيةُ لا تُتاحُ
كأنما تَقْتتلُ الأشباحُ
من حولنا أو تَثبُّ الأرواحُ!

أزمردا:

معذرةً، أيتَّها الملاحُ
فخادمي قد هزَّه المِراحُ
فانزلقتُ من تحته الألواحُ
وانتثرتُ من كفه الأقداحُ
فضجَّ واستخفَّ الصياحُ!

مريتانا:

والكنزُ؟

أزمردا:

بعد لحظة يُنَاحُ

ويشافا:

ياقوتُهُ ودرُّهُ اللِّمَاحُ؟

أزمردا:

والذَّهَبُ المَقَدَّسُ الصُّرَاحُ!

أسميتا:

عما قَلِيلٌ تُظَلِّمُ البَطَاحُ
ويصعبُ الغدُوُّ والرواحُ

أزمردا:

هنيئاً حتى تجيءَ الرَّاحُ

(ويظهر ماتوكا في مخدع سيده حائراً وهو يشير إلى أزمردا دون أن تراه الفتيات، فيسرع إليه أزمردا وحروازا تقول له):

حروازا:

أسرعُ فقد راحَ بنا المراحُ

ماتوكا (لأزمردا):

إنَّ السَّجِينَةَ في غِيابةِ قبوها

ديوان علي محمود طه

ليستْ تكفُّ تمرُّدًا وصياحا
قطعتْ عُصابتها فجئتُ أذودها
فهوتُ تُحطِّمُ في يدي المصباحا
لولا العناية طارَ بعضُ شراره
وطوى السفينةَ شعلَةً واجتاحتا

أزمردا:

زدها عذابًا ...

ماتوكا:

سيدي عدِّبتُّها
فأبتُ وقد مُلئتُ دمًا وجراحا

أزمردا:

إن لم تكفَّ عن الصياح فألقها
في الـيـمِّ ...

ماتوكا:

أخشى صَوْتها الفصَّاحا
يعلو فيملاً زائركَ ربيَّة
أو يستخفُّ لنجدةٍ ملاحا

أزمردا:

والحلُّ ماتوكا؟

ماتوكا:

تعالَ معي لها
فلربما أبدتُ رضىً وسماحا

(ويسرع ماتوكا بأزمردا إلى قبو السفينة وحين يختفي خيالهما يظهر باتوزيس فجأة من مخبئه خلف باب المخدع، ويدخل على الفتيات الأربع متفرسًا فيهن متلفتًا وراءه من الخوف.)

حروازا (وقد بوغتت برؤية باتوزيس):

من أنت، أيها الفتى وكيف جئتَ ها هنا!

باتوزيس (هامسًا):

لا وَقْتَ للسؤال من أنتِ هنا، ومن أنا!
أنتنَّ في سفينةِ القُرصانِ ... لا وقت لنا ...!

حروازا:

ومن يكونُ!

باتوزيس:

قائلٌ يملأُ شرُّهُ الدُّنا
بل هو أزمردا ...

حروازا:

وما تراهُ صانعًا بنا؟

باتوزيس:

أراهُ صانعًا بكنٌّ؟! ويحكُنَّ إنَّ دنا!

حروازا:

هونُّ عليك، لا تخفُ أدنى، ولا تخش ضنى
ألهةُ الرياحِ نحنُ فارتقبُ صنيعةنا
ولا يرُعك إنَّ رأيتَهُ يحومُ حولنا

ويشافا:

ومن تكونُ، يا فتى إنَّ نراك مُحسنا!

باتوزيس:

من بني مصرَ باتزيسُ الشجِيُّ المعذبُ
شاعرٌ، واسمهُ هناك مَعْنٌ ومطربُ

مريتا:

من بني مصرَ باتزيسُ؟

أسميتا:

إلى أين تذهبُ؟

باتوزيس:

أنا، في هذه الحياة، شريدٌ مغربُ
أين؟ لا أين أذهبُ! أنا في التَّيه أضربُ!!

الفصل الثالث

(وتسمع وقع أقدام أزمردا وهو قادم من أقصى السفينة متجهاً إلى مخدعه.)

باتوزيس:

هذه خطأ ...

مريتا:

قد أتى!

حروازا:

بل اسمعي

مريتا:

أهو قريبٌ من هنا؟

باتوزيس (مشيراً):

في المخدع!

حروازا (وقد رأت باتوزيس يتحرك من مكانه):

أخائفٌ؟

باتوزيس:

بل ثابتٌ في موضعي!

مرينا:

أنتَ شجاعٌ

باتوزيس (وهو يتأهب للقاء خصمه):

رَبِّي تشجَّعي!

(وبينما أزمردا في مخدعه يسرع في تقلد سيفه، يدخل عليه ماتوكا ويقف خلفه مبهوتاً فيلتفت إليه أزمردا ويدرك أن وراءه شيئاً.)

أزمردا:

ما لي أراك واجماً مُرتاعاً

ماتوكا:

يا سيدي عفوك لن تُراعا
لـكـنـ ...

أزمردا:

تكلّم، زدتنني صُداعاً

ماتوكا:

إنّ سمارا خانت الأتباعا
كما أمرت، سيدي، مُطاعا
فتحت دون بابها المصراعا
فأفلتت وانسرفت خداعا
كأنها الظلُّ أمحى وضاعا

أزمردا (خائفاً):

وأين تمضي؟ أتشقُّ القاعا؟
أم تستحيلُ بيننا شعاعاً؟
أسرعُ متوكاً، ولتكنْ شجاعا
اطووا الحبالَ وانثروا الشرعا
وأتوا إليَّ ها هنا سِراعاً!

(ويدخل أزمردا من باب المخدع على الفتيات فيرى باتوزيس بينهن وهن متحفزات وفي عيونهن بريق الغضب، فيفهم الموقف ويقف صامتاً واضعاً يده على مقبض سيفه.)

باتوزيس (ساحراً):

أقبلت أزمردا وليس تحيةً
للزائراتِ، ولا عليَّ سلاماً!

أزمردا:

صَه، يا أجيرَ العاهراتِ، فإنما
قربُ الحرائرِ من خطاك حرامٌ!

باتوزيس:

أتسبُّ ضيفك أو صديقك جهرةً؟
عجباً؟ فأين الودُّ والإكرامُ؟

أزمردا (صارحاً):

ضيفي؟

حروازا:

أَتُنَكِّرُ؟

أزمردا:

بل وَأَغْسَلُ إِثْمَهُ

بِدِمَائِهِ

باتوژيس (ساحرًا):

لَوْ تُغْسَلُ الْآثَامُ

انظُرْ عِيُونَ الزَّائِرَاتِ فَإِنَّهَا

رَصَدُ عَلَيْكَ وَلَعْنَةُ وَضْرَامٍ

أزمردا (صارحًا):

دعهنَّ ...

باتوژيس:

بل دعهنَّ أَنْتَ ...

أزمردا (مستخفًا):

أَجِلْ وَمَا

تَبْغِيهِ؟

باتوزيس:

ما لي باسمهنَّ كلام!

أزمردا (إلى الفتيات):

قسماً بكنَّ فما أردتُ خيائنةً
بل عطفَ آلهةٍ بكنَّ يُشامُ!
ما رُمتُ إلا أن تكنَّ صواحيبي

باتوزيس:

ما كلُّ شيءٍ في الحياة يُرامُ

حروازا:

لِمَ لَمْ تضارحنَا، وكيف دَعَوْتَنَا
لَا كُنْزِ؟

مريتا:

أوزوريسُ والإلهامُ

أزمردا:

هذي طباعُ الآدميِّ، وهذه
أطمامُ

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (ساخرًا):

فرضُ عليه لزامٌ!

مريتا:

بَلْ حَيْلَةُ الْقَرْصَانِ أَنْتَ أَرَدْتَنَا
صَيِّدًا يُبَاعُ فِرَاؤُهُ وَيَسَامُ

حروازا:

وَبِكُمْ تَسُوْمُنِي إِذَا مَا بَعْنَتِي
وَالسُّوقُ حَوْلَكَ ضَجَّةٌ وَزِحَامٌ

ويشافا (مدنية إليه بوجهها):

انظرُ جمالي ...

أسمتيا (تدور حول نفسها):

بل تأملِ فتنتي ...

باتوزيس (صائحاً طربًا):

يا للرشاقةِ كلكنَّ غرامًا!

مريتا:

أَوَكُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تُسَخِّرَنَا قُوَى
لِسْفِينَةٍ يَحْدُو بِهَا الْإِجْرَامُ؟

أزمردا:

خَيْرٌ لَكِنَّ الصَّمْتُ

حروازا (وهي تواجهه):

قُلْ خَيْرٌ لَنَا
بِيَدِكَ تَسْلِيمٌ!

مریتا:

أَوْ اسْتِسْلَامٌ!

باتوزيس (ساحراً):

أَوْتَقَتَ أزمردا بهن؟

أزمردا:

كَمَا تَرَى
ثِقْتِي بِمَوْتِكَ ...

باتوزيس (متصنفاً الملاطفة):

مَا يُفِيدُ الدَّامُ

أزمردا (وهو يجرد سيفه ويهم بطعن باتوزيس):

قَادَتِكَ بِاتُوزِيسُ آخِرُ خَطْوَةٍ
لِلْمَوْتِ! خُذْهَا مَا عَلَيَّ مَلَامٌ!

ديوان علي محمود طه

حروازا (تحول بذراعها دونه):

قَفْ ...

أزمردا (حانقًا):

لا ...

حروازا:

حذارِ ...

أزمردا (محاولًا الاندفاع):

بِلِ اُبْعَدِي

رُدِّي ذِرَاعِكِ ...

حروازا (بصوت رائع وهي تلوح بقبضتها في وجه أزمردا):

لا يُرْدُ جِمامُ!

يا أيها النفسُ الأثيمةُ أقصري

وقفي مكانكِ خانكِ الإقدامُ!

(وتقف مريتا وويشافا وأسميتا وراء حروازا وهن ينفخن، فإذا بقوة هائلة كالعاصفة تدفع أزمردا وماتوكا وعبيده إلى الوراء، وتقع السياط من أيدي الرجال وهم يرجفون رعبًا وتتجمد ذراع أزمردا وتتقلص أصابعه حول مقبض سيفه وجسده يهتز بعنف كأنه يصارع جبارًا لا يرى، ويسقط السيف من يده فيحاول استرداده جاثيًا فلا يستطيع وهو يهدر):

أزمردا:

ماذا أَحْسُ؟ ما أرى! ماذا أَصَابَ مِسْمَعِي
أَنْفَاسَكَ نَّ تِلْكَ؟

باتوزيس:

بَلْ هَبُّ رِيحٍ زَعَزَعِ

حروازا:

حَدَعْتَنَا

أزمردا:

لَمْ أَخْذِعِ

حروازا:

أَيَّ كَلَامٍ تَدَّعِي!
سوف ترى نهايةً بمثلها لم يُسمع!!

أزمردا (وقد خفت صوته):

أهكذا أنتنَّ، يا للهول! يا لمصرعي!
لم أدِرَ قَبْلَ الْيَوْمِ ما سَرُّ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
إِذَا تَأَلَّبَنَ عَلَى سَفِينَةٍ بِمَوْضِعِ
فِيَا لَكِنَّ مَنْ قُوَى تُخْضِعُ مَنْ لَمْ يَخْضِعِ!!
إِلَيَّ مَاتُوكَا إِلَيَّ

ديوان علي محمود طه

ماتوكا (وهو لا يستطيع حراگًا):

سيدي!

أزمردا:

أنتَ معي ...

أينَ الرجالُ؟ ...

ماتوكا (وقد حبس صوته):

هم ...

أزمردا:

أ_____

تري؟ إليّ أسرع ...

أسرع إليّ

ماتوكا (باكياً):

لا أطيعُ ...

أزمردا (وهو يركع متخاذلاً):

آه ما عدتُ أعي!

(وتترقق الدموع في عين أزمردا فيذهل بأتوزيس لما يراه فيحرق وكأنه لا يصدق):

باتوزيس:

ويحك أزمردا أفي عينيك بعض أدمع؟
أحقاً ذي دموعك أم خداع الخوف والألم
أتبكي، أيها التمساحُ

أزمردا (بصوت خافت):

لا تَشَمَّتْ ولا تَلَمَّ
صديقي أنت باتوزيس أنقذني من العدم
ألا صفحاً فهذي ساعة التكفير والندم!!

(وينظر إلى الفتيات ضارِعاً، وهو يقول):

هذي الدموعُ وجدتها فَوَجَدْتُ إنسانيتي
أنتن أرجعتن لي ما عَزَّ من أُمْنِيَّةِ
هذا الشعور حُرْمَتُهُ عُمري، فيا لسعادتي
أحسستُ أني الآن إنسانٌ لأول مرةٍ
وهي الحياةُ بها التقيتُ على لقاء منيَّتي!

مريتا (متأثرة):

وإذا عَفَوْنَا عَنْكَ!

أزمردا (إلى مریتا):

يا للنُّبْلِ، يا للِرَّحْمَةِ
أحسنِ لي، وَمَحَوْتُ مني الآن كلَّ خطيئةٍ
فلأُفْنِيَنَّ العَمْرَ في الإِحْسَانِ بِاسْمِ إلهتي

حروازا:

بعض هذا الحنانِ ما تاب لكنْ خَرَّ عَجْزًا فراح ينطق كذُبا
إنَّه في مفازعِ الموتِ يحتالُ ليلقى سلماً ويرتدُّ حرباً

أزمردا (ضارعاً):

رحمةً ربَّتي فما أستطيع الآن قولاً ولست أملكُ عتْباً
يا ابنة الشرقِ! أنتِ أيتها الحسناء يا من ملأت قلبي حباً
لم يعدْ بعدُ ما أخاف فأخفي عنك حبي ما كان حبي ذنباً
إنْ يكن حانَ مصرعي فعديني بعد موتي وتلك آخر رُغبي
امنحيني بعض العزاءِ ولا تلقي بجسمي في اليمِّ أفقدك غضباً
وسّديه عشبَ المكان الذي فيه النقينا، ففيه أمسيتُ صباً
عندما قَبَلتُ محياك عيناي وضمت صبابتي منك قلباً
فإذا ما سرّيت فجراً فمسيّ جسداً مقفراً من الرُّوح جذباً
عانقيه ظللاً أحبَّك روحاً كشعاع الصباح، ريان، عذباً
واسحبي فوقه الظلال ومدّي ورقاً ناضرَ الأفانينِ رطباً
وإذا أبليت الليلي كياني، فاسكبي فوقه الغمامَ سكباً
أو فذريه في الفضاء كما شئت وأنى سرّيت شرقاً وغرباً
إنها مِيتةٌ ألدُّ من العيش فلا تحرمي مُحَبِّك قرباً!!

(وتسمع ضجة وصيحات تتردد بها جوانب السفينة، وإذا بسامرا ممزقة
الثياب دامية اليدين شاحبة الوجه تظهر هاربة من الباب ووراءها عبدان
يتبعانها في أيديهما السياط، وهي تلوذ بالفتيات الأربع فيحطن بها منصرفات
عن أزمردا دون انتباه.)

حروازا:

من أنت، أيتها الفتاة؟

سمارا:

أنا المكبلة السجينه
وأنا ضحية ذلك الوحش الذي تتأملونه

باتوزيس:

هذي سمارا بنت ببلوس وحسناء المدينة
بالأمس أنقذها ولم أفطن لخدعته المشينه

سمارا:

باسم الوفاء تبعته طوعاً إلى هذي السفينه
وكرّ الخيانة والأذى، ومبائة الشرّ اللعينه
وظننته رجلاً فكان النذل مُبتدعاً فنونَه

(تشير إلى جراحها.)

أنقذني بالله، وانظرن الجراحاتِ الثخينه

(حروازا وقد انشغلت بالفتاة دون أزمردا فينفك عنه سحرها الذي كان
مسلطاً عليه بتأثير ذراعها، ويشعر بالدماء تجري في عروقه فيمد ذراعه في
غفلة عنهن ويتناول سيفه، ويهم واقفاً ووراءه العبيد وقد تبدلت هيئته وبدا
الشر في عينيه، وهو يصيح):

أزمردا:

هياً رجالي أذن الكفاح

ديوان علي محمود طه

باتوزيس (صائحًا وقد شرع العبيد يتقدمون):

إلى الوراء، أيُّها الوَقَّاحُ
دماؤكم أوَّلُ ما تُباحُّ!

أزمردا:

لا تسمعوا فقوله مزاحُ
سكرانُ قد هيَّجَ له جماحُ!

باتوزيس (وقد رأى أزمردا هاجمًا بسيفه):

ما أنت، يا قرصانُ، والسلاحُ
رأسُك أزمردا به يُطاحُ!

حروازا (وقد رفعت ذراعها في وجه أزمردا فيقف بغتة):

هذا هو القرصان، يا أرواحُ
قناعُهُ عن وجهه يُزاحُ

أزمردا (وهو يحاول الحركة فلا يستطيع):

خيرٌ لكنَّ الصمتُ لا الصِّياحُ

حروازا:

ماذا تقولُ؟

أزمردا (في عنف):

أقلع الملاح...!

حروازا:

طغيت واستشرى بك الطماح

مريتا، ويشافا، أسميتا (في غضب وثورة ملوحات بأيديهن مهدات):

يا لصُ!
يا مفضوحُ!
يا فضَّاحُ!

(حروازا والفتيات مندفعات إلى جانب باتوزيس رافعات أيديهن وقد بدأت العاصفة من جديد):

الفتيات:

حَقُّ عَلَيْكَ الْمَوْتُ، يَا سَفَّاحُ
نحن الردى والقَدْرُ المتاحُ
لنا الفضاءُ الرحبُ والجنَّاحُ
نطيرُ لا يَعَزُّنا السَّرَّاحُ

حروازا:

إن نُغْرِقِ الْفَلَكَ فَلَاجُنَّاحُ
سَفِينَةُ الْقَرِصَانِ تُسْتَبَاحُ
هَيَّا بِنَا ... إِعْصَفَنَّ، يَا رِيَّاحُ!

(وتعصف الرياح والأربع بالسفينة فتتخبط الأبواب وتطير الستائر وتسقط الصور من جوانب البهو ويتكفأ العبيد، صارخين محاولين الهرب من الأبواب

ديوان علي محمود طه

ويقع أزمردا جاثيًا، بينما تثبت الرياح الأربع في خفة من جانب السفينة
الموشكة على الغرق ومعهن باتوزيس وسمارا.)

باتوزيس يرثي أزمردا

عثرنا على هذه القصيدة التي يرثي فيها باتوزيس أزمردا، وقد هبطت الفتيات الأربع به في مكان من ساحل البحر، مذهولاً مما مر به، وهو متجه بعينه إلى فضاء البحر وأمواجه مشيراً على مكان السفينة الغارقة والفتيات حوله ينظرن حيث يشير، وهو ينشد:

أَثْرُ لَيْسَ يُلْمَحُ	وخيالٌ مُجَنِّحُ
وشراعٌ مُحَطَّمُ	حوْلَهُ الموتُ يَسْبَحُ
مُغْرَقًا لَا تَهْزُهُ	نَسْمَةٌ أَوْ تُرَنَّحُ
يحتويه مزمجِرُ	مظلمُ الغورِ أفيحُ
غرقتْ تلكُمُ السفينِ	نَهْ وَأَنْفَضَ مسرِحُ
ما لرَبَّانها الطَّموح!	أما عادَ يطمحُ؟
ويحهُ وهو ناهلٌ	أغبرُ الوجهِ أكلحُ
يتكفأ رجأله	حوْلَهُ وهو يَضْبَحُ
بعدا ما كان بينهمُ	يتغنى وَيَمْرَحُ
عَرَّهُ السيفُ مُضَلَّتَا	بالمنايا يُلَوِّحُ
لا يُبالي إذا رمى	كيفَ يَفْرِي ويذبُحُ
خالني إذ دَعَوْتُهُ	دعوةَ الخيرِ أمزحُ
عاشَ لو قَدَّرَ النصيـ	حَةً أَوْ كَانَ يُنْصَحُ
يُحسِنُ الشرُّ بالغريبِ	زَةَ والخيرُ يقبَحُ

صاحب الأُمسِ، لا رحيد
فأشربَ اليومَ من إنا
أمنَ البحرِ مِخلبيدِ
وعذارى كأنهنَّ
محصناتُ تصيدهنَّ
أيها الصَّقْرُ، لا تُغَ
يتلَّقَاكَ بأسُها
هُنَّ من رحمةِ السما
فإذا الطائرُ السجيدِ
وإذا الصائدُ الغشو
من دمِ الغدرِ قلبُهُ
فأمضِ لا فرحةً بمو
قد عفا عنك هالِكًا
قَ، ولا كأسَ تصدحُ
نِكَ بالموتِ يطفحُ
كَ، وشطُّ، وأبطحُ
الأقاحُ المُفتَّحُ!
وتُغوي وتفضحُ
رَ، فللريحِ أجنحُ!
صامدًا لا يُزحزحُ
مَقاديرُ تسنحُ
نُ طليقُ مُسرحُ
مُ صريعُ مُطرَحُ
سائلُ العرقِ ينضحُ
تَكَ! ما الموتُ يُفرحُ
قَدْرُ ليس يصفحُ!